

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

مجموع في العقيدة لابن تيمية

المؤلف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية)

الملاحظات

- أصل هذا المجموع في جامعة السند في باكستان.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

24-ع ١٥½+٢٢-سم سائز
ser-dc
Acc-36377.
SIND UNIVERSITY LIBRARY
HYDERABAD (SD.)

رسائل
الامام ابن تيمية الحرانى
فى العقائد

سنة ١٣٢١ هـ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الكتاب موقوف وهو بنظر
الفقير الى الله سبحانه عثمان
تاب الله عليه امين

الكلام على آيات اشكلت حتى لا يوجد لاهل التفسير فيها نص صوب الشيخ الاسلام
الكلام على آية البر بالشيخ الاسلام رحمه الله تعالى قاعدة في القر
وكلام الله عز وجل فصل في الصلوة خلف المزارقة جواب في بيان الصبر
الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل البعلبكية قاعدة في
بيت المقدس جواب سؤال في القدر اوله يا ايها الحبر الذي علم
كلام على المعوذتين كلام على قوله تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية قاعدة اولها اعلم ان الشرك اعظم
فصل في الغيبة نقل من سؤال قدم من بلاد كيلان في مسئلة
القرآن نقل قليل من كلام الشيخ الاسلام على ائمة المتكلمين
مسئلة في التتار مسئلة في رجلين تناظرا فقال
لا بد له من واسطة بينه وبين الله تعالى الله وتقدس عن ذلك مسئلة
هل الميت يسمع كلام زائره الخ مسئلة في قول علي رضي الله عنه لا يرجون عبد الا ربه
كتاب التحفة العراقية في الاعمال القلبية مسئلة هل يسمع الميت كلام زائره الخ نقل
من الاستغاثة في الرد على ابن البكري مسئلة فيمن يقول ان الشكل والنقط من كلام الله الخ
مسئلة في كلام الله ايضا وجوابها مسئلة فيمن تحكم فيه الداء الخ مسئلة في رجلين قال
مسئلة في رجلين قال احدهما للآخر هذا الكلام القرآن المسموع كلام الله وقال الآخر
جبريل

ملكه من فضل ربه الكريم الوهاب علي ابن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير ايات اشكلت حتى لا يوجد
في طايفة من كتب التفسير فيها قولا صوابا بل لا يوجد فيها الا ما هو خطأ

منها قوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت

لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
وفي انها قراءتان فقراءة النصب احسن القراءتين وهي التي اشكلت على كثير من
اهل العربية حتى قالوا ان ان بمعنى لعل وذكروا ما يشهد لذلك وانما دخل عليهم
الغلط لانهم ظنوا ان قوله نقلب افئدتهم جملة مبتدأة يخبر الله بها
وليس كذلك لكنها داخلة في خبر ان ومتعلقة باذا والمعنى وما
يشعركم اذا جاءت انهم لا يؤمنون وانا نقلب افئدتهم وابصارهم
بعد مجيئها كما لم يؤمنوا بها اول مرة ونذرهم في طغيانهم فاذا كنتم لا تشعرون
انها اذا جاءت كانوا لا يؤمنون وكنا نفعل بهم لم يكن قسمهم لان جاءتهم
اية ليؤمنن بها صدقا بل قد يكون كذبا فهذا معنى الاية وهو ظاهر الكلام
المعروف وان المصدرية هي المعروفة ولو كان قوله ونقلب كلاما مبتدأ
للزم ان كل من جاءته اية قلب الله فؤاده وبصره وليس كذلك بل قد يؤمن
كثير منهم وكثير من الناس كفر ثم جاءته ايات فتاب الله عليه فآمن وانما
العقوبة لمن اصر ولكن لا يجزم بايمانه عند مجيء الايات بل قد يؤمن وقد لا
يؤمن وحرف لا وان كان قد يكون مؤكدا للنفي اذ من شانه ان يقحم في الجمل
السلبية لفظا ومعنى توكيدا للسلب كقوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله وحرام
على قرية الى قوله لا يرجعون وقوله فلا وربك لا يؤمنون الاية وقول الصديق لاها الله

اذا

لعل ظ

لعل هنا سقط لعل كما هي ثابتة في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى قال ابن جرير وذكروا ان ذلك كذلك في قراءة ابي وقد قيل ان قول عدي ابن زيد من هذا وهو اعاذل ما يدريك ان منيتي الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد يريد لعل منيتي

وقوله لا اقسم بيوم القيمة وقولهم لا والله لا يكون ذا وقد ظن بعضهم
انه هنا تفخيم كذلك بل هو باق على بابه والمعنى وما يشعركم انهم يؤمنون
ولهذا يجعلون قوله ويقلب معطوفا على ذلك وليس هو في هذه الاية كذلك بل
هو باق وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون ليس ما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون
فانها جاءت في جواب اذا واذا فيها معنى الشرط وانت تقول ما يشعرك ان زيدا
يفعل كذا وتقول ما يشعرك انك ان احسنت اليه يحسن اليك واذا فان
قيل فقوله وما يشعركم استفهام بمعنى الانكار والتقدير ولا تشعرون بهذا
النفي وهم لا يدعون الشعور بالنفي ولا ادعوا الشعور بالاثبات ولكن اولئك
اقسموا عليه فقال تعالى وانتم لا شعور لكم بهذا النفي بل قد يكون النفي حقا وانتم
لا تشعرون به فقد يكون بهذا فاي شيء هو الذي اشعركم
به واذا لم يكونوا شاعرين به لم يحكموا به مع تحققه في نفس الامر فلهذا يظنون
صدقهم في قسمهم ويطلبون مجيء الاية كما يقال فلان قال كذا وانت لا تعلم ان هذا
الكلام اراد به كذا وكذا فتنفي علمه بالواقع بينهما او تقول وما يدريك انه اراد به كذا
وكذا لما يجوز انه اراده كذلك اذا قلت وما يشعرون بعدم الايمان فيجوز
ان لا يكون عدم الايمان فلا يجزموا بانتفائه والله اعلم

ومنها قوله تعالى وعبد

الطاغوت والصواب فيها ان قوله وعبد معطوفا على قوله لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم فهو فعل ماض معطوف على ما قبله من الافعال الماضية اي من لعنه الله
ومن غضب عليه ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت لكن
الافعال المتقدمة الفاعل فيها اسم الله تعالى مظهرا ومضمرا وهنا

الفاعل

وقوله لا اقسم بيوم القيمة وقيل لا واسد لا يكون ذا وقد ظن بعضهم
انه هنا تفخيم كذب بل هو باق على بابه والمعنى وما يشعرهم انهم يوضعون
ولهذا يجعلون قوله ويحلفون معطوفا عليه ذكر وليس في هذه الآية كذب بل
هو باق وتأويله كما اذا جاءت لا يوضعون ليس ما يشعرهم انها اذا جاءت يوضعون
فانها جاءت وجوابا واذا فانها معنى الشرط وانت تقول ما يشعرك اني ابدا
يفعل كذا وتقول ما يشعرك ان اخاك احسنت اليه يحسن اليك واذا فان
قيل فقوله وما يشعركم استفهام بمعنى الانكار والتقدير ولا تشعرون بهذا
قيل الفرق وهو لا يدعون الشعور بالنفي ولا ادعوا الشعور بالاثبات ولكن اولئك
اقسموا عليه فقال تعالى وانتم لا تشعرون بهذا النفي بل قد يكون النفي حقا وانتم
لا تشعرون به فقد يكون
به واذا لم يكونوا شاعرين به لم يحكموا به مع تحققه في نفس الامر فلهذا انتظموا
صدقهم في قسمهم ويظنون مجيء الآية كما يقال فلان فاكد اوانت لا تعلم ان هذا
الكلام اراد به كذا وكذا فانتفى علمه بالواقع منها او تقول وما يدريك انه اراد به كذا
وكذا لما يجوز ان يراد به كذا اذا قلت وما يشعرون بعدم الايمان فيجوز
ان لا يكون عدم الايمان فلا يحزنوا بانتفائه والله اعلم

ومنها قوله وعبد

الطاغوت والصواب فيها ان قوله وعبد معطوف على قوله لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم فهو فعل ماض معطوف على ما قبله من الافعال الماضية اي من لعنه الله
ومن غضب عليه ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت لكن
الافعال المتقدمة الفاعل فيها اسم الله تعالى هو مظهر او مضمر وهذا

الفاعل

الفاعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في محل عبد ولم يعد بعد الحرف
من لانه جعل هذه الافعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود

ومنها قوله تعالى الا انهم يسقمون في السموات

ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن
الآية ظن طائفة ان ما نافية وقالوا ما يدعون من دون الله شركاء انهم يدعون
الظن في الحقيقة بل هم غير شركاء وهذا خطأ ولكن ها هنا حرف استفهام
والمعنى واي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ما يتبعون الا
الظن وانهم الاخصوص وشركاء مفعول يدعون المعنى يتبع قال ابن الانباري
يدعون من دون الله شركاء كما اخبر عنهم بذلك في غير موضع فالشركاء موصوفون
في القرآن بانهم يدعون من دون الله ولم يوصفوا بانهم يتبعون وانما يتبع
الآلهة الذين كانوا يدعون هذه الآلهة فلهذا بعد هذا ان يتبعون الا الظن
الظن ولو اراد انهم ما يتبعوا شركاء في الحقيقة لقال اراد يتبعون الا الظن
شركاء بل هو استفهام بين به ان المشركين الذين دعوه دون الله
شركاء ما اتبعوا الا الظن ما اتبعوا علما فان المشرك لا يكون معه علم مطابق
وهو في ما يتبع الا الظن وهو يخرص تخرصا هو كذب وافترا كقول
قتل الخراصون

ومنها قوله تعالى فستبصر ويبصرون بايكم المفتون حارفها كثير من الناس والصواب
فيها التفسير المأثور عن السلف روى ابن ابي حاتم وغيره بالاسانيد الصحيحة
عن ابن ابي نجيح عن مجاهد بايكم المفتون قال الشيطان وفي رواية قال
هو ابليس وقال الحسن ايكم اولى بالشيطان قال افهم اولى بالشيطان من

نبي الله صلى الله عليه وسلم فبين الحسن المعنى المراد وان لم يتكلم على اللفظ
كعادة السلف في اختصار الكلام مع البلاغة وفهم المعنى وقال الضحاك بايكم
المفتون قال المجنون فان من كان به الشيطان ففيه الجنون وذكر ابو الفرج
عنهم اربعة اقوال احدها قال الضال قاله الحسن والثاني
الشيطان قاله مجاهد والثالث المجنون قاله الضحاك قال والمعنى قد فتن
بالجنون وكذلك رواه العوفي عن ابن عباس والرابع المعذب حكاه
الماوردي فهذا الرابع ليس ماثورا عن السلف وانما الماثور ما قدمناه
عن السلف عن مجاهد وعن الحسن وعن الضحاك وما ذكره عن الحسن
من انه الضال فهو لفظ اخر عنه وهو يوافق ما قدمناه فان الضال به المفتون
الذي هو شيطان وانما ذكر الحسن لفظ الضال لانهم لم يريدوا بالمجنون
الذي يخرق ثيابه ويقذف بالحجارة ويتكلم بالهذيان وهم انما نسبوا
الانبياء الى الجنون لمخالفتهم ما عليه اهل العقل في نظرهم كما يقال ما لفلان عقل
معيشي فان الانبياء اتوا بخلاف ما يعرفونه وهو عندهم يضر صاحبه
في عقله ويفارق به دينه الذي هم وكما قال تعالى في اخر هذه السورة وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وقد ذكر
انهم رموه بالجنون في غير موضع من كتابه وكذلك الانبياء قبله فرد الله ذلك
على المشركين واخبر انه ليس بمجنون ثم قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون
اي ايكم هو المجنون الذي به المفتون وهو الشيطان وهذا الامر قد رمي به اتباع
الرسل من مثل هؤلاء قال الله تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا
مروا بهم يتغامزون الى قوله واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون ومثل هؤلاء في هذه الامة

كثير

كثير يسخرون من المؤمنين ويضحكون منهم ويرمونهم بالجنون والعظايم التي هم
اولى بها منهم قال الحسن لقد رايت رجالا لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم
لقالوا هؤلاء شياطين ولو راوا خياركم لقالوا هؤلاء قوم لا خلاق لهم ولو راوا
شراركم لقالوا هؤلاء قوم لا يؤمنون بيوم الحساب وهذا كثير في كلام السلف
يصفون اهل زمانهم وما هم عليه من مخالفتهم من تقدمهم من خيار هذه عليه
الامة فما الظن باهل زماننا ويدل ايضا على هذا المعنى في الايذان في قراءة
ابي بن كعب والجويني وابن عباس في ايكم المفتون بالشيطان مفتون بلا ريب
والذين لم يفهموا هذا قالوا الباء زايدة كما قاله ابو عبيدة وابن قتيبة وابو بكر
وكذلك نحاة البصرة والكوفة ثم ذكروا قولين احدهما ان المفتون
مصدر كما زعم ان المعفور والمعقود والمجلود يكون مصدرا ومنهم
من قال بايكم اي باي الفريقين المفتون اي المجنون ابا الفريقين الذي انت
فيهم ام بفريق الكفار وهذه اقوال ضعيفة وكون المفتون
بمعنى الفتنة لا اصل له في اللغة البتة وجعل المصدر على زنة مفعول لو صح
لم يكن قياسا بل مقصورا على السماع كيف وفيما ذكروه كلام ليس هذا موضعه
وكذلك قول من يقول بابي الفريقين والمقصود ان جميع الكفار مفتونون
بالشيطان وفيهم وفهم الشيطان ليس المقصود بان يعاب الفريق بواحد
منهم وقد كان بعض الكفار يقول ان الذي ياتي محمدا شيطان لا ملك
ولهذا قال وما هو بقول شيطان رجيم وقال هل انبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل افاك اثيم وقال فيمن كذب رسوله لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة
خاطية فهذا الكاذب الفاجر هو الذي فيه الشيطان الذي انما يقترن
بكل افاك اثيم وقال قوم صالح بل هو كذاب اشر قال تعالى سيعلمون غدا من
الكذاب الاشر وكذلك قال قوم نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

لعله ابا الفريق

فنو فيحملوه من يأسه عذاب يحزنه ويحل عليه عذاب مقيم وهذا كثير

فصل قال تعالى لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا الآية وقوله وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فصاحب هذا القول اقر العود على معناه المعروف ولكن جعل عودا الى ترك الامر والنهي ودعوتهم الى الايمان كما انهم قبل ان يرسلوا وجعلوا هذا عودا في ملتهم عندا وليد الكفار وهذا يرد عليه امران احدهما ان هذا العود انما يكون للرسل خاصة فهم الذين امروا ونهوا ودعوهم الى اتباعهم وقال ابن عطية او لتعودن في ملتنا للمصرين وقال ابو الفتح او لتعودن في ملتنا يعني ديننا وهو الشرك فان قيل كيف قال او لتعودن وشعيب لم يكن في كفر قط فعنه جوابان احدهما انهم لما جمعوا فيمن معه ممن كان كافرا ممن خاطبوا شعيبا بخطاب واحد اتباعه وغلبوا الغضهم على لفظ الكثرة منهم وانفراده والثاني ان المصيرين الى ملتهم قد وقع القول على معنى الابتداء كما يقال عاد علي من فلان مكروه اي قد لحقني منه ذلك وان لم يكن سبق منه مكروه قال الثعلبي فان كنا الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب قال وقد ذكر نحو هذا في سورة البقرة في قوله الى استرجع الامر قال وقد ذكر معنى هذين الجوابين الزجاج وابن الانباري ولم يذكر في امر ابراهيم شيئا والجواب الاول مع ضعفه لا يأتي في سورة ابراهيم وكذلك البغوي مع الثعلبي وغيرهما ذكر الوجهين وجها ثالثا فقالا واللفظ للبغوي لترجعن الى ديننا الذي نحن عليه قال شعيب اولو كنا كارهين كذلك

يجزم به قال في تفسيره في قصة او لتعودن في ملتنا ليس المراد عودهم الى الكفر فان الانبياء لم يكونوا كفارا وقال ابن عطية والعود ابدا انما هو الحال قد كانت والرسل قط لم تكن في ملة الكفر والمعنى او لتعودن الى السكوت عنا كما كنتم قبل الرسالة وكونكم اغفالا قال وذكر عند الكفار كون في ملتهم فصاحب هذا القول اقر العود على معناه المعروف ولكن جعل عودا الى ترك الامر والنهي ودعوتهم الى الايمان كما انهم قبل ان يرسلوا وجعلوا هذا عودا في ملتهم عندا وليد الكفار وهذا يرد عليه امران احدهما ان هذا العود انما يكون للرسل خاصة فهم الذين امروا ونهوا ودعوهم الى اتباعهم وقال ابن عطية او لتعودن في ملتنا للمصرين وقال ابو الفتح او لتعودن في ملتنا يعني ديننا وهو الشرك فان قيل كيف قال او لتعودن وشعيب لم يكن في كفر قط فعنه جوابان احدهما انهم لما جمعوا فيمن معه ممن كان كافرا ممن خاطبوا شعيبا بخطاب واحد اتباعه وغلبوا الغضهم على لفظ الكثرة منهم وانفراده والثاني ان المصيرين الى ملتهم قد وقع القول على معنى الابتداء كما يقال عاد علي من فلان مكروه اي قد لحقني منه ذلك وان لم يكن سبق منه مكروه قال الثعلبي فان كنا الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب قال وقد ذكر نحو هذا في سورة البقرة في قوله الى استرجع الامر قال وقد ذكر معنى هذين الجوابين الزجاج وابن الانباري ولم يذكر في امر ابراهيم شيئا والجواب الاول مع ضعفه لا يأتي في سورة ابراهيم وكذلك البغوي مع الثعلبي وغيرهما ذكر الوجهين وجها ثالثا فقالا واللفظ للبغوي لترجعن الى ديننا الذي نحن عليه قال شعيب اولو كنا كارهين كذلك

فتجبرونا عليه وقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قالوا اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين

هذه الآيات الكريمة تدل على ان شعيبا والرسل كانوا في ملتهم قط وهي ملة الكفر فهذا فيه نزاع مشهور وكل حال فهذا خبر يحتاج الى دليل سمعي او عقلي وليس في دلالة الكتاب والسنة والاجماع ما يخبر بذلك واما العقل ففيه نزاع والذي يظهر اهل السنة ان ليس في العقل ما يمنع ذكر وهذه مسألة تنازع فيها المتأخرون من المنتسبين الى السنة والحديث والمعتزلة قال القاضي ابو بكر ابن الخطيب في بيان الكلام في ان الانبياء يجوز وقوع ذنوب منهم ام لا وما الذي يجب تنزيههم عنه وهل يجوز ذلك عليهم قبل البعثة او يفترق الحال في ذلك وما يتصل به من الفصول ذكر الخلاف في ذلك ووصف الحق فيه قال فذكرنا قبل ذلك استحالة الكذب عليهم والكتمان والخطأ والسهو والاغفال والتنبيه

منكم من نسائهم ثم يعودون لما قالوا واللفظ في مثل هذا الموضع صريح بالعود الى الامكان عليه الرسل واتباعهم لا يحتمل غير ذلك كما قال ابن عطية لكن اذا قال عاد لذا فهو فعل مثل ما كان منه اولا كالذين نهوا عن شيء ثم عادوا لما نهوا عنه يفعلونه ثم عاد والبعد النهي وكالمظاهر الذي امتنع من زوجته وحرم عليه امساكها ووطيها ثم عاد لامساكها وجماعها ولم يقل احد قط ان العود في مثل هذا يكون فعلا مبتدأ واما قوله فقد عاد في لبن ذنوب وعاد ابعد ابوالا وجاء رمادا فتلك افعال مطلقة ليس فيها انه عاد كذا والعاد فيه ولفظ العود الرجوع وهو يقتضي رجوعا الى شيء ورجوعا عن شيء فعند الاطلاق قد يراد الرجوع عن هذه الحال وحوز عنها ونحو ذلك ويقتضي رجوعا الى شيء ولهذا سمي المرتد عن الاسلام مرتدا وان كان ولد على الاسلام ولكن كفر عند عامة العلماء لكونه رجع عن الاسلام

فصل واما قولهم ان

ان شعيبا والرسل كانوا في ملتهم قط وهي ملة الكفر فهذا فيه نزاع مشهور وكل حال فهذا خبر يحتاج الى دليل سمعي او عقلي وليس في دلالة الكتاب والسنة والاجماع ما يخبر بذلك واما العقل ففيه نزاع والذي يظهر اهل السنة ان ليس في العقل ما يمنع ذكر وهذه مسألة تنازع فيها المتأخرون من المنتسبين الى السنة والحديث والمعتزلة قال القاضي ابو بكر ابن الخطيب في بيان الكلام في ان الانبياء يجوز وقوع ذنوب منهم ام لا وما الذي يجب تنزيههم عنه وهل يجوز ذلك عليهم قبل البعثة او يفترق الحال في ذلك وما يتصل به من الفصول ذكر الخلاف في ذلك ووصف الحق فيه قال فذكرنا قبل ذلك استحالة الكذب عليهم والكتمان والخطأ والسهو والاغفال والتنبيه

فتحن وناعليه قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين

قال ابو محمد عبد الحق رحمه الله قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها الآية وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين كل هذه الآيات في سورة الاعراف وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين في سورة يونس وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين في سورة هود وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين في سورة الشعراء وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين في سورة العنكبوت وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين في سورة الاعراف وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين في سورة يونس وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين في سورة هود وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين في سورة الشعراء وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين في سورة العنكبوت وقوله تعالى حكاية عن شعيب ايضا ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى حكاية عن الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين

منكم من نسائهم ثم يعودون لما قالوا واللفظ في مثل هذا الموضع صريح بالعود الى امر كان عليه الرسل واتباعهم لا يحتمل غير ذلك كما قال ابن عطية لكن اذا قال عاد لذا فهو فعل مثل ما كان منه اولا كالذين نهوا عن شيء ثم عادوا يفعلونه ثم عاد والربعد النهي وكالمظاهر الذي امتنع من زوجته وحرم عليه امساكها ووطيها ثم عاد لامساكها وجماعها ولم يقل احد قط ان العود في مثل هذا يكون فعلا مبتدأ واما قوله فقد عادت لهن ذنوب وعاد ابعد ابوالا وحاربها عادا فتلك افعال مطلقة ليس فيها ان عاد كذا والا عاد فيه ولفظ العود الرجوع وهو يقتضي رجوعا الى شيء ورجوعا عن شيء فعند الاطلاق قد يراد الرجوع عن هذه الحال وحوز عنها ونحو ذلك ويقتضي رجوعا الى شيء ولهذا سمي المرتد عن الاسلام مرتدا وان كان ولد على الاسلام ولم يكن كافرا عند عامة العلماء لكونه رجع عن الاسلام

فصل واما قولهم ان

ان شعيبا والرسل ما كانوا في ملتهم قط وهي ملة الكفر فهذا فيه نزاع مشهور وبكل حال فهذا خبر يحتاج الى دليل سمعي او عقلي وليس في ادلة الكتاب والسنة والاجماع ما يخبر بذلك وامات العقل ففيه نزاع والذي عليه ظاهر اهل السنة انه ليس في العقل ما يمنع ذلك وهذه مسئلة تنازع فيها المتأخرون من المنتسبين الى السنة والحديث والفقه قال القاضي ابو بكر بن الطيب في باب الكلام في ان الانبياء يجوز وقوع الذنوب منهم ام لا وما الذي يجب من وقوعه ان جوز ذلك عليهم وهل يجوز قبل البعثة او يفترق الحال في ذلك وما يتصل به من الفصول ذكر الخلاف في ذلك ووصف الحق فيه قال فقد ذكرنا قبل ذلك استحالة الكذب عليهم والكتمان والغلط والسهو والاغفال والتنبيه

والالغاز فيما طريقه البلاغ والاداء عن الله وحراستهم من كل سبب يقدح في
نبوتهم ودلالة معجزاتهم وما خصهم الله به من شرف المنزلة وعلو القدرة
قال وقد اختلف الناس في جواز وقوع الذنوب منهم فقالت
المعتزلة انه لا يجوز وقوع الكباير من المعاصي منهم كالكفر فما دونه
لا قبل النبوة ولا بعدها لكون ذلك منفرا عن طاعتهم والقبول منهم
ومفسدا عند بعضهم لدلالة الاعلام وما يقتضيه التحمل والبلاغ عن الله
فلا يجوز ان يكون النبي قبل بعثه الا على التمسك بالفرايض العقلية والعمل الصالح
والتدين بشريعة نبي قبله قلت وكثير من اهل السنة
يقولون الانبياء معصومون من الكفر قبل النبوة كما قال ذلك ابن الانباري
والزجاج وابن عطية وابن الجوزي والبغوي قال البغوي واهل الاصول
على ان الانبيا كانوا مومنين قبل الوحي صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحي
على دين ابراهيم ولم تبين له شرايع دينه قلت وقوله
هذا يناقض ما ذكره في قوله ووجدك ضالا فهدى قال ومعنى الاية
وجدك ضالا عن ما انت عليه اليوم فهداك لتوحيده والنبوة فجعل
التوحيد مما كان ضالا عنه فهداه اليه وايضا فقوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان يناقض هذا وقد روي عن احمد انه قال من قال انه كان
النبي صلى الله عليه وسلم على دين قومه فهو قول سوء ولكن قد قال السدي وغيره
كان على دين قومه اربعين سنة قلت وقد روى ابن ابي
حاتم حدثني عبد الله عن ابي بكر عن عثمان مولى سليمان عن عمه نافع
بن جبير بن مطعم عن ابيه عن جبير بن مطعم قال لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على دين قومه وهو واقف على بعير له بعرفات بين قومه يدفع مع الناس
توفيقا من الله له وقد رواه احمد من طريق ابن اسحق به ورواه ايضا

من طريق

لعله ٢ القدر

اصل ٢ نقيضه

ط كما كان نبينا

من طريق سفيان عن ابيه ولم يقل على دين قومه والمقصود ان هذا النزاع
في وقوع الذنوب منهم قبل النبوة ليس هو قول المعتزلة فقط بل هو
بين اصحاب الحديث واهل السنة قال ابو بكر الخطيب وقال كثير منهم ومن
اصحابنا واهل الحق انه لا يمتنع بعثة من كان كافرا او مصيبا لكبائر قبل بعثته
قال ولا شيء عندنا يمنع من ذلك على ما نبين القول فيه واختلفوا في اصابة
الذنوب بعد البعثة فقالت الرافضة ومن تابعهم لا يجوز ذلك عليهم
في صغائر الذنوب وكبائرها ولا يجوز عليهم السهو والغلط في البلاغ ولا
في غيره وقالت المعتزلة يجوز وقوع صغائر الذنوب منهم
في حال الرسالة اعتمادا مع العلم بخطرها وقبحها ولا يجوز ان يقع
منهم الكبير من المعاصي ولا الصغائر المستقبحة المصغرة لشان
فاعلها وقال فريق منهم لا يجوز وقوع الذنوب منهم على القصد
اليها والعلم بقبحها وتحريمها وانما يقع منهم على جهة الخطا في التاويل
وهذا قول الجبائي وكثير من سلفهم وقال النظام وجعفر ابن
بشر ان ذنوبهم انما تقع على وجه السهو وانهم مع ذلك يواخذون
بها وان وقعت كذلك وان كان ذلك مرفوعا عن اممهم ومغفورا
لهم لاجل ان معرفتهم بالله وبدينه اقوى ودلايله وهم على الدقيق
والتحفظ والسهو اقدر من اممهم فلذلك غلظ التكليف عليهم قال
وقال اهل الحق والجمهور من الناس واصحاب الحديث يجوز وقوع
الذنوب في حال نبوتهم الا ذنوبا في حال ما يفسد البلاغ عن الله ويقدح
في اعلامهم وصحة نبوتهم ويشكك في صدقهم وانه ليس في معاصي
صغائر تقع محبطة لا تستحق الذم والعقاب عليها بل كلما يعصي الله به
اكبر من جميع معاصي العباد بعضهم لبعض وان ذنوبهم

تقع مغفورة لا يعاقبون عليها في المعاد قال وقال كثير من اهل الحق لا بد مع
مواقعتهم لها ان واقعوها من خوف شديد وحذر واعظام لها وتعقيبها
بالتوبة والندم منها في حال وهذا هو المختار عندنا قال وقال الجمهور
من اهل الحق انه لا يجب القطع على مواقعتهم لها في حال النبوة وانه لا بد من
دليل يدل على ذلك بالآي والاخبار المروية في ذلك محتملة لكونهم مصيبين
لها قبل النبوة قال وهذا اولى واليق بهم ثم قال فصل
في جواز بعثة من كان مصيبا للكفر والكبائر قبل الرسالة والذي يدل على ذلك امور
احدها ان ارسال الرسول وظهور الاعلام عليه اقتضى ودل لا محالة على
ايمانه وصدقه وطهارة سريرته وكمال علمه ومعرفته بالله وانه مودع عنه دون
غيره لانه انما يظهر الاعلام ليستدل بها على صدقه فيما يدعيه من الرسالة فاذا
كان بدلالة ظهورها عليه الى هذه الحال من الطهارة والنزاهة والاقلاع
عما كان عليه لم يمتنع بعثته والزام توقيره وتعظيمه وان وجد ضد ذلك قبل
الرسالة ويدل على ذلك جواز نصب الامام للامة ويلزمه اقامة الحد واستيفاء الحق
مما كان يليه عليه السلام وان كان الامام قبل ذلك كافرا ومصيبا لكبائر قبل امامته وامر الله
بتعظيمه والانقياد له والخضوع لاوامره فكذلك النبي وان اختلفت رتبتهما
في الفضل ويدل عليه ايضا انه لا شيء يمنع بعثة من كان كافرا ثم صحت توبته
واقلاعه فمن ظن ان ذلك يوجب محالا وافسادا في التكليف او غيره ذكر ذلك
له ليريه فساده وقد اطال ابن الطيب الكلام على المعتزلة في المقام ينقض
اقوالهم قلت المقصود بما ذكر خلاف الناس في هذا الاصل واما
تحقيق القول فيه فالله سبحانه انما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه كما قال
الله اعلم حيث يجعل رسالته وقال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس بل قد
يبعث من اهل بيت ذي نسب كما قال هرقل لابي سفيان كيف نسبه فيكم قال هو
فينا ذو نسب قال كذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقد قالوا لشعيب

لعله الخطيب

لولا رهطك

لولا رهطك لرجمناك مع استضعافهم له ومن نشا بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه
نقص ولا بغض ولا غضاضة اذا كان على مثل دينهم اذا كان عندهم معروفا
بالصدق والامانة وفعل ما يعرفون وجوبه واجتناب ما يعرفون قبحه وقد
قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب
قبل الرسالة وان كان لا هو ولا هم يعلمون ما ارسل به وفرق بين من يرتكب ما علم
قبحه وبين من يفعل ما لم يعرف فان هذا الثاني لا يذمونه ولا يعيبونه عليه
ولا يكون ما فعله مما هم عليه منفرا عنه بخلاف الاول ولهذا لم يكن في انبيا بني
اسرائيل من كان معروفا بشرك فانهم نشاؤا على شريعة التورية وانما ذكر هذا
فيمن كان قبلهم ولكن هذا الذي ذكره يجي في اخوة يوسف اذا قيل انهم
صاروا انبيا بعد ما فعلوه بيوسف فوقع منهم ما وقع قبل النبوة واما
ما ذكره سبحانه في قصة شعيب والانبيا فليس في هذا ما ينفر احدا
عن القبول منهم وكذلك الصحابة الذين امنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد
جاهليتهم وكان فيهم من كان محمود الطريقة قبل الاسلام كابي بكر الصديق
رضي الله عنه فانه لم يزل معروفا بالصدق والامانة ومكارم الاخلاق لم يكن فيه
قبل الاسلام ما يعيبونه به والجاهلية كانت مشتركة فيهم كلهم فقد تبين
انما اخبر عنه قبل النبوة في القران من امر الانبيا ليس فيه ما ينفر احدا عن
تصديقهم ولا يوجب طعن قومهم فيهم ولهذا لم يذكر احد من المشركين
هذا قادحا في نبوتهم ولو كانوا يرونه عيبا لعابوه ولقالوا انتم كنتم
ايضا معنا على الحالة المذمومة ولو ذكروا للرسل هذا قالوا كنا كغيرنا لم
نعرف ما اوحي به الينا قالوا ان انتم الا بشر مثلنا فقالت الرسل ان نحن
الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشا من عباده وقد اتفقوا كلهم

على جواز جهل رسول لم يعرف ما جاءت به الرسل قبله من امور النبوة والشرائع
ومن لم يعرف هذا الرسول بعد الرسالة فهو كافر والرسل قبل الوحي وقد كانت لا تعلم هذا
فضلا عن ان تقر به فعلم ان هذا العلم والايمان لا يحصل فيهم بل اذا
انباهم علمهم ما لم يكونوا يعلمون وقد قال تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من
عباده وقال تنزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله
الا انا فاتقون فجعل انذارهم لعباده وحده كانذارهم يوم التلاق كلاهما
عرفوه بالوحي وقد كان ابراهيم الخليل قد تبين قومه كفار ليس فيهم من يوحد الله
واتاه الله رشده واتاه من العلم ما لم يكن فيهم وكذلك غيره من الرسل وموسى لما
ارسله الى فرعون قال له فرعون الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين
وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال موسى فعلتها اذا وانا
من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وقال تعالى لخاتم الرسل نحن نقص
عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن
الغافلين وهذا ان المخففة من الثقيلة قد دخلت في خبرها اللام الفارقة
ليست النافية كما يظنه من لا يفهم العربية ولا معاني القرآن وقال تعالى تلك
من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل وقال وعلمك
ما لم تكن تعلم الاية وقال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء الى صراط مستقيم الى الصراط السوي وقد تنازع الناس
في نبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة في معاني بعض هذه الآيات كما تنازعوا
في قصة آية الاعراف وامر ابراهيم فقالوا قوم لم يكن النبي على دين قومه ولا يأكل
ذبايحهم وهذا هو المنقول عن احمد بن حنبل وكل من زعم انه كان على دين قومه

فهو قول سو ليس كان لا ياكل مما ذبحه على النصب قلت ولعل احمد
قال ليس كان لا يعبد الاصنام فغلط الناقل عنه فان هذا قد جاء في الاثار انه
كان لا يعبد الاصنام واما كونه كان لا ياكل من ذبايحهم فهذا لا يعلم انه
جاء به اثر واحمد من اعلم الناس بالاثار فكيف يطلق قولا عن المنقولات
لم يرد به نقل ولكن هذا قد يشتبه بهذا وشرك حرام من حين ارسل واما
تحريم ما ذبح على النصب فانما ذكر في سورة المايده وقد ذكر في السور المكية
كالانعام والنحل تحريم ما اهل به لغير الله فتحريم هذا انما عرف من القران وقبل
نزول القران لم يكن يعرف تحريم هذا بخلاف الشرك وقد كان هو واصحابه
مقيمين بمكة بعد الاسلام ياكلون من ذبايحهم لكن فرق بين ما ذبحوه
للحم وما ذبحوه للنصب على جهة القربة للاوثان فهذا من جنس الشرك لا يباح
قط في شريعة وهو من جنس عبادة الاوثان واما ذبايح المشركين فقد
ترد الشريعة بحلها كما كانوا يتزوجون المشركات اولا والقول
الثاني اطلاق القول بانه صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وتفسير ذلك
بما كانوا عليه من بقايا دين ابراهيم لا بالموافقة لهم على شركهم قال ابن
قتيبة قد جاء الحديث بانه كان على دين قومه اربعين سنة ومعناه ان العرب
لم يزالوا على بقايا من دين اسمعيل من حج البيت والختان وايقاع الطلاق اذا كان
ثلاثا وان للزوج الرجعة في الواحدة والاثنتين ودية النفس مائة من الابل والغسل
من الجنابة وتحريم المحرمات بالقرابة والصهر فكان على ما كانوا عليه من
الايمان بالله والعمل بشرايعهم تلك وكان لا يقرب الاوثان بل كان يعيبها وكان
لا يعرف شرايع الله التي شرع لعباده على لسانه فذلك قوله ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان يعني القران يعني شرايع الايمان ولم يرد الايمان الذي
هو الاقرار بالله لا اباه الذين ماتوا على الشرك كانوا يومنون بالله ويحجون له مع شركهم

قال ... اما ما ذكره ابن قتيبة من ان العرب كانوا يحجون ويختتنون
فهذا متواتر عنهم وهذا كان هو الحنيفية عندهم وكذلك تحريم الاقارب وقال ابو الحسن
الاخفش الحنيف المسلم فكان يقال في الجاهلية لمن اختتن وحج البيت حنيف لان
العرب لم تتمسك بشيء من دين ابراهيم غير الحج والختان فلما جاء الاسلام عادت الحنيفية
وروى ابن ابي حاتم عن سعيد عن قتادة قال الحنيفية شهادة ان لا اله الا الله
يدخل فيها تحريم الامهات والبنات والعمات والخالات وما حرم الله واختاره
وكانت حنيفية من الشرك كان اهل الشرك محرمون في شركهم الامهات والبنات
والاخوات والعمات والخالات وكانوا يحجون البيت وينسكون المناسك
وقال ابن عيص حنيفا حاجا قال ابن ابي حاتم وروي عن الحسن والضحاك
وعطية والسدي نحو ذلك وهو الاظهر اراد ان هذا الجنس مختص بالحنفاء
لا بالهوى والانصراف الى الجاهلية والى الاسلام ولهذا جاء في الحديث من ملك
زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فليمت ان شاء يهودي وان شاء نصراني
وهذا بعد ان فرضه الله فهو من لوازم الحنيفية كما انه لم يكن مسلما الا من آمن
بمحمد صلى الله عليه وسلم واما قبل محمد فكانوا بني اسرائيل على ملة ابراهيم وكان الحج
مستحبا قبل محمد لم يكن مفروضا ولهذا حج موسى ويونس وغيرهما من الانبياء ولم
يكن مفروضا على بني اسرائيل وكان قبل الاسلام من الكمال المستحب في الحنيفية فلما
فرض على لسان محمد كان من الكمال الواجب في الحنيفية فالتم الامر والاسلام بني
على خمس احدها حج البيت والكلام في الحنيفية لبسطه موضع اخر ولكن المقصود
ما كانت عليه العرب من الحنيفية بقايا دين ابراهيم واما ما ذكره ابن قتيبة من انهم
كانوا يحجون ويختتنون ويحرمون من ذكر ولكن هذا التحريم يشاركهم فيه اهل الكتاب
والختان يشاركهم فيه اليهود فلم يمتازوا الا بالحج البيت لم يكن يحج غيرهم والختان
والتحريم كان معهم من بقايا دين ابراهيم واما ما ذكره ابن قتيبة من انهم كانوا

يحجون

يجعلون الطلاق ثلاثا فليس كذلك بل هذا مما شرع في المدينة فان المسلمين
كانوا يطلقون بعد الاسلام بلا عدد وكان الرجل يطلق المرأة حتى اذا قاربت
انقضاء عدتها طلقها ثم يرتجعها ضرارا بها فنهاهم الله عن ذلك وقصرهم
على ثلاث تطليقات وهذا مشهور في الحديث والتفسير والفقه وهو اشهر من
ان يعزى الى كتاب معين واما كون الر كانت مائة قبل
فليس هذا من دين اسمعيل بل هذا مما سنه لهم عبد المطلب واقره النبي صلى الله
عليه وسلم في الاسلام وقد ذكر بن عباس انهم كانوا يدون النفس مائة من الابل
وكان سبب ذلك نذر عبد المطلب لما نذر ان يذبح اخر ولد يولد له وقيل
انه نذر ان ولد له عشرة ان يذبح احدهم وانه اراد ذبح عبد الله ابا النبي صلى الله
عليه وسلم فمنعه قومه وافتداه من ربه بابل فصار يقرع وتخرج القرعة
على عبد الله ويريد الابل حتى صارت مائة فخرجت القرعة على الابل والقصة
مشهورة في السير وغيرها واما تحريم ما ذكر فصحيح واما تحريم بالصهر
فليس كذلك بل كان الرجل يتزوج امرأة ابيه وكان هذا مشهورا من افعالهم
ولهذا قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف
ولم يذكر ابن قتيبة انه كان ياكل من ذبائحهم وكذلك غيره بل قالوا كان
ياكل من ذبائحهم خلاف ما نقل عن احمد قال ابن عطية في قوله ووجدك
ضالا فهدى اوجده فاغاثه اقامة بالنبوة والرسالة على غير الطريق
التي هو عليها في نبوته هذا قول الحسن والضحاك والضلال
يختلف فمنه البعيد ومنه القريب فالبعيد ضلال الكفار فكان هذا
الضلال الذي ذكره الله لنبيه اقرب الضلال وهو كونه واقفا بين
لا يميز بين المهيع لانه تمسك بطريق اخر بل كان يرتاد وينظر وقال السدي

اقام على دين قومه اربعين سنة قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة صفاقط
ولكنه اكل ذبايحهم حسب حديث زيد بن عمرو بن نفيل واسفل بلدح وجرى على سنن
من امرهم وهو مع ذلك يتكد خطاياهم فيه ودفع من عرفات وخالفهم في اشياء كثيرة
قلت ما ذكره من حديث زيد بن عمرو بن نفيل رواه البخاري
من حديث موسى بن عقبة اخبرني سالم انه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل اسفل بلدح وذلك قبل ان ينزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوحي فقدم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم فابى
ان ياكل منها وقال لا اكل مما تذبحون على انصابكم الا ما لم يذكر اسم الله عليه
وكان يعيب على قريش ذبايحهم ويقول الشاة خلقها الله عز وجل وانزل لها
من السماء ماءها وانبت لها الارض ثم تذبحونها على غير اسم الله انكارا لذلك
واعظاما له والمعقول انه عليه السلام كان قبل البعثة يبغض عبادة الاصنام
ولكن لم يكن ينهى عنها الناس نهيا عاما وانما كان ينهى خواصه كما روى
ابو يعلى الموصلي ثنا محمد بن بشار بندار ثنا عبد الوهاب عن عبد المجيد املاه
علينا من كتابه ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن ملتقه
عن اسامة ابن زيد بن حارثة عن زيد بن حارثة قال اخي حبني مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما حلالا من ايام مكة وهو مدجن في نصب من الانصاب فذبح لنا
له شاة فلما نضجناها قال فلقينا زيد بن عمرو بن نفيل فحيا كل واحد منهما
صاحبه بتحية الجاهلية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا زيد اني لارقومك وقد شنوا
قال اي محمد والله ان ذلك لبغير نائلة تزوه فيهم ولكن خرجت ابتغي هذا الدين حتى
اقدم على احبار فدلوا فوجدتهم يعبدون الله حي حاته ويشركون به فقلت ما هذا
بالذي ابتغي حتى اقدم على احبار خير فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به فقلت ما هذا

خلقها

حارثة

بالذي

بالذي ابتغي فخرجت حتى اقدم على احبار الشام فوجدتهم يعبدون الله ويشركون
به فقلت ما هذا بالذي ابتغي فخرجت فقال لي شيخ منهم انك تسال عن دين
ما نعلم احدا يعبد الله به الا شيخ بالجزيرة فخرجت حتى اقدم عليه فلما راني
قال ممن انت قلت انا من اهل بيت الله من الشوك والقرض قال ان تطلب
قد ظهر ببلادك قد بعث نبي طلع نجمه وجميع من رايتهم في ظلال قال فلم
احس بشيء قال فقرب اليه السفرة فقال ما هذا يا محمد قال شاة ذبحت لنصب
من هذه الانصاب قال ما كنت لاكل من ما لم يذكر اسم الله عليه قال وتفرق قال
زيد ابن حارثة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فطاف به وانا معه فطاف بين
الصفا والمروة وكان عند الصفا والمروة صنمان من نحاس احدهما
اساف والاخر نايلة وكان المشركون اذا طافوا بهما يمسحوا بهما فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تمسحهما فانهما رجس فقلت في نفسي لامسحهما حتى انظر
ما يقول فمسستهما فقال لي يا زيد الم تنه قال ومات عمرو بن نفيل وانزل الله على رسوله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده يوم القيمة قال ابو عبد الله
المقدسي هذا حديث حسن له شاهد في الصحيح من حديث بن عمر وقد اختصره
ابو بكر البيهقي فرواه باسناده عن ابي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب
بن بلتعة عن اسامة بن زيد عن زيد بن حارثة قال كان صنم من نحاس
يقال له اساف او نايلة يتمسح به المشركون اذا طافوا فطاف النبي صلى الله عليه وسلم
وطفت معه فلما مررت به تمسحت به فقال رسول الله لا تمسحه قال زيد فطفنا
فقلت في نفسي لامسنه حتى انظر ما يكون فمسحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الم تنه قال البيهقي وزاد فيه غيره عن محمد بن عمرو باسناده قال زيد فوالذي اكرمه
وانزل عليه الكتاب ما استلم قط صنما حتى اكرمه الله بالذي اكرمه قال وروينا في قصة

لعله المذي

بحير الراهب حين حلف باللات والعزى متابعت لقريش فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى فوالله ما ابغضت بغضهما
شيئا قط وكان الله قد نزهه عن الاعمال المنكرة اعمال الجاهلية فلم يكن
يشهد مجامع لهواهم وكان اذا هم بشيء من ذلك ضرب الله على اذنه فانامه
وقد روى البيهقي وغيره في ذلك اثار وكذلك كانت قريش يكشفون عوراتهم
لسيل حجر وغيره فنزهه الله عن ذلك كما هو في الصحيحين من قول جابر
وفي مسند احمد من حديث ابي الطفيل زيادة فنودي لا تكشف عورتك فالق
الحجر ولبس ثوبه وكانوا يسمونه الصادق الامين فكان الله قد صانه من قبائحهم
ولم يعرف منه قط كذبه ولا خيانة ولا فاحشة ولا ظلم قبل النبوة بل شهد مع
عمومته حلف الطيبين على نصر المظلوم قال فشهدت مع عمومتي حلفا في
الجاهلية لو دعيت الى مثله في الاسلام لاجبت واما الاقرار بالصانع وعبادته
وتعظيمه والاقرار بان السموات والارض مخلوقة له محدثة بعد ان لم يكن
وانه لا خالق غيره فهذا كان عامتهم يعرفونه ويقرون به فكيف لا نعرفه
ويكون مقرا به وكانوا يتعبدون بالطواف والحج وكان هو يتعبد لذلك
وكان ابو طالب قد سن لهم الصعود الى غار حرا للتعبد فيه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة يتعبد فيه وفيه انزل عليه الوحي كما هو في الصحيحين
من حديث عائشة وكان حين ولد ظهرت فيه علامات وتغير العالم
لمولده وظهرت امور كثيرة دلائل نبوته لكن هذا الذي جرى له لا يجب ان
يكون مثله لكل نبي فانه افضل الانبيا

فلا يلزم اذا نبي قبل النبوة ان
يكون معصوما من كبائر الاثم والفواحش صغيرها وكبيرها ان يكون نبي كذلك

ولا

والدليل على ذلك ان الله لم يخص اليهود شرك قومه قبل النبي ان يكون نبوة لذلك فاعرف
من حال نبيا وقصا يدل انه قد ضل ويعصي خبار غيره اذا كان ظاهرا دون
ذلك ولا يمتنع كونه قد نبيا ولكن الله فضل بعض النبيين على بعض كما قضلهم
في الشرائع والكتب والامم فهذا اصل يجب اعتباره وقد اخبر الله
ان لوطا كان من امة ابراهيم وممن امن لهم ان امة ارسله وقد ذكر ان قومه كانوا
من اهل معاصي وكان فتاه ثم ان الله ارسله وكذلك هرون كلهم هرون ويوسف
كانا على دين من ارسل اليه ابراهيم واما لوط فلم يكن ملة نبي يتبعها لوط
بل اذا بعث احد ابراهيم امر بالمرسول الذين تتابع اهل الكفر الذين الفوة
لهم ثم شيعة الله فيخرج من كل واحد ممن كان من قومه يعرفون فانه يكون
تاييد الله اعظم من جهة تاييده بالعلم والحجة لا من جهة تاييده بالنصر والقهر
وكان نوح وابراهيم ولهذا يضيف الله الامر المجانس قوله ولقد ارسلنا
نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب وقوله ان الله اصطفى ادم
ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين اذ كان من نوح الى الرسول يعبد الله
المشركين وكان منذ اشرك قومه من تعظيم الموتى الصالحين وقوم ابراهيم كانوا
منذ اشركوا من عبادة الكواكب ذكر الشرك الارضي وهذا الشرك السماوي ولهذا
سد النبي صلى الله عليه وسلم الذريعة في هذا وهذا فنهى عن اتخاذ القبور مساجد
وعن الصلاة الى القبور وامر بتسويتها لا يدع قبرا مشرفا الا سواه ولا تمثالا الا
طمسه وكل هذه الاحاديث في الصحيحين وتنهى الصلاة وقت طلوع
الشمس ووقت غروبها لاجل الشرك السماوي وقد سبحانه بين الرسل من حيث
المرسل اليهم للتزام لخصوص المقصود بالرسالة فقال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم وقال تحذيرا ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم

الاية ولهذا يقول او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وكان
الرسول يبعث الى قومه خاصة وبعث محمد الى الناس عامة وهو مرسل الى
الثقلين الجن والانس ولهذا قالت الجن لما سمعت القران يا قومنا اجيبوا
داعي الله وامنوا به الايات في سورة الاحقاف وقالوا انا سمعنا قرانا عجبا
يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا وانا لما سمعنا الهدى امنا به الايات
ولهذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن وقد خاطب الله بها الثقلين
الجن والانس وقال تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا الاية هذا يقال لهم يوم القيمة في قوله لقد جاءكم رسول
من انفسكم لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم قولان قيل
هو خطاب للعرب وقيل هو خطاب لجميع الناس والتحقيق انه خوطب به
اولا بل خوطب به اولى قريش ثم العرب ثم سائر الناس من اهل الكتاب والاميين
غير العرب فقوله لقد جاءكم الكاف كاف الخطاب فهو خطاب لمن جاءه الرسول
وبلغه القران الذي جاء به كما قال لانذركم به ومن بلغ فكل من بلغه القران فهو
مخاطب بهذه الاية من جميع الامم وهو من انفسهم من الانس ليس من الملائكة
فانه لو كان من الملائكة لم يطيقوا الاخذ عنه وكذلك قوله كما ارسلنا فيكم رسولا
هو خطاب لكل من خوطب بالقران وهم الخلق والجن يدخلون في ذلك ايضا
فان الرسول الى الجن والانس منهم ليس من الملائكة والجن ياكلون ويشربون
وينكحون كالانس ويطيقون الاخذ عن الانس ويفهمون كلامهم بخلاف
الرسول الملكي ومما يبين ذلك انه عام في العرب وغيرهم قوله تعالى هو الذي
بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ثم قال واخرين منهم لما يلحقوا بهم
اخر ما وجد في هذا الفصل ولعله انخرم منه شيء

عام

فصل

فصل في قوله تعالى ان الذين

امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن منهم بالله واليوم الاخر
وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ونظيرها
في المائدة بين سبحانه وصف اهل السعادة والنجاة من الاولين والاخرين
وما يكون وان كان قد حصل فيه نوع تبديل ونسخ بخلاف ما لم يكن ولهذا
لما ذكر تعالى الاديان الستة في سورة الحج قال ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
القيمة فاخبر انه يفصل بينهم يوم القيمة ولم يجعل في المشركين والمجوس من
هو من اهل السعادة في الاخرة كما جعل ذلك في الذين امنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئين حيث فيهم من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولكن
من الناس من لم يفهم هذه الاية فقالوا فيها اقوالا ضعيفة واصل
معرفة معناها ان قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين هل هو خبر عن كل من دخل في هذه الاسما وان كانوا قبل
مبعث محمد او هو مختص بمن كان موجودا بعد مبعثه كايات الامر والنهي
التي بعث بها فانه انما يومر وينهى عن لسانه من بعث اليهم وهم الذين
بلغتهم رسالته من حين بعث والى يوم القيمة كما قال لانذركم به ومن بلغ فكل
من بلغه القران فقد انذره به الرسول والانذار به هو الاخبار بالعذاب
لمن قامت عليه الحجة برسالته فلم يومن به فظن بعض الناس ان الذين
اخبر عنهم في هذه الاية بالنجاة والسعادة ليسوا الا ممن بعث محمد اليهم
لم يخبر فيها بحال من كان موجودا قبل مبعثه وغلطوا فيها في الفهم ثم افترقوا
على اقوال متناقضة تخالف لفظ الاية ومعناها

ن
ممن

والصواب هو القول الاخر وان الاية عامة
تتناول من اتصف بما ذكر فيها قبل مبعث الرسول وهو الذي
يدل عليه لفظ الاية ويعرف معناها من غير تناقض ويعرف به
قدرها ويظهر به مناسبتها لما قبلها وما بعدها وهو القول المعروف
عن السلف وجمهورهم وعليه يدل ما ذكروه من سبب نزول الاية فقد
روى ابن ابي حاتم وغيره بالاسانيد الثابتة عن سفيان بن عيينة عن ابن
ابي نجيح عن مجاهد قال قال سلمان سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن
اهل دين كنت معهم فذكر من صلاتهم وعبادتهم فنزلت ان
الذين امنوا والذين هادوا الاية ولم يذكر في هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال فيهم اولا انهم من اهل النار كما روي ذلك باسانيد ضعيفة وهذا
هو الصحيح كما روي في صحيح مسلم عن عياض بن حمار ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب
فدل على انه حين بعثه الله كان في الارض بقايا من اهل الكتاب لم يمقتهم الله
وايضا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يجيب بما لا علم عنده وما كان علم
بان هؤلاء من اهل النار فكيف يجيب لذلك اولا وايضا فقد ثبت
عنه انه اثنى على من مات في الفترة مثل زيد بن عمرو بن نفيل وغيره فكيف
يقول عن من كان على الدين الذي لعله لم يبدل ولم ينسخ انهم
من اهل النار وقد ذكر السدي في تفسيره المعروف عن اشياخه تفسير
هذه الاية كما ذكر والسدي وان كان من العلماء بالتفسير وقد روى احمد ثنا
اسود بن عامر ثنا شريك عن سالم بن عبد الرحمن النخعي قال سمع ابراهيم النخعي
والسدي يفسر قال تفسيره تفسير القوم قال شريك وكان السدي شديد القول
في المرجئة ولكن مجاهدا رفع منه درجة في التفسير وغيره والعالم قد يغلط

الفترة

فيما

فيما يسند فكيف بما يرسله وهذا لا بد منه وفي تفسير السدي ما رواه الناس
عنه كابن ابي حاتم وغيره قال ابن ابي حاتم ثنا ابو زرعة ثنا عمرو بن حماد
عن اسباط عن السدي ان الذين امنوا والذين هادوا الآية قال نزلت
في اصحاب سلمان الفارسي بينما هو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم وذكر اصحابه
فاخبره خبرهم فقال كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بكذا
ويشهدون انك ستبعث نبيا فلما فرغ من ثنائه عليهم قال النبي
صلى الله عليه وسلم يا سلمان هم من اهل النار فشق على سلمان فانزل الله الآية
فكان ايمان اليهود الذي تمسك بالتوراة وسنة موسى حتى جاء عيسى
فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وسنة موسى ولم يتبع عيسى كان هالكا
وكان ايمان النصارى من تمسك بالانجيل منهم وشرايع عيسى كان مؤمنا
مقبولا منه حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يتبع محمدا كان هالكا قال
ابن ابي حاتم وروي عن سعيد بن جبير مثل هذا ولم يذكر ابن ابي حاتم في
هذه الآية خلافا عن السلف الا ما ذكر اختلافهم في الصابئين وذكر
عن ابن عباس في تفسيرها قال من وحد الله وامن باليوم الآخر يقول
اقر بما انزل الله ثم انزل الله بعدها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه ذكره عن الوالبي عن ابن عباس والوالبي لم يسمع من ابن عباس
وسواء سمع او لم يسمع فليست هذه الآية ناسخة لذلك بمعنى ان الله اخبر
بشيء ثم اخبر بخلافه كما يظنه بعض الناس ان اريد ذلك بل المراد
ان الله انزل هذه الآية ناسخة لذلك بمعنى ان الله ليس بين انه لا يقبل
دينا غير الاسلام من الاولين والآخرين ليلا يظن ظان ان من ارسل اليه رسول

فكذبه كان من اهل السعادة ويكون من قامت عليه الحجة برسالة محمد
صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه سعيدا فالمقصود بذكر اية آل عمران
بيان هذا المعنى وليس مومنا والمقصود هنه الاية التي في البقرة
بل هي موافقة لها فان قوله من امن بالله لا يتناول من كذب الرسول الذي
ارسل اليه ولا من كذب واحدا من الرسل وهذا مما قد بينه الله في القرآن
في غير موضع فكيف تكون هذه الاية تتناول من كذب محمدا او غيره
مع انه قد قال فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
واخبار الله يصدق بعضها بعضا لا يكذب بعضها بعضا وقد قال
لما اهبط آدم من الجنة فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقال عن
اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الاية وهذا معلوم بالاضطرار من
دين الرسل ان من كذب رسولا واحدا فهو من قسم الكفار لا من قسم المؤمنين
ولا يتناول من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا والمنقول عن ابن عباس لفظ
النسخ وان كان غيره قد تكلم بلفظ النسخ فان كثيرا من السلف يريدون بلفظ
النسخ رفع ما يظن الاية الدال عليه ولا يكون دالا عليه فهو رفع لما ظن من
دلالة النص عليه وراد الرب لا يرفع لما انزله رفع ولا رفع فهو لما دل عليه النص
قال ابو الفرج وهل هذه الاية محكمة او منسوخة فيه قولان احدهما
قال مجاهد والضحاك في اخرين وقد روى فيها ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئين انها منسوخة بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا قلت
قد بينا معنى ما يجوز ان يراد بهذا القول وانه لا يناقض القول بانها غير
منسوخة لا بعينها ولا شيء من حكمها ولا رفع دلالة لفظها وانما هو نسخ لما

3637

نظنه

يظنه الظان ويعتقده المعتقد من الفهم الباطل ليس نسخا لما يريد ولا نسخا
لدلالة الاية عند من فهمها ومن الناس من يجعل كل شيء في الوجود انما نسخ لمثل
هذا الظن لا نسخ للحكم اصلا ولا لدلالة نص وهو قول ابي الحسن البصري
وغيره ممن يقول انه لا بد عند الخطاب المنسوخ من الاشعار بالنسخ فلا
يجوز عندهم ان يخاطب الرب سبحانه بالمنسوخ الا مع بيانه انه نسخه
لئلا يفضي الى التجهيل ويجعلون كل ما نسخ هو مثل قوله فاعفوا واصفحوا
حتى ياتي الله بامره وقوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفيهن الموت
هو بيان للغاية المجهولة وهذا الذي قالوه واقع لا ريب فيه ونبوة
محمد من هذا الباب لان الجمهور لا يشترطون في كل منسوخ مثل هذا وهو
الصحيح كامرهم باستقبال بيت المقدس وتخييرهم بين الصوم والفدية
ونحوه مما لم يشعروا فيه بالنسخ وكثير من الناس يقولون ليس النسخ الا بيان
ما لم يرد باللفظ وليس هو رفعا لحكم بل بيان للمراد والاكثرون على ان
النسخ يتناول الاقسام الثلاثة وكلها واقعة وهذا هو الصحيح لكن
من اطلق لفظ النسخ من الخلق فقد يريد به المعنى الاول او الثاني فيظن
به انه اراد به المعنى الثالث وذلك ممتنع فيما اخبر الله به انه يكون
او انه لا يكون فان خبره لا يقع بخلاف مخبره البتة وقد بسط هذا
في مواضع اخر وقد قيل اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الاسماء واما
قوله انهم قدروا فيها ان الذين امنوا ومن امن من الذين هادوا
فهذا التقدير ضعيف جدا ولا تقدير في الاية البتة سواء كانت عامة
او مخصوصة لكن قد يقال انه يحتاج اليه اذا قيل ان الخبر عمن ارسل محمد
اليهم وان من كذب محمدا من هؤلاء يتناوله المدح فيقال هذا القول

الفدية

ضعيف وضعيف حجة وبتقدير صحته فقوله في تمام الاية من آمن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا يغني عن هذا التقدير ويبين ان المدح والخبر
بالسعادة انما يتناول اهل الايمان لا اهل التكذيب للرسل وقد ذكر هو وغيره
هذا في قوله من آمن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر وبين ان الاية لم
تتناول الا البشارة لاهل الايمان فكيف يحكى عنهم انهم قدروا هذا التقدير
قال ابو الفرج وفي اعادة ذكر الايمان ثلاثة اقوال احدها انه لما ذكر
مع المؤمنين طوائف من الكفار ورجع قوله من آمن اليهم والثاني
ان المعنى من اقام على ايمانه والثالث ان الايمان الاول نطق المنافقين
بالاسلام والثاني اعتقاد القلوب وقال كثير من المفسرين كالبغوي والثعلبي
وغيرهما هي متناولة للمبعوث اليهم ومنهم من قال ان المذكور من
بالايمان في اول الاية انما هو على طريق المجاز والتسمية دون الحكم والحقيقة
قالوا ان الذين امنوا على التحقيق وعقد التصديق والطريق الاخر ان
المذكور من اول الاية بالايمان انما هم على طريق المجاز والتسمية دون الحكم
والحقيقة ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم اراد الله الذين امنوا بالانبياء الماضين
والكتب المتقدمة ولم يؤمنوا بك ولا بكتابك وقال اخرون اراد
بهم المنافقين يعني ان الذين امنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ونظير
هذه الاية يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والذين هادوا
اعتقدوا اليهودية وهي الدين المبدل بعد موسى والنصارى وهم
الذين اعتقدوا النصرانية وهي الدين المبدل بعد عيسى والصابئين بعض
اصناف الكفار من آمن من جملة الاصناف المذكورين في الاية وفيه
اختصار واضمار تقديره من آمن بالله واليوم الاخر فهؤلاء

انهم

انهم خصوا الاية بالكفار الذين بعث اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحتاجوا
ان يضمروا ان الذين امنوا ومن آمن من الذين هادوا انما تضمروا لعله اضمروا
منهم وهذا الاضمار لا يجب عند اهل العربية فان خبر المبتدا ونحوه
مثل اسم ان اذا كان فيه من التعليق بالمبتدا ما يغني عن الضمير العجز
اليه مثل العموم كقولك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لا نضيع اجر
من احسن عملا منهن لا يضيع اجر من احسن عملا مطلقا وهو بيناول
هؤلاء وكذلك من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون هو عام يتناول
هؤلاء مع ان تخصيص هؤلاء بالاية بمن ارسل اليه او بمن كان كافرا ومنا
من هؤلاء فاسد من هذا الوجه ومن هذا الوجه لفظا ومعنى فان
المخبر عنه اذا كان هم اهل الكفر والنفاق لم يكن فيهم من آمن بالله واليوم
الاخر وعمل صالحا وهم قد جعلوا هذا شرطا في اسم ان الذين امنوا
بالانبياء والكتب المتقدمة ولم يوصفوا بكفر ولا بكتابة فكيف يجعل من
هؤلاء من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا لكن لو اريد اهل هذا
القيل ممن تاب من هؤلاء وامن بكذا وبكتابة كما قال للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقال فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة ونحو ذلك وايضا لو اريد بالايمان الذي انهم يتبعون الايمان
به ويتوبون من الكفر لم يخص بذلك المنافقين واهل الكتاب بل المجوس
والمشركون اولى بذلك وكفرهم اغلظ وهم اذا تابوا وامنوا بالرسول
وبما جاء به تاب عليهم وهو في الايتين لم يذكر المشركين ولا اهل الكتاب

وانما ذكر الاصناف الاربعة فلم انه اراد الاخبار بعادة من كان منهم
مؤمنا لم يقصد انهم كفار وانهم اذا تابوا قبل توبتهم وهذا المعنى
صحيح في نفسه فان كل كافر اذا تاب الله عليه لكن لفظ هذه الاية في
غاية البعد عن تفسير هؤلاء على هذا المعنى وانما هذا قول من ضل
عطنه فلم يفهم معنى الاية وظن انها تتضمن المدح لمن كان موجودا
من هؤلاء وهذا باطل فان القرآن لا مدح فيه لمن كذب الرسول
ولم يجعلها مدحا لمن كان موجودا منهم وتاب فاما ان يقال
ان الاية لم تتناولهم اوتناولتهم وغيرهم واما تخصيصها بهم فباطل
وايضا فاطلاق لفظ الايمان على من كذب الرسول من اهل الكتاب باطل مخالف
لطريقة القرآن لاسيما وقد ذكر اهل الكتاب فقال والذين هادوا والنصارى
عند هؤلاء الكفار منهم فكيف يكونون هم المذكورين اولا وكيف
يطلق القول بانهم امنوا ولا يقيد ذلك بما قيده في مثل قوله الم تر الى
الذين اوتوا الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت وهذا كله مما يبين
ان الصواب هو القول الاول وهو ان الاية عامة تضمنت الخبر
عن جميع اديان اهل الارض التي اصلها صحيح في اهلها وهم سعدا وذكر ان الاية
اما ان يكون اصلا حقا كدين اهل التوراة والانجيل والقرآن او اصلا باطلا
كدين المشركين والذي اصله حقا اما ان يكون صاحبه متبعا الحين
كان مشروعا من غير نسخ ولا تبديل او هو متبع للمبدل والمنسوخ دون
الناسخ. قال سلمان اصناف فالسعداء هم الصنف الواحد
وهم المذكورون في الاية هذه واما من اشرك وكذب الرسول كالمشركين كلهم
او كذب بعض الرسل دون بعض كالكفار من اهل الكتاب فهم الاشقياء وهم من اهل

الوعيد والعذاب سماء اظهروا ذلك واضروه كالمنافقين من هذه الامة وما
يدل على ان الاية المراد بها ما ذكر وجوه احدها ان قوله ان الذين
امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين عام لجميع الاسماء المعارف كلها
من صيغ العموم ومن اداتها على العموم الموصولات وادوات الشرط وهذا
خبر عنهم فكل من كان من الذين هادوا والنصارى والصابئين فقد
دخل في لفظ الاية وقوله من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا يتناول
من كان كذلك من الطوائف الاربعة والمعنى آمن بالله ولم يؤمن باليوم الآخر
لم يكن موقنا ومن آمن بالله واليوم الاخر ولم يعمل صالحا لم يكن له عند الله اجر
وكان من الذين عليهم الخوف والحزن في الدنيا والاخرة فمن امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا من هؤلاء الطوائف الاربعة فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وان قدر من غيرهم فانه ليس في لفظها من آمن منهم ليخص الاية
بذلك لكن قد يخصوص اذا لم يوجد منصف بذلك الا منهم ولكن لما اخبر
عنهم بهذا الخبر العام دل على ان فيهم من يتصف بذلك ويكون سعيدا بخلاف
كلهم كفار كالمشركين والمجوس والثاني ان الاية لو قصد بها البشارة بمن
امن بمحمد لم تخص بها هؤلاء والا فكل من امن بمحمد من اصناف الكفار والمشركين
والمجوس والمعطلين فانه من اهل السعادة وهذا المعنى مذكور في ايات
كثيرة وهو معلوم بالاضطرار من خبره فان الله ارسله بشيرا ونذيرا البشر
بثواب الله في الدنيا والاخرة لمن امن به واطاعه ونذيرا ينذر عذاب الله في
الدنيا والاخرة لمن كذبه واعرض عن طاعته كما قال تعالى يا ايها الناس انما انا
لكم نذير مبين فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين
سعوا في اياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وقال تلك حدود الله ومن يطع الله

SIND UNIVERSITY LIBRARY
HYDERABAD.

ورسوله وقال ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها
وله عذاب مهين وهذا في القرآن كثير لا يحصى بل هو جماع القرآن
ومقصوده فلو كان المراد بهذه الآية مثل ما في هذه الآيات كان لفظها
يدل على ذلك ولم يخص الخبر عنها بأربعة اصناف سواء كان المخبر عنهم كفارا
كما ظنه قوم وأراد واذا تابوا او كانوا مؤمنين كان لفظها يتناول المؤمن منهم
والكافر فلما أراد الخبر عن من بعث اليهم فقط دون من مضى قال ان يراد بهم
الذين كفروا لم يخص بذلك هذه الاصناف الوجه الثالث
انه لو اريد بهم من بعث اليهم فقط دون من مضى فاما ان يراد بهم الذين كفروا
واما الذين امنوا والطائفتين والاول ممتنع لانه مدح من هؤلاء ومن امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا والكفار ليس به فيهم احد من هؤلاء فان قيل
هو مدح لمن تاب من هؤلاء قيل فمن كان منهما من هؤلاء حيث بعث
الرسول وامن به فهو احق بالمدح فكيف يخرج منها وفي الصحيحين عن النبي
صلى الله عليه وسلم يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب الاول والكتاب
الآخر وعبد اذى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له امة فاداها فاحسن تاديبها
ثم اعتقها وتزوجها وقد قال الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا الاية والذي بعدها الى قوله لا نبتغي الجاهلين
وقال ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان الى قوله
ويزيدهم خشوعا وقال والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك وهذا
قد ذكر في مواضع من القرآن وكيف يجوز اخراج جنس سلمان والنجاشي
وغيرهم ممن كان متبعا الدين المسيح الا ان بعثة محمد فامن به وهم افضل
من امن به ممن كان على دين معدل ممسوخ فدعوى من ادعى انه اثنى على من كان كافرا

ثم امن

ثم امن غلط بين وان قيل اراد بها الذين امنوا فقط قيل ان كان قوله
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مختصا بمن آمن
به فاي حاجة الى قوله من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا وان
قيل بل ذلك يتناول كل من بعث قيل فكل من آمن به ممن بعث اليه فهو
سعيد من هؤلاء ومن المشركين والمجوس الوجه الرابع ان
سبب النزول هو السوال عمن مضى ممن امن بالله واليوم الاخر فلا
يجوز اخراجهم من الاية الوجه الخامس انه لم يذكر في الوعد
بالسعادة الايمان بالرسول بل قال من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
والايمان بالله يتضمن الايمان بالرسول ~~بل قال من آمن بالله واليوم الاخر وعمل~~
~~صالحا والايمان بالله يتضمن~~ لكن لم يجعل الوعد معلقا به لشمول الاية لمن
مات قبل مبعثه بل جعل الوعد معلقا بما لا بد منه لكل احد وهو الايمان
بالله واليوم الاخر والعمل الصالح الذي لا نجاة للعبد بدونه فان هؤلاء
هم اهل السعادة في الدار الاخرة لا يستحق السعادة فيها الا من كان كذلك
الوجه السادس اذا قيل ان الاية خصت هؤلاء بالسعادة
دون غيرهم قيل اذا كان قد ذكر الاصناف الاربعة ثم خص
بالسعادة من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا كان من ليس من هؤلاء
اولى ان لا يكون من اهل السعادة الا اذا امن بالله واليوم الاخر وعمل
صالحا كان من ليس فانه اذا لم يكن كل من دخل في هؤلاء سعيد بل
السعيد من اتصف بها منهم فالمشركون والمجوس اولى الا يكونوا اسعد
اذا لم يتصفوا بهذه الاوصاف فهذا اللفظ عام لكن هذه الاصناف فيها من

من هو سعيد مع كونه من المومنين واليهود والنصارى والصابئين الذين
كانوا على دين الحق واما المشركون فان الواحد منهم لا يكون مومنا بالله
واليوم الاخر عاملا بالله صالحا حتى يتوب من الشرك والمشرك لا يكون
مشركا حتى يكون مكذبا للرسل فان الرسل جميعهم دعوا الى توحيد الله
وعبادته وحده لا شريك له فالمشرك مع اشراكه بالله مكذبا للرسل وهو
كافر بهذا وبهذا وايضا فعمل المشرك كله حابط فلا يكون له عمل صالح قال الله تعالى
ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقال لئن اشركت ليحبطن عملك
وايضا فالمشركون كلهم في النار كما قال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله
عليه الجنة وماواه النار اذا كانت الاية قد تضمنت تخصيص هؤلاء
بالسعادة دون من سواهم وقد علم يقينا ان من تقدم من المتبعين
لشرع التورية والانجيل قبل النسخ والتبديل هم من اهل السعادة وجب
شمول الاية لهم وامتنع خروجهم منها الوجه السابع
ان لفظ الذين هادوا والنصارى يتناول جميع اهل الكتاب والتورية والانجيل
الذين كانوا قبل النسخ والتبديل والذين كانوا بعد ذلك فهذا لا مختصا
بالكفار منهم كما ان لفظ بني اسرائيل ولفظ اهل الكتاب ليس مختصا بالكفار
ولكن كانوا مسلمين ومومنين مع كونهم من بني اسرائيل ومن اهل الكتاب
وكذلك من اليهود والنصارى وقد ادعى بعض الناس انهم يكونوا مسلمين
مومنين وان هذا الاسم مختص بامة محمد وهذا غلط عظيم كما قد بسط
في مواضع قال الله تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه
توكلوا ان كنتم مومنين مسلمين فقالوا على الله توكلنا وقال السحرة امنا برب
العالمين رب موسى وهرون وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال يوسف

ادعى

توفنا مسلمين

توفني مسلما وقالت بلقيس واسلمت مع سليمان لله رب العالمين
وقال واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد
بانا مسلمون وهذا مبسوط في مواضع واما لفظ اليهود والنصارى فقال
موسى انا هدنا اليك وقال تعالى كما قال موسى للحواريين من انصاري الى الله الآية
فان قيل فقد قال تعالى وما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وقال تعالى كونوا هودا او نصارى
تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهذا ذم
لليهودية والنصرانية وما كان عليه موسى والمسيح لا يذمه قيل الذم يلزم
من اختص من امر باتباع ما اختص به اليهود والنصارى من الشرع
المنسوخ وذم من اتبع ذلك المنسوخ من حين بعث محمد وكان
هؤلاء يقولون نحن على ملة ابراهيم دون محمد فبين الله كذبهم
في ذلك ولو لم يكونوا مبدلين فكيف مع التبديل والنسخ فان ابراهيم
كان قبل التوراة والانجيل وما كان عليه اهل التوراة والانجيل اختص
به اهل التوراة لم يكن ابراهيم عليه بل ولا كان يجوز لابراهيم ان يتبعه
ولم يشرعه الله له وهذا الاسم يختص باهل شرع التوراة والانجيل
وابراهيم كان قبل ذلك ولم يكن من المختصين بهذا الشرع فامتنع
ان يكون ابراهيم يهوديا او نصرانيا بوجه من الوجوه
بل كان حنيفا مسلما وهو الذي يعبد الله وحده لا شريك له بما امر به
فيعبده في كل زمان بما امر به في ذلك الزمان فاهل التوراة والانجيل قبل
النسخ والتبديل مسلمون حنفا على ملة ابراهيم كما قال تعالى وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين حنفا الآية ولهذا قال ان اولى الناس بابراهيم للذين
اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا وهم الذين اتبعوه من الامم الماضية
كما والد اسمعيل قبل التبديل وكاهل التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل
فالحنيفية ملة ابراهيم تنا ولكل من عبد الله وحده بما امر به كما قال تعالى
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم
ان كنتم صادقين بل من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه
الآية فكل الانبياء الذين بعثوا بعد ابراهيم وانبأ عهم على ملة ابراهيم لكن
محمد صلى الله عليه وآله وسلم به وشرعه اقرب الى شرع ابراهيم من وجوه
متعددة كما مر في بحر البيت وغيره فانه سبحانه جعل في ذرية ابراهيم
الكتاب والحكمة والنبوة وقول ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا نفي
ان يكون على ما اختص به شرع التوراة والانجيل وليس على ملة ابراهيم
بل ملة ابراهيم ان يعبد الله وحده بما امر ومحمد امر بملة ابراهيم وامر بها
ان يعبد الله وحده ورفع بها الاصار والاغلال التي كانت على اهل الكتاب
ولم تكن مشروعة لابراهيم فكان الشرع الذي بعث به اولى بابراهيم واما
اليهودية والنصرانية المتضمنة للمنسوخ المبدل وهي التي عليها اليهود
والنصارى الذين كذبوا محمدا فهذه ليست دين احد من الانبياء لا موسى ولا
عيسى ولا غيرهما فاذا قال اهل الكتاب المسلمين كونوا هودا او نصارى
فقد امرهم الله ان يقولوا بل ملة ابراهيم حنيفا فلا يجوز لنا اتباع ما اختص
به اهل التوراة والانجيل من الشرع المنسوخ فكيف بالمبدل بل نتبع
ملة ابراهيم وهي عبادة الله وحده بما امر به وهي التي كان عليها
موسى وعيسى لكن كان لهم شرع اختصوا به دون ابراهيم

وكان

وكان من الدين في حق اولئك الذين امروا به خاصة وابراهيم ومن
كان قبله لم يؤمروا به وكذلك محمد ومن امن به لم يؤمروا بتلك الاصار والاغلال
بل رفعت عنهم كما كانت مرفوعة عن ابراهيم ولهذا قال عليه السلام بعثت
بالحنيفية السمحة وقال الرهبانية في الاسلام وقال اياكم والغلو فانما
اهلك من كان قبلكم الغلو في الدين ولما راى بيد عمر ورقة من التوراة قال
والذي نفسي بيده لو كان موسى وعيسى حيين ثم اتبعتموه وتركتموني لظللتم
وقال كفى بقوم ظلالة ان يتبعوا كتابا غير كتابهم انزل الى نبي غير نبيهم وروي
عنه ايضا لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعي فقد بين ان اليهود
والنصارى فيهم سعيد وهم المتبعون شرع التوراة والانجيل قبل النسخ
والتبديل وفيهم من هو مستحق للعذاب ومع هذا نحن منهيون
ان نتبع اليهودية والنصرانية مطلقا فان ما اختص به السعداء منهم
قد نسخ واما ما اختص به الاشقياء فهو مبدل او منسوخ تمسكوا به بعد
النسخ وما كان مشروعا كان داخلا في مسمى الاسلام والحنيفية لما
كان مشروعا كان داخلا في مسمى فلما نسخ لم يبق داخلا في الاسلام ولا
في الحنيفية ملة ابراهيم والمبدل بطريق الاولى ولهذا قال الله تعالى وقالوا
كونوا هودا او نصارى تهتدوا الى قوله فان تولوا فانما هم في شقاق وقال
ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى الاية فلم ينكر ان يكون موسى وهرون من اليهود
ولا ان يكون المسيح والحواريون نصارى لكن نهى عن ما يختص به
اليهودية والنصرانية مطلقا وامر باتباع ملة ابراهيم لان ما يختص به
اما منسوخ واما مبدل والذي لا يجوز نسخه ملة ابراهيم وهو عبادة الله

ظلاله

وحده بما امر به ففي كل زمان يعبده بما امر به في ذلك وهذا هو دين الاسلام
الذي لا يقبل الله لا من الاولين ولا من الاخرين دينا سواه وعليه الانبيا
جميعهم واتباعهم وهذا العمل هو العمل الصالح المذكور في قوله بلى من اسلم
وجهه لله وهو محسن وقد قال ومن يعمل من الصالحات من ذكر
او انثى وهو مؤمن الاية والصلاة الى بيت المقدس كان من الاسلام ومن
الحنيفية ملة ابراهيم لما كانت مشروعة فلما نهوا عن ذلك وامروا بالصلاة
الى المسجد الحرام صارت الصلاة اليه هي المشروعة الداخلة في الاسلام
وملة ابراهيم فان جماع ملة ابراهيم عبادة الله وحده بما امر به وهذه
هي الامة التي امر الله الرسل جميعهم ان يجتمعوا عليها فقال يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم
امة واحدة وانا ربكم فاتقون وفي الاية الاخرى فاعبدوني وقال
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه الاية وقال تعالى فاقم وجهك
للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة
ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب
بما لديهم فرحون الوجه الثامن ان سياق الاية
يقتضي انه قصد به المدح لمن كان متمسكا بالدين الحق من المتقدمين
وان الارض لم تخل من امة قايمة لله بالحق وكذلك في المايدة فان فيها
ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون وقال

قل يا اهل

قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين
قوم هؤلاء ثم قال ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من
امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ذكر
المذموم من اهل الكتاب والمحمود منهم وبين ان الذي حمدوا به لا يختص
بهم بل بهم وبغيرهم وكذلك في سورة البقرة لما ذكر ذنوب من اذنب
من اهل الكتاب الى ان قال ضربت عليهم المسكنة وباءوا بغضب
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير الحق ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون فلما ذمهم بهذا الذم العظيم ذكر بعد ذلك
من يحمد منهم والظاهر ان ذلك وصف مشترك فقال ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى والصابئين من امن منهم بالله واليوم الاخر
وعمل صالحا الاية كما انه في سورة ال عمران لما ذكر ذلك قال ضربت
عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فذمهم ذما عظيما ثم مدح اخرين
مدحا عظيما فقال بعد ذلك ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون
ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية
ولما ذكرهم سبحانه في الاعراف قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
ثم ذكر بعدهم المذمومين المعتدين المخالفين ثم قال وقطعناهم في الارض
امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك الاية ولما ذكر المؤمنين من بني ادم قال

بيون

ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها الآية
ثم امر بعبادته وحده ودعائه باحاياه الحسنى ثم قال بعد ذلك ومن
خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ثم قال والذين كذبوا بآياتنا
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم
ان كيدي متين فالقرآن فيه ذكر الخلق كلهم

فصل في قوله تعالى

عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا
من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم الآيات قد ذكرنا في غير هذا الموضع ان
هذه الآية فيمن تاب بين واما اية النساء وهو قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلا يجوز ان تكون في حق
التائبين كما يقوله من المعتزلة فان التائب من الشرك يغفر
له الشرك ايضا بنصوص القرآن واتفاق المسلمين وهذه الآية
فيها تخصيص وتقييد وتلك الآية فيها تعميم واطلاق هذه خص
فيها الشرك بانه لا يغفره وما عداه لم يجزم بغفرته بل علقه بالمشيئة
فقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقد ذكرنا في غير موضع ان هذه
الآية كالتي على الوعيد من الخوارج والمعتزلة وهي ايضا ترد على

المرجئة الواقفية الذين يقولون يجوز ان يعذب كل فاسق ولا يغفر
لاحد ويجوز ان يغفر للجميع فانه قد قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فاثبت ان ما دون ذلك هو مغفور لكن لمن يشاء فلو كان لا يغفره لاحد
بطل قوله لمن يشاء فلما اثبت انه يغفر ما دون ذلك وان المغفرة هي لمن يشاء
دل على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك لكنها لبعض الناس وحينئذ
فمن غفر له لم يعذب ومن لم يغفر له عذب وهذا مذهب الصحابة
والسلف والائمة وهو القطع بان عصاة الامة تدخل النار وبعضهم
يغفر له لكن هل هذا ذلك على وجه الموازنة والحكمة والاعتبار بالموازنة فيه
قولان للمنتسبين الى السنة بناء على اصل الافعال الالهية هل يعتبر فيها الحكمة
والعدل وايضا فمسئلة الجزاء فيها نصوص كثيرة دلت على الموازنة كما
بسط في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان قوله تعالى
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم صح فيه نهي عن القنوط من رحمة الله
وان عظمت الذنوب وكثرت فلا يحل لاحد ان يقنط من رحمة الله
وان عظمت ذنوبه ولا ان يقنط الناس من رحمة الله قال بعض السلف
ان الفقيه كل الفقيه الذي لا يويس الناس من رحمة الله ولا يجريهم على
معاصي الله والقنوط يكون بان يعتقد ان الله لا يغفر له اما لكونه اذا
تاب لا تقبل توبته ولا يغفر الله له ذنوبه واما ان يقول نفسه لا تطاوعه
على التوبة بل هو مغلوب والشيطان ونفسه قد استحوذ عليه فهو
يايس من توبة نفسه وان كان يعلم بانه اذا تاب غفر له وهذا
يعتري كثيرا من الناس والقنوط يحصل بهذا تارة وبهذا تارة فالاول

لا يبطل قوله ويغفر ما دون ذلك
ولو كان لا يغفره لكل احد صح

كالراهب الذي افتى قاتل تسعة وتسعين نفسا ان الله لا يغفر له فقتله وكمل
به مائة ثم دل على عالم اخر فاتاه فساله فافتاه بان الله يقبل توبته والحديث في الصحيحين
والثاني كالذي يرى للتوبة شروطا كثيرة او يقال له لها شروط كثيرة يتعذر
عليك فعلها فييأس من ان يتوب وقد تنازع الناس في العبد هل
يصير الى حال يمتنع عليه فيه التوبة اذا ارادها والصواب الذي عليه اهل
السنة والجمهور ان التوبة ممكنة من كل ذنب لمن ارادها وممكن ان الله يغفره
وقد فرضوا في ذلك من توسط ارضا مغصوبة ومن توسط جرحى فكيف
ما تحرك قبل بعضهم فقيل هذا لا طريق له الى التوبة والصحيح ان هذا وغيره
اذا تاب قبل الله توبته واما من توسط ارضا مغصوبة فهذا خروجه
فيه تخلية المكان وتسليمه الى مستحقه ليس بمنهي عنه ولا محرم بل الفقهاء
متفقون على ان من غصب دارا وترك قماشه وماله اذا امر بتسليمها الى مستحقها
فانه يؤمر بالخروج منها واخراج اهله وماله منها وان كان ذلك نوع تصرف
فيها لكنه لاجل اخلائها والمشرك اذا دخل الحرم امر بالخروج منه وان كان لا يخرج
منه الا بمرور فيه ومثل هذا حديث الاعرابي الذي بال في المسجد فقام الناس اليه
فقال لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه بوله وامرهم ان يصبوا على بوله دلوا من ماء
من ماء فهو لما بدا بالبول كان اتمامه في محله الذي بال فيه خير من ان يقطعوه
فيلوث ثيابه وبدنه وافضت النجاسة الى امكنة اخرى من المسجد فنجستها ولو
زنا رجل بامراة ثم تاب قبل ان ينزع ذكره ثم نزعه لم يكن مذنبا بالنزع وهل هو
وطي فيه قولان هما روايتان عن احمد وكذلك الذين يقولون اذا طلع الفجر
وهو مجامع لهم في النزع قولان في مذهب احمد وغيره واما على ما نصوناه

ذنوبا

فلا يحتاج

فلا يحتاج الى شيء من هذه المسائل فان الحالف اذا حنث كفر عن يمينه
ولا يلزمه الطلاق الثلاث وما فعله الناس حال التبيين من اكل وجماع فلا باس
لقوله حتى يتبين والمقصود انه لا يجوز ان يقنط احدا من رحمة الله
فان الله نهى عن ذلك واخبر انه يغفر الذنوب جميعا فان قيل قوله
ان الله يغفر الذنوب جميعا معه عموم على وجه الاخبار فدل على ان الله يغفر
كل ذنب ومعلوم انه لم يرد ان من اذنب من كافر وغيره انه يغفر له ولا يعذبه
لا في الدنيا ولا في الاخرة فان هذا خلاف المعلوم بالضرورة والحس والتواتر
والاجماع اذا كان الله اهلك امما كثيرة بذنوبها ومن هذه الامة من عذب
بذنوبه اما قدرا واما شرعا في الدنيا قبل الاخرة وقال تعالى من
يعمل سوءا يجز به وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره فهذا يقتضي ان هذه الاية ليست على ظاهرها بل المراد ان
الله يغفر الذنوب جميعا اي ذلك مما قد يفعله وانه يغفر لكل تائب لكن
يقال فلم جاء بصيغة الجزم والاطلاق في موضع التردد والتقييد قيل
بل الاية على مقتضاها فان الله اخبر انه يغفر جميع الذنوب
ولم يذكر انه يغفر لكل مذنب بل قد ذكر في غير موضع انه لا يغفر لمن
مات كافرا فقال ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن
يغفر الله لهم وقال في حق المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا اللفظ العام في الذنوب هو مطلق في المذنبين
والمذنب لم يتعرض له بنفي ولا اثبات لكن يجوز ان يكون مغفورا له ان اتى بما يوجب المغفرة

غفر له وان اصر على ما يناقضها لم يغفر له واما جنس الذنب فان الله يغفره
في الجملة سواء كان كفرا او شركا او غيرهما لمن تاب منها وليس في الوجود
ذنب لا يغفره الرب بحال بل ما من ذنب الا والله يغفره في الجملة وهذه
آية عظيمة جامعة من اعظم الايات نفعا وفيها رد
على طوايف على من يقول الداعية الى البدعة لا يغفر له ولا تقبل توبته
ويحتجون بحديث الاسرائيلي وفيه انه قيل له كيف بمن اضللت
وهذا يقوله طائفة ممن ينتسب الى السنة والحديث وليسوا من العلما
بذلك كابي علي الاهوازي وامثاله ممن لا يميزون بين الاحاديث الصحيحة
والموضوعة وما يحتج به وما لا يحتج به بل يروون كل ما في الباب محتجين
به وقد حكي هذا طايفة في مذهب احمد ورواية عنه وظاهر مذهبه مع
ساير مذاهب المسلمين انه تقبل توبته كما تقبل توبة الداعية الى الكفر وتوبة
من فتن الناس عن دينهم وقد تاب قادة الاحزاب كابي سفيان والحارث
بن هشام وسهيل ابن عمرو وصفوان ابن امية وعكرمة ابن ابي جهل وغيرهم
بعد ان قتل على الكفر بدعائهم وحضهم عليه من قتل وكانوا من احسن
الناس اسلاما وغفر الله لهم كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف وكذلك عمرو بن العاص كان من اعظم الدعاة الى الكفر والايذا
للمسلمين وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما اسلم يا عمرو اما علمت ان الاسلام يجب
ما قبله وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود في قوله اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب قال كان ناس من الانس يعبدونهم ففي هذا
دليل انه لم يضر الجن الذين اسلموا عبادة غيرهم لهم بعد اسلامهم وان كانوا
هم اضلوهم اولا وايضا فالداعي الى الكفر والبدعة وان كان اضل

يعبدون ناسا من الجن فاسلم اولئك الجن والانس صح

غيره

غيره فذلك يعاقب على دينه لكونه قبل من هذا وتبعه وهذا عليه وزره
ووزر من اتبعه الى يوم القيمة مع بقاء اوزار اوليك عليهم فاذا تاب هذا
تاب من ذنبه فلم يبق عليه وزره ووزر من اتبعه ولا ما حمله هو لاجل
اضلالهم واما هم فسواء تاب من اضلهم او لم يتب حالهم واحد ولكن
توبته من هذا يحتاج الى ضد ما هو عليه من الضلال الى الهدى كما تاب
كثير من الكفار واهل البدع وصاروا دعاة الى الاسلام والسنة وسحرة فرعون
كانوا دعاة الى الكفر وتعليم السحر وتعلمه ثم اسلموا وختم لهم بخير
ومن ذلك توبة قاتل النفس والجمهور على انها مقبولة وقال ابن عباس
لا تقبل وعن احمد روايتان وحديث قاتل المائة في الصحيحين يرد
ذلك وهو دليل على قبول توبته وهذه الآية تدل على ذلك وآية
النسا انما فيها وعيد قاتل النفس اذا لم يتب كساير وعيد القران كما
قال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا ومع هذا فاذا لم يتب وكل وعيد في القران فهو
مشروط بعدم التوبة باتفاق الناس فباي وجه يكون وعيد القاتل
لاحقا به وان تاب هذا في غاية الضعف ولكن قد يقال لا تقبل
توبته بمعنى انه لا يسقط حق المظلوم بالقتل وانما التوبة تسقط حق الله تعالى
والمقتول له مطالبة بحقه فهذا صحيح في جميع حقوق الآدميين حتى الدين
فان في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الشهيد يغفر له كل شيء الا
الدين وحق الادمي يعطاه من حسنات من ظلمه فمن تمام التوبة ان
يكثر العبد من الحسنات ليوفي غرماه ويبقى له بقية يدخل بها الجنة ولعل

ابن عباس رضي الله عنهما ان القتل اعظم الذنوب بعد الكفر فلا يكون لصاحبه حسنات
حوم تقابل المقتول فلا بد ان يبقى له سيئات يعذب بها وهذا الذي يراه يقع
من بعض الناس فيبقى الكلام فيمن تاب واصلح وعجز عن حسنات تعادل
حق المظلوم هل يجعل عليه من سيئات المظلوم ما يعذب به وهذا موضع دقيق
على مسئلة يحمل حديث ابن عباس لكن هذا كلام لا بينا في ظاهر الآية وهو ان الله
يغفر كل ذنب الشرك وغيره من حيث الجملة فهي عامة في الافعال مطلقة في الاشخاص
ومثل هذا قول اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عام في الاشخاص مطلق
في الاحوال كذلك قوله فاسمحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين عام في الارجل
لكنه مطلق في احوال الارجل اذ قد تكون نارة وقد تكون مستورة بالخف
واللفظ لم يتعرض للاحوال وكذلك قوله يوصيكم الله في اولادكم عام
في الاولاد مطلق في الاحوال وكذلك قوله يغفر الذنوب عام في الذنوب
مطلق في احوالها فان الذنب قد يكون صاحبه تائبا منه وقد يكون مصرا
عليه واللفظ لم يتعرض لذلك بل الكلام يدل على ان الذنب يغفر في حال دون
حال فان الله امر بفعل ما تغفر به الذنوب ونهى عن ما به يحصل العذاب
يوم القيمة بلا مغفرة فقال بعدها وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل
ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
الآيتين فهذا اخبار منه تعالى انه يعذب نفوسا يوم القيمة لم يغفر لها
كالذي كذب بآيات الله واستكبر عن التوبة والانابة اليه ولم يعمل صالحا
ينجو به من عذابه ومثل هذه الذنوب التي عذبت بها تلك النفوس عفر الله
لآخرين لانهم تابوا منها وعملوا صالحا فان قيل فقد قال الله تعالى
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون

وفي الآية الخمس

SIND UNIVERSITY LIBRARY

وفي الآية الاخرى لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا قيل
القرآن قد بين توبة الكافر وان كان قد ارتد ثم عاد الى الاسلام في غير آية
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم
البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والناس اجمعين الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور
رحيم فقوله كيف يهدي الله اي انه لا يهديهم مع كونهم مرتدين ظالمين
ولهذا قال والله لا يهدي القوم الظالمين فمن ارتد عن دين الاسلام لم يكن
الا ضالا فلا يحصل له الى اي دين ارتد والمقصود ان هؤلاء لا يهديهم الله
ولا يغفر لهم الا ان يتوبوا فهو سبحانه ذكر في هذه الآية المرتدين ثم
ذكر التائبين منهم ثم ذكر من لا تقبل توبته ومن مات كافرا وهؤلاء الذين
لا تقبل توبتهم قد ذكروا فيهم اقوالا قيل لنفاقهم وقيل
لانهم تابوا مما دون الشرك ولم يتوبوا منه وقيل لن تقبل توبتهم
بعد الموت وقال الحسن والسدي وقتادة وعطا الخراساني لن تقبل
توبتهم حين يحضرهم الموت وكذلك قوله ان الذين كفروا ثم امنوا
ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا تثبتوا عليه حتى ماتوا قلت وذلك
لان التائب راجع عن كفره ومن لم يتب فانه مستمر يزداد كفرا بعد
كفر فقوله ثم ازدادوا كفرا بمنزلة قول القائل اصروا على الكفر واستمروا على
الكفر وداموا على الكفر فهم كفروا بعد اسلامهم ثم ازدادوا كفرا اي زادوا
كفرهم ما نقص فهؤلاء لا تقبل توبتهم وهي التوبة عند حضور الموت
لان من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ورجع عن كفره فلم يزدد بل نقص

بخلاف المصر على المعاصي والكفر الى حين المعاينة فانه في ازدياد من ذلك
وما بقي له زمان مخفف لبعض كفره فضلا عن هدمه وفي الاية الاخرى
قال لم يكن الله ليغفر لهم فذكر انهم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قيل لان
المرتد اذا تاب غفر له كفره فاذا كفر بعد ذلك ومات كافرا حبط ايمانه فعوقب
بالكفر الاول والثاني كما في الصحيحين عن ابن مسعود قال قيل يا رسول الله انؤاخذ
بما عملنا في الجاهلية فقال من احسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية
ومن اساء في الاسلام اخذ بالاول والاخر فلو قال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا لكان هؤلاء هم الذين ذكرهم في ال عمران فقال ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم بل ذكر انهم امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا وهو المرتد
التائب فهذا اذا كفر وازداد كفرا لم يغفر له كفره السابق ايضا فلو امنوا ثم كفروا
ثم امنوا ثم كفروا لم يكونوا قد ازدادوا كفرا والفقهاء اذا تنازعوا في قبول توبة
من تكررت ردته او قبول توبة الزنديق فذاك انما هو في الحكم الظاهر لانه لا يوثق
بتوبته اما اذا قدر انه اخلص التوبة لله في الباطن فانه يدخل في قوله يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم الاية ونحن حقيقة قولنا ان التائب لا يعذب لا في الدنيا ولا في الاخرة
لا شرعا ولا قدرا والعقوبات التي تقام في حد او تعزير اما ان يثبت سببها بالبينة
مثل قيام البينة انه زنا او سرق او شرب فهذا اذا اظهر التوبة لم يوثق بها
ولو درأ الحق باظهارها لم يقم حد فان كل من تقام عليه البينة يقول قد تبت
وان كان تائبا في الباطن كان الحد مكفرا وكان ماجورا على صبره واما
اذا جاء هو بنفسه فاعترف وجاء تائبا فهذا لا يجب ان يقام عليه الحد في
ظاهر مذهب احمد نص عليه في غير موضع وهي من مسائل التعليق واحتج
عليها القاضي بعده باحاديث وحديث الذي قال قد اصبت حدا فاقمه

اعله الحد

على

على فاقيمت الصلاة فصلى يدخل في هذا لانه جاء تايبا وان اشهد على نفسه
كما شهد ماعز والغامدية ردها مرة بعد مرة فالامام والناس ليس عليهم اقامة
الحد على مثل هذا ولكن هو اذا طلب ذلك اقيم عليه كالذي يذنب سرا وليس
على احد ان يقيم حدا الا اذا اختار صاحبه وهذا قتله كالذي ينغمس
في العدو وهو مما يرفع الله به درجته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد
تاب توبة لو تاب منها صاحب مكس لغفر له وهل وجدت افضل من
ان جادت بنفسها وقد قيل في ماعز انه رجع عن الاقرار وهذا
هو احد القولين في مذهب وغيره وهو ضعيف والاول اجود وهؤلاء
يقولون سقط الحد لانه رجع عن الاقرار ويقولون رجوعه عن الاقرار
مقبول وهو ضعيف بل فرق بين من اقر تايبا وبين من اقر غير تايب
فاسقاط العقوبة بالتوبة كما دلت عليه النصوص اولى من اسقاطها بالرجوع
عن الاقرار والاقرار شهادة منه على نفسه ولو قبل الرجوع لما قام حد باقرار
فاذا لم تقبل التوبة بعد الاقرار مع انه قد يكون صادقا فالرجوع الذي هو فيه
كاذب اولى والله سبحانه اعلم

قوله وان ليس للانسان

الا ما سعى لا يملك الانسان غير سعيه
ولا يستحق غيره وان كان قد يحصل له نفع بفضل الله وبرحمته وبدعا غيره فانه
قد عرف ان الله يرحم كثيرا من الناس من غير جهة عمله لكنه ليس له الا ما سعى
وقوله ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة وزر اخرى
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى فقوله
ام لم ينبا بما في صحف موسى يقتضي ان المنبا بذلك يجب عليه تصديق ذلك والايمان به
لانه مما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لابراهيم وموسى كما ذكر ذلك

في سورة النجم ان هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وهذا
يقتضي ثلاثة اصول الاول الازر وازرة وزر اخرى الثاني ان ليس
للانسان الا ما سعى الثالث ان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى
فالاصل الاول ان ذنب الانسان لا يحمله غيره وهو قول الازر وازرة وزر
اخرى اي لا يحمل احد عن احد من ذنبه شيئا الثاني انه ليس
الا سعيه وهو قوله وان ليس للانسان الا ما سعى الثالث انه يجزاه الجزاء
الاوفى وهذه اصول الايمان بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وهي
نتيجة الايمان بالامر والمعاد بل نتيجة الجزاء في الدنيا والاخرة وقد غلط في
هذه الاصول من غلط فاخفهم غلطا من غلط في الاصل الاول من السلف
والخلف فانكروا قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه
وقد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر وابو موسى والمغيرة بن شعبة وغيرهم
وظنوا انه مخالف للقرآن لتوهمهم ان الميت يحمل وزر النائحة وهو غلط
فان النائحة تعذب على نياحتها ولا يحمل الميت شيئا من وزرها
ولكن هو يعذب بنياحتها فيصل اليه الم بسبب نياحتها كما قد يعذب
الانسان في الدنيا بما مر من غير عمله كالروائح المؤذية والاصوات
المنكرة والامور المفزعة وهذا مما يعذب به الميت والحكم فيه كحكم
سائر ما يعذب به بعد الموت مثل مسألة منكر ونكير وتقريعهما
وغير ذلك وليس يحمل الميت من وزر الحي شيئا واعظم غلط الذين
غلطوا في الاصل الثالث وهو جزاء الانسان بعمله فمنهم من احبط
حسناته بالكبيرة الواحدة وخلده في النار ابدا ومنهم من قال اذا ترجحت سيئاته
على حسناته خلد في النار ابدا واوسطهم غلطا الذين هما غلطوا في الاصل

الاوسط وهو قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فظنوا ان الانسان
لا ينتفع الا بسعيه فقط فاذا قيل ليس يزيد الا الاكذا ولا يملك الا كذا
لم يكن ذلك نفيا لانتفاعه فان انتفاع الانسان باحسان غيره اليه وجعل
الله ابتداء اليه كثير في الدنيا والاخرة ومن المعلوم بالمتواتر ان الميت
ينتفع بصلاة المسلمين عليه وبدعائهم وشفاعة الرسول والحي ايضا
ينتفع بالدعاء والصدقة وغير ذلك مما جاءت به الاحاديث الصحيحة واجمع
السلف على اكثرها وليس هذا مناقضا للاية ولا مخصصا لعمومها ولا
هي مختصة بشرع من قبلنا بل حكمها شامل للامة التي بعث اليها محمد صلى الله
عليه وسلم كما شمل من قبلهم فهو ثابت في حق من ارسل اليه ولو لم يكن لم يكن
في قوله ام لم ينبأ بما في صحف موسى فايده فانه انما ذكر انباء هذا النبا
وغيره فهو شامل له ولغيره وايضا فان هذا خبر عن الرسولين الكريمين المعنى
ابراهيم وموسى وهما خبران عامان والاخبار لا تنسخ ولا تختلف بتنوع
الانشاء في الاخبار المجردة فالاية على ظاهرها الحق ومفهومها الصدق لا على
الفاسد وقد ذكر ابو الفرج ابن الجوزي فيها ثمانية اقوال احدها
انها منسوخة بقوله وابتعناهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم فادخل الابناء
بعمل الاباء الجنة وصالحهم قال ابن عباس ولا يصح لان لفظ الايتين لفظ خبر
والاخبار لا تنسخ قلت اللفظ المنقول عن ابن عباس رواه علي
ابن ابي طلحة العوفي عنه وقد قيل انه لم يسمعه منه بل من اصحاب ابن عباس
قال اذا دخل الله الاب الجنة بصلاح الاباء الجنة ولم يذكر نسخ ولو ذكره فمراد الصحابة بالنسخ
المذكور غير المعروف فينسخ الله ما يلقي الشيطان وفهم معنى الاية على غير الصواب
والمراد بها فقد بين ابن عباس انه لم يرد هذا بالاية ان الانسان لا ينتفع

بجملة غير فان الابناء انتفعوا بعمل اباهم وهذا نسخ لما فهم منها لما دلت عليه
وهذا القول المنقول عن ابن عباس احسن ما قيل فيها وقد ضعفه من لم
يفهم وسائر الاقوال فيها ضعيف جدا وقد نقل البغوي هذا عن ابن عباس
وقال هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة لهذه الامة ولم يعلل ابن عباس هذا
وما اكثر ما يحرف قول ابن عباس ويغلط عليه والقول الثاني قال عكرمة ان
المراد به قوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ما سعوا وسعي لهم وهذا ضعيف
لان الله انما ذكر هذا ليخبر به هذه الامة كما تقدم والمعلوم ان هذا حكم شامل
ولو كان هذا مخصوصا بالامتين لم تقم به حجة على امة محمد وجميع المسلمين يحتجون
بما في هذا على ان لهم ان تلك الامم لم تكن تنفعهم الصدقة بعد الموت وقد بين
النبي صلى الله عليه وسلم انا اذا قلنا اللهم علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت
كل عبد صالح في السماء والارض والانبياء يصلى عليهم فنصيبهم الصلاة ونحن اذا
ذكرنا الصالحين ترحمنا عليهم وذكروا اصلي اليهم وليس من سعيهم ومازال الدعاء والشفاعة
لجميع الامم فابراهيم وموسى قد دعوا للصالحين من قومهم وهو نافع
لهم وليس من سعيهم والملائكة يستغفرون لمن في الارض من المؤمنين ممن مضى
ومن بقي قال والقول الاخر ان المراد بالانسان هاهنا الكافر واما المؤمن فله
ما سعى وسعي له قال الربيع ابن انس قلت وهذا ايضا ضعيف جدا
فان الذي في صحف ابراهيم وموسى لم يختص به الكافر وقوله بعده وان ليس
للانسان الا ما سعى الايات بيننا والمؤمن قطعا وهو ضمير الانسان بل لو قيل
انه بيننا والمؤمن دون الكافر لكان ارجح من العكس مع ان حكم العدل لا فرق
فيه بين مؤمن وكافر وما استحق المؤمن بخصوصه فهو بايمانه ومن سعيه فالقول
الرابع ليس للانسان الا ما سعى من طريق العدل واما من باب الفضل فجائز ان

يزيده الله ما شا قاله الحسن بن الفضل وهو امثل من غيره من الاقوال ومعناه
صحيح لكنه لم يفسر الاية فان قوله ليس للانسان نفي عام فليس له الا ذلك وهذا هو العدل
ثم ان الله قد ينفعه ويرحمه بغير سعيه من فضله والقول الخامس ان ما سعى بمعنى
ما نوى قلت هذا ليس قولا في محل الاشتباه وانما هو تفسير للفظ السعي
والسعي هو العمل ونية الخير يثاب عليها وان لم يعملها واما اذا هم بالشر فلا
يعاقب عليه الا ان يعمله والانسان قد ينتفع بما لم ينو كانتفاعه بالصدقة
عنه بعد موته والحج وغير ذلك والقول السادس ذكره الثعلبي في الاخرة فانها
خير للمومن قلت وهذا لا يدل عليه قوله للانسان فليس في هذا
اللفظ تخصيص الكافر ولا تخصيص الجزا بالدنيا ولو سكت من لا يدري
قل الخلاف قال والسابع وان ليس للانسان بمعنى وان ليس عليه الا ما سعى
قاله ابن الزاغوني قلت وهذا من ارذل الاقوال فانه قلب لمعنى الاية
القول الثامن انه ليس له الا سعيه غير ان الاسباب مختلفة فتارة يكون سعيه في
تحصيل قرابة ولد يترحم وصديق يدعو له وتارة يسعى في خدمة اهل الدين
والعبادة فيكسب محبة اهل الدين فيكون ذلك سببا حصل بسعيه حكاه والدي قبله
الحسن ابن الزاغوني قلت وهذا امثل من غيره وقد استحسنه ورجحه
جدي ابو البركات وهو ايضا ضعيف فانه قد ينتفع بعمل غيره من
لم يحصل سببا كاولاد المومنين وابن عباس كان اعلم من هولاء كلهم
ذكر ان اية الاولاد تبين المراد وتنسخ ما القاه الشيطان الى هولاء الذين فهموا
من القران ما لم يدل عليه واذا كانت الجنة يبقى فيها فضل يدخلها من لم يوجد
في الدنيا ولا عمل في الاخرة فكيف يظن ان الله لا يرحم احدا الا بسعيه بل الله
يرحم العباد بغير سعيهم اعظم مما يرحمهم بسعيهم وسعي العبد الذي هو له ايضا من فضل الله

ورحمته فانه سبحانه هو الذي من عليه به وكل من احتج بهذه الاية على نفي الحج انتقض
قوله بالصدقة ولفظها يتناولهما معا ومن احتج على نفي الصيام انتقض
عليه بالحج والصدقة وحقيقة الامر ان الاية لم تكن عمدتهم فيما قالوه
لكن ذكروها احتجاجا واعتضادا لا اعتمادا عليها واذا قال قايل هي
عامة في موارد الاجماع والنزاع فاذا خصت صورة بقية دالة على غيرها
قيل وحينئذ فتخص ايضا موارد النزاع بدليله فانه لا يقال بانتفاع
الميت بعمل الا بدليل وبسط هذا الموضع اخر والله سبحانه اعلم

فصل والمقصود هنا ان

النصوص شاملة لجميع الاحكام ونحن نبين ذلك فيما هو من اشكل
الاشيا لننبه به على ما سواه والفرايض من اشكلها اذ نفاة القياس عدلوا
في كثير منها عن دلالة النص الى ان اثبتوا ما صنوه مجمعا عليه ونفوا ما صنوه
غير مجمع عليه وكلاهما غلط اما الاول فقد بيناه واما الثاني فتقدير عدم
الاجماع انما ينتفي دليل معين فلا بد من نفي ساير الادلة الشرعية كما ذكروه في مسالة
المشركة فانه لو قدر ثبوت ميراث احدهما بالاجماع فعدم الاجماع عن الاخر
لا ينفي ميراثه وان لم تنتف ساير الادلة فنقول النص والقياس وهما الكتاب والميزان
دلا على ان الثلث يختص بولد الام كما هو قول علي ومن وافقه وقول مالك والشافعي
وهو مذهب ابي حنيفة واحمد في المشهور عنه وروي حرب التشريك وهو قول زيد
ومن وافقه وقول مالك والشافعي واختلف في ذلك عن عمر وعثمان وغيرهما من الصحابة
حتى قيل انه اختلف فيها عن جميع الصحابة الا علي وزيد فان عليا لم يختلف
عنه انه لم يشرك وزيد لم يختلف عنه انه يشرك قال العنبري القياس ما قال
علي والاستحسان ما قال زيد قال الحبري وهذه وساطة مليحة

وعبارة

وعبارة صحيحة فيقال النص والقياس دلا على ما قال علي اما النص فقوله تعالى
وان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث والمراد به ولد الام فاذا دخلنا
فيهم ولد الابوين لم يشتركوا في الثلث بل زاحمهم غيرهم وان قيل ان
ولد الابوين منهم ان كان لكونه من ولد الام فهذا غلط لان الله قال وان
كان رجل يورث كلالة وله اخ او اخت وفي قراءة سعد وابن مسعود من ام والمراد
بهم ولد الام بالاجماع ودل على ذلك قوله ولكل واحد منهما السدس وولد الابوين
في اية الصيف في قوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس
له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فجعل لها النصف
وله جميع المال وهذا حكم ولد الابوين ثم قال وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل
حظ الانثيين وهذا حكم ولد الابوين لا الام باتفاق المسلمين ودل ذكره تعالى
لهذا الحكم في هذه الاية وكذاك الحكم في تلك الاية على ان احد الصنفين غير
الاخر فلا يجوز ان يكون ذلك الصنف هو هذا الصنف وهذا الثاني هو
ولد الابوين والاب بالاجماع فالاول ولد الام كما في القراءة الاخرى التي يصلح ان تكون
مفسرة لقراءتنا ولهذا ذكر ولد الام في اية الزوجين والزوجان اصحاب فرض
مقدر لا يخرجون عنه وكلاهما لا حظ له في التعصيب بحال بخلاف ما ذكر في
اية العمود وفي اية الصيف فان لحسهم حظا في التعصيب ولهذا قال سبحانه في اية
النساء غير مضار وصية ولم يذكر ذلك في اية العمود لان الانسان كثيرا ما يقصد ضرار
الزوج وولد الام لانهم ليسوا من عصبته بخلاف اولاده وابائه فانه لا يضارهم
في العادة واذا كان النص قد اعطى ولد الام الثلث فمن نقصهم منه فقد ظلمهم
وولد الابوين جنس اخرهم عصبة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها
فما بقي فلاولى رجل ذكر وهذا يقتضي انه لم يبق الفرائض شيئا لم يكن للعصبة شيء وهنا

لعله ليس لهم
بنت واخ ولما كان فتيا الله
انما هي في الكلالة والكلالة من لا
والد له ولا ولد علم ان من له والد
وولد ليس هذا

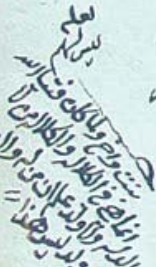

لم يبق الفرايض شيئا واما قول القايل هب ان اباهم كان حمارا فقد اشتركوا في الام
فقول فاسد حسا وشرعا اما الحس فلان الاب لو كان حمارا لكانت الام اتانا ولم
يكونوا من بني ادم واذا قيل مراده قدر وجوده كعدمه فيقال هذا باطل فان
الموجود لا يكون معدوما واما الشرع فلان الله حكم في ولد الابوين بخلاف
حكمه في ولد الام واذا قيل فالاب اذا لم ينفعهم يضرهم قيل بلى قد يضرهم
كما ينفعهم بدليل ما لو كان ولد الام واحدا وولد الابوين كثيرون فان ولد الام وحده
ياخذ السدس والباقي يكون لهم كلهم ولولا الاب لتشاركوا هم وذاك الواحد في الثلث
واذا جاز ان يكون ووجود الاب ينفعهم جاز ان يحرمهم فعلم انه قد يضرهم
وايضا فاصول الفرايض مبنية على ان القرابة المتصلة ذكر وانثى لا يعرف
احكامها فالاخ من الابوين لا يكون كاخ من اب ولا كاخ من ام ولا يعطى بقرابة
الام وحدها كما لا يعطى بقرابة الاب وحده بل بالقرابة المشتركة من الابوين
وانما يفرد بحكم اذا كان قرابة لام منفردة مثل بني عم احدهما اخ لام فهنا ذهب
الجمهور الى ان للاخ للام السدس ويشتركان في الباقي وهو ماثور عن علي وروي عن شريح
انه جعل الجميع للاخ من الام كما لو كان ابن عم لابوين والجمهور يقولون كلاهما في بنوة العم
سواهما ابن عم من ابوين او من اب والاخوة للام مستقلة ليست مقترنة بابوة
حتى يجعل كابن عم لابوين ومما يبين الحكم في مسئلة المشركة انه لو كان فيها اخوان
لاب لفرض لهم الثلثان وعالت الفريضة فلو كان معهن اخوهن سقطن
ويسمى الاخ المشؤم فلما كن بوجوه يصرن عصبة صار تارة ينفعهن وتارة يضرهن
ولم يجعل وجوده كعدمه في حال الضرر كذلك قرابة الاب لما صار الاخوة
بها عصبة صار ينفعهم تارة ويضرهم اخرى فهذا هذا مجرى العصوبة
فان العصبة تارة يجوز المال وتارة يجوز اكثره وتارة يجوز اقله وتارة لا يبقى شيء

وهو

وهو اذا استغرقت الفرايض المال فمن جعل العصبة تاخذ مع استغراق الفرايض
المال فقد خرج عن الاصول المنصوصة في الفرايض وقول القايل هو استحسان
يقال له هذا استحسان يخالف الكتاب والميزان فانه ظلم للاخوة من الام حيث
يوخذ حقهم فيعطاه غيرهم واذا كانوا يعقلون عن الميت وينفقون
عليه فعاقلة المراة يعقلون عنها وميراثها لزوجها وولدها كما قضى
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنازعون في هذه المسئلة ليس معهم حجة
الا انها قول زيد وقد روي عن عمر انه حكم بها فعمل بذلك من عمل اهل المدينة
وغيرهم كما عملوا بمثل ذلك في ميراث الجد والاخوة وعملوا بقول زيد في غير ذلك
من الفرايض لاتصال العمل به تقليدا له وان كان النص والقياس مع من خالفه
وبعضهم يحتج لذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افرضكم زيد وهو
حديث ضعيف لا اصل له ولم يكن زيد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم معروفا بالفرايض
والحديث الذي روي فيه ذلك قد رواه الترمذي عن انس وهو ضعيف لم يصح فيه
الا قوله لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة ابن الجراح وروي باسناد
اضعف من هذا وفيه اقضاكم علي وحبر هذه الامة ابن عباس من حديث
كوثر ابن حكيم وكوثر هذا ياتي عن نافع بما يعلم انه باطل وهو لا يحتج به باتفاق
اهل العلم وكذلك اتباعهم في الجد لقول زيد مع ان جمهور الصحابة على خلافه
فجمهور اصحابه موافقون للصديق ان الجد كالاب يحجب الاخوة وهذا مروي
عن بضعة عشر من الصحابة وهو مذهب ابي حنيفة واحد الوجهين
في مذهب الشافعي واحمد واختاره ابو حفص البرمكي من اصحابه وحكاه
بعضهم رواية عن احمد واما المورثون للجد مع الاخوة فهم علي وابن مسعود وزيد ولكل واحد

في صفة حديث زيد افرضكم

قول انفرد به وعمر بن الخطاب كان متوقفا في امره والصواب بلا ريب قول الصديق
لادلة متعددة ذكرناها في غير هذا الموضع منها ان الذين ورثوا الاخوة عمدتهم
انهم يدلون ببنوة الاب والجد يدلي بابوته والبنوة اقوى وهذه الحجة فاسدة
مناقضة للكتاب والسنة والاجماع فان الجد مقدم على الاب بني الاخوة عند عامة
المخالفين في هذا وابن الابن يقوم مقام الابن ويقدم على الجد فلو كان بنوة الاب
مقدمة لقدمت بنوة بنوة الاب ومنها ان الجد الاعلى مقدم على العم
والعم والعم ابن الجد الادنى والجد الاعلى ابوه فالعم يدلي ببنوته والجد
الاعلى بابوته والجد الاعلى مقدم بالاجماع ونسبة الجد الاعلى الى العم كنسبة الادنى
الى الاخ ومنها ان ما ذكروه لو كان صحيحا لوجب تقديم الاخوة وهو خلاف
الاجماع من الصحابة وقد طرد هذا القياس الفاسد من قال في الولا ان اخوة
المعتق اولى من جده وهذا من اضعف الاقوال بل الصواب لهذا ان الولا
لهذا المعتق فقط دون اخوته كالميراث وايضا فالبنوة وبنوة البنوة
مقدمة على الابوة وابوة الابوة لان هذا الجنس مقدم على هذا الجنس واما
بنوة الابوة فليست من هذه البنوة بل الابوة وابوة الابوة مقدم على بنوة الابوة
في جميع احكام الشرع ولم يقدم الاخ على الجد في شيء من الاحكام الشرعية
بل ولا عدل به فمن جعل مقتضى القياس تقديمه او مساواته فقد خالف
الاصول الشرعية كلها واما العمريتان فليس في القران ما يدل
على ان للام الثلث مع الاب والزوج بل انما اعطاها الله الثلث اذا ورث المال
هي والاب فكان القران قد دل على ان ما ورثته هي والاب تاخذ ثلثه والاب
ثلثيه واستدل بهذا اكابر الصحابة كعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وجمهور

الابوة

العلما

العلم على ان ما يبقى بعد فرض الزوجين يكونان فيه اثاثا وياسا على
جميع المال اذا اشتركا فيه وكما يشتركان فيما يبقى بعد الدين والوصية ومفهوم
القران ينفي ان تاخذ الام الثلث مطلقا فمن اعطاها الثلث مطلقا حتى
مع الزوجين فقد خالف مفهوم القران واما الجمهور فقد عملوا بالمفهوم
فلم يجعلوا امر اثها اذا ورثه ابوه كميراثها اذا لم يرثه بل ان ورثه ابوه فلامه الثلث
مطلقا واما اذا لم يرثه ابوه بل ورثه مع من دون الاب كالجد والعم والاخ
فهي بالثلث اولى فانها اذا اخذت الثلث مع الاب فمع غيره من العصبة اولى
فدل القران على انه اذا لم يرثه الا الام والاب او عصبة غير الاب سوى الابن
فللام الثلث وهذا من باب التنبيه بالادنى على الاعلى واما الابن فانه اقوى من
من الاب فلها معه السدس بقي اذا كان مع العصبة ذو فرض فالبنات
والاخوات قد اعطاهما الله معهن السدس والاخت الواحدة اذا كانت هي
والام فللام ثلث الباقي مع المذكر من الاخوة فمع الانثى اولى وانما الحجب عن
الثلث الى السدس بالاخوة والواحد ليس اخوة واذا كانت مع الاخ الواحد الثلث
فمع العم وغيره بطريق الاولى واذا كان مع احد الزوجين العصبة غير الاب
والابن والعم وابن العم فهؤلاء دون الاب وانما جعل الباقي بعد نصيب الزوجة
اثلاثا لانها والاب في طبقة واحدة فجعل الذكر بينهما كاصل المال وهؤلاء
ليسوا في طبقتها فلا يجعلون معهما كالاب فانه لا واسطة بينه وبين الميت بخلاف
هؤلاء فلم يمكن ان يعطى ثلث الباقي وههنا لما فيه من تسوية هؤلاء بالاب ولا
نزاع في ذلك الا في الجد نزاع مروي عن ابن مسعود والجمهور على انهما
مع الجد تاخذ ثلث المال وهو الصواب لان الجد ابعد منهما

بيض بعلم

وهو محجوب بالاب فلا يحجبها عن شيء من حقها واذا لم يمكن ان تعطى ثلث الباقي
وامتنع ان تعطى السدس لانه دون ذلك تعين ان تعطى الثلث وكان اعطاها
الثلث مع عدم الاب سوا كان هناك احد الزوجين او لم يكن واعطاها قلت
الباقي مع احد الزوجين مما فهمه جماهير الصحابة والعلما من الايمة تارة
بالاعتبار الذي هو في معنى الاصل وتارة بالاعتبار الذي هو اولى واحرى وتارة
بالاعتبار الذي فيه الحاق الفرع فاشبه الاصلين به قلت فهذه
دلالة نص او قياس قلت لك القياس المحض ان الام مع الاب كالبنت
مع الابن والاخت مع الاخ لانهما ذكر وانثى من جنس واحدهما عصبة وقد
اعطيت الزوجة نصف ما يعطاه الزوج لانهما ذكر وانثى من جنس وانما
عدل عن هذا في ولد الام لانهم يدلون بالام فلا عصوبة لهم بحال بخلاف
الزوجين والابوين والاولاد فانهم يدلون بانفسهم وساير العصبة يدلون
بذكر كولد البنين والاخوة للابوين او الاب فاعطا الذكر مثل حظ الانثيين
هو معتبر فيمن يدلي بنفسه او بعصبته فانه اهل للتعصيب فاما من يدلي
بغير عصبة فانه ليس من اهل التعصيب فالذكورة بلى الابوان لكل واحد منهما
السدس مع الولد فتساويا كالانوثة وليس الذكر كالانثى لا في باب الزوجية
ولا في الابوين ولا في الاولاد والاخوة للاب فهذا اعتبار واما دلالة
الكتاب على ميراث الام فان الله يقول ولكل واحد منهما السدس مما ترك
ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فالله تعالى فرض
لها بشرطين ان لا يكون له ولد وان يرثه ابواه فكان في هذا دلالة

على انه

على انه لا يعطى الثلث مطلقا مع عدم الولد اذ لو كانت تعطاه مع عدم الولد مطلقا لكان
قوله وورثه ابواه كعدمه فانه حينئذ سواء ورثه ابواه او لم يرثه ابواه لامه الثلث وهذا
خلاف دلالة القران وهذا مما يدل على صحة قول اكابر الصحابة والجمهور الذين
يقولون لا يعطى في العمريتين زوج وابوين وزوجة وابوين ثلث جميع المال
قال ابن عباس وموافقوه فانها لو اعطيت الثلث هنا لكان تعطاه مع
عدم الولد مطلقا وهذا خلاف ما دل عليه القران وقد روي عنه انه قال
لزيد في كتاب الله ثلث ما بقي اي ليس في كتاب الله الا السدس وثلث فيقال وليس في
كتاب الله اعطاها الثلث مطلقا فكيف يعطيها مع الزوجين الثلث بل في كتاب
الله ما يمنع اعطاها الثلث مع الاب واحد الزوجين فانه لو كان كذلك
لكان يقول فان لم يكن له ولد فلامه الثلث فانها على هذا التقدير تستحق
الثلث مطلقا فلما خص الثلث ببعض الحال علم انه لا يستحق مطلقا فهذا
مفهوم المخالفة الذي يسمى دليل الخطاب يدل على بطلان قول من اعطاها
الثلث الا العمريتين ولا وجه لاعطاها الثلث مع مخالفته للاجماع
لان الله انما اعطاها ذلك مع الولد والاخوة وقيده بذلك ودل ذلك على
انها لا تعطاه مع الاخ الواحد فعلم ان الثلث قد تستحقه مع الاخ
الواحد ويدل على ذلك انها اذا اعطيته مع الاب فمع غيره من العصبات
اولى واحرى وهذه دلايل تنبيه الخطاب ومفهومه اما مفهوم
الموافقة واما مفهوم المخالفة فلما دل القران على انها لا تعطى
الثلث ولا تعطى السدس وكان قسمة ما يبقى بعد فرض الزوجية اثلاثا
مثل قيمة اصل المال من الابوين اثلاثا ليس بينهما فرق اصلا علم بدلا
لة التقسيم ان الله اراد ان يعطي في هذه الحال هذه بالضرورة وقياسه

زيادة في اللفظ
ونقص في المعنى وكان
عدم الفايدة وجوده كعدمه

من جهة انها قياس في معنى الاصل دلالة لفظية كانت خطابية ايضا كما
في قوله من اعتق شركا في عبد وقوله ايما رجل وجد متاعه بعينه عند رجل قد
افلس فهو احق به فان لفظ عبد ورجل يتناول في مثل هذا الذكر والانثى في عرف
الخطاب من باب التعبير باللفظ الخاص صار في العرف عاما كقوله ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وقوله ما يملكون من قطمير وقوله لا يملكون نقيرا وقول القايل والله
ما اخذت له حبة ولا شربت له قطرة ولا اكلت له لقمة ونحو ذلك مما صار في عرف
الخطاب يدل على النفي العام لكونه صار في العرف الخاص عاما ومن هذا الباب
خطاب المطاع للواحد في اهل طاعته الذي قد استقر عندهم تماثلهم في الحكم
فان هذا الخطاب لجميعهم كخطاب السيد للواحد من عبيده بامور يشترك
فيها العبيد وكذلك الملك للواحد من رعيته ومن هذا خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم للواحد من امته بحكم فانه قد علم بعبارته من خطابه ان هذا
حكم لمن هو مثل ذلك الشخص الى يوم القيمة وكذلك خطابه لمن حضره
قد علم لعادته ان من غاب عنه اذا كانوا بمنزلتهم انهم مخاطبون بمثل ذلك
لمعرفة المستمع ان حكم الشي حكم مثله وان النفس هنا لا يراد به التخصيص
بل التمثيل واما اذا كان احد الزوجين مع ساير العصبة فهنا لو اعطيت
ثلث الباقي لكان جعلا لذلك العاصب معها بمنزلة الاب وليس الامر
كذلك فان الاب في طبقتها فكان حكمها معه كحكم الذكر مع طبقته من الاناث واما
غير الاب فبعيد عنها والقران لا اعطاها الثلث مع الاب دل على انه مع غيره
من العصبة مثله والاولى من نقصانها والسدس لا سبيل اليه لما تقدم وقد دل
القران على انها مع الاخ الواحد من الاخوة لا تعطى السدس فلما ابطل اعطاها
السدس مع العصبة غير الاب وغير احد الزوجين او ثلث الباقي تعين الثلث

وكان

وكان اذا اعطيت الثلث مع ساير العصبة واحد الزوجين بمنزلة ان تعطاه
مع الاب وحده فان الاب وحده يحجب ساير العصبة وياخذ الثلثين
ومع احد الزوجين اعطاوها ثلث الباقي لياخذ الاب الثلثين الاخرين
اذ ليس هناك عصبة غيره اذ هو يحجبهم ومع غيره لو اعطيناها ثلث الباقي
لكان ذلك لياخذ ذلك العصبة الثلثين وليس ذلك له بل قد يكون
مع الام محجوبا لا ياخذ شيا بحال اذا كان معها اب او ابن فاذا كان
قد يكون معها محجوبا حجب حرمان فحجب النقصان اولى بخلاف الاب
فانه لا يحجب معها لا حجب حرمان ولا حجب نقصان فكان اعطاها مع
الاب الثلث اعطا لها مع غير الاب في ساير الاحوال بطريق الاولى اذ
لا حال هناك تستحق احد معها ان ياخذ مثلي ما ياخذ كما يستحق الاب
بعد ذلك فان قوله وورثه ابواه فلامه الثلث دل على ان لها الثلث والباقي
للاب بقوله وورثه ابواه فانه لما جعل الميراث ميراثا بينهما ثم اخرج نصيبها
دل على ان الباقي نصيبه واذا اعطي الاب الباقي معها لم يلزم ان يعطى
غيره مثل ما اعطي وانما اعطينا ساير العصبة بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وبقوله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون وبقول النبي صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما
بقي فلاولى رجل ذكر

فصل واما ميراث الاخوات مع البنات

وانهن عصبة كما قال جمهور الصحابة والعلما
فقد دل عليه القران والسنة ايضا فان قوله تعالى يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك
وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فدل على ان الاخت ترث النصف مع عدم

الولد وانه هو يرث المال كله مع عدم ولدها وذلك يقتضي ان
الاخت مع الولد لا يكون لها النصف مما ترك اذ لو كان كذلك لكان لها
النصف سواء كان له ولد او لم يكن فكان ذكر الولد تدليسا وعبثا مضرا
وكلام الله منزه عن ذلك وليس هذا من المفهوم الذي هو تخصيص
احد النوعين بالذكر بل هذا من باب تخصيص اللفظ العام وتقييده
مع ان الحكم يتناول جميع الصور والتخصيص بعد التعميم ليس بمنزلة
التخصيص المبتدا فان ذلك قد يقصد به ذكر ذلك النوع دون الاخر واما
ذكر الجنس الذي يعمهما مع ان الحكم يعمهما والحاجة داعية الى البيان التخصيص
الا الاختصاص بالحكم ومن هذا قوله تعالى ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك وقوله وان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه
الثلث واذا علم انها مع الولد لا ترث النصف فالولد اما ذكر واما انثى
اما الذكر فانه يسقطها كما يسقط الاخ بطريق الاولى بدليل قوله
وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فلم يثبت له الارث المطلق الا اذا لم يكن
لها ولد والارث المطلق هو حوز جميع المال فدل ذلك على انه اذا كان
لها ولد لم يحز المال بل اما ان يسقط واما ان ياخذ بعضه فيبقى اذا
كان لها ولد فاما ابن واما بنت والقران قد بين ان البنت انما
تاخذ النصف فدل على ان البنت لا تمنعه النصف الاخر اذا لم يكن
الا بنت واخ ولما كان فتيا الله انما هي في الكلالة والكلالة من
لا والد له ولا ولد علم ان من له ولد ووالد ليس هذا حكمه ولما كان

قد بين

قد بين تعالى ان الاخ يحوز المال مال الاخت فيكون لها عصبة كان
الاب ان يكون له عصبة بطريق الاولى واذا كان الاب والاخ عصبة فالابن
بطريق الاولى وقد قال الله تعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون فاذا كان قد جعل موالي واحدهم واحد مولى وهو الذي
يتولى المرء فيكون من مولاه يرث ماله ويكون من اولي الارحام الذين
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله اذا كان لكل احد قد جعل الله
عصبة يرث ماله مما ترك هو الوالدان والاقربون قال طايفة
من المفسرين اي من المال الذي والموالي هم الوالدان والاقربون
وموالي معنى ورثة والمعنى لكل جعلنا ورثة يرثن مما ترك هم الوالدان والاقربون
واذا كان قد جعل الله الوالدين والاقربين موالي فالبنون اولى ان يكونوا موالي
ولهذا لما كانوا في اول الامر انما يرث الرجل ولده فرض الله الوصية للوالدين والاقربين
فقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين
والاقربين فلما فرض الوصية لهما دل ذلك على ان الميراث للولد دونهما وكان
ذلك هو الحكم قبل نزول اية الفرايض فعلم ان الولد اولى من الابوين
وان كان الابن اولى ان يكون عصبة من الاب وايضا فانه سبحانه
قال كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
فاوجب الوصية للوالدين والاقربين لما كان لا يرث احدهم الا ولده فكان
ميراث الولد واخذ الاب مال ابيه كله امرا معروفا عندهم في الجاهلية

الولد

ففرض الله فرايض لمن سماه واما ارث الابن مال ابيه اذا لم يكن غيره فكان
من الاحكام الظاهرة الواضحة التي كانوا عليها في الجاهلية واقرهم عليها في
الاسلام ووكد ميراث الابن حتى ورث الابن سواء كان صغيرا او كبيرا وكذلك
ساير الورثة سوى بين الصغير والكبير وكانوا في الجاهلية او من كان منهم لا يرثون
الا الكبير ودل ايضا قول النبي صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فهو
لاولى رجل ذكر ان ما بقي بعد الفرايض فلا يرثه الا العصبة وقد علم ان الابن اقرب
ثم الاب ثم الجد ثم الاخوة وقضى النبي صلى الله عليه وسلم ان اولاد بني الام يتوارثون
دون بني العلات فالاخ للابوين اولى من الاخ للاب وابن الابن يقوم مقام
الابن وكذلك كل بني اب ادنى هم اقرب من بني الاب الذي هو اعلا واقربهم
الى الاب الاعلى هو اقرب الى الميت واذا استووا في الدرجة فمن كان لابوين
اولى ممن كان لاب فلما دل القران على ان للاخت النصف مع عدم الولد
وانه مع ذكور ولد يكون الابن عاصبا يحجب الاخت كما يحجب اخاها بقي
حال الاخت مع اناث الولد ليس في القران ما ينفي ميراث الاخت في هذه
الحال وانما ينفي ان يكون لها النصف مع الولد كما يكون مع عدم الولد
بقي مع البنت اما ان تسقط واما ان يكون لها النصف واما ان يكون عصبة
ولا وجه لسقوطها فانها تزاحم البنت واخوها لا يسقط فلا تسقط هي ولو
سقطت بمن هو ابعد منها من الاقارب والبعيد لا يسقط القريب
ولا يكون لها النصف فرضا كما يكون لها مع الزوج لان الله انما جعل لها

النصف

النصف معه اذا لم يكن لها ولد لانها كانت تساوي البنت مع اجتماعهما والبنت
اولى منها فلا تساويها ايضا فانه لو فرضها النصف لنقصت البنت عن
النصف اذا عالت الفريضة مثل زوج وبنت واخت فكان للزوج
الثلث ولكل منهما النصف فتعول فتنقص البنت عن النصف وكذلك
لو كان زوج كان له الربع فلو فرض للاخت النصف مع البنت لعالت
فنقصت البنت عن النصف والاخوة لا يزاحمون الاولاد بفرض
ولا تعصيب فان الاولاد اولى منهم والله انما اعطاها النصف اذا كان
الميت كلالة لا ولد ولا والد فمن لم ولد لا يفرض لها معه النصف فلما
بل سقوطها وفرضها لم يبق الا ان تكون عصبة اولى من العصبة البعيد
كالعم وابن العم وهذا قول الجمهور وقد دل عليه حديث البخاري
عن ابن مسعود لما ذكر ان ابا موسى وسلمان ابن ربيعة قالا في بنت وبنت
ابن واخت للبنت النصف وللاخت النصف وابن مسعود فانه يتابعنا
فقال لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين لاقضين فيها بقضاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم للبنت النصف وابنة الابن السدس تكملة الثلثين
وما بقي للاخت فاخبر ابن مسعود ان هذا قضاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدل ذلك على ان الاخوات مع البنات عصبة والاخت تكون
عصبة بغيرها وهو اخوها فلا يمتنع ان تكون عصبة مع البنت
فان البنت اقوى من اخ الميت ولهذا لم يعصبها بخلاف البنت
مع الابن فانها ليست اقوى من اخيها فلهذا عصبها وفي الثلث

ان معاذا اتى في بنت واخت فاعطى الاخت النصف والبنت النصف واما
قول النبي صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر فهذا
عام خص منه المعتقة والملاعنة واللقطة لقوله صلى الله عليه وسلم تحوز المراة ثلاث
مواريث عتيقها ولقيطها وولدها الذي لاعنت عليه واذا كان عاما مخصوصا
خصت منه هذه الصورة بما ذكر من الدلالة وان قيل قوله فلاولى
رجل ذكر انما هو في الاقارب الوارثين بالنسب قيل فالمنازع يقدم
المعتق على الاخت مع البنت وليس من الاقارب وهو صلى الله عليه وسلم
قال فلاولى رجل ذكر فذكر بالذكر ليبين ان العاصب المذكور هو الذكر
دون الانثى وانه لم يرد بلفظ الرجل ما يتناول الانثى كما في قوله ايما رجل وجد
متاعه ونحو ذلك مما يذكر فيه لفظ الرجل والحكم يعم النوعين المذكورين والاناث
وهذا قوله صلى الله عليه وسلم في فرايض صدقة الابل فان لم يكن فيها بنت مخاض
فابن لبون ذكر فذكر لفظ الذكر ليبين ان مراده بابن اللبون الذكر دون
الانثى وان الذكر يجري في هذه الحال دون ما اذا كانت فيها بنت مخاض
فان الفرض بنت مخاض ومما يبين صحة قول الجمهور ان قوله ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك انما يدل منطوقه على انها ترث النصف مع عدم الولد والمفهوم
انما يقتضي ان الحكم في المسكوت ليس مماثلا للحكم في المنطوق فاذا كان فيه تفصيل
حصل بذلك مقصود المخالفة فلا يجب ان يكون كل صورة من صور المسكوت
مخالفة لكل صور المنطوق ومن توهم ذلك في دلالة المفهوم فانه غاية
الجهل فان المفهوم انما يدل بطريق التعليل وبطريق التخصيص والحكم اذا ثبت

تفصل

بعلم

بعلة فانتفت جاز ان يخلفها في بعض الصور او كلها علة اخرى وقصد التخصيص
يحصل بالتفصيل وحينئذ فاذا نفى ارثها مع ذكور الولد حصل المقصود
بدليل الخطاب ولم يكن في الاية نفي ميراثها مع الانثى حجب ان يكون من اهل
الفرايض او من العصبة وهي موكونها من اهل الفرايض لكن لها التعصيب
في بعض الاحوال كما يكون عصبة مع اخواتها وعلى هذا التقدير فلا يكون
الحديث مخصوصا بل عمومه محفوظ وصار هذا كما لو كان معها اخوها
او كان البنين والبنات او الاخوات والاخوة احد الزوجين او لام فاما
ان يلحق الفرايض باهلها وما بقي لا يختص به ذكور الولد والاخوة بالنص
والاجماع فان الله تعالى قال وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل
حظ الانثيين بعد قوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
وقال تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف
ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد
وورثه ابواه فلامه الثلث فقد جعل لكل من الابوين السدس مع الولد
والباقي للولد واذا كانوا ذكورا واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين وهذا
متفق عليه بين المسلمين فدل ذلك على ان قوله فلاولى رجل ذكر انما يراد به
اذا لم يكن هناك من يكون عصبة بغيره وهو من اهل الفرض في بعض الاحوال
ولو اخذ بما بطن انه ظاهر الحديث لكان الباقي بعد الفرض لذكور الاخوة دون
الاخوات والبنين دون البنات وهذا باطل بالنص واجماع المسلمين فعلم انها اذا كانت عصبة

بغيرها لم يكن الباقي لاولى رجل ذكر ومعلوم ان اخاها اقرب من العم وابن
العم فاذا كان لا يسقطها بل يكون عصبة معه فلان لا يسقطها العم وابنه
بطريق الاولى والاحرى واذا لم يسقطها ورثه دونه لانه ابعد منها بخلاف ما اذا
وحينئذ فقول الحقوا الفرائض باهلها ان اريد به من لهم فرض في تلك المسألة
فقوله فما بقي فلاولى رجل ذكر خص منه الاقارب من يكون عصبة بغيرها والبنت في
هذه الصورة عصبة بغيرها فخص منه والمراد بالفرائض من هو من اهل
الفرائض في الجملة سواء كان لا يرث الا بفرض كالزوجين والام وولد الام
او كان يرث بفرض تارة وبتعصيب اخرى كالاب والبنات والاخوات فيراد
تعميم هذا الضرب وما بقي بعده فلاولى رجل ذكر فقد تناولها الحديث فان
العبرة اقسام فرض محض كالزوجين وولد الام والام وذو معصب محض كالبنين
والاخوة ومن يكون ذا فرض بنفسه وعصبة بنفسه كالابن والجد ومن يكون
ذا فرض وعصبة بغيره كالبنات والاخوات ومعلوم ان قول صلى الله عليه وسلم
الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر لم يرد به سقوط البنات والاخوات
اذا كن عصبة بغيرهن بل يرثن في هذه الحالة بالاجماع والاخوات مع البنات
كالاخوات مع اخوتهن فاذا لم ينفرد الرجل الذكر وهو اخوهن بل سقطهن
فان لا ينفرد من هو ابعد منه ويسقطهن بطريق الاولى ولهذا لم يوجد
قط احد يسقط مع عم وابن عم ومن هو ابعد منهما بل الابناء يرثون اما بفرض
واما بتعصيب حصل بغيرها وحينئذ فاذا كن مع البنات وجب ان يرثن
باحد هذين وقد تعذر الفرض فتعين التعصيب كما لو كان معها

اخوها

اخوها يبين ذلك ان جنس اهل الفرايض يقدمون على العصبات سواء كانوا
اهل فرض محض او كانوا مع ذلك تعصيب بانفسهم او بغيرهم والاخوات من جنس
اهل الفرايض فمن يرثن في حال بالفرض وفي حال يكن عصبة وهم مقدمون على
من لا يرث الا بالتعصيب المحض كالعم وابن العم فدل ذلك على ان الاخوات اولى
من هؤلاء ولا يجوز ان يستدل بهذا الحديث على حرمانهن مع البنات كما لا
يجوز ان يستدل به على حرمانهن مع اخوتهن بل ولا حرمان بنات الابن مع اخيهن
ومع ابن اخيهن اذا استعمل البنات الثلثين بل يعصب من في درجته ومن
هو اعلى منه عند الجمهور ولكن ابن مسعود ومن وافقه كابي ثور يقولون
انه لا تعصيب الا من يرث دونه لا يعصب من يسقط بدونه ودلالة الحديث
في هذه المواضع من جنس واحد فاما ان يقال هؤلاء كلهم من جنس
اهل الفرايض فانهن ممن يفرض لهن ليس بمنزلة العمة والخالة ونحوهما ممن
ليس له فرض مقدر واما ان يقال هو مخصوص وهذا الحديث قد روي بالفاظ
فمن جملة الفاظه اقسموا المال بين اهل الفرايض على كتاب الله فما بقي فلاولى رجل ذكر
وهذا اللفظ يتناول كل من كان من اهل الفرايض في الجملة وان عرض له حال
يكون فيها عصبة بغيره اذا لم يكن محجوبات بغيرهن كما يحجب بنات الابن
فالابن وما بقي بعده فلاولى رجل ذكر ليس المراد انه ما بقي بعد الفرايض المقدرة
لا بعطاء الارجل ولو قدر ان اللفظ يتناول هذا فعد منه صور كثيرة
بالنص والاجماع وهذه الصورة ادل

فصل

واما ميراث البنين فقد قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم
للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا

ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف فدل القران على ان البنت لها مع
اخيها الذكر الثلث ولها بانفرادها النصف ولما فوق اثنتين الثلثان
بقيت البنت فكان اذا كان لها مع الذكر الثلث لا الربع فان يكون
لها مع الاثنتين الثلث لا الربع اولى واحرى ولانه قال وان كانت واحدة
فلها النصف فقيد النصف بكونها واحدة فدل بمفهومه
على انه لا يكون لها الا مع هذا الوصف بخلاف قوله فان كن
نساء فوق اثنتين فانه لما ذكر ضمير كن ونساء وذكر جمع لم يمكن
ان يقال اثنتين لان ضمير الجمع لا يختص باثنتين ولان الحكم لا يختص
باثنتين فلزم ان يقال فوق اثنتين لانه قد عرف حكم الثنتين الثلثان
امتنع ان يكون للثنتين اكثر من الثلثين فلا يكون لهما جميع المال لكل
واحدة النصف فان الثلاثة ليس لهم الا الثلثان فكيف بما دون
الثلاثة ولا يكفيهما النصف لانه لها بشرط ان تكون واحدة
فلا يكون لها اذا لم يكن واحدة وهذه الدلالة تظهر من قراءة النصب
النصب وان كانت واحدة فانه هذا خبر كان تقديره فان كانت
بنتا واحدة اي مفردة ليس معها غيرها فلها فلا يكون لها ذكرا اذا كان
معها غيرها فانتفى النصف وانتفى الجميع فلم يبق الا الثلثان وهذه
دلالة من الآية وايضا فان اسلما قال في الاخوات وان كانت اثنتين
فلهما الثلثان مما ترك كان دليلا على ان البنتين اولى بالثلثين من الاختين
وايضا فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعطى ابنتي سعد بن الربيع الثلثين
وامهما الثمن وكان ما بقي وهذا اجماع لا يصح فيه خلاف عن ابن عباس وقال

في الاخوات

في الاخوات وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك لانه لم يذكر قبل ذلك
ما يدل على ان للواحدة مع اخيها الثلث وانما ذكر بعد ذلك بقوله
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين بخلاف ذلك
الآية فانه ذكر اولا ان للذكر مثل حظ الانثيين فتضمن حكمها مع
اخيها ثم ذكر حكم العدد من النساء بعد ذلك ودلت الآية الاولى على
ان حكم ما فوق الاثنتين حكم الاثنتين فكذلك قال في الاخوات وان
كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ولم يذكر ما فوقهما فانه اذا كانت
الثنتان يستحقان الثلثين فما فوقهما بطريق الاولى والاحرى بخلاف
آية البنات فانه لم يدل قول للذكر مثل حظ الانثيين الا على ان لها الثلث
مع اخيها واذا كن فوق اثنتين لم تستحق الثلث فصار بيانه في كل من
الآيتين من احسن البيان هناك لما دل الكلام الاول على ميراث البنتين دون
ما زاد على ذكر بين بعد ذلك ميراث ما زاد على البنتين وفي آية الصيف لما دل
الكلام على ميراث الاختين وكان ذكرها بطريق الاولى على ميراث
الثلثين والاربعة وما زاد لم يحتج ان يذكر ما زاد على الاختين فهناك
ذكر ما فوق البنتين دون البنتين وفي الآية الاخرى ذكر البنتين دون
ما فوقهما لما يقتضيه حسن البيان في كل موضع حيث هناك قد بين
ميراث البنتين دون ما فوقهما وكان هنا حكم بيان حكمهما ولم يجز
ان يكون للاخوات اكثر من الثلثين لان البنات اذا لم يكن لهن اكثر
من الثلثين فالاخوات بطريق الاولى ثم قال وان كانوا اخوة رجالا
ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين وان الا يذكر ان كانوا اخوة من الام

من جنس الرجال وجنس النسا يريدان يكونوا جمع رجل وجمع نسا فانه لو
كان رجل وامرأتين او امراة ورجلا او رجلان وامرأتان لكان ذكرهم كما لو كانوا
ثلاثة رجال وثلاث نسا وهذا باتفاق الناس ولو قيل الاخوة ثلاثة
فصاعدا لقيل فكذلك الرجال والنسا فيلزم ان يكون المعنى ستة
اخوة فصاعدا ولانا بينا حكم الاخت الواحدة والاخ الواحد وحكم
الغير فصاعدا فبقي بيان الاثنين فصاعدا من الصنفين ليكون
البيان مستوعبا للاقسام ولفظ الاخوة وسائر الفاظ الجمع قد يعنى به الجنس
من غير قصد لعدد لقوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم وقد يعنى به العدد من غير قصد لقدر منه فساوى الاثنين فصاعدا
وقد يعنى به الثلث فصاعدا وفي هذه الاية انما عنى به العدد مطلقا لان
بين الواحدة قيل الذكر ولان ما ذكره من الاحكام في الفرض فرق فيه
بين الواحد والعدد وسوى فيه بين مراتب العدد الاثنين والثلاثة والاربعة
وهذا ما يبين ان قوله وان كانوا اخوة فلامه السدس سيناول الاثنين والثلاثة
وقد صرح بذلك في قوله وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل
واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فقد سماهم جميعا اخوة
جمع وقوله اكثر من ذلك اي اكثر من اخ واخت ثم قال فهم شركاء في الثلث فذكرهم
بصيغة الجمع المضمر وهو قوله فهم والمظهر وهو قوله شركاء، ولم يذكر قبل ذلك الا
قوله واخ او اخت فذكر حال انفراد الواحد لاجتماعهما فدل على ان قوله
اكثر من ذلك اي اكثر من اخ واخت واعاد الضمير اليهم بصيغة الجمع في اية
الفرايض تناول العدد مطلقا الاثنين فصاعدا لقوله يوصيكم الله في اولادكم

وقوله وان كان له اخ او اخت اخوة فلامه السدس وقوله وان كانوا اخوة رجالا
ونساء ثم هذه الصيغة تصلح لذلك وان كان انما يراد بها الثلاثة فصاعدا
في موضع اخر وان قيل ان ذلك هو الاصل فصيغة الجمع قد تختص
في الشيء فيما كان مضافا الى شيء وليس فيه الا واحد منه كقوله قد صغت قلوبكما
ولا يحتمل الا قلبين فهذا يختص بالاثنين وعدل فيه عن لفظ الاثنين
الى لفظ الجمع للخفة وعدم اللبس فانه قد علم ان لكل واحدة قلب فصار
استعمال لفظ الجمع في الاثنين مع البيان هو لغة القوم ومنه قوله والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما ولم يقل يديهما فاذا كانت الصيغة تختص بالاثنين
في الموضع المبين لم يقل احد انها عند الاطلاق انما تتناول الثلاثة فصاعدا
وليس شيء من ذلك مجاز بل كله من الموضوع في لغتهم انما وضع لثلاثة
فصاعدا او لاثنين فصاعدا بل وضع الثلاثة فصاعدا في موضع
والاثنين فصاعدا في موضع والاثنين فقط في موضع وكل من وضع العرب
والقرينة هاهنا وضع العرب واذا كانت القرينة موضوعة كانت
بمنزلة ما يقترن بالفعل المفعول به ومعه وله والطرفين والحال
والتمييز وما يقترن باللفظ من الصفة وعطف البيان وعطف النسق
والاستثناء والشرط والغاية وغير ذلك مما يقيد مطلقه ويكون مانعا
له من العموم موجبا لاختصاصه ببعض ما يدخل فيه عند عدم تلك
القيود فان هذا كله مما وضعته العرب اجناسه كما وضعته رفع الفاعل
ونصب المفعول به وخفض المضاف اليه

فصل

واما الجدة فكما قال الصديق

يختص بالاثنين فلذلك يستعمل في الاثنين فصاعدا
في الموضع المبين وان كانت عند الاطلاق صح

ليس لها في كتاب الله شيء فان الام المذكورة في كتاب الله مقيدة بقيود توجب
اختصاص الحكم بالام الدنيا فالجدة وان سميت اما لم تدخل في لفظ الام المذكورة
في الفرايض فادخلت في لفظ الامهات في قوله حرمت عليكم امهاتكم ولكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعطاها السدس فثبت ميراثها بسنته ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم
لفظ عام في الجدات بل ورث الجدة التي الله يفعله فلما جاءت الثانية اي ابي بكر
جعلها شريكة الاولى في السدس وقد تنازع الناس في الجدات فقيل لا يرث الا اثنتين
ام الام وام الاب كقول مالك وابي ثور وقيل لا يرث الا ثلاثة هاتان وام الجد
لما روى ابراهيم النخعي ان النبي صلى الله عليه وسلم ورث ثلاث جدات جدتيك من
من قبل ابيك وجدتك من قبل امك وهذا مرسل حسن فان مراسيل
ابراهيم من احسن المراسيل فاخذ به احمد ولم يرد في النص الا توريث هؤلاء
وقيل بل يرث جنس الجدات المدليات بوارث وهو قول الاكثرين
كابي حنيفة والشافعي وغيرهما وهو وجه في مذهب احمد وهذا القول
ارجح لان لفظ النص وان لم يرد في كل جدة فالصديق لما جاءته الثانية قال
لها لم يكن السدس التي اعطى الا لغيرك ولكن هو لكن فان يكن خلت به
فهو لها فورث الثانية والنص انما كان في غيرها ولانه لا نزاع ان من علت
بالامومة ورثت فترث ام الاب وام ام الام بالاتفاق فيبقى ام ابي الجد
اي فرق بينها وبين ام الجد وان فرق بين ام الاب وام الجد ومعلوم ان
ابا الجد يقوم مقام الجد بل هو جد اعلى وكذلك الجد كالاب فاي وصف
يفرق بين ام ام الاب وام ابي الجد يبين ذلك ان ام ام الميت وام ابيه

ام صح

الجد

ما ليس

بالنسبة اليه سواء فكذلك ام ام ابيه وام ابي ابيه بالنسبة الى ابيه سوا وام ابي جده
وام جد جده بالنسبة الى جده سوا واذا كانت هاتان مشتركتان
في الميراث ونسبة ثنتيك اليه كنسبة هاتين وجب اشتراكهما في الميراث
وايضا فهولاء جعلوا ام ام الام وان زادت امومتها ترث وام ابي الاب
لا ترث ورجحوا الجده من جهة الام على الجده من جهة الاب وهذا ضعيف
فان جدة ام ابيه لم تكن مثل ام امه لم تكن ادنى منها فانها تدلي بعصبة
وبنت الابن ادلا به من بنت البنت فلم تكن ام الام اولى به من ام الاب
ونظير هذا في الحضانة فانهم متنازعون هل ام الام اولى من ام الاب
على قولين هما روايتان عن احمد واصل الحضانة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قدم الام على الاب لكن هل قدمها لكونها انثى فهي احق بالترب من الاخس
الذكر ام لكون جهة الامومة احق من جهة الابوة فان كان الاول
لم يقدم ام الام بل ام الاب لانهما يشتركان في الانوثة وامتازت تلك لانها
من نساء العصبة والحضانة لرجال العصبة دون رجال الام وان كانت
لجهة الام فقدمت ام الام وهذا مخالف لاصول الشرع فان اقارب
الام لم يقدموا في شي من الاحكام بل اقارب الاب اولى من اقارب الام في
جميع الاحكام فكذلك في الحضانة وكذلك في الميراث الجده ام الاب ان
لم تكن اولى من ام الام لم تكن دونها والصحيح انها لا تسقط بابنها اي الاب
كما اظهر الروايتين عن احمد لحديث ابن مسعود ولانها وان ادلت
به فهي لا ترث ميراثه بل هي مع كولد الام مع الام لما ادلوا بها ولم يرثوا ميراثها

فهي

لم يسقطوا بها وقول من قال من ادلى بشخص سقط به باطل طردا وعكسا باطل
طردا بولد الام مع الام وعكسا بولد الابن مع عمهم وولد الاخ مع عمهم وامثال
ذلك مما فيه سقوط شخص بمن لم يدل به وانما العلم انه يرث ميراثه فكل من ورث
ميراث شخص سقط به اذا كان اقرب منه والجدات يقمن مقام الام فيسقطن
بها وان لم يدلن بها **فصل واما** كون بنات الابن مع
البنت لهن السدس تكملة الثلثين وكذلك الاخوات من الاب مع اخت الابوين
فلان الله قال يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وان كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وقد علم ان الخطاب تناول ولد البنين
دون ولد البنات وان قوله اولادكم يتناول من ينسب الى الميت وهم ولده
وولد بنته وانه متناولهم على الترتيب يدخل فيه ولد البنين عند عدم
ولد الصلب لما قد عرف من ان ما ابقت الفروض فلاولى رجل ذكر والابن
اقرب من ابن الابن فاذا لم يكن الا بنت فلها النصف وبقي من نصيب البنات
السدس فاذا كان هنا بنات ابن فهن يستحقن الجميع لولا البنت فاذا
اخذت النصف فالباقي لهن وكذلك في الاخت مع الابوين مع اخت
من الاب اخبر ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى للبنت بالنصف
ولبنت الابن سدس تكملة الثلثين واما اذا استكمل البنات الثلثين لم
يبق فرض فان كان هناك عصبة من ولد البنين فالمال له لانه اولى رجل
ذكر وان كان معه او فوقه بنت عصبها عند جمهور الصحابة والعلماء كالاربعة
وغيرهم واما ابن مسعود فانه يسقطها لانها لا ترث مفردة فلا ترث
مع اخيها كالمحجوبة برق او كفر والجمهور يقولون وارثة بالجملة وهي ممن

يكون

يكون عصبة باخيها وهنا ان سقط ميراثها بالفرض لاستكمال الثلثين
واذا سقط الفرض لم يلزم سقوط التعصيب مع قيام موجبه وهو
وجود اخيها واذا كان وجود الاخ يجعلها عصبة فيحرمها وان
ورثت بالفرض كما في الاخ المشوم فكذلك يجب ان يجعلها عصبة فتورثها
اذا لم ترث بالفرض والنزاع في الاخت للاب مع اخيها اذا استكمل البنات
الثلثين فالجمهور يجعلون البنات عصبة مع اخوتهن يقتسمون
النصف الباقي للذكر مثل حظ الانثيين سواء زاد ميراثهن بالتعصيب
او نقص وتورثهن هذا اقوى وقول ابن مسعود معروف في نقصانهن

فصل في من عمي موتهم

فلم يعرف ايهم مات اولا فالنزاع مشهور فيهم والاشبه باصول
الشريعة ان لا يرث بعضهم من بعض بل يرث كل واحد ورثته الاحيا
وهو قول الجمهور وهو قول في مذهب احمد لكنه خلاف المشهور في مذهبه
وذلك لان المجهول كالمعدوم في الاصول بدليل الملتقط لما جهل
حال المالك كان المجهول كالمعدوم فصار مالكا لما التقطه لعدم العلم
بالملك وكذلك المفقود قد اخذ احمد باقوال الصحابة الذين جعلوا
المجهول كالمعدوم فجعلوها زوجة الثاني ما دام الاول مجهولا باطنا
وظاهرا كما في اللقط فاذا علم صار النكاح موقوفا لانه فرق بينه وبين
امراته بغير اذنه لكن تفريقا جايزا فصار ذلك موقوفا على اجازته
ورده فيخير بين امراته والمهر فان اختار امراته كانت زوجته وبطل نكاح الثاني

بنفس ظهور هذا واختياره امرأته ولم يحتج الى الطلاقة فان لم يختر ها بقيت زوجة الثاني
وكان للاول المطالبة بالمهر الذي هو عوض خروج بعضها من ملكه بغير امره ولم يحتج
ذلك الى انشاء نكاح الثاني فلها ثلاثة احوال حال الجهل بالاول فهي زوجة الثاني باطنا وظاهرا
وحال اختيار الاول لها فتعود زوجته باطنا وظاهرا وحال ظهوره قبل اختياره فالامر
موقوف كالنكاح الموقوف والمقصود هنا ان احمد اتبع الصحابة الذين جعلوا
المجهول كالمعدوم وهنا اذا كان احدهما قد مات قبل الاخر فذاك مجهول والمجهول
كالمعدوم فيكون تقدم احدهما على صاحبه الاخر معدوما فلا يرث احدهما من
صاحبه وايضا فالميراث جعل الحي يكون خليفة للميت ينتفع بماله فاذا ماتا على هذه الحالة
لم يكن انتفاع احدهما بمال الاخر باولى من العكس وجعل كل منهما وارثا موروثا مناقضا
لمقصود الارث فان كونه وارثا يوجب ان يكون حيا يخلف غيره وكونه موروثا
يوجب ان يكون ميتا مخلوفا فكيف يحكم بحكمين متناقضين في حال واحدة وكما
انهم لم يورثوه الا من المال دون ما ورثه لئلا يلزم الدور فيجب ان لا يورثوه مطلقا لئلا
يلزم الدور في نفس الموت لا في عين الموروث واما اذا عاش احدهما بعد الاخر ولو لحظة
فانه بمنزلة الطفل اذا استهل ثم مات فيثبت له حكم الحياة المعلومة فاستحق الارث
بخلاف من لا يعلم حياته بعد الاخر فان شرط الارث وهو العلم بحياته بعده
منتف فلا يجوز توريثه منه وهذا يستفاد من جعل الله هذا وارثا والوارث لا
يكون الا من عاش بعد الموروث وهذا غير معلوم فلا يثبت الارث فان الجهل بالشرط
بمنزلة عدمه كما قلنا في الربويات الجهل بالتساوي كالعلم بالتفاضل فالجهل بالتقدم كالعلم
بعدم التقدم والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وال
وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة الا بالله

لا قال ذا وكتبه من على الهدى معتمده

محمد بن حمد بن نصر الله غفر الله له
ولوالديه ولمن دعا له
وجميع المسلمين
امين


شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الكلام على اية الربا لشيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في اية الربا قال الله تعالى

الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة
من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون الى قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم
مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم
فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة
وان تصدقوا خير لكم الى قوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قوله فله
ما سلف اي مما كان قبضه من الربا جعله له وامره الى الله قد قيل الضمير
يعود الى الشخص وقيل الى ما وبكل حال فالاية تقتضي ان امره الى الله لا
الى الغريم الذي عليه الدين بخلاف الباقي فان الغريم يطلب اسقاطه كما قال
يا ايها الذين اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين وان تبتم فلكم رؤس
اموالكم اي ذروا ما بقي من الزيادة في مم الغرما وان تبتم فلكم راس المال من غير زيادة
فقد امرهم بترك الزيادة وهي الربا فيسقط عن ذمة الغريم ولا يطالب بها
وهذه للغريم فيها حق الامتناع من ادائها والمخاصمة على ذلك وابطال الحجة
المكتتبة بها واما ما كانت قبضه فقد قال فله ما سلف وامره الى الله فاقتضى
ان السالف له للقابض وان امره الى الله وحده ليس للغريم فيه امر وذلك انه

لما جاءه موعظة من ربه فانتهى كان مغفرة ذلك الذنب والعقوبة على الله
وهذا قد انتهى في الظاهر فله ما سلف وامره الى الله ان علم من قلبه صحة التوبة غفر له
والا عاقبه ثم قال اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فامر بترك الباقي ولم
يامر برد المقبوض وقالوا ان توبتم فلكم رؤس اموالكم لا تشترط منها ما قبض وهذا
الحكم ثابت في حق الكافر اذا عامل في قرية ربا واسلم بعد القبض وتحاكما الينا
فانما قبضه بحكم اباحته كسائر ما قبضه الكفار بالعقود التي يعتقدون حلها
كما لو باع خمرا وقبض ثمنها ثم اسلم فان ذلك يحل له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من
اسلم على شيء فهو له واما قبل ثلاثة احوال تارة يعتقد حل بعض الانواع
باجتهاد او تقليد وتارة يعامل بجهل ولا يعلم ان ذلك ربا محرم وتارة يقبض
مع علمه بان ذلك محرم اما الاول والثاني ففيه قولان اذا تبين له فيما بعد ان
ذلك ربا محرم فهل يرد ما قبض كالغاصب وقيل لا يرده وهو اصح لانه
كان يعتقد ان ذلك حلال والكلام فيما اذا كان مختلفا فيه مثل الحيل
الربوية فاذا كان الكافر اذا تاب يغفر له ما استحله وسبق له ما قبضه فالمسلم
المتأول اذا تاب يغفر له ما استحله وسبق له ما قبضه لان المسلم ان تاب اولى
ان يغفر له ان كان قد اخذ باجتهاد قولي العلماء في حل ذلك فهو في تأويله عذر
من الكافر في تأويله واما المسلم الجاهل فهو بعد لكن ينبغي ان يكون كذلك
فليس هو شر من الكافر وقد ذكر فيما يترك المسلم الجاهل من الواجبات التي لم تعرف
وجوبها هل عليه قضاء قولان اظهرهما انه لا قضاء عليه واصل ذلك ان حكم
الخطاب هل يثبت في حق المسلم قبل بلوغ الخطاب فيه قولان في مذهب
احمد وغيره واحمد روايتان فيما اذا صلى في معاطن الابل او صلى وقد اكل لحم

الجزور

الجور ثم تبين له النص هل يعيد على روايتين وقد نصرت في موضع انه لا يعيد وذكرت
على ذلك دلالة معتمدة منها عمرو وعمارا لما كانا جنبين ولم يصليا ولم يأمرهما النبي صلى الله
عليه وسلم بإعادة ومنها ابو ذر لم يأمره ايضا بالاعادة ومنها المستحاضة التي قال
منعتين الصوم والصلاة ومنها الاعرابي المسيء في صلاته الذي قال والذي بعثك بالحق لا احسن
غير هذا امره ان يعيد الصلاة الحاضرة لان وقتها باق وهو ما امر به ولم يأمره
باعادة ما صلى قبل ذلك ومنها الذين اكلوا حتى تبين لهم الخيط الابيض والاسود
ولم يؤمروا بالاعادة والشريعة امر ونهي فاذا كان حكم الامر لا يثبت الا بعد
بلوغ الخطاب وكذلك النهي فمن فعل شيئا لم يعلم انه محرم ثم علم لم يعاقب واذا عامل
معاملات ربوية يعتقد اباحتها وقبض منها ما قبض ثم جاءه موعظة
من ربه فانتهى فله ما سلف ولا يكون شيء من الكافر ولو كان قد باع خمرا
او خنزيرا او كلبا لم يعلم انها حرام وقبض ثمنها وسره لما باع وقبض ثمنها
قال عمر قاتل الله سمرة الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اذا حرم على
قوم اكل شيء حرم عليهم ثمنه وكانوا يقبضون الخمر جزية عن اهل الذمة
ثم يبيعونها اياها فقال عمر ولوهم بيعها ثم خذوا ثمنها وما قبضه سمرة لم يذكر
ان عمر امر برده وكيف يرده وقد اخذوا الخمر ولا نهاهم عن الانتفاع به
وذكر ان هذا الذي قبضه قبل ان يعلم انه محرم لا اثم عليه في قبضه فانه لم
يكن يعلم انه محرم والكافر اذا عفر له قبضه لكونه قد تاب فالمسلم اولى بطريق
الاولى والقرآن يدل على هذا بقوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وهذا
عام في كل من جاءه موعظة من ربه فقد جعل الله ما سلف ويدل على ان ذلك ثابت

في حق المسلم بعد هذا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا فامرهم
بترك ما بقي ولم يأمرهم برد ما قبضوه فدل على انه لهم قال فله ما سلف وامره الى الله
والله يقبل التوبة عن عباده فاذا قيل هذا مختص بالكافرين قيل
ليس في القرآن ما يدل على ذلك لما قال فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى وهذا
يتناول المسلم بطريق الاولى وعائشة قد دخلت في المسلم في قصة زيد
ابن ارقم لما قالت لام ولده بئس ما شريت وبئس ما اشتريت اخبري زيدا انه قد
حبط جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يتوب فقالت يا ام المؤمنين
ارايت ان لم اخذ الا راس مالي فقالت عائشة فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى
فله ما سلف وامره الى الله وقد يقال ان هذا يتناول من كان يعلم التحريم
اذا جاءته موعظة من ربه فانتهى فان الله يغفر لمن تاب بتوبته فيكون ما مضى
من الفعل وجوده كعدمه والاية تتناوله فله ما سلف وامره الى الله وهذا يدل
على ذلك قوله بعد هذا يا ايها الذين اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين
الى قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم والتوبة تتناول المسلم العاصي كما تتناول الكافر
والاخلاق الذي عامله بربا يحرم بالاجماع لم يقبض منه شيئا ثم تاب
لم يأخذ الا راس ماله فالاية تناوله وقد قال فيها اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ولم
يأمر برد المقبوض بل قال قبل ذلك فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى
فله ما سلف وهذا وان كان ملحوظا على ما اكله وكله فاذا تاب غفر الله
ثم المقبوض قد يكون تجر فيه وتقلب وقد يكون اكله ولم يبق منه شيء وقد يكون
باقيا فان كان قد ذهب وجعل حيا عليه كان في ذلك ضرر عظيم

وهذا

وكان هذا مغفرا عن التوبة وهذا الغرم يكفيه احسانا الى اسقاط ما بقي
في ذمته وهو برضاه اعطاه وكلاهما ملعون ولو فرض انه رجلا امر رجلا
باتلاف ماله واتلفه لم يضمنه وان كانا ظالمين وكذلك اذا قال اقبل قدر
هذا هو الصحيح وهو المنصوص عن احمد وغيره فكذلك هذا هو سلط اذا
على اكل هذا المال برضاه فلا وجه لتضمينه وان كانا اثمين كما لو اتلفه بفعله
اذ الفرق بين ان يتلفه باكله او باحراقه بل اكله خير من احراقه فان لم
يضمنه في هذه بطريق الاولى وايضا فكثير من العلما يقولون ان السارق
لا يغرم ليلا يجتمع عليه عقوبتان من ان الحد حقه والمال حق الادمي وهذا
اول لان لا يجتمع على المرء عقوبتان اسقاط ما بقي والمطالبة بما اكل وان
كان عين المال باقيا فانه لم يقبضه بغير اختيار صاحبه كالسارق الغاصب
بل قبضه باتفاقهما ورضاهما بعقد من العقود وهو لو كان كافرا ثم اسلم
لم يرده وقد قال تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله
وقد قال لا يكون لواحد منهما كما لو كان ثمن خمر او مهر بغي او حلوان كاهن
فان هذا اذا تاب لا يعيده لا لصاحبه بل يتصدق به في اظهر قولي العلما
وكذلك لو استاجر رجلا لحمل خمر نص عليه احمد على انه لا يقضي له بالكراء
ولا باكله لان الحمل عمل مباح فيستحق اجرته ولكن لقصد المستاجر لا باكله
وكذلك لو باع عنبا او عصيرا ممن يتخذه خمرا فانه يقضي له بالثمن بلا ريب
اذ بعقد رد البيع والعصير ولا يقول عاقل ان الذي يحفظ العنب
وعصر خمرا يعطى مع ذلك الثمن لكن غايته ان يقال ان هذا يتصدق بالثمن //

فان قيل مثل هذا في الربا قياسا على هذا فقد يقال هنا
هنا التحريم لحق الله لان نفس عوض الخمر محرم وهناك التحريم لما فيه من ظلم الادمي وان
كان لو رضي به لم يجز لانه سفيه في ذلك وايضا ففي رده عليه تسليط لمن
يحتال على الناس بان ياخذها بعقود ربوية فينتفع بها ثم يطالبهم بما
قبضوه وقد انتفع براس ماله مدة بغير رضاهم فانهم لم يعطوه فرضا وهذه
المسئلة تحتاج الى نظر وتحقيق واما الذي لا ريب فيه عندنا فهو ما قبضه
بتاويل او جهل فهنا له ما سلف بلا ريب كما دل عليه الكتاب والسنة والاعتبار
واما مع العلم بالتحريم فيحتاج الى نظر فانه قد يقال طرد هذا ان من اكتسب
مالا من ثمن خمر مع علمه بالتحريم فله ما سلف وكذلك من كسب مالا محرما ثم تاب
اذا كان برضا الدافع ويلزم مثل ذلك في مهر البغي وحلوان الكاهن وهذا
ليس ببعيد عن اصول الشريعة فانها تفرق بين التايب وغير التايب
كما في قوله فمن جاءه موعظة من ربه فله ما سلف وقال قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف وهذه في الكفار ظاهر متواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم
متفق عليه بين المسلمين فان الكافر اذا اسلم لم يجب عليه قضا ما تركه
من صيام وصلاة وزكاة ولا يحرم ما اكتسبه من الاموال التي كان يعتقدها
حلالا ولا ضمان عليه فيما اتلفه لكنه كان يعتقد حل ذلك واما المسلم اذا
تاب ففي قضا الصلاة والصيام نزاع ومما يقوي هذا ان هذا المال لا
يتلف بلا نزاع بل اما ان يتصدق به واما ان يدفع الى الزاني والشارب
الذي اخذ منه مع كونه مصرا واما ان يجعل لهذا القابض التايب فاذا دفعه

الزاني

الزاني والشارب فلا يقوله من يتصور ما يقول وان كان من الفقها من
يقوله فان في هذا فسادا مضافا فان ذلك كان ممنوعا من الشرب والزنا
ولو بدل العوض فاذا كان قد فعله بعوض واليه اليه العوض كان ذلك زيادة
اعانة له واعزاله بالسيات واما الصدقة فهي اوجه لكن يقال هذا الباب احق به
من غيره من الفقرا ولا ريب ان هذا الباب فقيرا فهو احق به من غيره من الفقرا
وبهذا افتيت غير مرة اذا كان التايب فقيرا ياخذ منه حاجته فانه
احق به من غيره وهو اعانة له على التوبة وان كلف اخراجه تضرر
غاية الضرر ولم يتب ومن تدبر اصول الشرع علم انه يتلطف بالناس
في التوبة بكل طريق وايضا فلا مفسدة في اخذه فان المال قد اخذه
وخرج عنه عن حكم صاحبه وعينه ليست محرمة وانما حرم
لكونه استعين به على محرم وهذا قد غفر بالتوبة فيحل له مع الفقر بلا
ريب واخذ ذلك له مع الغنى وجه وفيه تيسير التوبة على من كسب مثل
هذه الاموال واما الربا فانه قبض برضا صاحبه والله سبحانه يقول
فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف ولم يقل فمن اسلم ولا من
تبين له التحريم بل قال فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى والموعظة تكون لمن علم
التحريم اعظم مما يكون لمن لم يعلمه قال الله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا وقال اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وايضا فهذا وسط بين الغريمين فان الغريم

المدين ينبغي ان يسقط عنه الزيادة وهذا عنده غاية السعادة وذاك
لانه ينبغي ان يبقى له ما قبض وقد عفى الله عما مضى واما تكليف هذا اعادة القرض
فذاك مثل مطالبة الغريم بما بقي وكلاهما فيه شطط وشدة عظيمة فهذا هو الربا

فصل في الربا قد تبرت الربا مرات عودا

على بدء وما فيه من النصوص والمعاني والآثار فبتيين لي ولا حول ولا قوة
الا بالله بعد استخارة الله ان اصل الربا هو النسا مثل ان يبيع الدراهم
الى اجل باكثر منها ومثل ان يوخر دينه ويزيده في المال وهذا هو الربا
الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وقد سئل احمد بن حنبل عن الربا الذي لا
شك فيه فذكر هذا وهو ان يكون لرجل دين فيقول له اتقضي ام تربي فان
لم يقضه زاده في المال وزاده هذا في الاجل فيربوا المال على المحتاج من
غير نفع يحصل له ويزيد مال المرتبي من غير نفع يحصل منه للمسلمين فهذا
حرمه الله لان فيه ضرر المحتاج وفيه اكل المال بالباطل وقد كان
من العلما المشهورين في زماننا غير واحد يقولون لا نعرف في جملة محرم الربا
وذلك انهم نظروا في جملة ما يحرم فلم يروا فيه مفسدة ظاهرة والتحقيق
ان الربا نوعان جلي وخفي فالجلي حرم لما فيه من الضرر والظلم والخفي حرم
لانه ذريعة الى الجلي فربا النسا من الجلي فانه يضر بالمحتاج ضررا عظيما
ظاهرا وهذا مجرب والغني ياكل اموال الناس بالباطل لان ماله ربا من غير نفع
حصل للخلق ولهذا جعل الله الربا ضد الصدقات فقال يمحق الله الربا ويربي الصدقات وقال

الجلي

وما اثيم

وما اوتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربو عند الله وما اتيتم من
زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وقال لنبيه في اول ما نزل عليه
ولا تمنن تستكثر وقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة
الايات الى قوله والله يحب المحسنين فنهى عن الربا الذي فيه ظلم الناس وامر
بالاحسان الى الناس المضاد للربا وفي الصحيحين عن ابن عباس عن اسامة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الربا في النسيئة وهذا الحصر يراد به حصول
الكمال فان الربا الكامل هو في النسيئة كما قال ابن مسعود انما العالم الذي
يخشى الله وكما قال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله الاية ومثل ذلك
كثير فاما ربا الفضل فانما نهى عنه لسد الذريعة كما في المسند مرفوعا الى
النبي صلى الله عليه وسلم من حديث سعيد لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فاني
اخاف عليكم الربا والربا هو الربا وقد تنازع السلف والخلف في ربا
الفضل فطائفة من السلف اباحته ولم تحرم منه شيئا وهذا مشهور
عن ابن عباس وهو مروي عن ابن مسعود ومعاوية بل قد روي عنه
انه باع المصوغ الى اجل ولسبب ذلك فارقه عبادة ابن الصامت وذهب
الى عمر رضي الله عنه شاكيا منه ويروي عبادة حديث النبي صلى الله عليه وسلم
في الاصناف الستة وقد قيل كانوا في غزوة قبرص وليس كذلك
فان قبرص انما غزاها معاوية في خلافة عثمان باتفاق الناس
وكانوا قد استاذنوا عمر فيها فنهاه لاجل ركوب البحر ثم استاذنوا

عثمان فاذن لهم وفيها توفت ام حرام بنت ملحان وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه
الغزاة وبها احتجوا على جواز الغزو في البحر مع ذكره غزو البحر في حديث لكن سكوى
عبادة الى عمر قد كان قبل ذلك في بعض المغازي فان معاوية فتح قيسارية
وكانت مدينة بالساحل عظيمة ولعل النزاع كان فيها وقد غنم المسلمون
آنية من ذهب وفضة فصار في الخمس منها ما صار فباعهم معاوية ذلك
الى العطا فصار بيع الاناء الذي وزنه عشرون درهما بثلاثين درهما لاجل صيغته
والناس رغبوا في ذلك لانه الى العطا موخر عنهم وياخذون ذلك الساعة
وينتفعون بها فانكر ذلك عبادة وتقاول هو ومعاوية في ذلك والقصة
مشهورة ولما انكر ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة ذلك على ابن عباس
روى ابو سعيد حديث خيبر لما قال له وكيله انما نبتاع من التمر الجنيب
وهو جيد التمر بالصاعين من الجمع وهو المخلوط فقال اوه عين الربا ولكن
بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا وقال في الميزان مثل ذلك ثم اتفق
الناس على تحريم ربا الفضل في الاعيان الستة التي جاءت بها الاحاديث
وهي من افراد مسلم من حديث عبادة وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذهب
بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا
بمثل سوا بسوا يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا حيث شئتم اذا كان
يدا بيد وتنازعوا فيما سوى ذلك على اقوال فطايفة لم تحرم ربا الفضل
في غيرها وهذا ماثور عن قتادة وهو قول اهل الظاهر وابن عقيل في اخر

مصنفاته

عثمان فاذن لهم وفيها توفت ام حرام بنت ملحان وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه
الغزاة وبها احتجوا على جواز الغزو في البحر مع ذكره غزو البحر في حديث لكن شكوى
عبادة الى عمر قد كان قبل ذلك في بعض المغازي فان معاوية فتح قيسارية
وكانت مدينة بالساحل عظيمة ولعل النزاع كان فيها وقد غنم المسلمون
آنية من ذهب وفضة فصار في الخمس منها ما صار فباعهم معاوية ذلك
الى العطا فصار بيع الانا الذي وزنه عشرون درهما بثلاثين درهما لاجل صيغته
والناس رغبوا في ذلك لانه الى العطا موخر عنهم وياخذون ذلك الساعة
وينتفعون بها فانكر ذلك عبادة وتقاول هو ومعاوية في ذلك والقصة
مشهورة ولما انكر ابو سعيد الخدري وغيره من الصحابة ذلك على ابن عباس
روى ابو سعيد حديث خيبر لما قال له وكيله انما نبتاع من التمر الجنيب
وهو جيد التمر بالصاعين من الجمع وهو المخلوط فقال اوه عين الربا ولكن
بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا وقال في الميزان مثل ذلك ثم اتفق
الناس على تحريم ربا الفضل في الاعيان الستة التي جاءت بها الاحاديث
وهي من افراد مسلم من حديث عبادة وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذهب
بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا
بمثل سوا بسوا يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا حيث شئتم اذا كان
يدا بيد وتنازعوا فيما سوى ذلك على اقوال فطايفة لم تحرم ربا الفضل
في غيرها وهذا ماثور عن قتادة وهو قول اهل الظاهر وابن عقيل في اخر

مصنفاته

مصفاته ترجح هذا القول مع كونه يقول بالقياس فالان على القياس في
مسئلة الربا على ضعيفه واذا لم يظهر فيه علة امتنع القياس وطائفة
حرمت في كل مكيل وموزون كما روي عن عمار بن ياسر وبه اخذ احمد بن حنبل
في المشهور عنه وهو قول ابي حنيفه وغيره وطائفة حرمت في الطعام
وان لم يكن مكيلا وموزونا كقول مالك فيه واحمد في رواية وطائفة لم تحرم
الا في المطعوم اذا كان مكيلا او موزونا وهذا قول سعيد بن المسيب وان في
في قول واحمد في الرواية الثالثة اختارها الشيخ ابو محمد وهو قريب من قول
مالك القوت وما يصلح القوت وهذا القول ارجح الاقوال وقد حكي عن
بعض المتاخرين انه يحرم في جميع الاموال لكن هذا ما علمت به قائلا
من المتقدمين فنقول اما الدراهم والدنانير فالعلة فيهما الثمن بدليل
يجوز استقراضها في الموزونات لم تبع حاله تضر الناس بل حينئذ لابتياع
الا بزيادة فيها فيضر الناس بخلاف بيعها بالدراهم فان من عنده صنف
منها هو محتاج الى الصنف الاخر فيحتاج ان يبيعه بالدراهم ليشتري به
الصنف الاخر او يبيعه بذلك الصنف بلا ربح وعلى التقديرين يحتاج
ان يبيعه حالا بخلاف ما لو اكله التاخر فانه يمكنه ان يبيعه بفضل
ويحتاج ان يشتري الصنف الاخر بفضل لان صاحب ذلك الصنف
ربما علية كما ان هو على غيره فيتضرر هذا ويتضرر هذا بتضرر
من تاخر هذا ومن تاخر هذا فكان في النساء فيها ضرر عاما
فنهي عن بيع بعضها ببعض نسا وهذا من ربا النسيئة وهو اصل الربا

لكن هنا النسيئة في صنفين معللين وهو كبيع الدراهم بالدنانير وهذا من
ربا النسيئة وهذا اصل مما ثبت تحريمه بالنص والاجماع فربا النسا يكون في
الصنف الواحد وفي الصنفين الذين مقصودهما واحد كالدراهم مع
الدنانير وكالاصناف الاربعة التي هي قوت الناس واما ربا الفضل فاذا باع
حنطة بحنطة خير منها مد بمدين كان هذا تجارة فيها ومن سوغ
التجارة فيها نقدا طلبت النفوس التجارة فيها نسا كما تقدم في النقدين
وان لم يشرطوا ذلك بل قد يتعاقدان على الحلول والعادة جارية بانك
تصبر على كما هو الواقع في كثير من السلع وكما يفعل ارباب الحيل يطلقون
العقد وقد تواطؤ على امر اخر كما يطلقون عقد نكاح التحليل وقد
اتفقوا على انه يطلق ويطلقون البيع على بيع الفضة بالذهب
وقد اتفقوا على انه باذل عنها ذهبا واتفقوا على انه يبيعه السلعة الى اجل
وقد اتفقوا على انه يعيدها اليه بدون ذلك الثمن ومثل ذلك كثير لذلك
يطلقون بيع الدراهم بالدراهم على انها حالة ويوخر الطلب لاجل الربح
فكان يحرم ربا الفضل لانه ذريعة الى ربا النسا كما جاءت هذه العلة
منصوصة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين
فاني اخاف عليكم الربا والربا هو الربا والا فمعلوم انه مع استواء الصفات
لا يبيع احد مد حنطة او تمرا مدا بمد يدا بيد هذا لا يفعله احد
وانما يفعل هذا عند اختلاف الصفات مثل ان يكون هذا جيدا
وهذا رديا او هذا جيدا وهذا عتيقا واذا اختلفت الصفات

فهي

فيه مقصوده ولهذا يجعل في القرض مثلما اقرضه على صفته وكذلك
في الاتلاف لانه في القرض لم يقصد البيع وانما قصد نفعه فهو بمنزلة العارية
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم منيحة الورق وبقال اعرني درهما
فهو يستعير تلك الدراهم ينتفع بها مدة ثم يردها وعينها ليست مقصوده
فيرد جنسها كما في القراض يرد راس المال ثم يقتسمان الربح وعين مال
عطاه ليس مقصودا بل المقصود الجنس فهذه امور معلومة جاءت
بها الشريعة في مصالح الناس ولما حقيت علة تحريم الربا اباحت
مثل ابن عباس حبر الامة ومثل ابن مسعود قال الحنطة الجيدة والتمر
الجيد يقال الصاحبه الخ صفان مالك لجيده لكن لما كان المقصود
انك لا تجر فيها الجنس بل ان يعيقها الجنس فلتكن بالربح والا الى
اجل طرت الحكمة فان البخارة في بيعها الجنس بها تفسد مقصود
الاقوات على الناس وهذا
المعنى ظاهر في بيع الدراهم بالدراهم وفي بيع البر بالدراهم لان البر
ليس فيه صنعة تقصد لاجلها فهذا بمنزلة الدراهم التي تقصد ان
لا يفصل على جنسها ولهذا جاء في الحديث تبره وعينه سواء
واما المصوغ من الدراهم والدنانير فان كانت
صياغة محرمة كالآنية فهذه تحرم ببيع الصياغة بجنسها وغير جنسها
وبيع هذه هو الذي انكره عباده على معاوية واما ان كانت الصياغة مباحة كخواتيم

الفضة وكحلة النسا وما ابيح من حلية السلاح وغيرها فالفضة وما ابيح من الذهب
عند من يرى ذلك فهذه لا يبيعها عاقل بوزنها فان هذا سفه وتضييع
للصنعة والشارع اجل من ان يامر بذلك ولا يفعل ذلك احد البتة الا
اذا كان متبرعا بدون القيمة وحاجة الناس ماسة الى بيعها وشرايها
فان لم يجوز بيعها بالدراهم فسدت مصلحة الناس والنصوص الوارده
عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس ما فيها ما هو صريح في هذا فان اكثرها انما فيه
الدراهم والدنانير وفي بعضها لفظ الذهب والفضة وجمهور العلما يقولون
لم يدخل في ذلك الحلية المباحة بل لا زكاة فيها فكذلك الحلية المباحة لم تدخل
في نصوص الربا فانها بالصيغة المباحة صارت من جنس الثياب والسلع
لا من جنس الاثمان فلهذا لم يجب فيها زكاة الدنانير والدراهم ومما يبين
ذلك ان الناس كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يتخذون الحلية وكن
النسا الحلية وقد امرهن النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد ان يتصدقن وقال
انكن اكثر اهل النار فجعلت المراة تلقي حليها وذلك مثل الخواتيم والقلايد
ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي ذلك الفقرا والمساكين وكانوا
يبيعون ومعلوم بالضرورة ان مثل هذا لابد ان يباع ويشترى ومعلوم
بالضرورة ان احدا لا يبيع هذا بوزنه ومن فعل هذا فهو سفيه يستحق
ان يحجر عليه كيف وقد كان بالمدينة صواغون والصايغ قد اخذ اجرته
فكيف يبيعه صاحبه ويخسر اجرة الصايغ هذا لا يفعله احد ولا يامر به صاحب شرع

بل

بالهو منزه عن مثل هذا ولا يعرف عن الصحابة انهم مروا في مثل هذا
ان يباع بوزنه وانما كان النزاع في الصرف والدرهم بالدرهمين فكان ابن
عباس لم يبلغه ذلك وانكره عليه ابو سعيد وغيره والمنقول عن عمر انما هو
في الصرف والدراهم وايضا فتحريم ربا الفضل انما كان لسد الذريعة
وما حرم لسد الذريعة ابيح للمصلحة الراجحة كالصلاة بعد الفجر والعصر
لما نهى عنها ليلا يتشبه بالكفار الذين يعبدون الشمس ويسجدون
للشياطين ابيح للمصلحة الراجحة فابيح صلاة الجنازة والعادة مع الايام
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر ورأى رجلين لم يصليا وقالا صلينا
في رحالنا فقال اذا صليتما في رحالكم ثم اتيتما مسجد جماعة فصليا
معهم فانها لكما نافلة وكذلك ركعتا الطواف وكذلك على الصحيح ذوات
الاسباب مثل تحية المسجد وصلاة الكسوف وغير ذلك وكذلك النظر
للاجنبية لما حرم سد الذريعة ابيح للمصلحة الراجحة كما ابيح للخاطب
وغيره وكذلك بيع الربوي بجنسه لما نهي فيه بالكيل والوزن لسد الذريعة ابيح
بالخرص عند الحاجة وغير ذلك كثير في الشريعة فكذلك هنا بيع الفضة
بالفضة متفاضلا لما نهي عنه في الاثمان ليلا يفضي الى ربا النسا الذي
هو الربا فنهي عنه لسد الذريعة كان مباحا اذا احتيج اليه للمصلحة
الراجحة وبيع المصوغ مما يحتاج اليه ولا يمكن بيعه بوزنه من الاثمان
فوجب ان يجوز بيعه بما يقوم به من الاثمان وان كان الثمن اكثر منه
وكون الزيادة في مقابلة الصنعة والزيادة هنا تفعل اذا من باخذها

اجره بخلاف الزيادة في الاصناف الاربعة فانها من نعمة الله المخلوقة فجاز ان يؤمر
ببدلها اذ بيعت بجنسها احيانا واما هنا فهو ظلم لمن اعطى اجرة الصياغة ان
يقال بعها واخسر الاجرة والدراهم والدنانير لا يتقوم فيهما الصنعة اما النبي
صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه فلم يضربوا درهما ولا دينارا بل كانوا يتعاملون
بضرب غيرهم واول من ضربها في الاسلام عبد الملك ابن مروان والسلطان اذ
ضربها ضربهما لمصلحة الناس وان ضربها باجر والضارب الاخر ضربها
باجر والمقصود ان كل معار للناس لا يتجرون فيها كما تقدم فلا يشبه
بيع بعضها ببعض متساويا ببيع المصوغ ولهذا ما زال الناس يقابض
بعضهم بعضا الدراهم مثل ان يكون عند هذا دراهم كاملة ثقيلة وهو
يطلب خفافا وانصافا فيطلب من يقابضه فيقابضه الناس ولا يرون انهم
خسروا شيئا بخلاف ما لو طلب ان يبيعوه المصوغ بوزنه دراهم فانه يرونه
ظالما لهم معتديا ولا يجيبه الى ذلك احد وبالجملة فلا بد من اربعة
امور اما ان يقال هذه لا تباع بحال فهو ممتنع في الشرع او يقال لا تباع
الا بوزنها ولا يحتال في بيعها بغير الوزن وهذا ايضا لا يفعله احد او يقال
لا تباع الا بوزنها ولكن احتالوا في ذلك حتى يبيعوها بوزنها فهذا مما لا
فايدة فيه بل هو ايضا اتعاب للناس وتضييع للزمان به وعيب ومكر وخداع
لا يامر الله به واما ان يقال بل تباع بسعرها بالدراهم والدنانير وهذا
هو الصواب وهذا القسم حاضر ثم اذا بيعت بالسفر فانها تباع بالنقد
واما بيعها بالنسا فلا يحتاج اليه وهو محتمل وقد يحتاج اليه وهكذا يرسا

ما يدخل

ما يدخل في الذهب والفضة في اللباس الناس كلباس النساء الذي فيه ذهب
وفضة فانه يباع بالذهب او الفضة بسعره واواني الذهب والفضة وصيغتها
محرمة واجرة ذكر عوضه فاذا بيعه لم تحرم الزيادة لكونها ربا لكن لكونها غير متقوم
وهو كبيع الاصنام والآلات اللهو وهنا يتصدق بمنزه الزيادة ولا يعاد
الى المشتري لانه قد اعتاض عنها فلو جمع له بين العوض والمعوض لكان ذلك ابلغ
في اعانته على المعصية وهكذا من باع خمرا او باع عصيرا ممن يتخذه
خمرا فهنا يتصدق بالثمن وهكذا من كسب مالا من غناء او فجور فانه
يتصدق به وكل موضع استثنى في الاخر العوض المحرم وهو قاصد له غير مغرور
فانه يتصدق بالعوض ولا يجمع له بين هذا وهذا فانه اذا حرم ان يعطاه
ثمن يحذفه فلان يحرم ان يعطاه ويعطى الثمن اولى واحرى اللهم الا اذا تاب
او كان في اعطائه مصلحة فيجوز لاجله وعلى هذا فيجوز التجارة في الحلية
المباح بل ويجوز الاجل فيه اذا لم يقصد الا الانتفاع بالحلية لم يقصد كونها
ثمنا كما يجوز بيع سائر السلع الى اجل فان هذه سلعة من السلع التي ليست ربوية

فصل فالذي يصنع من الاصناف

الاربعة ان خرج عن كونه قوتا كالنشا ونحوه لم يكن من الربويات وان كان
قوتا كان جنسا قائما بنفسه فلم يحرم بيع الخبز بالحنطة ولا بيع الناطف
بالحطب فان هذه الصنعة لها قيمة فلم تضع على صاحبها كالحلية ولم يحرم
بيع بعض ذلك ببعض لا نص ولا اجماع ولا قياس بل هذه كالاجناس المختلفة

يباع بعضها ببعض متفاضلا والنزاع في مسئلة بيع اللحم بالحيوان
مشهور وحديثه من مراسيل سعيد بن المسيب وهو اذا ثبت فيما اذا
كان الحيوان مقصود اللحم كشاة يريدون ذبحها يبيعونها بلحم يكون
قد باعوا لحما بلحم اكثر منه من جنس واحد واللحم قوت مطعوم لوزن فما كان
مثله الحق به ولا يلزم اذا حرم البيع لما فيه من الضرر ان يحرم ذلك في الاستيفا
مع انه منفعة بلا ضرر مثال ذلك عجل لي واضع عنك مثل ان يكون
له عنده مائة درهم مؤجلة فيقول له عجل لي تسعين واضع عنك عشرة فقد
قيل ان هذا لا يجوز لانه بيع مائة مؤجلة بتسعين حالة وقيل يجوز كما
نقل عن ابن عباس وغيره ورواية عن احمد وهذا اقوى فانه روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه اذن في ذلك لما اراد اجلا يهود فقالوا لنا ديونا على الناس
فقال ضعوا عنهم وليعجلوا لكم ذلك وذلك انه هناك حرم لما فيه من ضرر
المحتاج وهو الذي ياخذ التسعين فانه ياخذها ويبقى عليه مائة فيتضرر
ببقا الزيادة في ذمته وهنا المائة له فهو غني وهو يضع منها عشرة عن المدين
والمدين هو المحتاج في العادة ففي هذا رفق بالمدين بالوضع عنه وفيه منفعة
للاخذ لحاجته الى التعجيل والاخذ هنا هو صاحب المائة بعشرة دراهم
من عجلها له بخلاف ما اذا بقيت المائة في ذمة المحتاج فيجب ان يفرق
بين العوض الساقط من الذمة والعوض الواجب في الذمة فالعوض هنا
ساقط من ذمة المدين لا واجب في ذمته ومما يشبه انه روي حديث انه نهى عن بيع الكالي

بالكالي

بالكالي اي الموخر بالموخر واسناده ضعيف لكن العمل عليه مثل ان يسلم
مائة موجلة في غرارة قمح فلا هذا قبض شيئا ولا هذا قبض شيئا بل اشتغلت
ذمة كل منهما بما عليه من غير منفعة والمقصود هنا بالبيع
قبض المبيع واما بيع التاجيل اذا كان فيه قبض احد العوضين
بمصلحة القابض في ذلك فاحتمل بقاء العوض الاخر في الذمة لمصلحة
هذا والا فالواجب تفريغ الذمم بحسب الامكان وهنا اشتغلت
ذمة كل منهما بغير منفعة فهذا متفق على المنع منه وقد اشتهر انه نهى
عن بيع الدين بالدين لكن هذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولكن الدين المطلق هو الموخر فيكون هو بيع الكالي بالكالي
واما بيع دين موصوف حال بموصوف وقبضهما قبل التفرق مثل
بيع مائة مد بمائة درهم فهذا جائز بلا خلاف واذا تفرقا قبل التقابض
لم يجز في الربويات عند الجمهور ولو غيره وعند ابي حنيفة التعيين
كالمقبوض واذا بيع ساقط بساقط مثل ان يكون لهذا على هذا دراهم
ولهذا على هذا دنانير فيقول بعت هذا بهذا وتبرا الذمتان فهذا
فيه قولان والاظهر جواز هذا لانه برئت ذمة كل منهما فهو خلاف
ما يشتغل ذمة كل منهما وكونه يشمله لفظ بيع دين بدين ولو كان هذا
لفظ صاحب الشرع لم يتناول هذا فانه انما يراد بذلك اذا جعل
على هذا دين بدين يجعل على هذا وهنا لم يبق على هذا دين

فاي محذور في هذا بل هذا خير من ان يأمن كل واحد منهما باعطاء ما عليه
ثم استيفاء ما له على الآخر فان في هذا ضررا على هذا وعلى هذا
ما لها لو كان معهما ما يوفيان فكيف اذا لم يكن معهما ذلك ينزه الشرع
عن تحريمه فان الشارع حكيم لا يحرم ما ينفع ولا يضر والشارع يحرم
اشياء لما فيها من المفاسد فيغلط كثير من الناس فيدخلون في لفظ
ما لم يقصده او يقولون احاديث باطلة لم يقلها مثل نقل بعضهم انه نهى
عن بيع وشرط ونقل بعضهم انه نهى عن قفيز الطحان ونحو ذلك من الاحاديث
الموضوعة وقد يفهمون من كلامه معنى عاما يحرمون به ما يقتضي ذلك الى
تحريم اشياء لم يحرمها الله ورسوله كما يقتضي مثل ذلك فيما ذكره من نصوص
تحريم الاعيان وتنجيسها وهذا قد دخل فيه على الامة تحريمون شيئا
من الاعيان والعقود والاعمال لم يحرمها الشارع وقد ظن كثير من الناس
انه حرمها ثم اما ان يسحلوها بنوع من الحيل او يقولون بالتحريم حرام
وعملهم وعمل الناس بخلافه او يلزمون ويلتزمون احيانا ما فيه ضرر عظيم

فصل قد ثبت في الصحاح

بل تواتر انه نهى عن بيع الطعام حتى يقبض وقال من باع طعاما فلا يبعه
حتى يستوفيه وكانوا انما يعتادون الطعام صبرة فنهوا ان يبيعوه في موضعه
حتى ينقلوه كما روى البخاري عن ابن عمر واضطرب العلماء هنا في تعليل
هذا النهي ثم في تعميمه وتخصيصه واذا خص بما ذا يخص ثم هل حكم

سائر المعاوضات كالبيع الفاسد من قال العلة في ذلك تولي الضمانين
لانه قبل القبض من ضمان البائع فاذا باعه صار مضمونا على البائع الثاني
وهو المشتري فاذا تلف قبل القبض ضمن البائع الاول للمشتري الاول
قيمته والمشتري وهو البائع الثاني للمشتري الثاني قيمة وقد يكون اقل او اكثر
وهذا يعلل به من يقول به من اصحاب ابي حنيفة والشافعي ونازعوا في
العقار واصحاب مالك واحمد يبطلون هذا التعليل من وجهين من جهة
منع الوصف ومنع التاثير اما الوصف فنقول له لانسلم ان كل مبيع قبل
قبضه يكون مضمونا على البائع بل هذا خلاف السنة الثابتة فقد قال ابن عمر
مضت السنة ان ما ادركه الصفقة حيا مجموعا فضمانه على المشتري وهذا
هو الحق فان المشتري قد ملكه وزاده له والخراج بالضمان فاذا كان
خراجه له كان ضمانه عليه لكن اذا امكنه البائع من قبضه ولم يقبضه
فاذا لم يمكنه كان البائع غير فاعل ما اوجبه العقد اما الظلم واما لكونه
لم يمكن من قبض الثمن فيكون العقد لم يتم بعد فيكون من ضمان
البائع واما منع التاثير فسببه انه يتوالى فيه الضمان فان في
محذورا في هذا حتى يكون موجبا للنهي ولو اشترى ما يكيل واحد
من واحد رجح كل واحد على الآخر بما قبضه اياه من الثمن ولو
ظهر المبيع مستحقا رجعوا بذلك وفي الشقص المشفوع لو تبايعه عشرة
ثم اخذه الشفيع من المشتري الاول رجع كل واحد بما اعطاه من على

وغيرهما

بوصف فعليه ان يبين تاثير ذلك الوصف اما لكون الشرع جعل
مقتضيا للحكم واما لمناسبه تقتضي ترتيب الحكم على الوصف فاذا
لم يظهر التاثير لاشرعيا ولا عقليا كان الوصف طرديا عديم التاثير
واخرون قالوا المنع مختص بالطعام لشرفه كما اختص بربا وقيل
هو مختص بما يقدر بالكيل او الوزن وقيل او العدد او الذرع لكونه
لا يدخل ضمان المشتري حتى يقدر بذلك وهو يعود الى قول الصنفين
وهذه الاقوال وغيرها في مذهب احمد وغيره والقائل بقول المنافي
عن ذلك لان المبيع قبل القبض غير مسلم للبائع وقد لا يسلم لاسيما
اذا راى المشتري قد ربح فيه فيختار ان يكون الربح له وهذا واقع كثير
يبيع الرجل البيع فاذا راى البيع قد ارتفع يبتغي فسخ البيع اما بجحد واما
باحتيال في الفسخ بان يطلب فيه عيبا او يدعي عيبا او غرورا ومن اعتبر
احوال الناس وجد كثيرا منهم يندم على البيع وكثيرا ما يكون الارتفاع السعر
فيسعى في الفسخ ان لم يتمكن من المنع بيده والا فاذا تمكن من ذلك فهنا اذا باع
قبل القبض فانه كثيرا ما يفضي الى ندم البائع فيكون قد باع ما ليس عنده
ويحصل الضرر للمشتري الثاني بان يظن بيشتري ما يظن انه يتمكن من قبضه
فيحال بينه وبينه وهذا من بيع الغرر وهذا بخلاف ما لو كان بيده ودفعه
له فانه لا يظهر ان يكون الربح له وكذلك الموروث لاحق فيه لغير الوارث
وعلى هذا فالاقوى انه يجوز فيه التولية والشركة كما قال مالك وغيره لان المحذور انما يقع اذا كان

هناك

هناك ربح ولا ربح في التولية والشركة وكذلك يجوز بيعه من بايعه لانه
لا يجوز فيه وقد قال ابن عباس لا احسب كل شيء الا بمنزلة الطعام وروي
انه نهى عن بيع ما لم يقبض ولا يريد الذي يقع في الطعام اكثر ويقع
ايضا في غيره فلا ينبغي ان يبيع شيئا حتى يقبض وان كان مضمونا
على المشتري كالصبرة من الطعام وقد يكون مضمونا على البايع //
ويجوز بيعه كالثمر اذا بدا صلاحه ولم يتم فكونه مضمونا على هذا
او على هذا غير ملازم لجواز بيعه والتصرف فيه وهذه طريقة //
الخرقي وغيره وهي اصح الطرق فالصبرة من الطعام فقد ثبت عن ابن عمر انه
من ضمان المشتري وانهم كانوا ينهون عن بيعها حتى ينقلوها
والثمر على الشجر قد ثبت انه من ضمان البايع حتى يكمل صلاحه لان
المشتري لم يتمكن من جداده ومع هذا فالصحيح انه يجوز بيعه لان
قبضه غير ممكن الا بالتخلية وقد خلى بينه وبينه كالعقار اذا خلى
بينه وبينه وكمال الصلاح الى الله لا الى الناس ولانه في هذه الحال
كالمنفعة في الاجارة قبضت من وجه دون وجه قبضت العين
والموقوف المنفعة كذلك هنا خلى بينه وبينه بحيث لو اراد المشتري
ان يأخذه حصر ما وبلحا كان له ذلك وليست الصبرة وغيرها كالبيع فانه لا
ربح هناك فيجوز فيه وما ملك بغير البيع فلا يقصد به الربح فيجوز
التصرف فيه قبل قبضه اذ ليس ذلك بمنصوص ولا في معنى المنصوص فلا يجوز

منع الانسان من التصرف في ملكه بغير حجة شرعية فهذا واضح والله اعلم

فصل والربا البين الذي لا ريب فيه

هو ربا النسيئة في المجلس الواحد وكذلك قال الامام احمد لما سئل عن الربا الذي لا شك فيه فقال مثل ربا الجاهلية يقول له عند محل الاجل اتقضي او تربي فان قضاه والا زاده في الاجل وزاده الاخر في المبين فاذا بيع دراهم معينة او في الذمة باكثر منها الى اجل فهذا من الربا العاصر المتفق عليه الذي نزل القرآن بسببه فانه ضرر محض بالمحتاج وزيادة المال من غير عمل من صاحبه ولا نفع للناس فان المعاوضة ثلاثة انواع احدها ان يشتري السلعة لينتفع بها بالاكل والشرب واللباس والركوب والسكن فهذا هو البيع الذي احل الله ولا بد منه لاهل الارض والثاني التجارة وهو ان يشتريها لينقلها الى مكان اخر ويبيعها الى وقت فيربح فيها بربح وهذه التجارة التي احلها الله بقوله الا ان تكون تجارة عن تراض منكم فان المشتري من صاحب التجارة يعلم انه قد ربح عليه وان راس المال كان مائة وقد باعها بمائة وعشر او اقل او كثر ولهذا يطلب المشتري من التاجر اخباره براس المال لينظر كم يربح عليه وهذا بخلاف البائع الذي ليس بتاجر كالذي حدثت على ملكه او ورثها او وهبت له او نحو ذلك وقد ثبت في الصحيحين انهم كانوا اذا اشتروا الصبرة من الطعام لم يبيعوها في موضعها حتى ينقلوها لان هذا المشتري تاجر انما اشتراها

ليربح

يربح فيها فلا بد ان يعمل فيها عمل التاجر من نقلها من مكان الى مكان
او حبسها الى حين يرتفع السعر وان اشترى جملة وباع مفرقا ونحو
ذلك فاما اذا اشتراها ليربح فيها فلا بد ان يعمل فيها عمل التاجر
من نقلها من مكان الى مكان او حبسها الى حين يرتفع السعر وان اشترى
جملة وباعها في مكانها بربح من غير ان يعمل فيها شيئا فليس هذا
بتاجر وان كانت صارت في ضمانه بتخلية البايع بينه وبينها فليس كل
مضمون يباح ربحه ولكن ما ليس بمضمون لا يباح ربحه فان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن ربح ما لم يضمن والبايع قبل التمكن من القبض
هو ضامن للمبيع ولا يحل له ربحه ولا نماؤه بل ذلك للمشتري وكذلك
المشتري قبل كمال القبض وبعد التمكن منه هو ضامن ولا يباح له ربحه
وقوله صلى الله عليه وسلم من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه
هو نهي للتاجر الذي يشتري الطعام ثم يبيعه فهذا ليس له ان يبيعه
حتى يستوفيه وان كان معينا مضمونا عليه بالتعيين وابن عمر روى
هذا وروى هذا قال ابن عمر رضينا السنة ان ما ادركته الصفقة حيا
مجموعا فهو من ضمان المشتري وهذا احتج به مالك واحمد وغيرهما
ان كان معينا صحيحا سليما ولم يمنعه البايع فهو كان مضمونا على المشتري
وان لم يقبضه وروى ابن عمر انهم كانوا يضربون اذا اشتروا الصبرة
جزافا ان يبيعوها في موضعها حتى ينقلوها واذا اشترى الصبرة جزافا

دخلت في ضمانه ايضا ومتى خلى بينه وبينها كانت مضمونة على المشترى
لكن نهى ان يبيعها في موضعها وقد قال ابن عباس لا حسب كل شيء الا الطعام
الطعام وفي الصحاح نهى عن بيع ما لم يقبض وهذا خطاب للتجار
فانهم اذا اشتروا شيئا باعوه بربح فلا يبيعوه حتى يقبضوه وايضا
فاذا باعوه قبل القبض بربح فقد ندم البايع او يستقيل ويسعى في
فسخ العقد فاذا صار في قبضه التاجر امن من ذلك ولم يكتف في الصبرة
لما ينقلها الى رحالهم واما غير التاجر فانه انما يشترى الشيء لينتفع
لا ليتربح به التجارة وان بدا له فيما بعد ان يبيعه لم يقصد ذلك ان
يبيعه بربح وان قصد ذلك فهو تاجر والنهي انما كان لمن يربح
في السلعة وهو التاجر في احد القولين ولهذا جوز مالك
فيه الشركة والتولية قبل القبض فانه لا ربح فيه بل هو يبيعه بمثل
الثمن كما خذ الشفيع الشقص بمثل الثمن وكذلك جوز بيعه من صاحبه
بمثل الثمن قبل القبض وهذا هو الصحيح فان النهي انما كان للتاجر
الذي يربح فلا يبع بربح حتى يصير في حوزته ويعلم فيها
عمله من عمال التجار اما نقلها الى مكان اخر كالذي يشترى
في بلد ويبيع في اخر واما حبسها الى وقت اخر وقل ما يكون
قبضها فان القبض عمل واما مجرد التخلية في المنقول فليس فيها
عمل وهل يكون التخلية قبضا في المنقول فيه روايتان عن

احمد

احد احدهما قبضا كقول ابي حنيفة وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربح مالم يضمن ولا تبع ماليس عندك قال الترمذي حديث صحيح
ولما سأله ابن عمر انهم يبيعون بالبقيع بالذهب ويقبضون الورق ويبيعون
بالورق ويقبضون الذهب فقال لا بأس اذا كان بسعر يومه فلم يجوز
بيع الدين ممن هو عليه بربح فانه ربح فيما لم يضمن فانه لم يقبضه ولم
يصر في ضمانه والربح انما يكون للتاجر الذي دفع الناس بتجارته
فاخذ الربح بازائه فلم يأكل اموال الناس بالباطل ولهذا قال
تعالى لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
وهذا استثناء منقطع فان ربح التجارة ليس اكلا بالباطل بل بحق
وهو نفع التاجر للناس فاذا كان لرجل دين وباعه من المدين بربح فقد
اكل هو الربح بالباطل اذا كان لم يضمن الدين ولم يعمل فيه عملا ولما
جعل النبي صلى الله عليه وسلم اقتضاء الذهب من الورق والورق من الذهب
بالسعر مع ان الثمن دين في الذمة لم يقبض دل على جواز بيع الدين
ممن هو عليه بالسعر فجوز ذلك في جميع الديون دين السلم وغيره
كما جوزه ابن عباس واحمد في احد الروايتين ومالك على تفصيل له
والذين قالوا لا يجوز كابي حنيفة وان قوي والمشهور عن احمد عند
اصحابه قالوا انه لا يبيع عينا مقبوضة فلا يجوز بيعها قبل القبض
وان باعه ممن هو عليه كما قالوا مثل ذلك في بيع الاعيان وقد تقدم ان المحذور

هو الربح فاذا باعه ممن هو عليه بلا ربح جاز ذلك كما قاله مالك وغيره وجوز
التولية فيه واذا كان احمد في احد الروايتين يجوز بيع السلم
ممن هو عليه بالسعر فكذلك يقال في بيع الاعيان قبل القبض ممن
هو عليه بطريق الاولى وابن عباس جوزه بالسعر وقال لا يربح
مرتين كذلك يخرج في التولية والشركة اذ لا ربح هناك واي فرق
بين دين السلم والثمن وكلاهما عوض في الذمة وقد جوز النبي صلى الله
عليه وسلم الاعتياض عنه بسعر يومه واحمد يعتبر هذا الشرط هو ومالك
وغيرهما وابو حنيفة لا يعتبره والحديث يدل على الاصلين على بيع
الدين ممن هو عليه وان كان عوضا وعلى انه لا يبيعه بربح وكذلك ساير
الديون كبدل القرض وغيره وقد اضطرب الناس في بيع ما لم يقبض
في حكم النهي وفي مورده وما يقاس بالطعام وعن احمد فيه عدة روايات
من يجعل العلة توالي الضمانين كابي حنيفة والشافعي واحمد في قول
ويقولون ان السلعة مضمونة على البايع قبل القبض فاذا باعها
المشتري صارت مضمونة للمشتري الثاني على الشري الاول فتوالى الضمانان
وهذه علة ضعيفة فانه اذا تلف انفسخ العقدان ورجع كل واحد
بثمنه وابو حنيفة استثنى العقار لانه مضمون عنده بالعقد اذا
كان لا ينقل ويحول ولو باع الشقص المشفوع من شخص ثم باعه من
شخص جاز وان اخذه الشريك بالشفعة انفسخت تلك العقود وهذا

فيه توال

فيه قولان ضمانان متعدده ومالك واحمد في رواية يخص النهي بالطعام
لشرفه لكن اذا كانت العادة انه يربح من غير تجارة فجميع السلع سوا
واحمد في المشهور عنه يقول ان المعين يدخل في ضمان المشتري بتمكنه
من قبضه سواء قبضه اولم يقبضه ومع هذا يقول في احدى الروايتين
وهي التي اختارها الخرقي انه لا يبيعه حتى ينقله فالقبض عنده //
قبضان قبض ينقل الضمان وقبض يبيح البيع فالصبرة اذا
لم ينقلها هي من ضمانه لانها معينة ولا يربح فيها حتى ينقلها
وعلة الثمار هي مضمونة على البائع اذا اصابتها جايحة ويجوز
للمشتري ان يبيعها على الشجر في ظاهر مذهبه اذا خلى بينه وبينها
فهنا قبضان قبض لا يبيح البيع والربح وقبض ينقل الضمان //
وهذا كالمنافع في الاجارة هي مضمونة على الموجر حتى يسوغ في وان
خلى بين الموجر وبين المستاجر فاذا قبض المستاجر العين كان
كقبض الشجرة التي عليها ثمره ثم ظاهرها اذا تلف قبل التمكن من الانتفاع
واما البيع فيجوز اذا اخذها فهي من ضمان البايع والموجر فالواجب
لا ينقل الضمان هو تمكن المشتري من الانتفاع واما البيع فيجوز
اذا اخذها لانه عمل على التاجر بقبضها وحفظها كما يحفظ //
التاجر سلعته فهذا المعنى اذا فهم انكشف به مقصود
عامة هذا الباب فانه قد اشكل على كثير من الفقها اولى الالباب وبهذا يتبين

ان اظهر القولين انه يجوز ان يقول عجل لي واضع عنك كما نقل عن
ابن عباس وغيره وقد روى ان اليهود لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم
اجلاهم من المدينة قالوا ان لنا ديونا فقال بيعوها الكم وضعوا عنهم
البعض وهذا لان صاحب المال هنا ربح كما اذا قال اجعل
المائة بمائة وعشرين الى سنة بل بنقص ماله لاجل تعجيل القبض والدين
ما ربح شيئا بل سقط عن ذمته فهذا مقصوده استيفاء الدين لا بيع
الدين ولهذا جازت الحوالة لانها ايفاء ولهذا جعلها مالك وابو حنيفة
وغيرهما بيع الدين الساقط بالساقط اذا كان لهذا على هذا دراهم
والاخر ذهب فقال اسقط بهذا فهذا يجوز في اظهر القولين فان
النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن بيع الدين بالدين ولكن روي عنه انه نهى عن
بيع الكالي بالكالي مع ضعف الحديث لكن بيع الموخر بالموخر مثل
ان يسلم شيئا موخرا في الذمة في شيء في الذمة لا يجوز باتفاقهم اذا
كان كل منهما شغل ذمته بما للاخر من غير منفعة حصلت لاحدهما
والمقصود بالبيع النفع فهذا يكون احدهما قد اكل مال الاخر بالباطل
اذا قال اسلمت اليك مائة درهم الى سنة في وسق حنطة ولم يعط شيئا
فان هذه المعاملة ليس فيها منفعة بل مضرة هذا يطلب هنا بالحنطة
وهذا يطالب هذا بالدراهم ولم ينتفع واحد منهما بل اكل مال الاخر
بالباطل ومع غير نفع نفعه به وهذا بخلاف بيع الساقط بالساقط فان براءة

كل منهما

كل منهما منفعة له وكذلك اذا قال المعجل لي واضع عنك فالمعجل يبرئ ذمته
باعتياض البعض فابراه من الباقي وهذا منفعة بخلاف ما اذا زيد عليه
في الدين فذاك يضره وصاحب الدين انتفع بتعجيل القبض وكل منهما
انتفع وهنا الموجل صار حاله الابل ساقطا ليس مثل ان يبيعه دراهم
الى اجل بدراهم معجلة فانه هنا اجل عليه مالم يكن موجلا فشغل ذمته
بغير منفعة وهذا ضرر وامر الشرع عدل وحكم ورحمة وهو انما
ينهى الناس عن ما يضرهم لا عن ما ينفعهم ولما نهى عن بعض الرقا نهى
عن ما فيه شرك وقال من استطاع ان ينفع اخاه فليفعل وقال الاباس
بالرقا لما لم يكن شركا واكل المال بالباطل اضرار وظلم وذكر نوعان ربا وميسر
والقرآن حرم هذا وهذا فالربا فيه زيادة قبض بلا معنى والميسر فيه
اخذ المال على باطل ومخاطره يتضمن اكل المال بلا منفعة فهذان //
نوعان مباحان اشترا السلعة لينتفع بها او ليتجر فيها يقصد
فيها الربح وكلاهما مباح بنص القرآن والسنة واجماع الامة والثالث
الربا وهو اخذ مال الزايد بلا عوض يقابله بل اكل له بالباطل مثل مايه بمايه
وعشرين الى اجل وهذا بعينه في النسا في الجنس وهو متفق على تحريمه
في النقدين وفي الصنف الربوي كالاعيان الستة لا يبيع حنطة بالبر
منها الى اجل ولا شعيرا ولا تمرا ولا زبيبا ولا ملحا وهو ايضا متفق عليه
بين المسلمين في القرض من سائر الاجناس فاذا اقرض ما يكال او يوزن
وشرط اكثر منه لا يجوز ذلك باتفاقهم ولو اقرضه ما يوزن كالقطن والكتان

والحديد وغيره وشرط اكثر لم يجز باتفاقهم وهذا من اقوى الحجج
الجنس بالاتفاق وكذلك لو اقرضه ما يكال ولا يوكل كالسدر والخطمي
والاشنان وغير ذلك وشرط اكثر لم يجز باتفاقهم وهذا من اقوى الحجج
على ان الجنس الواحد اذا اجتمع فيه نوعان الربا التفاضل والنسا لم
يجز ذلك وان كان لا يجري فيه ربا الفضل فانهم متفقون على هذا
في القرض لو اقرضه ما يوزن لم يجز الزياده وان قيل ليس فيه ربا
الفضل فيجب ان يكون او قال بعتك هذا الرطل برطلين من جنسه الى شهر
وهذا الكيل بكيلين الى شهر لم يجز وهذا مذهب مالك واحمد في رواية
لانه لو جاز ذلك لجاز ان يجعل ذلك قرضا بزياده اذ الاعتبار بالمقاصد
لا بالالفاظ ولو قال اقرضتك هذا الرطل برطلين على ان تزد رطلين
لم يجز سواء اجل القرض او اطلقه وكان حالا فيجب اذا قال بعتك هذا الرطل
برطلين الى اجل لا يجوز لان هذا هو معنى القرض بزيادة
وكل قرض جر زيادة بالشرط لم يجز باتفاقهم وهو الربا الذي يجمع
فيه الفضل والنسا كبيع دراهم بدراهم اكثر منها الى اجل فهذا الذي
لا ريب في تحريمه وان احتال عليه باي حيلة كانت متى كان
المقصود اخذ الدراهم باكثر منها الى اجل فهو ربا ولهذا قال ابن عباس
وهو لا يحرم ربا الفضل يدا بيد قال اذا استقمت بنقد ثم بعت بنقد
فلا باس واذا استقمت بنقد ثم بعت بنسيئة فتلك دراهم
بدراهم واستقمت بمعنى قومت بمعنى قوم السلعة بنقد

وابتاعها

وابتاعها باكثر الى اجل كان مقصوده القيمة وهو بيع دراهم بدراهم
فان قيل فلو باع رطل برطلين جاز ولا يجوز مثل هذا في القرض
قيل القرض لا يكون قط مع تعجيل الوفا بل لا بد فيه من تاخير الوفا
والا فلا يقول اقرضني هذه الدراهم واعطيك مثلها الساعة فان هذا
لا يفعله عاقل اذ لا فايده فيه بل هو كبيع الشي بنفسه فان قيل
تلك الدراهم يقوم مقامها فلا يباع بمثلها الا مع التاخير ولا
يباع بدراهم معجلة الا لاختلاف الصفة والقرض انما يجب فيه المثل
فلا يبيع احد رطلين برطلين كل منهما مثل ذلك الرطل هذا لا يفعله
احد عاقل ولا يقع مثل هذا في القرض اذ كان القرض لا بد فيه من
تاخير الايفا وذلك واجب فيه في احد قولي العلما ولو اجله باجل
كمذهب مالك وقول في مذهب احمد ومن قال ان له المطالبة في الحال
ولا يتاجل قالوا لان هذا تبرع والتبرع لا يلزم بالعقد كما قالوا
مثل ذلك في الهبة والعارية وهذا مذهب ابي حنيفة والشافعي
واحمد في احدى الروايتين واما اهل المدينة فعندهم يلزم بالعقد
وعليه يدل نصوص الكتاب والسنة فالقرض من اقوى الحجج على انه اذا اجتمع
ربا الفضل والنسا في جنس واحد حرم وان لم يكن مما يجري فيه ربا
الفضل وحده وهذا حجة لمالك واحمد في احدى الروايتين وهو حجة
على الشافعي واحمد في رواية اذ كانوا يجوزون بيع غير الربوي كالموزون

غير النقدين بجنسه متفاضلا ويجوز ذلك بلفظ القرض وهو لا يجوز
الاحكام تختلف بمجرد اللفظ مع اتحاد المقصود وهذا يقوله من يجوز
من اصحابنا ان رفي وبعض اصحابنا احمد يقولون هذا في مواضع
كما جوز القاضي ابو يعلى وغيره السلم الحال بلفظ البيع دون السلم وكما جوز
ان يكون البذر من العامل اذا كان بلفظ الاجارة دون لفظ المزارعة وابو
محمد المقدسي عكس ذلك فجوزه بلفظ المزارعة دون الاجارة وابو الخطاب
جوزه بلفظهما وهو الصواب وعليه يدل نصوص احمد فانه
جوز ان تؤجر الارض بجزء من الخارج منها واحتج على ذلك بمزارعة
النبي صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر ولو كان الحكم يختلف باللفظ لم تصح هذه
الحجة وانما تصح هذه الحجة اذا كان البذر من اهل خيبر فان المستأجر
للارض هو الذي يبذر فيها لا يبذر رب الارض ولهذا قال ابو الخطاب
هذه النصوص الكثيرة عن احمد تدل على انه جوز المزارعة ببذر من
العامل كما ثبت في الصحيح انه عاملهم على ان يعمروها من اموالهم وحينئذ
فكيف يجوز الحاق فرع بهذا الاصل مع مخالفته ودل هو ذكر على ان
الرواية التي اشترط فيها ان يكون البذر من المالك قياسا على الضمانة
قالها موافقة لمن قال ذلك وهي مخالفة لهذه السنة التي قاس عليها واحد
اصول توجب اعتبار المقاصد والمعاني دون مجرد اللفظ كما يعتبرها
مالك رحمه الله وغيره ممن من اهل المدينة وفقهاء الحديث وفقهاء المدينة متفقون

على هذا

على هذا الاصل وهو رعاية المقاصد في العقود وابو حنيفة يقول الجنس
بانفراده يحرم النسا وهو الرواية الاخرى عن احمد واختيار
فلا يجوز بيع الشي بمثله نصا والقرض حجة على هذا القول فانه يجوز
القرض قرض الشي بمثله مع التاخير لكن ابو حنيفة يقول انا لا اجيز القرض
في المثليات لا اجيزه الا في الكيل والموزون ومالك ليس عنده ربا
الفضل بل فيها ربا النسا فهذا يجيب عن القرض لكن الاكثرون يجوزون
قرض الحيوان استدلالا بالسنة وان النبي صلى الله عليه وسلم اقترض بعيرا ورد
خيرا منه فقد ثبت اخذ الحيوان بمثله مع التاخير وذلك مبطل
لقول من يقول الجنس بانفراده يحرم النسا فانه لو جاز ذلك لم يجز
قرض بعير ببعير الى اجل لا قرضا ولا بيعا مع التاخير لكن ابو حنيفة لا
يجوز قرض غير المكيل والموزون فلا يجوز بعير ببعير الى اجل لا قرضا
ولا بيعا واحمد يجوزه قرضا بخلاف وهو الواجب في الرد الجنس او القيمة
على وجهين والجنس هو المنصوص ولا يجوزه بيعا في احدى الروايات
لان البيع يجب فيه الاجل واما القرض فان القرض بذل المنفعة بلا
عوض ولهذا يجوز فيه التاجيل عنده وكذلك ابو حنيفة لا يجوز
التاجيل في القرض فانه اذا جاز التاجيل فيه كان معنى بيع الشي بجنسه
نسا وذلك لا يجوز عند ابي حنيفة واحمد في رواية بل كلما يجب وفا القرض
وحده يحرم ربا النسا وحده والشافعي واحمد في رواية ومن وافقهما يجوزون

في غير الشي الربوي كالحيوان يبيع بعضه بجنسه حالا والى اجل متماثلا ومتفاضلا
ولا يجوزون ان يقرضه ويشترط اكثر منه وهذا تناقض فانه اذا جاز
معاوضة بعضه ببعض حالا ومؤجلا فالقرض لا يخرج عن هذا وهذا
كما تقدم واذا اراد ان يقرضه بعيرا ويشترط بعيرين قال يعني بعيرا ببعيرين
ولكن هنا يشترط يعني الحلول او التاجيل بخلاف القرض وليس هذا
فرقا فان الناس مع القرض قد يتفقون على انه يوفيه في وقت معين
فلا يخرج هذا عن ما يقصده الناس بالقرض فتبين ان اظهر الاقوال
قول مالك واحمد في رواية انه اذا جمع النوعان حرم فاذا باع الشي بجنسه متفاضلا
الى اجل لم يجز كما لا يجوز مثل ذلك في القرض وان تباعدت المقاصد
ففيه نزاع فقد تبين انه اذا اجتمع ربا الفضل والنسا حرم وفي غير ذلك
عند اكثر العلما واما اذا لم يكن الا النسا فقط في غير الربوي فهذا يباح
عند اكثر العلما كالبعير بالبعيرين الى اجل

فصل واما ربا الفضل بلا نسا فقد

اشكل على السلف والخلف فروي عن ابن عباس وابن مسعود ومعاوية انه
لا ربا الا في النسيئة كما ثبت في الحديث الصحيح عن اسامة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا ربا الا في النسيئة وبازا هؤلا بعض المتاخرين الذي
قال انه يجري في كل مال وهذا خلاف اجماع السلف ولا معنى فيه يحكى
هذا عن ابي طاهر الرياشي وقالت طايفة انما يحرم في الاصناف المنصوصة الستة وهو قول

قتاده

قتادة وداود واصحابه وابن عقيل وقد رجح في اخر عمره في كثير من الخلاف هذا
وضعف ما علل به الاصناف الستة كلها وقد بسط القول عليه وبين انه
انما حرم لسد الذريعة فقط كما قال صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين
فاني اخاف عليكم الرما فربا النسيئة حرم لما فيه من الفساد والظلم واما ربا
الفضل فانما حرم لسد الذريعة فاقرب الاقوال قول من قال لا يحرم
الا في المطعوم المماثل المكيل والموزون وهو قول سعيد بن المسيب
وابي في قول واحد في احد الروايات اختيارها ابو محمد ومذهب
مالك قريب من ذلك بل هو راجح في ربا الفضل وربا النسيئة وفي اعتبار
القاصد لكنه بالغ في سد الذريعة حتى حرم ما مع صحة القصد
وارجحان المصلحة واحمد يوافقه على بطلان الحيل وعلى سد الذرائع
الا اذا ترجحت المصلحة وهذا عدل والفرق بين الحيل وسد الذرائع
ان الحيلة تكون مع القصد صالحا ما هو محرم في الشرع فهذا لا
يجب ان يمنع من قصده الفاسد واما سد الذرائع فيكون مع صحة //
القصد خوفا ان يفضي ذلك الى الحيلة وان ارع قد سد الذرائع
في مواضع كما بسطت في كتاب بيان الدليل على بطلان التحليل لكن
بشرط ان لا يفوت مصلحة راجحة فيكون النهي عما فيه مفسدة
وليس فيه مصلحة راجحة فاما اذا كان فيه مصلحة راجحة كان ذلك
مباحا فان هذه المصلحة راجحة على ما قد يحصل من المفسدة //
ولهذا يجوز النظر الى الاجنبية للخاطب لارجحان المصلحة وان كان النظر

لغير حاجة لم يجز وكذلك سفر المرأة مع غير ذي محرم منهي عنه ويجوز لرجحان المصلحة
كسفر عايشة مع صفوان ابن المعطل لما كانت وحدها فكان سفرها معه
خيرا من ان تبقى ضايعة وكذلك هجرتها بلا محرم كهجرة ام كلثوم بنت عقبة
ابن ابي معيط بلا محرم وزينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ارسل لها رجالا جاوا بها
وقد تنازع الفقها في الحج والاقوى انه اذا تعذر حجها مع المحرم ان تحج اذا امنت
لان حجها مع من تامنه ارجح من تفويت الحج وقوله حج مع امراتك دليل على انه اذا
امكن سفرها مع محرم لم تخرج وحدها وهذا جمعا بين المصلحتين واما اذا
دار الامر بين تفويت الحج وبين سفرها بلا محرم سفرا امنا كان حصول الحج
اصلح لها فان حصول الفساد في دينها اذا سافرت وحدها وهذا في طريق
الحاج نادر ومع من تامنه معدوم بخلاف سفرها بلا محرم لتجارة وزيارة فان
هذا مظنة فساد دينها كخلوة الاجنبي بها وخلوته بها لرجحان المصلحة
جايز واحمد في رواية المروذي قد جوز السفر للكبيرة التي لا محرم لها وقد
يايست من الزوج فانها من القواعد وكذلك سفرها الى المساجد الثلاثة
هو طاعة وقربة تفوتها فاذا امنت لم يبعد جوازه بخلاف السفر
الذي ليس بواجب ولا مستحب فان هذا ليس فيه مصلحة راجحة في دينها
وفيه مفسدة في دينها فان انفرادها عن الزوج والمحرم مظنة حصول
الشر في دينها فاذا فوت السفر الذي هو في نفسه طاعة والسفر غير الطاعة
واعتبر في سفر الطاعة ان تكون امنة فهذا قول متوجه كما قاله كثير
من العلما وهم متفقون على ان قوله لا تسافر المرأة الا مع زوج

لعله تفويت

او ذي محرم

او ذي محرم ليس على عورته فانه يجوز لها سفر الضرورة كسفر الهجرة
وكسفر ذمية وام كلثوم بلا زوج ولا ذي محرم والنظر الى الاجنبية
منع منه لانه داعية الى المحرم يجوز التخاطب بالنص والاجماع للحاجة
وجوز للشاهد والعامل وجوزه اصحابنا وغيرهم بشرط عدم الشهوة
وجوزه اصحاب ابي حنيفة مع الشهوة اذا كان بلا شهوة يجوز عندهم
مطلقا الى الوجه واليدين وهو احدى الروايتين عن احمد واحدى
قولي الشافعي ومن ذكر الصلاة وقت الطلوع والغروب نهي عنه
لسد الذريعة ليلا يشبه عباد الشمس فجوز للصلاة الراجحة
مثل قضاء الفوايت وغيرها والصحيح انه يجوز في ذوات الاسباب
مطلقا كقول الشافعي واحمد في احدى الروايتين **فصل**
قال النبي صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام
لا تبع ما ليس عندك لما قال له يا تيني الرجل فيطلب مني البيع ليس عندي
فابيعه منه ثم اذهب الى السوق فابتاعه فقال لا تبع ما ليس عندك وفي
حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل سلف وبيع
ولا شرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن ولا تبع ما ليس عندك والناس
في هذا الحديث اقوال قيل المراد بذلك بيع السلعة المعينة التي
هي ملك الغير بيعها ان ملكها فقال لا تبع ما ليس عندك اي لا تبع ملكا
تملكه من الاعيان ونقل هذا التفسير عن الشافعي انه يجوز السلم الحال وقد
لا يكون عند المسلف ما باع فحمل على الاعيان ليكون بيع ما في الذمة

جايز سواء كان حالا او موجلا وقال الخرون هذا ضعيف جدا فان
حكيم بن حزام كان يبيع شيئا معينا هو ملك لغيره ثم يتطلق ويشتريه
منه ولا كان الذين يأتونه يقولون نطلب عبد فلان او دار فلان
وانما الذي يفعله الناس ان يأتيه الطالب فيقول اريد طعاما كذا وكذا
او ثوبا كذا وكذا وغير ذلك فيقول نعم اعطيك فيبيعه ثم يذهب فيحصله من
عند غيره اذا لم يكن عنده هذا هو الذي يفعله من يفعله من الناس
ولهذا قال يأتيني فيطلب مني البيع ليس عندي لم يقل يطلب مني ما هو
مملوك لغيري فالطالب طلب الجنس لم يطلب شيئا معينا اذا جرت عادة
الطالب لما يوكل ويلبس ويركب انما يطلب جنس ذلك ليس له غرض في ملك شخص
بعينه دون ما سواه مما هو مثله او خير منه ولهذا صار احمد بن
حنبل وطائفة الى القول الثاني فقالوا الحديث على عمومه يقتضي النهي
عن بيع ما في الذمة اذا لم يكن عنده وهو يتناول النهي عن السلم اذا
لم يكن عنده لكن جاءت الاحاديث في جواز السلم الموجل فبقي هذا
في السلم الحال والقول الثالث وهو اظهر الاقوال ان الحديث لم يرد به
النهي عن السلم الموجل ولا الحال مطلقا وانما اريد به ان يبيع في الذمة
ما ليس هو مملوكا له ولا يقدر على تسليمه ويبيع فيه قبل ان يملكه
ويقدر على تسليمه وتضمن في نهي عن السلم الحال اذا لم يكن عند
المسلف ما باعه فيلزم ذمته بشيء حال ويبيع فيه وليس هو قادرا
على اعطائه واذا ذهب يشتريه قد يحصل وقد لا يحصل ونحو من

نوع الغرض والمخاطرة وهو اذا كان المسلم حالا وجب تسليمه في الحال وليس هو بقادر
على ذلك ويربح فيه على ان يملكه ويضمنه وربما احاله على الذي ابتاع منه فلا يكون قد
عمل شيئا بل اكل المال بالباطل وعلى هذا فالمسلم الحال اذا كان المسلم اليه قادرا على الاعطا
هو جائز وهو كما قال الشافعي اذا جاز المؤجل فالحال اولى بالجواز ومما يبين ان هذا مراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان السائل انما ساله عن بيع شيء مطلق في الذمة كما تقدم لكن اذا لم يجوز
بيع ذلك فبيع المعين الذي لم يملكه اولى بالمنع واذا كان انما ساله عن بيع شيء في الذمة
وانما ساله عن بيعه حالا فانه قال ابيعه ثم اذهب فابتاعه فقال لا لا تبع ما
ليس عندك فلو كان السلف الحال لا يجوز مطلقا لقال ابتدا لا تبع هذا سوا كان
عنده او ليس عنده فان صاحب هذا القول يقول بيع ما في الذمة حالا لا يجوز
ولا لو كان عنده ما يسلمه بل اذا كان عنده فانه لا يبيع الا معينا لا يبيع شيئا
في الذمة فلما لم ينهه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مطلقا بل قال لا تبع ما ليس عندك
علم انه صلى الله عليه وسلم فرق بين ما هو عنده ويملكه ويقدر على تسليمه وما ليس
كذلك وان كان كلاهما في الذمة ومن تبدر هذا تبين له ان القول الثالث هو
الصواب واذا قيل المؤخر جائز للضرورة وهو بيع المفاليس لان البايع احتاج
الى ان يبيع الى اجل وليس عنده ما يبيعه الان واما الحال فيمكنه ان يحضر المبيع
فيراه فلا حاجة الى بيع موصوف في الذمة لو بيع عينا غايبة موصوفة لا يبيع شيئا
مطلقا بل هذا ممنوع فلا نسلم على خلاف الاصل بل تاجيل المبيع كتاجيل
الثمن كلاهما من مصالح العالم والناس لهم في المبيع الحال والغايب ثلاثة اقوال
منهم من يجوزه مطلقا ولا يجوزه معينا موصوفا كالشافعي في المشهور عنه

والاظهر جواز هذا وهذا ويقال للشافعي مثل ما قال لغيره اذا جاز بيع المطلق الموصوف
فالمعين الموصوف اولى بالجواز فان المطلق فيه غرر وخطر وجهل اكثر من المعين فاذا
باع حنطة مطلقة بالصفة اولى بل ولو بيع المعين بلا صفة وللمشتري الخيار اذا راه
جاز ايضا كما نقل مثل ذلك عن الصحابة وهو مذهب ابي حنيفة واحمد في احدى الروا
يتين وقد جوز القاضي وغيره من اصحاب احمد السلم الحال بلفظ البيع والتحقيق
انه لا فرق بين لفظ ولفظ ونفس بيع الاعيان الحاضرة التي يتاخر قبضها يسمى
سلفا اذا عجل له الثمن كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يسلم
في حايط بعينه الا ان يكون قد بدا صلاحه فهو اذا بدا صلاحه وقال اسلمت اليك
في عشرة اوسق من تمر هذا الحايط جاز كما يقول يجوز ان يقول ابتعت عشرة من
هذه الصبرة ولكن التمر يتاخر قبضه الى كمال صلاحه فاذا عجل له الثمن قيل له سلف
لان السلف هو الذي تقدم والسالف المتقدم قال الله تعالى وجعلناهم سلفا ومثلا
للاخرين والعرب تسمي اول الرواحل السالفة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الحقي سلفنا
الحبر عثمان بن مظعون وقوله حتى تنفرد سالفتي وهي العنف ولفظ السلف يتنا
ول القرض والسلم لان القرض ايضا سلف القرض اي قدمه وعجله لكن هذا تبرع
بالمنفعة وفيه حديث عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل سلف وبيع
وشرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن ولا بيع ما ليس عندك ومنه الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم استسلف بكرا وقضى جملا رباعيا والذي يبيع ما ليس عنده لا
يقصد الا الربح وهو تاجر فيسلف بسعر لم يذهب فيشتري بارخص منه بمثل
ذلك الثمن فانه قد يكون اتعب نفسه لغيره بلا فايدة وانما يفعل هذا

عمن يتوكل

من يشتري لغيره فيقول اعطني فانا اشتري لك هذه السلعة فيكون امينا اما انه يبيعها
بثمن معين يقبضه ثم يذهب يشتريها بمثل ذلك الثمن من غير فائدة في الحال فهذا لا يفعله
عاقل نعم اذا كان هناك تاخير فقد يكون محتاجا الى الثمن يتسلفه ويتمتع به مدة
الى ان يحصل تلك السلعة فهذا يقع في السلم الوجد وهو الذي يسمى بيع المفاليس فانه يكون
محتاجا الى الثمن وهو مفلس وليس عنده في الحال ما يبيعه ولكن له ما يأتي من بعد
من ثمر او غلة او غير ذلك فيبيعه في الذمة فهذا يفعله مع الحاجة ولا يفعل بدون
الحاجة الا ان يقصد ان يخبر بالثمن في الحال ويرى انه يحصل بتاخير الربح كثير مما يفوت
بالسلم فان المتسلف يبيع السلعة في الحال بدون ما يساوي نقدا والمسلف
يرى انه يشتري بها الى اجل بارخص مما يكون عند حصولها والا فلو علم انها عند الاجل
تحصل الخيط في البيدر تباع بالسلم لم يسلم فيها فيذهب نفع ماله بلا فائدة واذا قصد
الاخر ان يضمن ذلك قرضا ولا يجعل ذلك سلما الا اذا ظن انه ارخص في الحال وقت الاجل فالسلم
الى اجل في الغالب لا يكون الا مع حاجة المتسلف الى الثمن بما في الحال اذ لو كان عنده فقد يكون محتاجا الى الثمن
فيبيع ما عنده معينا تارة وموصوفا اخرى واما اذا لم يكن عنده فانه لا يفعله الا اذا قصد
التجارة والربح فيبيعه بسعر ويشتري بارخص منه هذا الذي قد يحصل كم قدر وقد
لا يحصل بل قد لا يحصل له تلك السلعة التي تسلف فيها وقد لا يحصل الا بثمن اعلا مما تسلفه فيندم
وان حصل بسعر ارخص من ذلك ندم المسلف اذا كان يمكنه ان يشتريه هو بذلك الرخص فصار
هذا من نوع الميسر والقمار والمخاطرة كبيع العبد الابق والبعير الشارد وبيع بدون ثمنه فان
حصل ندم البائع وان لم يحصل ندم المشتري وكذلك بيع حبل الحبلة وبيع اللاقح والمضامين
وكون ذلك مما قد يحصل وقد لا يحصل وهو من جنس صاحب القمار والميسر فالخطر خطران خطر التجارة
نعم ان يشتري السلعة يقصد ان يبيعها بربح ويتوكل على الله في ذلك فهذا لا بد منه للتجار والتاجر يتوكل على الله

يطلب منه ان ياتي من يشتري السلعه وان يبيعها بربح وان كان قد يخسر احيانا فالتجارة تكون
الا كذلك والخطر الثاني الميسر الذي يتضمن اكل المال بالباطل فهذا الذي حرمه الله ورسوله مثل
بيع الملامسه والمنابذه وحبل الحبله والملاقيح والمضامين وبيع الثمار قبل بدو صلاحها وفي
هذا يكون احدى الرجلين قد قمر الاخر وظلمه وفي هذا يذم المظلوم للظالم بخلاف التاجر الذي
اشترى السلعه ثم بعد هذا نقص سعرها فهذا من الله ليس لاحد فيه حيله ولا يتكلم مثل هذا من البايع
وبيع ما ليس عنده والمشتري لا يعلم انه يبيعه ثم يشتري من غيره واكثر الناس لو علموا لم يشتروا منه
بل يذهبون هم فيشترون من حيث اشترى هو وان قدر ان منهم من يعلم ويشتري كما لو كانت عنده
لكونه يشتريها من مكان بعيد او يشتري جملة ونحو ذلك مما قد يتيسر على المشتري منه وانما
يفعل ذلك اذا ظن ان هذا الربح هو الربح لو كانت عنده فلو قدر ان السلعه رخيصه ارخص
من العاده وان هذا قد اربحه ما لا يصلح في مثلها ندم فهو يشتمل كثيرا على ندم هذا
وهذا كما يشتمل على مثل ذلك سائر انواع بيع الغرر وليس هذه المخاطره مخاطرة التجاره
بل مخاطره المستعجل بالبيع قبل القدره على التسليم كبيع الثمار قبل بدو صلاحها وبيع حبل
الحبله وبيع الملاقيح والمضامين وبيع العبد الابق والبعير الشارد ونحو ذلك فاذا اشترى
التاجر السلعه وصارت عنده ملكا وقبضا فحينئذ دخل في خطر التجاره وباع بيع التجاره
كما احله الله تعالى بقوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجاره عن تراض منكم وقوله
صلى الله عليه وسلم ولا شرطان في بيع هو كنيه عن بيعتين في بيعه مثل ان يتفقا على
ان يبيعه بمايه نسيه ويبتاعه بثمانين نقدا وهو بيع العينه واما من فسره
بانهما شرطان في العقد الواحد اكثر من شرط واحد ثم منهم من نهى عن هذا مطلقا
كما نقل عن احمد ومنهم من قال هذا في نوع من الشروط وهو ما ليس من مصلحه العقد
فهي اقوال مرجوحه وليس في ذلك ما يقتضي النهي والله سبحانه وتعالى اعلم



قال كاتبه الاحقر الغلث مرحفا شيخنا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه

قال تعالى في القرآن وكلام الله قال الآجري رحمه الله في هذا اخطر بنا في هذا اوانا عظيما وفتنة تواجلوا اختلفوا اتباع الهوى وتحلفوا بغير الله وكفى بالله شهيدا وحكما وقد ذم الله المشتغلين بالكلام في الصانع وقد قال تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وقال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين الى قوله فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والاختلاف فيه نوعان اختلاف في تنزيله واختلاف في تاويله والمختلفون الذين هداهم الله هم المختلفون في الحق بان ينكروها ولاي الحق الذي مع اولئك وبالعكس فان الآيات تجمع الحق المنزل فاما من امن بذلك وكفر به عابر فهذا اختلاف يذم في احد الصنفين كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله فمنهم من امن ومنهم من كفر والاختلاف في تنزيل اعظم فان الذي قصدناه هنا فنوع الاختلاف في تاويله هو بين المؤمنين والكافرين فالمؤمنون يؤمنون بما انزل الله والكافرون كفروا بالكتاب وبما ارسل الله به رسله فسوف تطوف فالمؤمنون بجنس الرسل والكتب من اليهود والمسلمين والنصارى والصابئين يؤمنون بذلك والكافرون بجنس الكتب والرسل من المشركين والمجوس والصابئين يكفرون بذلك وذلك ان الله ارسل الرسل وانزل الكتاب ليبلغهم كلام الله الذي انزله اليهم فمن اقر بالرسالة بلغوه عن الله ومن كذب ارسل كذب بما يبلغونه عن الله فالايمان بكلام الله داخل في الايمان برسالة الله الى عباده والكفر بذلك هو الكفر بهذا بعينه بل هذا اصل ايمان كل مؤمن وكفر كل كافر وهذا هو الفارق بين اولياء الله واعدائه وهذا كان اول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك الذي خلق فان فيها الامر بالقراءة والاخبار بان الله علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فالقراءة امر بالعلم والعلم اخبار بالعلم والقلم هو الكتابة وهو من اعظم آيات الله في خلقه وبه كان الناس يكتبون علومهم ودينهم وبه كتب الله كتبه التي انزلها على رسله وبه كتب الله لعباده ما كتبه لهم من امره ونهيه ووعده ووعيده وبه كتب ما قدره من اعمال عباده وآجالهم وارزاقهم وغير ذلك من امور الخلق والامر كما قال تعالى ن والقلم وما يسطرون وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وقال تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وقال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وقال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون الى قوله ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس وقال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وقال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس وقال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا

في الصلاة خلف المرزوقة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فصل يجوز للرجل ان يصلي الصلوات
الخمس والجمعة وغير ذلك خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقا باتفاق الائمة الاربعة وغيرهم من ائمة المسلمين وليس من شرط
الائتمام ان يعلم المأموم اعتقاد امامه ولا ان يمتحنه فيقول ماذا يعتقد بل يصلي خلف المستور الحال ولو صلى خلف من يعلم
انه فاسق او مبتدع ففي صحة صلاته قولان مشهوران في مذهب مالك واحمد وغيرهما ومذهب الشافعي وابي حنيفة صحة
صلاة المأموم وقول القائل لا اسلم مالي الا لمن اعرفه ومراده لا اصلي الا خلف من اعرفه كما لا اسلم مالي الا لمن اعرفه كلام جاهل
لم يقله احد من ائمة الاسلام فان المال اذا اودعه الرجل المجهول قد يخونه فيه وقد يضيعه واما الامام فلو اخطأ او نسي
لم يؤاخذ بذلك المأموم كما روى البخاري في صحيحه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يصلون لكم فان اصابوا فلكم ولهم وان اخطأوا
فلكم وعليهم فجعل خطأ الامام على نفسه دون المأموم وقد صلى عمر وغيره من الصحابة وهو جنب ناسيا للجنابة فاعاد الصلاة
ولم يأمر المأمومين بالاعادة وهذا مذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي واحمد في المشهور عنه وكذلك لو فعل الامام ما يسوغ
عنده وهو عند المأموم يبطل الصلاة مثل ان يفتصد ويصلي ولا يتوضأ او يمس ذكره او امرأته ولا يتوضأ او يترك قراءة
البسملة وهو يعتقد ان صلاته تصح مع ذلك والمأموم يعتقد ان الصلاة لا تصح مع ذلك فجمهور العلماء على صحة صلاة المأموم
كما هو مذهب مالك واحمد في اظهر الروايتين بل في انصهما عنه وهو احد الوجهين في مذهب الشافعي اختاره القفال وغيره
ولو قدر ان الامام صلى بلا وضوء متعمدا لذلك والمأموم لم يعلم بذلك حتى مات المأموم لم يطالب الله المأموم بذلك
ولم يكن عليه اثم باتفاق المسلمين بخلاف ما اذا علم انه يصلي بلا وضوء فانه ليس له ان يصلي خلفه فان هذا ليس بمصل بل
لاعب ولو علم انه صلى بلا وضوء ففي اعادة الصلاة نزاع ولو علم ان الامام مبتدع يدعو الى بدعة او فاسق ظاهر الفسق
وهو الامام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة الا خلفه كامام الجمعة والعيدين والامام في صلاة الحج بعرفة ونحو ذلك فان المأموم
يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف وهو مذهب احمد والشافعي وابي حنيفة وغيرهم ولهذا قالوا في العقائد انه تصلى
الجمعة والعيد خلف كل امام برا كان او فاجرا وكذلك اذا لم يكن في القرية الا امام واحد فانه تصلى خلفه الجماعات
وان كان فاسقا فان الصلاة في جماعة خير من صلاة الرجل وحده وان كان الامام فاسقا هذا مذهب جماهير العلماء
احمد بن حنبل والشافعي وغيرهما بل الجماعة واجبة على الاعيان في ظاهر مذهب الامام احمد ومن ترك الجمعة والجماعة خلف
الامام الفاجر فهو مبتدع عند الامام احمد وغيره من ائمة السنة كما ذكر ذلك احمد في رسالة عبدوس بن مالك العطار
والصحيح انه يصليها ولا يعيدها فان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الائمة الفجار
كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن يوسف وكما كان عبد الله بن مسعود وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة

ابن

على صورة ذلك البعير وانما هو شيطان تمثل على صورته ومثل هذا وان اتبع كثيرا وهي احوال الشيطانية قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وذكر الرحمن هو الذكر الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره
يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وتنسيانها هو ترك
الايمان والعمل بها واد حفظ وقال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى
في الاخرة وقد هذا الايه من اتبع ما بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة هداه الله واسعده ومن اعرض
عن ذلك ضل وشقي واضله الشيطان واشقاه فالاحوال الصالحة وكرامات اولياء الله المتقين تكون مع سبب الايمان والتقوى
فان هذا حد الاولياء كما قال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون وتكون
نعمة الله على عباده المؤمنين في دينهم ودنياهم تكون الحسنة في الدين والحاجة في الدنيا للمؤمنين مثلما كان يحدث لنبينا
صلى الله عليه وسلم كانت الحسنة في الدين والحاجة للمسلمين مثل البركة التي تحصل في الطعام والشراب كشبع الخلق من اصابعه
ومثل نزول المطر بالاستسقاء ومثل شفاء المريض بالدعاء ومثل الاخبار الصادقة والنافعة بما غاب عن
الحاضرين واخبار الانبياء لا تكذب قط واما اصحاب الاحوال الشيطانية فهم من جنس الكهان مكذبون
تارة ويصدقون اخرى والبدع انما هي من مخالفة الامر قال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل
افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون ولهذا يوجد الواحد من هؤلاء حالسا للنبي يأتي من الغيبيات
والاخبار التي يخبر بها الشياطين اوليائهم للفواحش او ظالما للناس في انفسهم واموالهم وغير ذلك والله تعالى
قد حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون واولياء الله هم الذين تتبعون رضاه بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور وهذا
جملة لها بسط طويل لا تتسع لهذا الموضع الكلام والله اعلم

آخره والحمد لله رب العالمين

حسن في رجل نفسه وشره نعم ويصلي الصلوات الخمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل صلاة لم تنه عن الفحشاء والمنكر لم تزد صاحبها من الله الا بعدا الجواب هذا الحديث ليس ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه وعلى حال فالصلاة لا تزيد صاحبها الا خيرا على الذي يصلي خير من الذي لا يصلي واقرب الى الله منه وان كان فاسقا فان قال بعض الناس لست اصلي صلاتك الا ما عقلت منها وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد لينصرف وما كتب له منها الا نصفها الا ثلثها الا ربعها الا خمسها حتى قال الا عشرها فالصلاة اذا اتى بها كما امر تنهى عن الفحشاء والمنكر واذا لم تنهه لم تضع لفعلها وان كان مصليا وقد قال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا والله اعلم

وفي واجبها والله اعلم مسئلة في مسلم تارك الصلاة ويصلي يوم الجمعة فهل يجب عليه اللعن الجواب الحمد لله هذا
تستوجب اللعنة باتفاق المسلمين والواجب عند جمهور العلماء كمالك والشافعي واحمد ان يستتاب فان تاب والا قتل
ولعن تارك الصلاة على وجه العموم جائز واما لعن المعين فالاولى تركها لانه يمكن ان يتوب والله اعلم

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه نتوكل
وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن الصبر الجميل والصفح الجميل
والهجر الجميل وما اقسام التقوى والصبر الذي عليه الناس

فاجاب الحمد لله رب العالمين

اما بعد فان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالهجر الجميل
والصفح الجميل والصبر الجميل فالهجر الجميل هجر بلا اذى والصفح الجميل صفح بلا
عتاب والصبر الجميل صبر بلا شكوى قال يعقوب عليه السلام انما اشكوا بثي
وحزني الى الله مع قوله فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون فالشكوى
الى الله لا تنافي الصبر الجميل ويروى عن موسى عليه السلام انه كان يقول اللهم
لك الحمد واليك المشتكا وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ومن
الدعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اليك اشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي
وهواني على الناس انت رب المستضعفين وانت ربي اللهم الى من تكلني
الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضبا فلا
ابالي غير ان عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له
الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي سخطك او يحل علي غضبك
لك العتبى حتى ترضى وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقرا في صلاة
الفجر انما اشكوا بثي وحزني الى الله ويبكي حتى يسمع نشيجه من اخر
الصفوف بخلاف الشكوى الى المخلوق وقرئ على الامام احمد في مرض
موته ان كاوسا كره انين المريض وقال انه شكوى فما ان حتى مات
وذلك ان المشتكي طالب بلسان الحال اما ازالة ما يضره او حصول
ما ينفعه والعبد مامور ان يسال ربه دون خلقه كما قال تعالى فاذا

النشيج صوت معه توجع وبكاء
نشيج ينشج ١٢
الدر المنير

اوراق - ٧٠

فرغت فانصب والى ربك فارغب وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سالت
فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله ولابد للانسان من شيئين طاعته بفعل
المامور وترك المحظور وسرك على ما يصيبه من القضا المقدور فالاول اثنان
فاول هو التقوى والثاني هو الصبر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم الى قوله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وقال يوسف انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ولهذا
كان الشيخ عبد القادر ونحوه من المشايخ المستقيمين يوصون في عامة
كلامهم بهذين الاصلين المسارعة الى فعل المامور والتقاعد عن فعل المحظور
والصبر والرضى بالامر المقدور وذلك ان هذا الموضع غلط فيه كثير من
العامة ومن السالكين فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية
دون الدينية فيرون ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه ولا يفرق بين ما يحبه الله
ويرضاه وبين ما يسخطه ويبغضه وانه قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد
الالوهية وبين توحيد الربوبية فيشهد الجمع الذي يشترك جميع المخلوقات
سعيدها وشقيها شهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات المومن والكافر
والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبي الكاذب واهل الجنة واهل النار
والملايكة المقربين والمردة الشياطين فان هولاء كلهم يشتركون في
هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونية وهو ان الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم
غيره ولا يشهد الفرق الذي فرق الله فيه بين اوليايه واعدايه وبين اهل الجنة
واهل النار وهو توحيد الالهية وهو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته
وطاعة رسوله وفعل ما يحبه ويرضاه وهو ما امر به رسوله امر ايجاب
او امر استحباب وترك ما نهى الله عنه ورسوله وموالاة اوليايه ومعاداة اعدايه

والامر

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد
واللسان فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون
مع اهل الحقيقة الدينية والافهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى
فان المشركين يقرون بالحقيقة الكونية اذهم يقرون بان الله رب كل شيء كما قال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون سيقولون لله الآيات ولهذا قال سبحانه وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون قال بعض السلف تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله ومع
هذا يعبدون غيره فمن اقر بالقضاء والقدر دون الامر والنهي الشرعيين
فهو اكفر من اليهود والنصارى فان اولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاءوا
بالامر والنهي لكن امنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله
الى قوله اولئك هم الكافرون حقا واما الذي يشهد الحقيقة الكونية وتوحيد الربوبية
الشامل للخليقة ويقر ان العباد كلهم تحت القضاء والقدر ويشهد هذه الحقيقة فلا يفرق بين
المؤمنين وبين الفجار الكافرين فهؤلاء اكفر من اليهود والنصارى لكن قد الناس من
قد يمحو الفرق في بعض الامور دون بعض بحيث يفرق بين المؤمن والكافر ولا يفرق
بين البر والفاجر او يفرق بين بعض الابرار وبين بعض الفجار ولا يفرق في اخرين
اتباعا لظنه وما تهواه فيكون ناقص الايمان بحسب ما سوى بين الابرار والفجار
ويكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق بحسب ما به فرق بين اولياء واعدائه
ومنهم اقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر كالقدرية المعتزلة
ونحوهم الذين هم مجوس هذه الامة فهؤلاء يشبهون المجوس فان اولئك يشبهون
المشركين الذين هم شر من المجوس ومنهم اقر بهما وجعل الرب متناقضا فهو من
اتباع ابليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما تقدم ذكر عنه فهذا
المتقسم من القول والاعتقاد وكذلك هم في الاحوال والافعال فالصواب منها حال

والقدر

حالة المؤمن الذي يتقي الله فيفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على ما يصيبه من المقدور
وهو عند الامر والنهي والدين والشريعة ويستعين الله على ذلك كما قال تعالى اياك نعبد واياك
نستعين واذا اذنب استغفر وتاب ولا يحتج بالقدر كما قال تعالى على ما يفعله من السيئات ولا
يرى للمخلوق على رب الكاينات بل يؤمن بالقدر ولا يحتج به كما في الحديث الصحيح الذي يستغفر
ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك
ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت فيقر بنعمة الله عليه في الخلق ويعلم انه هو هداه وييسره لليسرى
ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها كما قال بعضهم اطعتك بفضلك والمنة لك وعصيتك
بعلمك والحجة لك فاسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي الا غفرت لي وفي الحديث
الصحيح الالهي يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا
فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وهذا تحقيق مبسوط في غير هذا
الموضع **واخرون** قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في
الطاعة بحسب الاستطاعة لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما يوجب لهم حقيقة
الاستعانة والتوكل والصبر **واخرون** يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من
الاستعانة والصبر والتوكل ما ليس عند اولئك لكنهم لا يقربون امر الله ورسوله واتباع
شريعته وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة فهؤلاء لا يستعينون بالله ولا يعبدونه
والذين من قبلهم يريدون ان يعبدوه ولا يستعينوه والمؤمن يعبده ويستعينه
والقسم الرابع شر الاقسام وهو من لا يعبده ولا يستعينه فلا هو مع الشريعة
الامرية ولا مع القدر الكوني وانقسامهم لهذه الاقسام فيما يكونه قبل القدر
من التوكل والاستعانة ونحو ذلك وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك فهم في العون
وهي طاعة الامر الديني والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني اربعة اقسام **احدها**
اهل التقوى والصبر وهم الذين انعم الله عليهم اهل السعادة في الدنيا والاخرة

والثاني الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر مثل الذين يعشقون ما علمهم من
الصلوات ونحوها ويتركون المحرمات ولكن اذا اصيب احدهم في بدنه بمرض ونحوه
او ماله او في عرضه او ابتلي بعبد وعظم جزعه وظهر هلعه والثالث قوم
لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على الآلام في مثل
ما يطلبونه من الغصب واخذ الحرام واهل الديوان الذين يصبرون
على ذلك وطلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها وكذلك طلاب الرياسة
والعلو وغيرهم يصبرون في ذلك على انواع من الاذى التي لا يصبر عليها اكثر الناس
وكذلك اهل التعجب للصور المحرمة من اهل العشق وغيرهم يصبرون في ذلك على انواع
في مثل ما يهون به من المحرمات على انواع من الاذى وهؤلاء هم الذين يريدون علوا
في الارض وفسادا من طلاب الرياسة ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان يصبرون
على انواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى لما تركوه من المأمورات وفعلوه من
المحظورات وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك
ولا يكون فيه تقوى اذا قدر واما القسم الرابع فهم شر الاقسام لا يتقون
اذا قدروا ولا يصبرون اذا ابتلوا بل هم كما قال الله ان الانسان خلق هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فهؤلاء تجدهم من اظلم الناس واجبرهم
اذا قدروا ومن اذل الناس وابخسهم اذا قهروا وان قهرتهم ذلوا لك وناقفوك
وحيوك ودخلوا فيما يدفعون به عن انفسهم من انواع الكذب والذل وتعظيم المسؤل
وان قهروك كانوا من الناس اقساهم قلبا واقلهم رحمة واحسانا وعفوا واكثرهم
للسلوك في كل من كان عن حقائق الايمان ابعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون
ومن شبههم في كثير من امورهم وان كان منتظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم
وزهادهم وتجارهم وصناعهم فالاعتبار بالحقائق فان الله لا ينظر الى صوركم

والى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار واعمالهم
كان شبيها بهم من هذا الوجه وكان ما معه من الاسلام او ما يظهره منه بمنزلة ما معهم
من الاسلام او ما يظهرونه منه بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظاهرين
للاسلام من هو اعظم ردة واولى باخلاق الجاهلية وابعدهم عن الاخلاق الاسلامية من
التتار وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في خطبته خير الكلام كلام الله
وخير الهدي هدي محمد وكل من كان الى ذلك اقرب فهو به اشبه كان الى الكمال اقرب
وبه احق ومن كان عن ذلك ابعد وشبه به اضعف كان عن الكمال ابعد وبالباطل
احق والكامل هو من كان لله اطوع وعلى ما يصيبه اصبر فكلما كان اتبع لما يامر الله به
ورسوله واعظم موافقة لله فيما يحبه ويرضاه وصبر على ما قدره وقضاه كان اكمل
وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك وقد ذكر الله تعالى التقوى
والصبر جميعا في غير موضع من كتابه وبين انه به ينتصر العبد على عدوه من الكفار المحاربين
المعاهدين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين والصحابة لتكون العاقبة قال الله تعالى
بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
مسومين وقال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الى قوله وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا وقال يوسف عليه السلام انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وقد قرن الصبر بالاعمال الصالحة عموما وخصوصا فقال واتبع
ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وفي اتباع
ما اوحي اليه التقوى كلها تصديقا لخبر الله وطاعة لامره وقال تعالى
واقم الصلاة طرفي النهار وزلفى الى قوله واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين

وقال تعالى

وقال تعالى واقم الصلاة طرفي فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد
ربك بالعشي والابكار وقال تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها وقال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فهذه
مواضع قرن فيها بين الصلاة والصبر وقرن بين الصبر والرحمة في قوله وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فان القسمة ايضا
رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كاهل القوة والقسوة ومنهم من
يرحم ولا يصبر كاهل الضعف واللين مثل كثير من النسا ومن يشبههن
ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كاهل القسوة والهلع والمحمود هو الذي
يصبر ويرحم كما قال الفقها في صفة المتولي ينبغي ان يكون قويا
من غير عنف لينا من غير ضعف فبصبره يقوى وبلينه يرحم وبالصبر
ينصر العبد فان النصر مع الصبر وبالرحمة يرحمه الله كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم انما يرحم الله من عباده الرحما وقال من لا يرحم لا يرحم وقال لا
تنزع الرحمة الا من شقي الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم
من في السماء والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على محمد وسلم

كتاب البعلبكية من مصنفات [redacted] شيخنا الامام

العالم العامل العلامة تقي الدين مفتي

الفرق مؤيد السنة المحمدية ابي

العباس احمد بن تيمية

الحراني رضي الله

عنه وارضاه

امين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم حجة الاسلام بركة الانام ناصر السنة قامع

البدعة تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

الحراني رضي عنه فصل في بيان ان القرآن كلام الله

ليس شيء منه كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال الله تعالى

فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان

على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون الى قوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق

ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون

انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين

فامره ان يقول نزله روح القدس من ربك بالحق فان الضمير في قوله

قل نزله عائد على ما في قوله عما ينزل والمراد به القرآن كما يدل عليه سياق الكلام

حور

وقوله والله اعلم بما ينزل فيه اخبار الله بانه انزله لكن ليس في هذه اللفظة بيان
ان روح القدس نزل به وانه منزل منه ولفظ الانزال في القرآن قد يرد مقيدا
بالانزال منه كنزول القرآن وقد يرد مقيدا بالانزال من السماء ويراد به العلو
فيشمل نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك
وقد يرد مطلقا فلا يختص بنوع من الانزال بل يتناول هذا والانزال من
رؤس الجبال كقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد والانزال من ظهور
الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك فقوله نزل به روح القدس
من ربك بيان انزل جبريل به من الله فان روح القدس هنا
هو جبريل بدليل قول من قال من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك
باذن الله وهو الروح الامين في قوله وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وفي قوله الامين
دلالة على انه مؤتمن على ما ارسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه فان
الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما قال في صفة في الاية الاخرى انه
لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وفي قوله منزل من ربك دلالة على ما تقدم من بطلان
قول من يقول انه كلام مخلوق خلقه في جسم من الاجسام المخلوقة
كما هو قول الجهمية الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية
والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يعلمون كل من نفى الصفات
وقال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الاخرة جهميا فان جهما
اول من ظهرت عنه بدعة نفي الاسماء والصفات والغلو في ذلك فلهم

في هذه البدعة مزيد المبالغة في النفي والابتدا بكثرة اظهار ذلك والدعوة
اليه وان كان جعد سبقه الى بعض ذلك فان الجعد ابن درهم اول من احدث
ذلك في الاسلام فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر وقال
يا ايها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد ابن درهم
انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى
الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه ولكن المعتزلة وان وافقوا جهما
على بعض ذلك فهم يخالفونه في مسايل غير ذلك كمسايل الايمان والقدر وبعض
مسايل الصفات ايضا ولا يبالغون في النفي مبالغة وجهم يقول ان الله
لا يتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز واما المعتزلة فيقولون انه يتكلم
حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم وجهم ينفي الاسماء ايضا كما
نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة واما جمهور المعتزلة فلا ينفون
الاسما والمقصود ان قوله منزل من ربك بالحق فيه بيان انه منزل
من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدا اي هو الذي
تكلم به لم يبتدي من غيره كما قالت الخلقية ومنها ان قوله
منزل من ربك فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي من العقل الفعال
او غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابية وهذا القول اعظم
كفرا وضلالا من الذي قبله ومنها ان هذه الاية ايضا تبطل
قول من يقول ان القران العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق اما في جبريل
او محمد او جسم اخر غيرهما كما تقول ذلك الكلابية والاشعرية الذين يقولون القران
العربي ليس هو كلام الله وانما كلامه المعنى القايم بذاته والقران العربي خلق ليدل على ذلك

المعنى

المعنى ثم اما ان يكون خلق في بعض الاجسام الهوى او غيره او الهمه
جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي او الهم محمدا فعبر عنه بالقرآن العربي
او يكون اخذ جبريل من اللوح المحفوظ او غيره فهذه الاقوال التي تقال تفريعا
على هذا القول فان هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم
به اولا قبل ان يصل الينا وهذا القول يوافق قول المعتزلة وجميعهم
في اثبات خلق القرآن العربي وكذلك القدرية المعتزلية ويفارقهم من
وجهين احدهما ان اولئك يقولون ان المخلوق كلام الله
وهؤلاء لا يقولون انه كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازا وهذا قول ائمتهم
جهم وغيره وقالت طائفة من متاخريهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا
بالاشتراك اللفظي لكن هذا ينقض اصلهم في ابطال قيام الكلام
بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة
كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلام حقيقة وهذا شر من
قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه قول
المعتزلة اقرب وقول المتاخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة
في المعنى يوافقونهم على هؤلاء وانما ينازعونهم في اللفظ الثاني ان الله
هؤلاء يقولون الله كلام هو معنى قديم قائم بذاته والخلقية يقولون
لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية في
الظاهر لكن جمهور الناس يقولون ان اصحاب هذا القول عند التحقيق
لم يثبتوا كلاما له حقيقة عند غير المخلوق فانهم يقولون ان معنى

واحد هو الامر والنهي والخبر فان عبر عنه بالعربية كان قرانا وان عبر عنه بالعبرانية
كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وقد منعهم من قال
هو حس معان وجمهور العقلا يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة
بعد التصور التام والعقلا الكثيرون لا يتفقون على الكذب وجحد
الضروريات من غير تواطؤ واتفاق كما في خبر الاخبار المتواترة واما
مع التواطؤ فقد يتفقون على الكذب عمدا وقد يتفقون على جحد الضروريات
وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولم يفهم حقيقة القول الذي
يعتقدون لحسن ظنه فيمن يقلده قول وجب لمضمون ذلك القول كما اتفقت
النصارى والرافضة وغيرهم من الطوايف على مقالات يعلم فسادها
بالضرورة وقال جمهور العقلا نحو اذا عين لنا التوراة والانجيل
لم يكن معنى ذكر معنى القرآن بل معاني هذا ليست هنا وكذلك
معنى قل هو الله احد ليس هو معنى تبت يدا ابي لهب
ولا معنى اية الكرسي هو معنى اية الدين وقالوا اذا جوزتم
ان تكون الحقايق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا ان يكون العلم
والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف ايمة هذا
القول بان هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلي ثم منهم من قال
الناس في الصفات اما مثبت لها قايل بالتعدد واما نافي لها
واما اثباتها واتحادها خلاف الاجماع وهذه طريقة القاضي ابي
بكر وابي المعالي وغيرهما ومنهم من اعترف بانه ليس له
عنه جواب كابي الحسن الامدي وغيره والمقصود

هنا

هذا ان هذه الاية تبين بطلان هذا القول كما تبين بطلان غيره
فان قوله قل نزله روح القدس من ربك بالحق يقتضي نزول القرآن
من ربه والقرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه بدليل قوله فاذا
قرأته القرآن وانما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المجردة وايضا
فضمير الفعول في قوله نزله عايد الى ما في قوله والله اعلم بما ينزل فالذي انزل الله هو
الذي انزله روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم ان يكون
نزله من الله فلا يكون شيء منه نزل من عند من الاعيان المخلوقة ولا نزل
من نفسه وايضا فانه قال عقيب هذه الاية ولقد نعلم انهم يقولون انما
يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين وهم
كانوا يقولون انما يعلمه ~~بشر~~ ~~يعلمه فقط~~ هذا القرآن العربي بشر لم يكونوا يقولون
انما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قولهم لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان
عربي مبين فانه تعالى ابطل قول الكفار بان لسان الذي الحدوا اليه بان اضافوا اليه
هذا القرآن فجعلوه هو الذي يعلم محمدا القرآن لسان اعجمي والقرآن لسان عربي
مبين وعبر عن هذا المعنى بلفظ يلحدون لما تقتضي من معنى ميلهم عن
الحق وميلهم الى هذا الذي اضافوا اليه القرآن فان لفظ الالحاد يقتضي الميل
عن شيء الى شيء فلو كانوا قالوا انما يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا
لقولهم فان الانسان قد يتعلم من الاعجمي شيئا بلغة ذلك الاعجمي ويعبر عنه
هو بعبارته وقد اشتهر في التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو تعلم
من شخص كان بمكة اعجمي قيل انه كان مولى لابن الحضرمي واذا كان الكفار جعلوا
الذي يعلم ما نزل به روح القدس بشرا والله ابطل ذلك بان لسان ذلك اعجمي وهذا

وهذا لسان عربي مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربي المبين وان محمدا
لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس واذا كان روح القدس نزل به من الله
علم انه سمعه منه لم يؤلفه هو وهذا بيان من ان القرآن الذي
هو اللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله ونزل به منه وهذا نظير
هذه الآية قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الى قوله
فذرهم وما يفترون وكذلك قوله وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين والكتاب
اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق فان الكلابية ومن وافقهم وبعضهم
يفرق بين كلام الله وكتاب الله فيقول الكلام هو المعنى القائم بالذات وهو غير
مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو مخلوق والقرآن يراد به
هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى
قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين وقال تعالى
طسم تلك ايات الكتاب والحم والكتاب المبين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن الى قوله قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فبين
ان الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب وقال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
وقال انه لقرآن كريم في كتاب مكنون وقال تيلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة
وقال والطور وكتاب مسطور في رق منشور وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
فلمسوه بايديهم ولكن لفظ الكتاب يراد به المكتوب فيكون هو الكلام
وقد يراد به ما كتب فيه كما قال انه لقرآن كريم في كتاب مكنون وقال
وتخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا والمقصود هنا

ان قوله

ان قوله وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا يشاور انزول القرآن
العربي على كل قول وقد اخبر ان الذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق اخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم
يقل انهم يظنونه او يقولونه والعلم لا يكون الا حقا مطابقا للمعلوم بخلاف
القول والظن الذي ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربي نزل من الله
لا من الهواء ولا من اللوح ولا من جسم اخر ولا من جبريل ولا من محمد ولا غيرهما
واذا كان اهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الامة كان اهل الكتاب
المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس
وغيره من السلف في تفسير قوله انا انزلناه في ليلة القدر انه انزل الى بيت العزة
في السماء الدنيا ثم انزل بعد ذلك نجما نجما مفرقا بحسب الحوادث ولا ينافي انه
مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
وقال تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون وقال تعالى
كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة
كرام بررة وقال تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم فاخبر انه مكتوب عالي
في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بايدي الملائكة لا ينافي ان يكون جبريل
نزل به من الله سواء كتبه الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد ذلك واذا كان
قد انزل مكتوبا الى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتب كله قبل
ان ينزله والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان
يكون وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق وكتب اعمال العباد قبل ان يعملوها

كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة وآثار السلف ثم انه يامر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها
فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتاخرة عنه فلا يكون بينهما
تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف وهو حق فاذا كان
ما يخلقه باينا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف يستبعد ان يكتب كلامه
الذي يرسل به ملائكته قبل ان يرسلهم به ومن قال ان جبريل اخذ القران
عن الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه منها ان الله سبحانه
وتعالى قد كتب التورية لموسى بيده فبنوا اسرائيل اخذوا كلام الله من الكتاب الذي
كتبه هو سبحانه فيه فان كان محمد اخذه عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان
بنوا اسرائيل اعلا من محمد بدرجة وهكذا من قال انه القى الى جبريل معان
وان جبريل عبر عنها بالكلام العربي فقوله يستلزم ان يكون جبريل الهمه
الهاما وهذا الالهام يكون لاحاد المومنين كما قال تعالى واذ اوحيت الى الحواريين
ان امنوا بي وبرسولي وقال واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقد اوحى الى
ساير النبيين فيكون هذا الوحي الذي يكون لاحاد الانبيا والمومنين اعلى من
اخذ محمد القران عن جبريل لان جبريل الذي علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من
هولاء وايضا فان الله تعالى يقول انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى
قوله وكلم الله موسى تكليما ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن اوحى اليه فهذا
يدل على امور على ان الله يكلم عبده تكليما زايدا على الوحي الذي هو قسيم
التكليم الخاص فان لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم الى عام وخاص فالتكليم

العام

العام هو المقسوم في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فتكليمه المطلق هو قسيم الوحي الخاص ليس قسما منه وكذلك
لفظ الوحي قد يكون عاما فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى فاستمع لما
يوحى وقد يكون قسم التكليم الخاص كما في سورة الشورى وهذا يبطل قول من
يقول الكلام معنى واحد قايم بالذات فانه حينئذ لا فرق بين التكلم الذي
خص به موسى والوحي العام الذي يكون لاحاد العباد ومثل هذا قوله في الاية
الاخرى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء فانه فرق بين الايحا وبين التكلم من وراء حجاب وبين
ارسال رسول فيوحي باذنه ما يشاء فدل على ان التكلم من وراء حجاب كما كلم موسى امر
غير الايحا وايضا فقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقوله حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم وقوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم ومثال ذلك يدل على انه
منزل من الله لا من غيره وكذلك قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك فانه يدل على ان
اثبات ما انزل اليه وانه مامور بتبليغ ذلك وايضا فهم يقولون انه
معنى واحد فان كان موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله وان سمع بعضه
فقد تبعض وكلاهما ينقض قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد
ولا يتبعض فان كان ما سمعه موسى والملايكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم
علم جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع امره فيلزم ان يكون
كل واحد ممن كلمه الله او انزل عليه شيا من كلامه عالما بجميع اخبار الله واوامر الله
وهذا معلوم الفساد بالضرورة وان كان الواحد من هولاء انما يسمع
بعضه فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم وايضا فقوله وكلم الله موسى

من ربه صح

بلغ

العام هو المقسوم في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فتكليم المطلق هو قسيم الوحي الخاص ليس قسما منه وكذلك
لفظ الوحي قد يكون عاما فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى فاستمع لما
يوحى وقد يكون قسم التكليم الخاص كما في سورة الشورى وهذا يبطل قول من
يقول الكلام معنى واحد قايم بالذات فانه حينئذ لا فرق بين التكلم الذي
خص به موسى والوحي العام الذي يكون لاحاد العباد ومثل هذا قوله في الآية
الاخرى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء فانه فرق بين الايحا وبين التكلم من وراء حجاب وبين
ارسال رسول فيوحي باذنه ما يشاء فدل على ان التكلم من وراء حجاب كما كلم موسى امر
غير الايحا وايضا فقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقوله حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم وقوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم ومثال ذلك يدل على انه
منزل من الله لا من غيره وكذلك قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك فانه يدل على ان
اثبات ما انزل اليه وانه مامور بتبليغ ذلك وايضا فهم يقولون انه
معنى واحد فان كان موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله وان سمع بعضه
فقد تبعض وكلاهما ينقض قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد
ولا يتبعض فان كان ما سمعه موسى والملايكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم
علم جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع امره فيلزم ان يكون
كل واحد ممن كلمه الله او انزل عليه شيئا من كلامه عالما بجميع اخبار الله واوامر الله
وهذا معلوم الفساد بالضرورة وان كان الواحد من هؤلاء انما يسمع
بعضه فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم وايضا فقوله وكلم الله موسى

٢ الظاهر
فا التكليم

من ربه صح

تكليما وقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وقوله وناديناه من جانب
الطور الايمن وقربناه نجيا وقوله فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع
نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى الايات دليل
على تكلم سمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومن قال انه يسمع فهو مكابر
ودليل على انه ناداه والنداء لا يكون الا صوتا مسموعا لا يعقل في لغة العرب لفظ
النداء لغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازا وايضا فقد قال تعالى فلما جاءها نودي
ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين وقال تعالى فلما اتاها نودي
من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العلمين
وقال وهل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى وقال فلما اتاها
نودي يا موسى اني انا ربك وفي هذا دليل على انه حينئذ نودي لم يناد قبل
ذلك ولما فيها من معنى الظرف كما في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا
يكونون عليه لبدا ومثل هذا قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون
فانه وقت النداء بظرف محدود فدل على ان النداء يقع في ذلك الحين
دون غيره وجعل الظرف للنداء لا لسمع النداء ومثل هذا قوله
تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقوله واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم وامثال ذلك مما فيه توقيت لبعض اقوال الرب
بوقت معين فان الكلابية ومن وافقهم من اصحاب الائمة الاربعة
يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته الكلام المعين لازم لذاته
كلزوم الحياة لذاته ثم من هؤلاء من قال انه معنى واحد لان الحروف والاصوات

متعاقب

متعاقبة ان تكون قديمة ومنهم من قال بل الحروف والاصوات
قديمة الاعيان وانها مترتبة في ذاتها متقارنة في وجودها لم
تزل ولا تزال قايمة بذات الله والذي سمعه موسى قديم ازلي لم يزل
ولا يزال ومنهم من قال بل الحروف قديمة الاعيان بخلاف
الاصوات وكل هؤلاء يقولون انه المتكلم والله ليس الا مجرد خلق
ادراك المخلوق بحيث يسمع عالم يزل ولا يزال لا ان يكون هناك
كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكلم بكلام يتكلم الله بمشيئته
وقدرته بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعا لما كان موجودا
قبل سمعه بمنزلة ما يجعل الاعمى يبصر الماكان موجودا قبل رويته من
غير احداث شيء منفصل عن الاعمى عندهم لما جاء موسى ميقات
ربه وسمع النداء القديم الازلي حينئذ نودي ولهذا يقولون انه
يسمع كلام الخلقة بدل قول الناس انه يتكلم خلقه وهؤلاء يردون
خلقه بدل قول الناس انه يتكلم خلقه على الخلقية الذين يقولون القرآن
مخلوق ويقولون عن انفسهم اهل السنة الموافقون للسلف الذين قالوا
القرآن كلام الله غير مخلوق وليس قولهم قول السلف لكن قولهم
اقرب الى قول السلف من وجه وقول الخلقية اقرب الى قول السلف من
وجه اما كون قولهم اقرب فانهم يثبتون كلاما قايما بنفس الله وهذا
قول السلف بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه الا ما خلقه
في غيره فان قولهم لا مخالف لقول السلف واما كون قول الخلقية اقرب
فلانهم يقولون ان الله يتكلم بمشيئته وقدرته وهذا قول السلف
وهؤلاء عندهم لا يقدر الله على شيء من كلامه وليس كلامه

بمشيئة واختياره بالكلام عندهم كحياته وهم يقولون الكلام عندنا صفة ذات
لا صفة فعل والخلقية يقولون صفة فعل لا صفة ذات ومذهب السلف انه صفة
ذات وفعل معنى فكل منهما موافق للسلف من وجه دون وجه واختلافهم
في كلامه تعالى شبه اختلافهم في أفعاله تعالى رضاه وغضبه وارادته وكراهته
وحبه وبغضه وفرحه وسخطه ونحو ذلك فان هؤلاء يقولون هذه كلها
امور مخلوقة مباينة عنه ترجع الى الثواب والعقاب والآخرون يقولون بل هذه
كلها الصور قديمة الاعيان قائمة بذاته ثم منهم من يجعلها كلها
الاعيان قائمة تعود الى ارادة واحدة العين متعلقة بجميع المخلوقات ومنهم
من يقول بل هي صفات متعددة الاعيان لكن يقول كل واحدة واحدة
العين قديمة قبل وجود مقتضاها كما قالوا مثل ذلك في الكلام والله تعالى
يقول ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم
اسخطته وقال تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا وقال تعالى ادعوني
استجب لكم الى امثال ذلك مما بين انه سخط على الكفار لما كفروا ورضي عن
المؤمنين لما آمنوا وتظهر هذا اختلافهم في مسائل القدر فان
المعتزلة يقولون انه يفعل لحكمة ومقصود وارادة الاحسان
الى العباد لكن لا يستوفي لفعل حكمة تعود اليه واولئك يقولون لا
يفعل لحكمة ولا لمقصود اصلا فاولئك اثبتوا حكمة لكن لا تقوم به
ولا مقصودا يتصف هو به لانه لا يثبتون له حكمة تعود اليه وكذلك في الكلام اولئك اثبتوا
ما لا يقوم به والفريقان لا يثبتون كلاما هو فعله لا يقوم به وهؤلاء يقولون ما لا يقوم به ولا يعود
له حكمة تعود اليه حكمة اليه والفريقان يمنعون ان يقوم حكمة مرادة له كما يقوم
الفريقان انه يقوم به كلام وفعل يريده وقول اولئك اقرب

الى قول

الى قول السلف والفقهاء اذا اثبتوا الحكمة والمصلحة في افعاله واحكامه واثبتوا
كلاما يتكلم به بقدرته ومشيئته وقول هؤلاء اقرب الى قول السلف
اذا اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف بمجرد المخلوق المنفصل عنه
الذي لم يقم به ولا يكون اصلا ولا يعود اليه حكم من شيء لم يقم به فلا يكون
متكلما بكلام لم يقم به ولا يكون حكيما ورحيما بحكمة ورحمة لم تقم به ولا يكون
عليما بعلم لم يقم به وقدير بقدرة لم تقم به ولا يكون محبا راضيا غضبانا بحب
ورضى وغضب لم يقم به فكل من المعتزلة والاشعرية في مسائل كلام الله وافعال
الله وافقوا السلف والائمة من وجه وخالفوهم من وجه وليس قول احدهما
هو قول السلف دون الآخر لكن الاشعرية في جنس مسائل الصفات بل وسائر الصفات
والقدر اقرب الى قول السلف والائمة من المعتزلة **فان قيل**
فقد قال تعالى انه لقول رسول كريم وهذا يدل على ان الرسول احدث الكلام
العربي **قيل هذا** باطل وذكر الله ذكر هذا في
موضعين والرسول في احد الموضعين محمد والرسول في الآية الاخرى جبريل
وقال تعالى في سورة الحاقة انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين فالرسول هنا
محمد صلى الله عليه وسلم وقال في سورة التكوير انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين فالرسول هنا جبريل فلو كان اضافه الى الرسول
لكونه احدث حروفه او احدث منه شيئا لكان الخبر ان متناقضين فانه
ان كان احدهما هو الذي احدثها فايضا فانه قال انه لقول رسول
كريم ولم يقل لقول ملك او نبي ولفظ الرسول يستلزم مرسلا فدل
ذلك على ان الرسول بلغ عن مرسله لا انه انشأ من شيء من جهته ففسه
وهذا يدل على انه اضافه الى الرسول لانه بلغه واداه لا لغة انشأه منه

معنى قوله تعالى انه لقول رسول كريم

امتنع ان يكون الاخر هو الذي احدثها

شيئا

ولا ابتداه وايضا فان الله قد كفر من جعله قول البشر بقوله
انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم
ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ومحمد
بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول هو قول بشر او جني
او ملك فمن جعله قولا لاحد من هؤلاء فقد كفر ومع هذا فقد قال تعالى
انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر فجعله قول الرسول البشري مع
تكفير من يقول انه قول البشر فعلم ان المراد بذلك ان الرسول بلغه عن
مرسله لا انه قول له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي ارسله كما قال تعالى وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فالذي بلغه الرسول
هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على
الناس بالموسم ويقول الا رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشا
قد منعوني ان ابلغ كلام ربي رواه ابو داود وغيرها والكلام كلام من قاله
مبتديا لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى سمع كلام الله من الله
بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض فسماع موسى عليه السلام سماع مطلق
بلا واسطة وسماع الناس سماع مقيد بواسطة كما قال تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب كما كلم موسى وبين التكليم
بواسطة الرسول كما كلم الانبيا بارسال رسول اليهم تكلم به بحروفه
ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه
بحركاتهم واصواتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع منا
حديثا فبلغه كما سمعه فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن
بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالكلام هو كلام الرسول تكلم
به بصوته والمبلغ بلغ كلام الرسول بصوت نفسه واذا كان هذا

وفرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى

معلوما فيبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق ولم يذكر ولهذا قال تعالى وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم
زينوا القرآن باصواتكم فجعل الكلام كلام البارئ والصوت الذي يقرأ به
العبد صوت القارئ واصوات العباد ليست هي جعل الصوت الذي ينادي الله به
ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فان الله ليس كمثله شيء
لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فليس علمه مثل علم المخلوقين ولا
قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا يداه مثل ايديهم ولا صوته
مثل اصواتهم فمن قال عن القرآن الذي يقرأه المسلمون ليس هو كلام الله
او كلام غير الله فهو ملحد مبتدع ضال ومن قال اصوات العباد
والمداد الذي يكتب به القرآن قديم ازلي فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا
القرآن هو كلام الله وهو مثبت في المصاحف وهو كلام الله مبلغا
عنه مسموعا من القراء هو مسموع منه والانسان يرى الشمس
والقمر والكوكب بطريق المباشرة ويراها في ماء او مرآة فهذه رؤية مقيدة
بالواسطة وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك الكلام يسمع من المتكلم بطريق
المباشرة ويسمع من المبلغ عنه بواسطة والمقصود بالسماع هو كلام
في الموضعين كما ان المقصود بالرؤية هو المرئي في الموضعين فمن عرف ما بين
الحالين من الاجتماع والافتراق والاختلاف والاتفاق زالت
عنه الشبهة التي تصيب كثيرا من الناس في هذا الباب فان طائفة
قالت هذا المسموع كلام الله والمسموع صوت العبد وصوته مخلوق فكلام
الله مخلوق وهذا جهل فانه مسموع من المبلغ ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ

مخلوقا ان يكون الكلام مخلوقا وطايفة قالت هذا المسموع صوت العبد
وهو مخلوق والقرآن لدين بمخلوق فلا يكون هذا المسموع كلام الله وهذا
جهل فان المخلوق هو الصوت لا نفس الكلام الذي يسمع من المتكلم به
ومن المبلغ عنه وطايفة قالت هذا كلام الله وكلام الله غير مخلوق
فيكون هذا الصوت غير مخلوق وهذا جهل فانه اذا قيل هذا
كلام الله فالمشار اليه الكلام من حيث هو قد ثبت اذا سمع من الله
واذا سمع من المبلغ عنه فاذا قيل للمسموع انه كلام الله وهو كلام الله مسموع
من المبلغ عنه لا مسموعا منه فهو مسموع بواسطة صوت العبد
وصوت العبد مخلوق واما كلام الله نفسه فهو غير مخلوق حيث ما تصرف
وهذه نكت قد بسط الكلام فيها في غير هذا الموضع **فصل**
فان قيل ما منشاء هذا النزاع والاشتباه والتفرق والاختلاف
قيل منشاه هو الكلام الذي ذمه السلف وعابوه وهو الكلام المشتبه المشتمل
على حق وباطل فيه ما يوافق العقل والسمع وفيه ما يخالف العقل
والسمع فيأخذ هو لاجانب النفي المشتمل على نفي الحق والباطل وهؤلاء
جانب الاثبات المشتمل على اثبات حق وباطل وجماعه هو الكلام
المخالف للكتاب والسنة واجماع السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل
ولا يخالف ذلك الا كلام مخالف للعقل والسمع وذلك انهم لما نظروا
في مسئلة حدوث العالم واثبات الصانع استدل بذلك الجهمية والمعتزلة
ومن وافقهم من طوايف اهل الكلام على ذلك بان ما لا يخلو عن الحوادث
فهو حادث ثم ان المستدلين بذلك على حوادث الاجسام قالوا الاجسام

هو

لا تخلو

لا تخلوا عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم تفرقت
طرقهم في المقدمة الاولى وتارة يثبتونها بان الاجسام لا تخلوا عن
الحركة والسكون وهما حادثان وتارة يثبتونها بان الاجسام
لا تخلوا عن الاجتماع والافتراق وهما حادثان وتارة يثبتونها
بان الاجسام لا تخلوا عن الاكوان الاربعة الاجتماع والافتراق
والحركة والسكون وهي حادثة وهذه طرق المعتزلة ومن
وافقهم على ان الاجسام قد تخلوا عن بعض انواع الاعراض وتارة
يثبتونها بان الجسم لا يخلوا من كل جنس من الاعراض عن عرض منه
ويقولون القابل للشئ لا يخلوا عنه وعن ضده ويقولون ان الاعراض
يمتنع بقاؤها لان العرض لا يبقى زمانين وهذه الطريقة
هي التي اختارها الامدي وزيف ما سواها وذكر ان جمهور اصحابه
اعتمدوا عليها وقد وافقهم عليها طائفة من الفقهاء من اصحاب الائمة
الاربعة كالقاضي ابي يعلى وابي المعالي الجويني وابي الوليد الباجي
واما نفاتهم واما الهشامية والكرامية وغيرهم من الطوائف
الذين لا يقولون بحدوث كل جسم ويقولون ان القديم تقوم
به الحوادث فهؤلاء اذا قالوا بان ما لا يخلوا عن الحوادث فهو حادث
كما هو قول الكرامية وغيرهم موافقة للمعتزلة في هذا الاصل
فانهم يقولون ان الجسم القديم يخلوا عن الحوادث بخلاف الاجسام
المحدثة فانها لا تخلوا عن الحوادث والناس متنازعون في السكون
هل هو امر وجودي او عدمي فمن قال انه وجودي قال الجسم الذي لا يخلوا عن

الحركة والسكون اذا انتفت عنه الحركة قام به السكون الوجودي وهذا
قول من يجعل تعاقب الحركة والسكون على حدوث المتصف بذلك ومن
قال انه عدمي لم يلزم من عدم الحركة عن المحل ثبوت سكون وجودي ثم
قال انه يقوم به الحركة او الحوادث بعدان لم تكن مع قوله بامتناع تعاقب
الحوادث كما هو قول الكرامية وغيرهم يقولون اذا قامت به الحركة لم يعدم
بقيامها سكون وجودي بل ذكر عنهم بمنزلة قولهم مع المعتزلة //
والاشعرية وغيرهم انه يفعل بعدان لم يكن فاعلا ولا يقولون ان
عدم الفعل امر وجودي كذكر الحركة عنهم هؤلاء وكان كثير من اهل
الكلام يقولون مالا يخلو عن الحوادث فهو حادث او ما لا يسبق الحوادث فهو
حادث بناء على ان هذه مقدمة ظاهرة فان ما لا يسبق الحادث فاما
ان يقارنه او يكون بعده فما قارن الحادث فهو حادث وما كان بعده
فهو حادث وهذا الكلام مجمل فانه اذا اريد بما لا يخلو عن الحادث
المعين او ما لا يسبق الحادث المعين فهو حق بلا ريب ولا نزاع فيه
وكذلك اذا اريد بالحادث جملة ما له اول او كان بعد العدم ونحو ذلك واما
اذا اريد بالحوادث الامور التي تكون شيئا بعد شيء لا الى اول او قيل
انه لا يخلو عنها وما لم يخل عنها فهو حادث لم يكن ذلك ظاهرا ولا
بينا بل هذا مقام حارت فيه كثير من الافهام وكثر فيه النزاع والخصام
ولهذا صار المستدلون بقولهم ما لا يخلو عن الحوادث فهو
حادث يعلمون ان هذا الدليل لا يتم الا اذا ثبت امتناع حوادث
لا اول لها فذكروا في ذلك طرقا قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع وهذا

الاصل

الاصل تنازع الناس فيه على ثلاثة اقوال فقيل لا يخلوا عن
الحوادث فهو حادث وبامتناع حوادث لا اول لها مطلقا وهذا
قول المعتزلة ومن اتبعهم من الكرامية والاشعرية ومن دخل
في ذلك من الفقهاء وغيرهم وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقا
وليس كل ما قارب حادثا بعد حادث الى اول يجب ان يكون
حادثا بل يجوز ان يكون قديما سواء كان واجبا بنفسه او بغيره وربما
عبر عنه بالعلة والمعلول والفاعل والمفعول ونحو ذلك وهذا
قول الفلاسفة القائلين بقدم الافلاك كارسطو واتباعه مثل بارسطوس
والاسكندر الافروديوسي وبرقليس والفارابي وابن سينا ومثالهم
واما جمهور الفلاسفة المتقدمين على ارسطو فلم يكونوا يقولون بقدم
الافلاك ثم الفلاسفة من هؤلاء وهؤلاء متنازعون في قيام الصفات
والحوادث بواجب الوجود على قولين معروفين لهم واثبات ذلك قول
كثير من الاساطين القدماء وبعض المتاخرين كابي البركات صاحب
المعتبر وغيره كما بسطت اقوالهم في غير هذا الموضع وقيل
بل ان كان المستلزم للحوادث ممكنا بنفسه وهو الذي يسمى مفعولا
ومعلولا ومربوبا ونحو ذلك من العبارات وجب ان يكون حادثا
وان كان واجبا بنفسه لم يجب ان يكون حادثا وهذا
قول ائمة اهل الملل واساطين الفلاسفة وهو قول جماهير اهل
الحديث وصاحب هذا القول يقول ما لا يخلوا عن الحوادث فهو
مفعول او معلول وهو ممكن بنفسه فهو حادث وما لا يخلوا عن
الحوادث فهو مفعول او معلول او مبتدع او مصنوع فهو حادث

العله بواجب الوجود

لانه اذا كان مفعولا مستلزما للحوادث امتنع ان يكون قديما فان القديم
المعين المعلول لا يكون قديما الا اذا كان لا موجب قديم بذاته يستلزم
معلوله بحيث يكون معه ازليا لا يتاخر عنه وهذا ممتنع فان ما استلزم
الحوادث يمتنع ان يكون فاعله موجبا بذاته يستلزم معلوله فلا ازل
فان الحوادث المتعاقبة شيئا بعد شيء لا يكون مجموعها في الازل قط
حادث ولا يكون شيء منها ازليا بل الازلي هو دائما واحدا بعد واحد
والموجب بذاته المستلزم لمعلوله في الازل لا يكون معلوله شيئا بعد
شيء سواء كان صادرا عنه بواسطة او بغير واسطة فانه كان واحدا
واحدا بعد واحد يكون متعاقبا حادثا شيئا بعد شيء فيمتنع
ان يكون معلولا مقارنا للعلة في الازل بخلاف ما اذا قيل ان المقارن
ان كان هو الموجب بذاته الذي يفعل شيئا بعد شيء فانه على هذا التقدير
لا يكون في الازل موجبا بذاته ولا علة تامة لشيء من العالم فلا
يكون معه في الازل من المخلوقات شيء لكن فاعليته للمفعولات
تكون شيئا بعد شيء وكل مفعول يوجد عند وجود كمال فاعليته
اذ المؤثر التام ووجود المؤثر التام المستلزم لجميع شروط التاثير لا
يتخلف عنه اثره اذ لو تخلف لم يكن مؤثرا تاما فوجود الاثر يستلزم
وجود المؤثر التام ووجود المؤثر التام يستلزم وجود الاثر فليس
في الازل مؤثر تام فليس مع الشيء من مخلوقاته قديم بقدمه والازل ليس
هو حد محدود ولا وقت معين بل كل ما يقدر العقل من الغاية
التي ينتهي اليها فالازل قبل ذلك هو قبل ما قدر فالازل لا اول له كما ان
الابد لا اخر له وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انت الاول

فليس

فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ فلو كان المؤثر تاما في الازل لشئ
من الاشياء لزم ان يكون مقارنا دايما وذكرنا في كونه مفعولا له وانا يصح
مثل هذا في الصفة اللازمة للموصوف فانه اذا قيل الذات مقتضى تام للصفة
اللازمة للموصوف فانه اذا قيل الذات مقتضى كان المعنى ان الذات مستلزمة
للصفة المراد بذلك انه الذات مبدء عند للصفة فانه اذا تصور معنى المبدع
امتنع في المقارن تسمية المعقول سواء سمي علة فاعلا او فاعلا
او خالقا او غير ذلك وامتنع ان يقوم بالاثر شئ من الحوادث لان كل حادث
لابد له اذا وجد مؤثر التام عنه حدوثه وان كانت ذات المؤثر
موجودة قبل ذلك لكن لابد من كمال وجود شروط التاثير عنه وجود
الاثر والا لزم الترجيح بلا مرجح وتخلف المعلول عن العلة التامة وهو محال
الممكن بدون المرجح التام وكل هذا ممتنع فامتنع ان يكون مؤثر الشئ
من الحوادث في الازل وامتنع ان يكون مؤثرا في الازل فيما يستلزم
الحوادث لان وجود الملزوم بدون اللازم محال فامتنع ان يكون
المفعول المستلزم للحوادث قديما واذا قيل ذات مقتضية
للحادث الثاني بشرط انقضاء الاول قيل فليس هو مقتضى لشئ واحد
دايما فلا يكون معه قديم على مفعولاته وقيل ايضا هذا انما يكون
اذا كانت لتلك ذات احوال متعاقبة تختلف المفعولات لاجلها
فاما اذا قدر انه لا يقوم بها شئ من الاحوال المتعاقبة بل حالها
عند وجود الحادث كحالها قبله كان امتناع فعله للحوادث
المتعاقبة الثانية اعظم من امتناع فعله لحادث معين
فاذا كان الثاني ممتنعا عنه هو فالاول اولى بالامتناع وعلى كان

للذات احوال متعاقبة بسبب تقوم بها بطلت كل حجة لهم على قدم شئ من
العالم وامتنع ايضا قدم شئ من العالم اذ كان المفعول لابد له من فاعل حادث
والفعل الحادث لا يكون مفعولا الا حادثا وهذا مبسوط في غير
هذا الموضع **فصل واذا عرف** الاصل الذي منه
تفرع نزاع الناس في مسئلة كلام الله فالذين قالوا ما لا يسبق الحوادث فهو
حادث منازعون في كلام الله تعالى فقال كثير من هؤلاء الكلام لا يكون الا
بمشيئة المتكلم وقدرته فيكون حادثا كغيره من الحوادث ثم قالت طائفة
والرب لا تقوم به الحوادث فيكون الكلام مخلوقا في غيره فجعلوا كلامه
مخلوقا من المخلوقات ولم يفرقوا بين قال وفعل وقد علم ان المخلوق لا
يتصف بها الخالق فلا يتصف بما يخلقه في غيره من الالوان والاصوات
والروائح والحركة والعلم والقدرة والسمع والبصر فكيف يتصف بما يخلقه
في غيره من الكلام ولو جاز ذلك لكان ما يخلقه من انطاق الجمادات كلاما له
ومن علم انه خالق كلام العباد وافعالهم يلزم ان يجعل كل كلام في الوجود فهو
كلامه كما قال بعض الاتحادية وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره
ونظامه وهذا قول الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم فان هؤلاء لا
يقولون ان خلق افعال العباد وكلامهم مع قولهم انه كلامه مخلوق فانهم
هذا وافقوا المعتزلة فالذين قالوا ان الله خالق افعال العباد لكن
المحدث توجب القول بذلك وقالت طائفة بل الكلام لا يمكن ان يقوم
بالمتكلم ويمتنع ان لا يكون كلامه الا مخلوقا في غيره وهو متكلم
بمشيئته وقدرته فيكون كلامه حادثا بعد ان لم يكن لامتناع
حوادث لا اول لها وهذا قول الكرامية وغيرهم ثم من هؤلاء من

يقول

يقول كلامه كلمة حادث لا محدث ومنهم من يقول هو حادث ومحدث
وقال الكثير من هؤلاء الذين يقولون بامتناع حوادث لا اول لها مطلقا
الكلام لازم لذات الرب كلزوم الحياة ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته
بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته ومشيئته لزم ان يكون
حادثا وحينئذ فيلزم ان يكون مخلوقا او قائما بذات الرب فيلزم قيام
الحوادث وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لان القابل للشيء لا يخلو عنه
وعن ضده قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذا تقرر هذا الاصل
فاعلم ان هؤلاء لما قالوا بقدم عين الكلام تنازعوا فقالت طائفة القديم
لا يكون حروفا ولا اصواتا لان الصوت يستحيل بقاؤه كما يستحيل
بقاء الحركة وما امتنع بقاؤه امتنع قدم عينه بطريق الاولى والاحرى
فيمتنع قدم شيء من الاصوات المعينة كما يمتنع قدم شيء من الحركات
المعينة لان تلك لا تكون كلاما اذا كانت متعاقبة والقديم
لا يكون مسبوقا بغيره فلو كانت الميم من بسم الله قديمة مع كونه
مسبوقة بغيره لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا ممتنع فيلزم ان
يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تعدده لانه لو تعدد لكان
اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحا بلا مرجح وان كان لا نهاية
لزم وجود اعداد لا نهاية لها في آن واحد قالوا وهذا ممتنع
فيلزم ان يكون معنى واحدا هو الامر والخبر وهو معنى التوراة
والانجيل والقرآن وهذا اصل قول الكلابية والاشعرية وقالت طائفة
من اهل الكلام والحديث والفقه وغيرهم بل هو حروف قديمة
الاعيان لم تزل ولا تزال وهي مرتبة في ذاتها لا في وجودها

كالحروف الموجودة في المصحف وليس بأصوات قديمة ومنهم من
قال بل هو ايضا اصوات قديمة ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التي
لا توجد الا متعاقبة وبين الحروف المكتوبة التي توجد في آن واحد
كما يفرق بين الاصوات والمداد فان الاصوات لا تبقى بخلاف المداد فانه
جسم يبقى واذا كان الصوت لا يبقى امتنع ان يكون الصوت
المعين قديما لان ما وجب قدمه لزم بقاؤه وامتنع عدمه والحروف
المكتوبة قد يراد بها نفس الشكل القايم بالمداد وما يقدر بقدر المداد
كالشكل المصنوع في حجر وفرق بأن الزبعض اجزائه وقد يراد بالحروف
نفس المداد واما الحروف المنطوقة فقد يراد بها ايضا
الاصوات المقطعة المؤلفة وقد يراد بها حدود الاصوات
واطرافها كما يراد بالحرف في الجسم حده ومنتهاه فيقال حرف
الرغيف وحرف الجبل ووجد منه قول بعضهم ومن الناس من
يعد الله على حرف وقد يراد بالحروف الحروف التخيلية وهو
ما يتشكل في باطن الانسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل ان يتكلم
به وقد تنازع الناس هل يمكن وجود حروف بدون اصوات
في الحي الناطق على قولين لهم وعلى هذا يتنازع هذه الطائفة
القائلة بقدم اعيان الحروف هل تكون قديمة بدون اصوات قديمة
ام لا بد من اصوات قديمة لم تزل ولا تزال ثم القائلون بقدم الاصوات
المعينة تنازعوا في المسموع من القارئ هل يسمع منه الصوت القديم
فقيل المسموع هو الصوت القديم وقيل بل المسموع صوتان احدهما
القديم والاخر المحدث فلا بد منه في وجود القرآن فهو القديم

وما

وما زاد عنه على ذلك فهو المحدث وقيل بل الصوت الاقديم غير المسموع من
العبد وتنازعوا في القرآن هل يقال انه حال في المصحف والصدور ام لا
يقال ذلك على قولين فقيل هو ظاهر في المحدث ليس بحال فيه وقيل
بل القرآن حال في الصدور والمصحف فهؤلاء الخلقية والحادثية والاتحادية
والاقترانية اصل قولهم ان ما لا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا ومن
قال بهذا الاصل فانه يلزمه بعض هذه الاقوال او ما يشبه ذلك فان
من الناس من يجعله حادثا يريد انه كائنا بعد ان لم يكن ويجعل
الحادث واردات وتصورات لا حروف واصوات والراوي غيره
فيكون الى هذا القول فانه اما ان يجعل كلام الله حادثا او قديما واذا
كان حادثا فاما ان يكون حادثا في غيره واما ان يكون القديم
المعنى فقط لزم ان لا يكون الكلام العربي كلام الله ثم الكلام في ذلك المعنى
قد عرف واما قدم اللفظ فهذا لم يقل به احد لكن من الناس من يقول
ان الكلام القديم هو اللفظ واما معناه فليس هو داخلا في
مبنى الكلام بل هو العلم والارادة وهما قديمان لكن ليس ذلك داخلا
في مبنى الكلام وهذا يقول الكلام القديم هو اللفظ فقط فاما
الحروف اما الحروف المؤلفة واما الحروف والاصوات لكنه يقول ان معناه
قديم واما الفريق الثاني الذين قالوا بجواز حوادث لا اول لها
مطلقا وان القديم الواجب بنفسه يجوز ان تعتقب عليه الحوادث
مطلقا كان ممكنا لا واجبا بنفسه فهؤلاء هم القائلون بقدم
العالم كما يقولون بقدم هذه الافلاك وانها لم تزل ولا تزال معلولة
لعلة قديمة ازلية لكن المنتسبون الى الملل كابن سينا ونحوه منهم
قالوا انها صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته واما ارسطو واتباعه

ظ يسبق

الراوي

او اللفظ او كلاهما فاو كان القديم هو المعنى فقط صح

لعله ل

فانما قالوا ان لها علة غائية تتحرك للتشبه بها فهي تحركها بحرك المعشوق
عاشقه ولم يثبتوا لها مبتدعا ولا موجبا بذاته وانما اثبت واجب الوجود
بطريقة الوجود ابن سينا وامثاله وحقيقة قول هؤلاء وجود الحوادث
بلا محدث اصلا اما على قول من جعل الاول علة غائية للحركة والظاهر
انه لا يلزم من ذلك ان يكون هو فاعلا لها فقولهم في حركات الافلاك
نظير قول القدرية في حركة الحيوان فكل من الطائفتين قد تناقض
قولهم فان هؤلاء يقولون بان فعل الحيوان صادر عن غيره
لكون القدرة والداعي مستلزمان وجود الفعل والقدرة والداعي
كلاهما من غير العبد فيقال لهم فقولوا هكذا في حركة الفلك
وقدرته وداعيه انه يجب ان يكون صادرين عن غيره وحينئذ
فيكون الواجب بنفسه هو المحدث لتلك الحوادث شيئا بعد شيء
وان كان ذلك بواسطة العقول وهذا القول هو الذي يقول
ابن سينا واتباعه وهو باطل ايضا لان الموجب بذاته القديم
الذي يقارنه موجبه ومقتضاه يمتنع ان يصدر عنه حادث
بواسطة او لا بواسطة فان صدور الحوادث عن العلة التامة
الازلية ممتنع لذاته واذا قالوا الحركة متوسطة اي حركة
الفلك قيل لهم فالكلام انما هو في حدوث الحركة
فان الحركة الحادثة شيئا بعد شيء يمتنع ان يكون المقتضي
لها علة تامة ازلية مستلزمة لمعلولها فان ذلك جمع بين
النقيضين اذ القول بمقارنة المعلول لعلته في الازل ووجوده
معها يناقض ان يتخلف المعلول او شيء من المعلول عن الازل
بل يمتنع ان يكون المقتضي لها ذاتا بسيطة لا يقوم بها شيء

من

من الصفات والاحوال المقتضية لحدوث الحوادث المتعاقبة
المختلفة بل يمتنع ان يكون المقتضى لها ذات موصوفة لا يقوم
بها شيء من الاحوال الموجبة لحدوث الحوادث المذكورة فان
التحدد والتعدد الموجود في المعلولات يمتنع صدوره عن علة
واحدة بسيطة من كل وجه فصار حقيقة قولهم ان الحوادث
العلوية والسفلية لا محدث لها وهؤلاء يقولون
كلام الله ما يفيض على النفوس الصافية كما ان ملائكة الله
عندهم ما يتشكل فيها من الصور النورانية فلا يسبقون
له كلاما خارجا عما في نفوس البشر ولا ملائكة خارجة عما في
نفوسهم غير العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة
وان اكثرهم يقولون انها اعراض وقد بين في غير هذا
الموضع اما ثبوت من المجردات العقلية التي هي العقول والنفوس
والمواد والصور انما وجودها في الاذهان لا في الاعيان واما
الصنف الثالث الذين فرقوا بين الواجب والممكن
والخالق والمخلوق والغني الذي لا يفتقر الى غيره والفقير
الذي لا قوام له الا بالغني فقالوا انما قارن الحوادث من الممكنات
فهو محدث كائن بعد ان لم يكن وهو مخلوق مصنوع مرتوب
وانه يمتنع ان يكون فيما هو ممكن مرتوب شيء هو ازلي قديم فضلا
عن ان يقارنه حوادث لا اول لها وهذا كانت حركات الفلك
دليلا على حدوثها كما تقدم التنبيه على ذكر واما الرب تعالى اذا لم يزل متكلما

فغيره

اذا شاء اولم يزل فاعلا ما يشاء لم يكن دوام كونه متكلما بمشيئة وقدرته
ودوام كونه فاعلا بمشيئة وقدرته ممتنعا بل هذا هو الواجب لان الكلام
صفة كمال لا نقص فيه فالرب احق ان يتصف بالكلام من كل
موصوف بالكلام اذ كل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق اولى
لان القديم الواجب الخالق احق بالكمال المطلق من المحدث
الممكن المخلوق وان كل كمال ثبت للمخلوق فانما هو من
الخالق وما جاز اتصافه به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان
اما ممتنعا وهو محال بخلاف الفرض واما ممكنا فيتوقف ثبوته له
على غيره والرب لا يحتاج في ثبوت كماله الى غيره فان معطي الكمال احق
بالكمال فيلزم ان يكون غيره اكمل منه لو كان غيره معطيا له الكمال
وهذا ممتنع بل هو بنفسه المقدسة مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف
ثبوت كونه متكلما على غيره فيجب ثبوت كونه متكلما وان ذلك لم يزل
ولا يزال والمتكلم بمشيئته وقدرته اكمل مما يكون الكلام لازما
دون قدرته ومشيئته والذي لم يزل متكلما اذا شاء اكمل ممن صار الكلام
يمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكنا له وحينئذ فكلامه قديم مع انه يتكلم
بمشيئته وقدرته وان قيل انه ينادي ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك
قدم صوت معين واذا كان قد تكلم بالقرآن والتوراة والتوراة والانجيل بمشيئته
وقدرته لم يمتنع ان يتكلم بالباء قبل السين وان نوع الباء والسين قديما
يستلزم ان يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق
بين النوع والعين وهذا الفرق ثابت في الكلام والارادة والسمع والبصر
وغير ذلك من الصفات وبهذا تنحل الاشكالات الواردة على وحدة هذا
الصفات وتعددها وقدمها وحدوثها وكذلك تنزل بهذه الاشكالات
الواردة في افعال الرب وقدمها وحدوثها وحدوث العالم واذا قيل

بالقرآن

ان حرو

ان حروف العجم قديمة بمعنى النوع كان ذلك ممكنا بخلاف ما اذا قيل
ان عين اللفظ الذي نطق به زيد وعمرو قديم فان هذا مكابرة للحس
والمتكلم يعلم ان حروف العجم كانت موجودة قبل وجود نوعها
واما نفس الصوت المعين الذي قام به او التقطيع والتاليف المعين
لذلك الصوت فيعلم ان عينه لم يكن موجودا قبله والمنقول عن الامام
احمد وغيره من ائمة السنة مطابق لهذا القول ولهذا انكروا على من
قال لمخلوق الله الحروف بعدت له الالف فقالت لا ابعد
حتى اومر مع ان هذه الحكاية نقلت لاحمد عن سري السقطي
وهو تلقاها عن ابي بكر بن خنيس العابد ولم يكن قصد اولئك
الشيوخ بهذه الحكاية ان العبد الذي يتوقف فعله على الامر
والشرع هو اكمل من العبد الذي يعبد الله بغير شرع فان كثيرا
من العباد يعبدون الله بما يحبه قلوبهم وان لم يكونوا
مامورين به فقصد اولئك الشيوخ ان من عبد الله بالامر ولم يفعل
شيئا حتى يومر به فهو افضل ممن عبده بما لم يومر به وذكروا هذه
الحكاية الاسرائيلية شاهدا لذلك مع ان هذه لا اسناد لها
ولا ثبت بها حكم ولكن الاسرائيليات اذا ذكرت على طريق
الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن بذكرها باس وقصدوا بذلك
الحروف المكتوبة ان الالف منتصبة وغيرها التي ذكر مع
ان هذا الامر اصطلاحي وخط غير العرب لا يماثل خط العربي
ولم يكن قصد اولئك الاشياخ ان نفس الحروف المنطوقة التي هي مباني
اسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة بائنة عن الله بل هذا
شيء لعله لم يخطر بقلوبهم والحروف المنطوقة لا يقال فيها

انها منتصبة ولا ساجد فمن احتج بهذا فيقال له على انهم يقولون
ان الله يتكلم بالقرآن العربي ولا يتكلم بالتوراة العبرية فقد قال عنهم
ما لم يقولوه واما الامام احمد فانكر اطلاق هذا القول وما يفهم منه عند الاطلاق
وهو ان نفس حروف المعجم مخلوقة فهذا جهمي يسلك طريقا الى البدعة
فان ان قال ان ذكر مخلوق فقد قال ان القرآن مخلوق او كما قال او لم يرد
ان من جعل نوع الحروف مخلوقا بائنا عن الله كما بينا بعد ان لم يكن
لزم ان يكون كلام الله العربي والعبري ونحوهما مخلوقا وامتنع ان
يكون الله تكلم بكلامه الذي انزله على عباده ولا يكون شيء من ذلك كلامه
فطريقة الامام احمد وغيره من السلف مطابقة للقول الثالث
الموافق لصريح المعقول وصحيح المنقول وقال الشيخ الامام ابو الحسن
محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في الاصول سمعت
الامام ابا منصور محمد بن احمد يقول سمعت الامام ابا بكر عبد الله بن احمد يقول
سمعت الشيخ ابا حامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي
وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو
كافر والقرآن حملة جبريل عليه السلام سمعوه من الله تعالى والنبي
صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن مقروء بالسنتنا
وفي ايدينا المصاحف وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومقروءا ومحفوظا
وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال
مخلوق فهو كافر عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
والكلام على هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع وذكر ما يتعلق بهذا الباب من سائر الصفات

كالعلم

كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام في تعدد
الصفة واتحادها وقدمها وحدوثها او هو قدم النوع دون
الاعيان او اثبات صفة كلية عمومية متناولة للاعيان
مع عدد كل معين من الاعيان او غير ذلك مما قيل في هذا
الباب فان هذه مواضع مشكلة ومن مجازات العقول
ولهذا اضطرب فيها طوايف من اذكيا الناس
ونظارهم والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم وهو
حسبنا ونعم الوكيل والحمد
لله رب العالمين وصلى
الله على محمد وآله وصحبه اجمعين
آمين

ان تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب
وعلا وهو الله عز وجل
واستغفره واتوب
اليه

قاعدة في زيارة بيت المقدس

تصنيف الشيخ الإمام العالم

العلامة تقي الدين احمد بن

تيمية رضي الله عنه

وعفر لنا ولهم

بكرمه امين

امين

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا **فصل** في زيارة بيت المقدس ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد وابي هريرة وقد روي من طرق اخر وهو حديث مستفيض متلقى بالقبول اجمع اهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر الى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وقد روي من حديث رواه الحاكم في صحيحه ان سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثا ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وسأله حكما يوافق حكمه وسأله ان لا يأتي احد هذا البيت لا يريد الا الصلاة فيه الا غفر له ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه يأتي اليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله لا يريد الا الصلاة فيه فان هذا يقتضي اخلاص النية في السفر اليه والاتيان لغرض ديني ولما بدعة وتنازع العلماء فيمن نذر

السفر اليه في الصلاة فيه والاعتكاف فيه هل يجب عليه الوفاء بنذره على
قولين مشهورين وهما قولان للشافعي احدهما يجب الوفاء بهذا
النذر وهو قول الاكثرين مثل مالك واحمد بن حنبل وغيرهما
والثاني لا يجب وهو قول ابي حنيفة فان من اصله انه
لا يجب بالنذر الا ما كان من جنسه واجب بالشرع فلهذا
يوجب نذر الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة فان من جنسها
واجب بالشرع وواجب نذر الاعتكاف فان الاعتكاف لا يصح
عنده الا بصوم وهو مذهب مالك واحمد في احدى الروايتين
عنه واما الاكثرين فيحتجون بما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نذر ان
يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه فامر
النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر لكل من نذر ان يطيع الله ولم
يشترط ان تكون الطاعة من جنس الواجب بالشرع وهذا
القول اصح وهكذا النزاع لو نذر السفر الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
مع انه افضل من المسجد الاقصى واما لو نذر اتيان المسجد
الحرام لحج او عمرة وجب عليه الوفاء بنذره باتفاق العلماء والمسجد الحرام
افضل المساجد ويليه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويليه المسجد
الاقصى وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه من
المساجد الا المسجد الحرام والذي عليه جمهور العلماء ان الصلاة في
المسجد الحرام افضل منها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى

احمد والنسائي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصلاة في المسجد
الحرام بمائة الف واما في المسجد الاقصى فقد روي انها بخمسين صلاة
وقيل بخمسمائة صلاة وهو اشبه ولو نذر السفر الى قبر الخليل عليه
السلام او قبر النبي صلى الله عليه وسلم او الى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام
او الى جبل حراء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه وجاءه الوحي
فيه او الغار المذكور في القرآن وغير ذلك من المقابر والمقامات والمشاهد
المضافة الى بعض الانبياء والتابعين او الى بعض المغارات او الجبال
لم يجب الوفاء بهذا النذر باتفاق الائمة الاربعة فان السفر الى هذه المواضع منهي
عنه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم الا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فاذا كانت المساجد
التي هي من بيوت الله التي امر فيها بالصلوات الخمس قد نهى عن السفر اليها
حتى مسجد قبا الذي يستحب لمن كان بالمدينة ان يذهب اليه لما
ثبت في الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبا
كل سبت راكبا وماشيا وروى الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من تطهر في بيته فاحسن الطهور ثم اتى مسجد قبا لا يريد الا الصلاة
فيه كان له كعمرة قال الترمذي حديث حسن صحيح فاذا كان مثل هذا
ينهى عن السفر اليه وينهى عن السفر الى الطور المذكور في القرآن وحاذر
مالك بالمواضع التي لم تبن للصلوات الخمس بل نهى عن اتخاذها مساجد
فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في مرض
موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا آثار انبيائهم مساجد
يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ
مسجدا وفي صحيح مسلم وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انهم كان

قبلكم

قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد
فاني انهاكم عن ذلك ولم يزل الصحابة يسافرون الى البقاع من
مشاهد الانبياء لا مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ولا غيره والنبي
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين كما ثبت ذلك في
الحديث الصحيح ولم يصل في غيره واما ما يرويه بعض الناس من حديث
المعراج انه صلى في المدينة وصلى عند قبر موسى عليه السلام وصلى عند قبر
الخليل فكل هذه الاحاديث المكذوبة الموضوعة وقد رخص
طائفة من المتاخرين في السفر الى المشاهد ولم ينقلوا ذلك عن
احد من الائمة ولا احتجوا بحجة شرعية

فصل

والعبادات المشروعة في المسجد الاقصى هي من جنس
العبادات المشروعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وسائر المساجد
الا المسجد الحرام فانه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد
الا المسجد الحرام الطواف بالكعبة واستلام الركنين اليمانيين
وتقبيل الحجر الاسود واما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى
وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف به ولا فيها ما يستلم
ولا ما يقبل فلا يجوز لاحد ان يطوف بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم
ولا بغير ذلك من مقابر الانبياء والصالحين ولا يطوف بصخرة
بيت المقدس ولا بغيرها ولا بالعنبرة التي فوق جبل عرفات
وامثالها بل ليس في الارض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة
بالكعبة ومن اعتقد ان الطواف بغيرها مشروع فهو من
ممن يعتقد جواز الصلاة الى غير الكعبة فان النبي صلى الله عليه وسلم

لما هاجر من مكة الى المدينة صلى بالمسلمين ثمانية عشر شهرا الى بيت المقدس
فكانت قبلة المسلمين هذه المدة ثم حول الله القبلة الى الكعبة وانزل الله
في ذلك القرآن كما ذكر في سورة البقرة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الى الكعبة
وصارت هي القبلة وهي قبلة ابراهيم وغيره من الانبياء فمن اتخذ
الصخرة اليوم قبلة يصلي اليها فهو كافر مرتد يستتاب فان تاب
والا قتل مع انها كانت قبلة لكن نسخ ذلك فكيف بمن يتخذها
مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله
بحال وكذلك من قصد ان يسوق اليها غنما او بقرا ليذبحها هناك
ويعتقد ان الاضحية فيها افضل وان يحلق فيها شعره في العيد وان
يسافر اليها ليعرف بها عشية عرفة فهذه الامور التي يشبه بها
بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والحلق من البدع والضلالات
ومن فعل شيئا من ذلك معتقدا ان هذا قربة الى الله فانه يستتاب
فان تاب والا قتل كما لو صلى الى الصخرة معتقدا ان استقبالها في الصلاة
قربة كاستقبال الكعبة ولهذا بنى عمر بن الخطاب مصلى المسلمين في مقدم المسجد
الاقصى فان المسجد الاقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام
وقد صار بعض الناس يسمي الاقصى المصلى الذي بناه عمر رضي الله عنه
في مقدمه والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين افضل من الصلاة
في سائر المسجد قال عمر بن الخطاب لما فتح البيت المقدس وكان على الصخرة
زبالة عظيمة لان النصارى كانوا يقصدون اهانتها مقابلة
لليهود الذين يصلون اليها فامر عمر رضي الله عنه بازالة النجاسة عنها
وقال كعب الاحبار اين ترى ان نبني مصلى المسلمين فقال خلف الصخرة

وقال

فقال يا ابن اليهودية خالطتك يهودية بل ابنيه امامها فان لنا صدور المساجد
ولهذا كان ائمة الامة اذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي
بناه عمر وقد روي ان عمر رضي الله عنه انه صلى في محراب داود واما الصخرة فلم
يصل عندها عمر رضي الله عنه ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين
عليها قبة بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية
ويزيد ومروان ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام وقع بينه وبين ابن
الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير فاراد
عبد الملك ان يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة
وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس
ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير واما اهل العلم من الصحابة
والتابعين لهم باحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فانها قبلة
منسوخة كما ان يوم السبت كان عيدا في شريعة موسى عليه السلام
ثم نسخ في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة فليس للمسلمين ان
يخصوا يوم السبت ويوم الاحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى
وكذلك الصخرة انما يعظمها اليهود وبعض النصارى وما يذكره بعض
الجهال فيها من ان هناك اثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم او اثر عمامته او
غير ذلك فكله كذب واكذب منه من يظن انه موضع قدم
الرب تعالى وكذلك المكان الذي يذكر انه مهد عيسى عليه السلام كذب وانما
كان موضع معمودية النصارى وكذلك من زعم ان هناك
الصراط او الميزان او ان السور الذي يضرب به بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني

شرقي المسجد وكذلك تعظيم السلسلة او موضعها ليس مشروعا **فصل**
وليس بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد
الاقصى لكن اذا زار قبور الموتى سلم عليهم وترحم عليهم كما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يعلم اصحابه فحسن فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم اصحابه
اذا زاروا القبور ان يقول احدهم السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين
والمؤمنات وانا ان شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا
ومنكم والمستاخرين نسال الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا
اجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم **فصل**
واما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة او بيت
لحم او صهيون او غير ذلك ومثل كنايس النصارى فمنهي عنها فمن زار مكانا
من هذه الامكنة معتقدا ان زيارته مستحبة والعبادة فيه افضل
من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الاسلام بل يستتاب
فان تاب والا قتل واما اذا دخلها الانسان لحاجة وعرضت له
الصلاة فيها فللعلماء فيها ثلاثة اقوال في مذهب احمد وغيره قيل
تكره الصلاة فيها مطلقا واختاره ابن عقيل وهو منقول عن
مالك وقيل يباح مطلقا وقيل ان كان فيها صور ينهى عن
الصلاة والا فلا وهذا منصوص احمد وغيره فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم
مكة كان في الكعبة تماثيل فلم يدخل الكعبة حتى محيت تلك الصور والله
اعلم **فصل وليس بيت** المقدس مكانا يسمى حرما ولا

وهو مروي عن عمر ابن الخطاب رض وغيره كما صرح

بتربة الخليل ولا بغير ذلك من البقاع الا ثلاثة اماكن احدها
هو حرم باتفاق المسلمين وهو حرم مكة شرفها الله تعالى والثاني
حرم عند جمهور العلما وهو حرم النبي صلى الله عليه وسلم من عير الى
ثور بريد في بريد فان هذا حرم عند جمهور العلما كمالك والشافعي
واحمد وفيه احاديث صحيحة مستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم
والثالث وج وهو ود بالطايف فان هذا روي فيه حديث رواه احمد
في المسند وليس في الصحاح وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة
الحديث وليس حرما عند اكثر العلما واحمد ضعف الحديث المروي فيه
فلم ياخذ به واما ما سوى هذه الاماكن الثلاثة فليس حرما عند احد
من علما المسلمين فان الحرم ما حرم الله صيده ونباته ولم يحرم الله صيد
مكان ونباته خارجا عن هذه الاماكن الثلاثة **فصل**
واما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الاوقات ولكن لا ينبغي
ان تؤتى في الاوقات التي يقصدها الضلال يسافرون اليه ليقفوا
هناك والسفر اليه لاجل التعريف به معتقدا ان هذا قربة محرم بلا ريب
وينبغي ان لا يتشبه بهم ولا يكثر سوادهم وليس السفر اليه مع الحج قربة
وقول القايل قدس حجتك قول باطل لا اصل له كما يروى من زارني وزار ابني
في عام واحد ضمنت له الجنة فان هذا كذب باتفاق اهل المعرفة
بالحديث وكذلك كل حديث يروى في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه ضعيف
بل موضوع ولم يروا اهل السنن والصحاح والمسانيد كمسند احمد وغيره من
ذلك شيا ولكن الذي في السنن ما رواه ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام فهو

مثل وقت عيد النحر فان كثيرا من الضلال صح صح

نبيي ظ

يرد السلام على من سلم عليه عند قبره ويبلغ سلام من سلم عليه من البعيد كما في النسائي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله وكل بقبري ملائكة يبلغون عن امتي السلام وفي السنن
عنه انه قال اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة
علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت فقال ان الله قد حرم على
الارض ان تاكل لحوم الانبيا فبين صلى الله عليه وسلم ان الصلاة والسلام
يوصل اليه من البعيد والله قد امرنا ان نصلي عليه ونسلم وثبت في الصحاح
انه قال من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

فصل واما السفر الى عسقلان

في هذه الاوقات فليس مشروعا لا واجب ولا مستحب ولكن عسقلان
كان لسكناها وقصدها فضيلة لما كانت ثغرا للمسلمين يقيم بها المرابطون
في سبيل الله فانه قد ثبت في صحيح مسلم عن سلمان عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر
وقيامه ومن مات مرابطا مات مجاهدا واجرى عليه عمله واجرى عليه رزقه
من الجنة وامن الفتان وقال ابو هريرة رضي الله عنه لان ارابط ليلة في سبيل الله
احب الي من ان اقوم ليلة القدر عند الحجر الاسود وكان اهل الخير والدين
يقصدون ثغور المسلمين للرباط فيها ثغور الشام كعسقلان وعكة وطرسوس
وجبل لبنان وغيرها وثغور مصر كالاسكندرية وغيرها وثغور العراق
كعبدان وغيرها فما خرب من هذه البقاع ولم يبق بيوتا كعسقلان لم يكن
ثغورا ولا في السفر اليه فضيلة وكذلك جبل لبنان وامثاله من الجبال
لا يستحب السفر اليه وليس فيه احد من الصالحين المتبعين لشريعة الاسلام
فكان فيه كثير من الجن وهم رجال الغيب الذين يرون احيانا في هذه البقاع

الثغر الموضع الذي يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار وهو موضع المخاوف من اطراف البلاد

قال الله

قال الشيخ وانما كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وزادوهم
رهقا وكذلك الذين يرون الخضر احيانا هو حي يراه ويقظة غير
واحد ممن اعرفه وقال ابن الخضر وكان ذكر حيا ليس على المسلمين الذين
يراه والا فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام قد مات ولو كان حيا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجب عليه ان يأتي الى النبي صلى الله عليه وسلم
ويومن به ويجاهد معه فان الله فرض على كل نبي ادرك محمدا ولو كان
من الانبياء ان يؤمن به ويجاهد معه كما قال الله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين
قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يبعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق
ان بعث محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره ان
ياخذ الميثاق على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن
به ولينصرنه ولم يذكر احد من الصحابة انه راى الخضر
ولا انه اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فان الصحابة كانوا اعلم
واجل قدرا من ان يلبس الشيطان عليهم ولكن لبس على
كثير من بعدهم فصار يتمثل لاحدهم في صورة النبي ويقول
انا الخضر وانما هو شيطان كما ان كثيرا من الناس يرى في المنام
خضرا ويجيء اليه ويكلمه في امور ويقضي حوائج فيظنه الميت

نفسه وانما هو شيطان تصور بصورة وكثير من الناس يستغيث
بمخلوق اما نصراني كجرجس وغير نصراني فيراه قد جاءه وربما يكلمه
وانما هو شيطان تصور بصورة ذلك المستغاث به لما اشرك
به المستغيث تصور له كما كانت الشياطين تدخل في الاصنام
وتكلم الناس ومثل هذا موجود كثير في هذه الازمان في كثير من البلاد
ومن هؤلاء من تحمله الشياطين وتطير به في الهواء الى مكان بعيد
ومنهم من تحمله الى عرفة فلا يحج حجا شرعيا ولا يحرم ولا يلبي
ولا يطوف ولا يسعى ولكن يقف بشيا بر مع الناس ثم
يحملونه الى بلده وهذا من تلعب الشياطين بكثير من الناس كما قد
بسط الكلام في غير هذا الموضع والله

بلغت مقابلة على النسخة المنقولة منها

اعلم بالصواب واليه المرجع

والمآب وصلى الله على محمد وسلم

ولا حول ولا قوة الا بالله

العلي العظيم

ع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سئل شيخ الاسلام بقية السلف الكرام العلامة الرباني
اوحد عصره وفريد دهره رحلة الطالبين ونخبة الراسخين
تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية
الحراني رضي الله عنه واثابه الجنة بمنه وكرمه فقيل

يا ايها الحبر الذي علمه ... وفضله في الناس مذكور
كيف اختيار العبد افعاله ... والعبد في الافعال مجبور
لانهم قد صرحوا انه ... على الارادات لمقسور
ولم يكن فاعل افعاله ... حقيقة والحكم مشهور
ومن هنا لم يك للفعل في ... ما يلحق الفاعل تاثير
وما تشاؤن دليل له ... في صحة المحكي تقرير
وكل شيء ثم لو سلمت لم ... يك للخالق تقدير
او كان فاللازم من كونه ... حدوثه والقول مهجور
ولا يقال علم الله ما يختار ... فالمختار مسطور
والجبر ان صح يكن مكرها ... وعندك المكره معذور
نعم ولولا الجبر كنت امرأ ... له الى نحوك تشمير
يقيمني الشوق ولكنني ... يقعدني عنك المقادير

قال شيخ الاسلام كان مراده دليل له في صحة المحكي وكل شيء اي في ان كل شيء بمشيئة الله تعالى كذا في اصل قوبل على نسخة قرأت على المؤلف رحمه الله تعالى

فاجاب الحمد لله رب العالمين اصل هذه المسئلة
ان يعلم الانسان ان مذهب اهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره
ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الاولون من
المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وهو
ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الاعيان

القائمة

القايمة بانفسها وصفاتها القايمة بها من افعال العباد وغير افعال العباد وانه سبحانه
ما شاء كان وما لم يشا لم يكن فلا يكون في الوجود شيء الا بمشيته وقدرته فلا يمتنع عليه
شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئا الا وهو قادر عليه
وانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون
وقد دخل في ذلك افعال العباد وغيرها وقد قدر مقادير الخلايق قبل
ان يخلقهم قدر ارزاقهم واجالهم واعمالهم وكتب ما يصيرون اليه من
سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيته
لكل ما كان وعلمه بالاشيا قبل ان تكون وتقديره لها وكتابته
اياها قبل ان تكون وغلاة القدرية ينكرون علمه القديم المتقدم وكتابته السابقة
ويزعمون انه امر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الامر
انف اي مستانف وهذا القول اول ما حدث في الاسلام بعد
انقراض عصر الخلفا الراشدين وبعد امارة معاوية بن ابي سفيان في زمن
الفتنة التي كانت بين بن الزبير وبين بني امية في اواخر عصر
عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة وكان
اول من ظهر ذلك عنه بالبصرة معبد الجهني فلما بلغ الصحابة
قول هؤلاء تبرؤا منهم وانكروا مقالتهم كما قال عبد الله
بن عمر ~~لما اخبر عنهم~~ اذا لقيت اولئك فاخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء مني
وكذلك كلام ابن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الاسقع وغيرهم
من الصحابة والتابعين لهم باحسان وساير ايمة المسلمين فيهم
كثير حتى قال فيهم الايمة كمالك والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم
ان المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون ثم لما كثر خوض الناس في القدر
صار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق لكن ينكرون عموم
مشية الله وعموم خلقه وقدرته ويظنون انه لا معنى لمشيته الا امره
فما شاءه فقد امر به وما لم يشاءه لم يامر به فلزمهم ان يقولوا قد يشاء
الله تعالى ما لا يكون ويكون ما لا يشا وانكروا ان يكون الله تعالى خالقا

ذلك وكتب صح

والذي يحلف به عبد الله بن عمر بن الخطاب لو انفق احدهم مثل احد ذهبا ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر صح صح

ليحيى بن يعمر حين سأله وحميد بن عبد الرحمن الحميري وقالا له انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤن القرآن ويتفقرون العلم وذكر من شانهم وانهم يزعمون ان لا قدر وان الامر انف فقال صح

انه صح

لافعال العباد او قادرا عليها وان يختص بعض عباده من النعم بما يقتضي
ايمانهم به وطاعتهم له وزعموا ان نعمته التي بها يمكن الايمان والعمل الصالح على
الكفار كابي لهب وابي جهل مثل نعمته بذلك على ابي بكر وعمر وعثمان وعلي بمنزلة
رجل دفع الى ولديه مالا قسمه بينهم بالسوية لكن هولاء احدثوا اعمالهم الصالحة
وهولاء احدثوا اعمالهم الفاسدة من غير نعمة خص الله بها المؤمنين
وهذا قول باطل وقد قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل
لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين
وقال تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن
الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
اوليك هم الراشدون وقد امرنا الله تعالى ان نقول في صلاتنا اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وقال اهل الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله وقال الخليل صلوات الله عليه ربنا واجعلنا مسلمين
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقال رب اجعلني مقيم الصلاة ومن
ذريتي وقال تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وجعلناهم
ايمة يدعون الى النار ونصوص الكتاب والسنة وسلف الامة المثبتة لهذه
الاصول كثيرة مع ما في ذلك من الدلايل العقلية الكثيرة على ذلك

فصل وسلف الامة وايمتها متفقون ايضا على
ان العباد مامورون بما امرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه
ومتفقون على الايمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة
ومتفقون على انه لا حجة لاحد على الله في واجب تركه ولا محرم
فعله بل لله الحجة البالغة على عباده ومن احتج بالقدر على ترك مامور
او فعل محظور او دفع ما جاءت النصوص من الوعد والوعيد فهو
اعظم ضلالا وافتراء على الله ومخالفة لدين الله من اولئك
القدرية فان اولئك مشبهون بالمجوس وقد جاءت فيهم الاثار

انهم مجوس هذه الامة كما روي ذلك عن ابن عمر وغيره من السلف وقد رويت
في ذلك احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم منها ما رواه ابو داود
والترمذي لكن طائفة من ائمة الحديث طعنوا في صحة الاحاديث
المرفوعة في ذلك وهذا مبسوط في موضعه والمقصود هنا ان
القدرية النافية يشبهون المجوس في كونهم اثبتوا غير الله يحدث اشياء
من الشر بدون مشيته وقدرته وخلقه واما المحتجون بالقدر
على اسقاط الامر والنهي والوعد والوعيد فهؤلاء يشبهون المشركين
الذين قال الله فيهم وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا
من دونه من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ
المبين وقال تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم
فهل على الرسل الا البلاغ المبين وقال تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله
قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في
ضلال مبين وقال تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون فهؤلاء المحتجون بالقدر على سقوط الامر والنهي من
جنس المشركين المكذبين للرسل وهم اسوا حالا من المجوس وهؤلاء
حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد
ومن هؤلاء من يظن ان آدم احتج على موسى بالقدر على الذنب وان ذلك
جائز لخاصة الاولياء المشاهدين للقدر وهذا ضلال عظيم فان موسى
انما لام آدم على المصيبة التي لحقت الذرية بسبب اكله من الشجرة فقال لما
ذا اخرجتنا ونفسك من الجنة والعبد مامور عند المصائب ان يرجع
الى القدر فانه سعادة العبد ان يفعل المامور ويترك المحظور ويسلم للقدر
قال الله تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله
يهد قلبه قال ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم
انها من عند الله فيرضى ويسلم فالسعيد يستغفر من المصائب ويصبر
على المصائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك والشقي يجزع عند المصائب

حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم الاية

قف على ان العبد مامور ان يرجع عند المصائب الى القدر

ويحتج بالقدر على المعائب والاقادم صلى الله عليه وقد تاب من الذنب وقد اجتباه
ربه وهداه وموسى اجل قدرا من ان يلوم احدا على ذنب قد تاب منه وقد غفر له
مما فعل حيث قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وقال انا هدنا اليك
وقالت وليتنا فاغفر لنا وارحمنا وموسى وادم اعلم بالله من ان يظن
واحد منهما ان القدر عذر لمن عصى الله وقد علما ما حل بابليس وغير ابليس
وادم نفسه قد اخرج من الجنة وطفق هو وامرأته يخصفان عليهما من
ورق الجنة وقد عاقب الله قوم نوح وهود وصالح وغيرهم من
الامم وقد شرع عقوبة المعتدين واعد جهنم للكافرين فكيف يكون
القدر عذرا للمذنب وهؤلاء لا يحتجون بالقدر الا اذا كانوا
متبعين لاهوائهم بغير علم ولا يطردون حجتهم فان القدر لو كان
حجة للخلق للزم لا يلام احد ولا يذم ولا يعاقب لا في الدنيا ولا
في الاخرة ولا يقتص من ظالم اصلا بل يمكن الناس يفعلون ما يشتهون
مطلقا ومعلوم ان هذا لا يتصور ان يقوم عليه مصلحة احد لا في الدنيا
ولا في الاخرة بل هو موجب للفساد العام وصاحب هذا القول لا
يكون الا ظالما متناقضا فاذا اذاه غيره او ظلم طلب منه معاقبته وجزاه
ولم يعذره بالقدر واذا كان هو الظالم احتج لنفسه بالقدر فلا يحتج
احد بالقدر الا لاتباع هواه بغير علم ولا يكون الا مبطلا لا محقا
معه كما احتج به المشركون فقال تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون وقال كذلك فعل الذين
من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهذا كان هؤلاء المشركون
يحتجون بالقدر اذا عاداهم احد فقاتلوه وقاتلوه وعاقبوه ولم
يقبلوا حجته اذا قال لو شاء الله ما عادنا نحن ولا هم ولا يعبدون من
ظلم واعتدى ولا يقبلون احتجاجه بالقدر فلما جاءهم الحق من ربهم
الحق وهو دفع ذلك بالقدر فصار يحتجون على الحق بما لا يحتج به
مبطل ولا يجوز ان يحتج به على في دفع امرهم ونهيهم بل ولا يجوز احد

من العقلا

وغفر الله له وفضلا عن آدم وهو ايضا قد تاب فاجتبى

وقد انت غفرا لي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين

من العقلاء ان يحتج به عليه في دفع حقه فعا رضوا ربهم ورسل ربهم بما لا
يجوز ان يعارض به احد من الناس ولا رسل احد من الناس
فكان امر المخلوق ونهيه وحقه على غيره اعظم على قولهم من امر الله ونهيه
وحقه على عباده وكان امر الله ونهيه وحقه على عباده اخف حرمة عندهم
من امر المخلوق ونهيه وحقه على غيره فان حق الله على عباده ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا كما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل قال
كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي يا معاذ اتدري ما حق
الله على عباده قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا
به شيئا اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم
قال حقهم عليه ان لا يعذبهم فكان هؤلاء المشركون من اعظم
الناس جهلا وعداوة لله ورسوله اذا احتجوا على اسقاط حقه وامره
ونهيه بما لا يجوز لهم ولا لاحد من العقلاء ان يحتج به على اسقاط
حق مخلوق ولا امره ولا نهيه وهذا كما جعلوا لله شركاء وبنات وهم لا يرضى
احدهم ان يكون مملوكه شريكه ولا يرضى البنات لنفسه قال الله تعالى وجعلوا
له مما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار
وانهم مفرطون وقال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه
مسودا وهو كظيم وقال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت
ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم اي كخيفة
بعضكم بعضا كقوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا وقوله فسلموا على انفسكم وقوله تعالى ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم فالمكذبون للرسل دائما حجتهم داحضة
متناقضة فهم في قول مختلف يؤفك عنه من افك قال الله تعالى ولا يأتونك
بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم
على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم فحجة المشركين داحضة
في شركهم بالله وجعلهم لله ولدا وفي دفع امره ونهيه بالقدر وقد بسط

الكلام على هذه الامور وما ينا سبها في غير هذا الموضع وبين ان قول الفلاسفة
القائلين بقدم العالم وانه صادر عن موجب بالذات تتولد العقول والنفوس
عند الذين يعبدون الكواكب العلوية ويصنعون لها التماثيل السفلية كان سطوا
واتباعه اعظم كفرا وضلالا من مشركي العرب الذين كانوا يقرون بان الله خالق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام بمشيئته وقدرته وكان حرفوا له بنين
وبنات بغير علم واشركوا به ما لم ينزل به سلطانا وكذلك المباحية الذين
يسقطون الامر والنهي مطلقا ويحتجون بالقضا والقدر اسوا حالا
من اليهود والنصارى ومشركي العرب فان هؤلا مع كفرهم يقرون بنوع
من الامر والنهي والوعد والوعيد ولكن كان لهم شرك شرعوا لهم من الدين
ما لم ياذن به الله بخلاف المباحية المسقطة للشرايع مطلقا فانما يرضون
ما هوا انفسهم ويغضبون لما هوا انفسهم لا يرضون لله ولا يغضبون
لله ولا يحبون لله ولا يبغضون لله ولا يامرون بما امر الله ولا ينهون
عما نهى الله عنه الا اذا كان لهم في ذلك هوى فيفعلونه لاجل هوا هم لا لعبادة
مولاهم وهذا لا ينكرون ما وقع في الوجود من الكفر والفسوق والعصيان
الا اذا خالف اغراضهم فينكرونه انكارا طبيعيا شيطانيا لا انكارا شرعيا رحمانيا
ولهذا يقترن بهم الشياطين اخوانهم فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وقد
تتمثل لهم الشياطين وتخاطبهم وتعينهم على بعض اهوائهم كما كانت الشياطين
تفعل بالمشركين عباد الاصنام وهؤلا يكثرون في الطوائف الخارجين عما
بعث الله به رسوله صلى الله عليه من الكتاب والسنة الذين يسلكون طرقا من العبادات
والاعتقادات مبتدعة في الدين ولا يحترزون في عباداتهم واعتقاداتهم
موافقة الرسول والاعتصام بالكتاب والسنة فيكثر فيهم الاهوا والشبهات و
تعويم الشياطين ويصير فيهم شعبة من المشركين بحسب بعدهم عن الرسول
وكما يجب انكار قول القدرية المضاهين للمجوس فانكار قول هؤلا اولى
والرد عليهم احرى وهؤلا لم تكن موجودين في عصر الصحابة والتابعين
لهم باحسان فان البدع انما تظهر منها اولا فاولا الاخف فالاخف كما
حدث في اواخر عصر الخلفا بعد الخوارج والشيعة ثم في اخر عصر الصحابة

وهذا كان منتهى امر هؤلا ما لم ياذن به الله بخلاف المباحية المسقطة للشرايع مطلقا فانما يرضون
الى اتباع الهوى بغير علم فقط

بدع المرجئة والقدرية ثم في آخر عصر التابعين بدء غلاة الجهمية معطلة الصفات
وأما هؤلاء المباحية المسقطون للأمر والنهي محتجين على ذلك بالقدر
فهم شر من جميع هذه الطوائف وأخبث وأبعد هؤلاء كلهم **فصل**
ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مما يؤمنون به بالقضاء والقدر وأن الله
خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء
وأن العباد كلهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه وقولهم
أن الله العباد لا يشاؤون الا أن يشاء الله كما قال تعالى كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون
الا أن يشاء الله الإنسان قال إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤون
الا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما وقال إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء
منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين والقرآن قد أخبر أن العباد
يؤمنون ويكفرون ويفعلون ويعملون ويكسبون ويطيعون ويعصون
ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون ويعتمرون ويقتلون ويزنون
ويسرقون ويكذبون ويأكلون ويشربون ويقاتلون ويحاربون فلم يكن
في السلف والأئمة من يقول ان العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر
ولا قال أحد منهم انه فاعل مجازا بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون
على ان العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وافعاله وأول من
ظهر عنه انكار ذلك هو الجهم بن صفوان واتباعه فحكي عنهم انهم قالوا ان العبد مجبور
وانه لا فعل له أصلا وليس بقادر أصلا وكان الجهم غالبا في تعطيل الصفات
فكان ينفي ان يسمى الله باسم يسمى به العبد فلا يسمى الله تعالى حيا ولا
عالما ولا سميعا ولا بصيرا الا على وجه المجاز وحكي عنه انه كان يسمي الله عز وجل
قادرا لان العبد عنده ليس بقادر فلا تشبيه في هذا الاسم على قوله وكان
هو واتباعه ينكرون ان يكون لله حكمة في خلقه وأمره او ان تكون لرحمته و
يقولون انما فعل لمحض مشيئة لا لرحمة ولا حكمة وحكي عنه انه كان ينكر ان يكون
الله أرحم الراحمين وانه كان يخرج الى الحدث فيمسح فيه يده ويقول ارحم الرحمن

وأما هؤلاء المباحية المسقطون للأمر والنهي محتجين على ذلك بالقدر
فهم شر من جميع هذه الطوائف وأخبث وأبعد هؤلاء كلهم **فصل**
ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مما يؤمنون به بالقضاء والقدر وأن الله
خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء
وأن العباد كلهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه وقولهم
أن الله العباد لا يشاؤون الا أن يشاء الله كما قال تعالى كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون
الا أن يشاء الله الإنسان قال إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤون
الا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما وقال إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء
منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين والقرآن قد أخبر أن العباد
يؤمنون ويكفرون ويفعلون ويعملون ويكسبون ويطيعون ويعصون
ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون ويعتمرون ويقتلون ويزنون
ويسرقون ويكذبون ويأكلون ويشربون ويقاتلون ويحاربون فلم يكن
في السلف والأئمة من يقول ان العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر
ولا قال أحد منهم انه فاعل مجازا بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون
على ان العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وافعاله وأول من
ظهر عنه انكار ذلك هو الجهم بن صفوان واتباعه فحكي عنهم انهم قالوا ان العبد مجبور
وانه لا فعل له أصلا وليس بقادر أصلا وكان الجهم غالبا في تعطيل الصفات
فكان ينفي ان يسمى الله باسم يسمى به العبد فلا يسمى الله تعالى حيا ولا
عالما ولا سميعا ولا بصيرا الا على وجه المجاز وحكي عنه انه كان يسمي الله عز وجل
قادرا لان العبد عنده ليس بقادر فلا تشبيه في هذا الاسم على قوله وكان
هو واتباعه ينكرون ان يكون لله حكمة في خلقه وأمره او ان تكون لرحمته و
يقولون انما فعل لمحض مشيئة لا لرحمة ولا حكمة وحكي عنه انه كان ينكر ان يكون
الله أرحم الراحمين وانه كان يخرج الى الحدث فيمسح فيه يده ويقول ارحم الرحمن

يفعل مثل هذا بهؤلاء وكان يقول العباد مجبورون على افعالهم ليس لهم فعل ولا
اختيار وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات وفي الجبر والارجاء في اواخر
دولة بني امية بعد حدوث القدرية والمعتزلة وغيرهم فان القدرية حدثوا
قبل ذلك في اواخر عصر الصحابة فلما حدثت مقالته المقابلة لمقالة القدرية
انكرها السلف والائمة كما انكروا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم وبدعوا
الطائفتين حتى في لفظ الجبر انكروا على من قال جبر وعلى من قال لم يجبر والاثار
بذلك معروفة عن الاوزاعي وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي واحمد
بن حنبل وغيرهم من سلف الامة وائمتها كما ذكر طرفا من ذلك ابو بكر الخلال
في كتاب السنة هو وغيره ممن يجمع اقوال السلف وقال الاوزاعي والزبيدي و
غيرهما ليس في الكتاب والسنة لفظ جبر وانما في السنة لفظ حيل كما ثبت في الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاشج عبد القيس لما قدم عليه وفد عبد القيس
من البحرين فقالوا يا رسول الله ان بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا
لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل نعمل به ونامر به من ورائنا فقال امركم
بالايمان بالله اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان تؤدوا خمس ما غنمتم ونهاهم عن الانتباذ في
الاوعية التي يسرع اليها السكر حتى قد يشرب الرجل ولا يدري انه شرب مسكرا
بخلاف الظروف التي توكى فانها اذا اشتد الشراب انشقت ونهى عن الدبا
وهو القرع والحنتم وهو ما يصنع من المدر كالجرار والمزفت وهي الظروف
المزفتة والنقير وهو الخشب المنقور ثم قد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم اباح ذلك
بعد هذا النهي ولهذا تنازع العلماء في هذا النهي هل هو منسوخ ام لا على
قولين مشهورين للعلماء هما روايتان عن احمد والقول بالنسخ مذهب
ابي حنيفة والشافعي والقول بان هذا كله لم ينسخ مذهب مالك لكن
مالكا لا ينهى الا عن صنفين فانه ثبت في الصحيح البخاري انه حرم ذينك الصنفين واباح

الاخرين

الاخر به بعد النهي واما مسلم فروى في صحيحه النسخ في الجميع فلهذا اختلف
قول احمد لان الاحاديث في النهي متواترة وهذا الشيخ ليس مثلها فلهذا
صار للناس فيها ثلاثة اقوال وهؤلاء وفد عبد القيس كانوا بالبحرين
واسلموا طوعا كما اسلم اهل المدينة واول جمعة جمعت في الاسلام عندهم
بقرية من قرى البحرين والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الاشج عبد
القيس ان فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخلقين تخلقت بهما
ام خلقين جبلت عليهما فقال بل خلقين جبلت عليهما فقال الحمد لله
الذي جبلني على ما يحب فقال الاوزاعي والزبيدي وغيرهما من السلف
لفظ الجبل جاءت به السنة فيقال جبل الله فلانا على كذا واما لفظ الجبر
فلم يرد واكره الاوزاعي والزبيدي والثوري واحمد بن حنبل وغيرهم
لفظ الجبر في النفي والاثبات وذلك لان لفظ الجبر مجمل فانه يقال
جبر الاب ابنته على النكاح وجبر الحاكم الرجل على بيع ماله لوفاء دينه ومعنى
ذلك اكراهه ليس معناه انه جعله مريدا للذكر مختارا له محبا له راضيا به
قالوا ومن قال ان الله تعالى جبر العباد بهذا المعنى فهو مبطل فان الله اعلا
واجل واقدر من ان يجبر احدا وانما يجبر غيره العاجز عن ان يجعله مريدا
للفعل مختارا له محبا راضيا به والله سبحانه قادر على ذلك وهو الذي جعل المريد
للفعل المحب له الراضي به مريدا له محبا له راضيا به فكيف يقال انه جبره واكرهه
كما يجبر المخلوق المخلوق مثل جبر السلطان والحاكم والاب وغيرهم لمن
لم يجبروه اما بحق واما بباطل فان اجبارهم هو اكراههم لغيرهم على الفعل
والاكراه قد يكون اكراها بحق وقد يكون اكراها بباطل فالاول كاكراه من امتنع
من الواجبات على فعلها مثل اكراه الكافر الحربي على الاسلام واداء الجزية
عن يد وهو صاغر واكراه المرتد على العود الى الاسلام واكراه من اسلم
على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت وعلى قضاء
الديون التي يقدر على قضائها وعلى اداء الامانة التي يقدر على اداءها واعطاء
النفقة الواجبة عليه التي يقدر على اعطائها واما الاكراه بغير حق

فمثل اكراه الانسان على الكفر والمعاصي وهذا الاجبار الذي هو الاكراه يفعله
العباد بعضهم مع بعض لانهم لا يقدرون على احداث الارادة والاختيار
في قلوبهم ولا على جعلهم فاعلين لافعالهم والله تعالى قادر على احداث الارادة للعبد
واختياره وجعله فاعلا بقدرته ومشيته فهو اعلا واقدر من ان يجبر غيره
ويكرهه على امر يشاؤه منه بل اذا شاء جعله فاعلا له بمشيته كما انه قادر على
ان يجعله فاعلا للشيء مع كراهته له فيكون مريدا له حتى يفعله مع بغضه له
كما قد يشرب المريض الدواء مع كراهته له قال الله تعالى ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها وقال وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
وكلما يقع من العباد بارادتهم ومشيئاتهم فهو كالذي جعلهم فاعلين له بمشيتهم
سواء كانوا مع ذلك فعلوه طوعا او كرها او كانوا كارهين له فعلوه كرها وهو
سبحانه لا يكرههم على ما لم يريدوه كما يكره المخلوق المخلوق حيث يكرهه على امر لا
يريده وليس هو قادرا على ان يجعله مريدا له فاعلا له لا مع الكراهة ولا مع
عدمها فلهذا كان العبد يقال انه جبر غيره على الفعل والله اعلا واجل واقدر
من ان يقال انه جبر بهذا المعنى وقد يستعمل لفظ الجبر في اعم من ذلك بحيث
يتناول كل من قهر غيره وقدر عليه فجعله فاعلا لما يشاؤه منه وان كان
هو المحدث لارادته له وقدرته عليه قال كعب بن محمد
القرظي في اسم الله الجبار قال هو الذي جبر العباد على ما اراد وكذلك ينقل
عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب انه قال في الدعاء المأثور اللهم داحي
المدحوات وباري المسموكات جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها
والجبر من الله بهذا الاعتبار معناه القهر والقدرة وانه يقدر ان يفعل
ما يشاء ويجبر العباد على ذلك ويقهرهم عليه ليس كالمخلوق العاجز الذي يشاء ما لا
يكون ويكون ما لا يشاء ومن جبره وقهره وقدرته ان يجعل العباد مريدين
لما يشاؤه منهم اما مختارين له طوعا واما مريدين له مع كراهتهم له ويجعلهم
فاعلين له وهذا الجبر الذي هو قهره بقدرته لا يقدر عليه غيره وليس
هو كاجبار غيره واكراهه من وجوه منها ان ما سواه

فيكون مريدا له حتى يفعله مع بغضه له كما قد يشرب المريض الدواء مع كراهته له صح

عاجز

عاجز لا يقدر ان يجعل العباد مريدين لما يشاؤه ولا فاعلين له ومنها
ان غيره قد يجبر الغير ويكرهه اكراها يكون ظالما له والله تعالى عادل لا يظلم
مثقال ذرة ومنها ان غيره قد يكون جاهلا او سفيها لا يعلم
ما يفعله وما يجبر عليه ولا يقصد حكمة تكون عن ذلك والله عليم حكيم
فكل ما خلقه وامر به له فيه حكمة بالغة صادرة عن علمه وحكمته ورحمته

فصل والسلف والائمة كما انهم متفقون على الايمان بالقدر
وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه خالق كل شيء من افعال العباد وغيرهم
وهم متفقون على اثبات امره ونهيه ووعده ووعيده وانه لا حجة لاحد
على الله في ترك مامور ولا فعل محظور فهم ايضا متفقون على ان الله حكيم
رحيم وانه احكم الحاكمين وارحم الراحمين وقد ثبت في الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لله ارحم بعباده من الوالدة بولدها وقد اخبر من
حكمته في خلقه وامره بما اخبر به في كتابه وسنة رسوله والجهم
بن صفوان ومن اتبعه ينكرون حكمته ورحمته ويقولون ليس في افعاله
واوامره لام كي لا يفعل شيئا لشيء ولا يامر بشيء لشيء وكثير من المتاخرين
من المثبتين للقدر من اهل الكلام ومن وافقهم سلكوا مسلك جهم في كثير
من مسائل هذا الباب وان خالفوه في بعض ذلك اما نزاعا لفظيا واما
نزاعا لا يعقل واما نزاعا معنويا وذلك كقول من زعم ان العبد كاسب
ليس بفاعل حقيقة وجعل الكسب مقدورا للعبد واثبت له قدرة لا تاثير
لها في المقدور ولهذا قال جمهور العقلاء ان هذا كلام متناقض
غير معقول فان القدرة اذا لم يكن لها تاثير اصلا في الفعل كان وجودها
كعدمها ولم تكن قدرة بل كان اقترانها بالفعل كاقتران سائر صفات الفاعل
من طوله وعرضه ولونه ولما قيل لهؤلاء ما الكسب قالوا ما وجد
بالفاعل وله عليه قدرة محدثة او ما يوجد في محل القدرة المحدثة فاذا قيل
لهم ما القدرة قالوا ما يحصل به الفرق من حركة المرتعش وحركة المختار فقال
لهم جمهور العقلاء حركة المختار حاصلة بارادته دون حركة المرتعش

وهي حاصلة بقدرة ايضا فان جعلتم الفرق مجرد الارادة فالانسان قد
يريد فعل غيره ولا يكون فاعلا له وان اردتم انه قادر عليه فقد عاد الامر
الى معنى القدرة والمعقول من العبد معنى به يفعل الفاعل لا يثبت قدرة
لغير فاعل ولا قدرة يكون وجودها وعدمها بالنسبة الى الفاعل سواء وهؤلاء
المتبعون لجهم يقولون ان العبد ليس بفاعل حقيقة وانما هو كاسب حقيقة
ويثبتون مع الكسب قدرة لا تأثير لها في الكسب بل وجودها وعدمها
بالنسبة اليه سواء ولكن قرنت به من غير تأثير فيه ويزعمون ان كل ما في الوجود من
القوى والطبايع والاسباب العلوية والسفلية كقدرة العبد لا تأثير لشيء منها
فيما اقترنت به من الحوادث والافعال والمسببات بل قرن الخالق هذا
بهذا لا لسبب ولا لحكمة اصلا وقالوا ان الطاعات والمعاصي مع الثواب
والعقاب كذلك ليس في الطاعة معنى يناسب الثواب ولا في المعصية
معنى يناسب العقاب ولا كان في الامر والنهي حكمة لاجلها امر ونهى ولا اراد
بارسال الرسل رحمة العباد ومصلحتهم بل اراد ان ينعم طايفة ويعذب
طايفة لا لحكمة ولا لسبب في جعل الامر والنهي والطاعة والمعصية
علامة على ذلك لا لسبب ولا لحكمة وانه يجوز ان يامر بكل شيء وان ينهى عن كل شيء حتى عن التوحيد والايمان
بالرسل وطاعتهم وكثير من هؤلاء كابي الحسن وابن عقيل وابن الجوزي وامثالهم
متاخري اصحاب مكذوان في واحد مثل ابن عقيل وابن الجوزي وامثالهم
يقولون ان الخلق هو المخلوق والفعل هو المفعول وقد جعلوا افعال العباد
فعلا لله والفعل عندهم هو المفعول فامتنع مع هذا ان يكون فعلا
للعبد ليلا يكون فعل واحد له فاعلان واما الجمهور فيقولون
انه مخلوق لله مفعول له وهو فعل للعبد قايمة به وليست فعلا لله قايما به
بل مفعول غير فعله والرب تعالى لا يوصف بما هو مخلوق له وانما يوصف بما هو
قايم به فلم يلزم هؤلاء ان يكون الرب ظالما واما اولئك فاذا قالوا انه يوصف
بالمخلوق المنفصل عنه فيسمى عادلا وخالقا لوجود مخلوق منفصل عنه خلقه
فانهم الزموهم ان يكون ظالما لخلقه ظلما منفصلا عنه اذ كانوا لا يقرون

فيما

فيما انفصل عنه بينما يكون صفة لغيره وفعلا له وبين ما لا يكون اذ الجميع عندهم
نسبته واحده الى قدرته ومشيته وخلقه وهؤلاء اطلقوا القول بتكليف ما لا
يطاق وليس في السلف والائمة من اطلق القول بتكليف ما لا يطاق كما انهم ليس
فيهم من اطلق القول بالجبر واطلاق القول بانه يجبر العباد كاطلاق القول
بانهم يكلفهم ما لا يطيقون هذا سلب قدرتهم على ما امروا به وذلك سلب كونهم
فاعلين قادرين ه ولهذا كان المقتصدون من هؤلاء كالقاضي ابي
بكر واكثر اصحاب ابي الحسن وكالجمهور من اصحاب مالك والشافعي واحمد
بن حنبل كالقاضي ابي يعلى وامثاله يفصلون القول في تكليف ما لا يطاق كما تقدم
[illegible] الجبر فيقولون تكليف ما لا يطاق لعجز العبد عنه لا يجوز
واما ما يقال انه لا يطاق ه للاشتغال بضده فيجوز تكليفه وهذا لان
الانسان لا يمكنه في حال واحده ان يكون قايما قاعدا ففي حال القيام لا يقدر
ان يفعل معه القعود ويجوز ان يؤمر حال القعود بالقيام وهذا متفق على
جوازه بين المسلمين بل عامة الامر والنهي هو من هذا النوع لكن هل يسمى
هذا تكليف ما لا يطاق فيه نزاع قيل ان العبد لا يكون قادرا الا حين
الفعل وان القدرة لا تكون الا مع الفعل كما يقول ابو الحسن الاشعري وكثير
من نظار المثبتة للقدر فعلى هذا قول هؤلاء كل مكلف فهو حين التكليف
قد كلف ما لا يطيقه حينئذ وان كان قد يطيقه حين الفعل لقدرة يخلقها الله
له وقت الفعل ولكن هذا لا يطيقه لاشتغاله بضده وعدم القدرة
المقارنة للفعل لا لكونه عاجزا عنه ه واما العاجز عن الفعل كالزمن
العاجز عن المشي والاعمى العاجز عن النظر ونحو ذلك فهؤلاء لم يكلفوا بما
يعجزون عنه ومثل هذا التكليف لم يكن واقعا في الشريعة باتفاق طوائف
المسلمين الا شرذمة قليلة من المتاخرين ادعوا وقوع مثل هذا التكليف في
الشريعة ونقلوا ذلك عن الاشعري واكثر اصحابه وهو خطأ عليهم واما
جواز هذا التكليف عقلا فاكثر الامة نفت جوازه مطلقا وجوزوه
عقلا طايفة من المثبتة للقدر من اصحاب ابي الحسن الاشعري ومن

اقف على انه ليس في السلف من اطلق القول بتكليف ما لا يطاق

تفصيل القول في ٣

ومن وافقهم من اصحاب مالك وابن فعي واحمد كابن عقيل وابن الجوزي و
غيرهما وطائفة ثالثة فرقت في الجواز العقلي بين الممكن لذاته الذي يمتنع
وجوده في الخارج كالطيران وبين الممتنع عقلا كالجمع بين النقيضين
والذين زعموا وقوع التكليف بالممتنع لذاته كالرازي وغيره احتجوا بان
الله كلف ابا لهب بالايمان مع علمه بانه لا يؤمن واخباره بانه لا يؤمن
فكلفه بالجمع بين النقيضين بان يفعل الايمان وبان يصدق انه لا يكون
وانما يكون مصدقا بذلك وهو صادق في تصديقه اذ لو لم يكن واحتجوا بانه
كلف خلاف المعلوم وخلاف المعلوم محال فيكون حقيقة التكليف انه
يجعل علم الله جهلا وهذا ممتنع لذاته وهو الراجح جعلوا لفظ ما لا يطاق لفظا
عاما يدخل فيه كل فعل لكون القدرة عندهم لا تكون الا مع الفعل ويدخل فيه
خلاف المعلوم ويدخل فيه المجزوم عنه ويدخل فيه الممتنع لذاته ثم
ذكروا انواعا من حجج يستدلون بها على جواز هذا الجنس فاذا فصل الامر
عليهم تبين ان دعواهم جواز تكليف ما لا يطاق للعجز عنه سواء كان
ممتنعا لذاته او ممكنا باطلة لا دليل عليها واما ما جوز تكليف ما
يقدر العبد عليه من العباده ويقولون هم انه لا يكون قادرا عليه الا حين
الفعل فهذا من ما اتفق الناس على جواز التكليف به لكن تنازعوا لفظي
او معنوي في كونه يدخل فيما لا يطاق فصار ما ادخلوه في هذا الاسم انواعا
مختلفة منها ما ينازعون في جوازه او وقوعه ومنها
ما ينازعون في اسمه وصفته لا في وقوعه اما تكليف ابي لهب
وغيره بما لا يكون الا بالايمان منه فحق وهو اذا امر ان يصدق
الرسول في كل ما يقوله وهذا التصديق لا يوجد منه فاذا قيل له
امر تكليف ونحن نعلم انك لا تفعله لم يكن هذا تكليفا للجمع بين النقيضين
فان قال اصدقكم في كل ما تقولون يقتضي ان يكون مؤمنا اذا صدقتكم
واذا صدقتكم لم اكن مؤمنا لانكم اخبرتم اني لا اؤمن بكم اصدقكم في
كل ما تخبرون به ولو وقع منك لم يكن فيه هذا الخبر ولم يكن يخبر انك لا

تؤمن

تؤمن فانت قادر على تصديقنا وتقدير وجوده لا تجعل هذا الخبر وهذا الخبر انما
وقع لانك انت لم تفعل ما قدرت عليه من تصديقنا بهذا الخبر ووقع
بعد تكذيبك وتركك ما كنت قادرا عليه لم نقل لك حين امرناك بالتصديق
عليك ان تصدق انك لا تصدق بل قلنا عليك التصديق العام وانت
قادر عليه ولو قيل لك امن وانحن نعلم انك لا تؤمن بهذا الخبر والذي امرت
ان تؤمن به هو الاخبار بان محمدا رسول الله وهذا انت قادر عليه ولا تفعله
واذا صدقتنا في خبرنا انك لا تؤمن لم يكن هنا تناقض لكن لا يمكن
الجمع بين الايمان وبين التصديق فانه لم يقع ونحن لم نامرك بهذا الجمع
بل امرناك بايمان مطلق يقدر عليه واخبرنا مع ذلك انك لا تفعل ذلك
القدور عليه ولم نقل لك صدقنا في هذا وهذا في حال واحدة لكن الواجب
عليك هو التصديق المطلق والتصديق بهذا لا يجب عليك حينئذ
ولو وقع منك التصديق المطلق والتصديق امتنع منا هذا الخبر
لكن هذا الخبر انما وقع لما علمنا انه لا يقع منك التصديق المطلق وهذا
كله لو قدر ان ابا لهب اسمع هذه الآية وامر بالتصديق بها وليس
الامر كذلك لما انزل الله قوله سيصلى نارا ذات لهب لم يلم لهم
ان الله امر نبيه باسماع هذا الخطاب لابي لهب وامر ابا لهب بتصديقه
بل لا يقدر احد ان ينقل ان الرسول صلى الله عليه وسلم امر ابا لهب ان يصدق
بنزول هذه السورة فقوله انه امر ان يصدق بانه لا يؤمن قول باطل
لم ينقله احد من علماء المسلمين فنقله عن الرسول صلى الله عليه وسلم قول بلا
علم بل كذب عليه فان قيل فقد كان الايمان واجبا على ابي
لهب ومن الايمان انه يؤمن بهذا فقيل له لا نسلم
انه بعد نزول هذه الآية وجب على الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبلغه اياها بل ولا غيرها
بل حقت عليه كلمة العذاب كما حقت على قوم نوح اذ قيل له لن يؤمن
من قومك الا من قد امن وبعد ذلك لا يبقى الرسول مامورا بتبليغهم الرسالة

لعله سقط
وهذا الخبر

لان هذا الوقع لكان معناه
اناس لا تؤمن ٢ ٣

٢ ٤ ٣ ٢ ٣ ٢ ٣ ٢ ٣

فانه قد بلغهم فكفروا حتى حقت عليهم كلمة العذاب باعيانهم وقد يخبر الله
الرسول عن معين انه لا يؤمن ولكن لا يامره ان يعلمه بذلك بل هو مامور
بتبليغه وان كان الرسول يعلم انه لا يؤمن كالذين قال الله تعالى فيهم ان الذين حقت
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم وقوله عز وجل
ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فهؤلاء قد يعلم بعض
الملائكة وبعض البشر من الانبياء وغيرهم في معين منهم انه لا يؤمن وان
كانوا مامورين بتبليغه امر الله ونهيه وليس في ذلك تكليفه بالجمع بين
النقيضين وذلك خلاف المعلوم فان الله يفعل ما يشاء بقدرته وما لا
يشاؤه يعلم انه لا يفعله لا يمنع ان يكون قادرا عليه او شاءه لفعله وعلمه
انه لا يفعله وانه قادر عليه لو شاء لفعله وعلمه انه لا يفعله لا يمنع ان يكون
قادرا عليه والعباد الذين علم الله انهم يطيعونه بارادتهم ومشيئتهم وقدرتهم
وان كان خالقا لذلك فخلقه لذلك ابلغ في علمه به قبل ان يكون كما قال
تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وما لم يفعلوه مما امرهم الله به
يعلم انه لا يكون لعدم ارادتهم له لا لعدم قدرتهم عليه وليس الامر به
امرا بما يعجزون عنه بل هو امر بما لو ارادوا لقدروا على فعله لكنهم لا يفعلونه
لعدم ارادتهم له وجهم ومن وافقه من المعتزلة اشركوا في ان مشيئة
الله ومحبته ورضاه بمعنى واحد ثم قالت المعتزلة هؤلاء يحب الكفر
والفسوق والعصيان فلا يشاؤه فقالوا انه يكون بلا مشيئته وقالت الجهمية
بل هو يشاء ذلك فهو يحبه ويرضاه وابو الحسن واكثر اصحابه وافقوا
هؤلاء وذكر ابو المعالي الجويني ان ابا الحسن اول من حادث
السلف في هذه المسئلة ولم يفرق بين المشيئة والمحبة والرضا واما
سلف الامة وائمتها واكابر اهل الفقه والحديث والتصوف وكثير من
طوائف النظار كالكلابية والكرامية وغيرهم فيفرقون بين هذا وهذا فيقولون ان الله يحب الايمان

والعمل

والعمل الصالح ويرضى به كما يامر به ولا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان ولا يحبه
كما لا يامر به وان كان قد شاءه ولهذا كان حملة الشريعة من الخلف
والسلف متفقين على انه لو حلف ليفعلن واجبا او مستحبا كقضاء دين
يضيق وقته او عبادة يضيق وقتها وقال ان شاء الله ثم لم يفعله
لم يحنث وهذا يبطل قول القدرية ولو قال ان الله كان الله يحب
ذلك ويرضاه فانه يحنث كما لو قال ان كان يندب الى ذلك ويرغب
فيه او يامر به امر ايجاب او استحباب وهذا يرد على الجهمية ومن
اتبعهم كابي الحسن الاشعري ومن وافقه من المتاخرين وبسط هذه
الامور له موضع اخر والمقصود هنا جواب هذه المسئلة فان
هذه الاشكالات المذكورة انما ترد على قول جهم ومن وافقه
من المتاخرين من اصحاب ابي الحسن الاشعري وغيرهم وطائفة
من متاخري اصحاب مالك والشافعي واحمد واما اصحاب مالك
والشافعي واحمد وعامة اصحاب ابي حنيفة فانهم لا يقولون بقول هؤلاء بل يقولون
بما اتفق عليه السلف من انه سبحانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن
ومن الفرق بين مشيته وبين محبته ورضاه فيقولون ان الكفر
والفسوق والعصيان وان وقع بمشيته فهو لا يحبه ولا يرضاه بل يسخطه
ويبغضه ويقولون ارادة الله في كتاب الله نوعان نوع بمعنى المشية
لما خلق كقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ونوع
بمعنى محبته ورضاه لما امر به وان لم يخلقه كقوله يريد الله بكم اليسر ولا
يريد بكم العسر ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم
وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم و
يريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف
عنكم وخلق الانسان ضعيفا وبهذا يفصل النزاع في مسالة

قف على ان الارادة في كتاب الله نوعان

الامر هل هو مستلزم للارادة ام لا فان القدرية تزعم انه مستلزم للمشية
فيكون قد شاء المامور به ولم يكن والجهمية قالوا انه غير مستلزم لشيء من
الارادة ولا لمحبة له ولا لرضاه به الا اذا وقع فانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن
وفصل الخطاب ان الامر ليس مستلزما لمشيته ان يخلق الرب
الامر للفعل المامور به والارادة ان يفعله بل قد يامر بما لا يخلقه ولكنه
مستلزم لمحبة الرب ورضاه من العبد ان يفعله بمعنى انه اذا فعل ذلك احبه
ورضيه وهو يريده منه ارادة الامر من المامور ما امره به لمصلحته وان
لم يرد ان يخلقه وان لم يعينه عليه لما له في ترك ذلك من الحكمة فان له حكمة
بالغة فيما خلقه وفيما لم يخلقه وفرق بين ان يريد ان يخلق هو الفعل
ويجعل غيره فاعلا يحسن اليه ويتفضل عليه بالاعانة له على مصلحته
وبين ان يامر غيره بما يصلحه ويبين له ما ينفعه اذا فعله وان كان لا
يريد هو نفسه ان يعينه لما له في ترك اعانته من الحكمة لكون الاعانة قد
تستلزم ما يناقض حكمته والمنهي عنه الذي خلقه هو يبغضه ويمقته كما
يمقت ما خلق من الاعيان الخبيثة كالشياطين والخبائث ولكنه خلقها
لحكمة يحبها ويرضاها ونحن نعلم ان العبد يريد ان يفعل ما لا يحبه لافضائه
الى ما يحبه كما يشرب المريض الدواء الكريه لافضائه الى ما يحبه من العافية
المحبوب له ولا منافاة بين كون الشيء بغيضا اليه مع كونه مخلوقا له
لحكمة يحبها وكذلك لا منافاة بين ان يحبه اذا كان ولا يفعله
لان فعله قد يستلزم تفويت ما هو احب اليه منه او وجود ما هو
ابغض اليه من عدمه **فصل** اذا عرف هذا فنقول
اما قول القايل وكيف يكون العبد مختارا لافعاله
وهو مجبور عليها انما يتوجه على الجهمية الذين يقولون باطلاق
الجبر ونفي قدرة العبد واختياره وتاثير قدرته في الفعل وقد بينا
ان اطلاق الجبر من ما انكره ايمة السنة كالاوزاعي والزبيدي والثوري
وعبد الرحمن بن مهدي واحمد بن حنبل وغيرهم وما علمت احدا
من الايمة اطلقه بل ما علمت احدا من الصحابة والتابعين لهم باحسان

اطلقوه

اطلقوه في مسايل القدر والجبر ولا احد من ايمة المسلمين الا الاربعة
ولا غيرهم لا مالك ولا ابو حنيفة ولا ان في ولا احمد بن حنبل ولا
الاوزاعي ولا الثوري ولا الليث بن سعد ولا امثال هؤلاء ان
اسكلف العباد ما لا يطيقونه ولا قال احد منهم ان العبد ليس
بفاعل الفعلة حقيقة بل هو فاعل مجازا ولا قال احد منهم ان قدرة العبد لا
تاثير لها في فعل او لا تاثير لها في كسب بل ولا قال احد منهم ان العبد
لا يكون قادرا حين الفعل وان الاستطاعة على الفعل لا تكون الا
معه وان العبد لا استطاعة له على الفعل قبل ان يفعله بل نصوصهم
مستفيضة بما دل عليه الكتاب والسنة من اثبات استطاعة للعبد
الفاعل كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا وقوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا وقوله
صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان
لم تستطع فعلى جنب وتفقوا على ان العبادات لا تجب الا على
مستطيع وان المستطيع يكون مستطيعا مع معصيته وعدم فعله
كمن استطاع ما امر به من الصلاة والزكاة والحج والصيام ولم يفعله
فانه مستطيع باتفاق سلف الامة وائمتها وهو مستحق العقاب
على ترك المامور الذي استطاعه ولم يفعله لان تركه ما لم يستطعه
وصوحوا بما صرح به ابو حنيفة وابو العباس بن سريج وغيرهما
من ان الاستطاعة المتقدمة على الفعل تصلح للضدين وان كان العبد
حين الفعل مستطيعا ايضا عندهم فهو مستطيع عندهم قبل الفعل و
بعد الفعل وهو حين الفعل لا يمكنه ان يكون فاعلا تاركا فلا يقولون
بان الاستطاعة لا تكون الا قبل الفعل كقول المعتزلة ولا يقولون
تكون الا مع الفعل كقول الجبرية بل يكون مستطيعا قبل الفعل وحين الفعل

فصل واما

قول السايل بان العلما قد صرحوا بان العبد يفعلها
قسرا يقال له لم يصرح بهذا احد من علما السلف وايمة
الاسلام المشهورين ولا احد من اكابر اتباع الايمة الاربعة وانما
يصرح بهذا بعض المتاخرين الذين سلكوا مسلك جهم ومن
وافقه وليس هو لا كل علما السنة بل ولا جمهورهم ولا ايمتهم بل هم عند
ايمة السلف من اهل البدع المنكرة واما قول الناظم
السايل بانهم قد صرحوا انه على الارادات لمقسور فيقال له
القسر على الارادة منه اذا اريد به انه جعله مريدا فهذا حق لكن تسمية
مثل هذا قسرا واكراها وجبرا تناقض لفظا ومعنى فان المقسور المكره
المجبور لا يكون مريدا مختارا محبا راضيا فالذي جعل مختارا محبا راضيا
لا يقال انه مقسور مكره مجبور واذا قيل المراد بذلك انه جعل مريدا بمشية
الله وقدرته بدون ارادة منه متقدمة اختار بها ان يكون مريدا
قيل لهم هذا المعنى حق سوا سمي قسرا او لم يسم ولكن
لا يناقض كونه مختارا فان من جعل مريدا مختارا قد اثبت له الارادة
والاختيار والشي لا يناقض ذاته ولا يلازمه فلا يجوز ان يقال كيف يكون
المختار قد جعل مختارا او المريد جعل مريدا واذا قيل يجبر ان يكون
مختارا قيل معنى ذلك ان الله جعله مختارا بغير ارادة منه سابقة
لان يكون مختارا كما جعله قادرا وجعله عالما وجعله حيا وجعله اسود
وابيض وطويلا وقصيرا ومعلوم ان الله اذا جعله موصوفا بصفة لم
يناقض ذلك اتصافه بتلك الصفة فان الله اذا جعله على صفة كان على
تلك الصفة لازما لجعل الله له فانه ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن واذا
كان كونه مختارا وعالما وقادرا امرا ملازما لمشية الله وجعله والمتلازمان ناهيا
لا يناقض احدهما الاخر بل يجامعه ولا يفارقه فيكون اختيار العبد مع اطلاق الجبر الذي يعني به ان الله جعله مختارا امرين متلازمين لا امرين

متناقضين

متناقضين ولا عجب من اجتماع المتلازمين انما العجب من تناقضهما
واما قول السايل لانهم قد صرحوا انه على الارادات
المقسورة ولم يكن فاعلا افعاله حقيقة والفعل مشهور فيقال
له المصرح بانه غير فاعل حقيقة هم الجهمية اتباع جهم بن صفوان و
من وافقهم من المتاخرين ولم يصرح بهذا احد من الصحابة والتابعين
لهم باحسان ولا ايمة المسلمين لا الايمة الاربعة ولا غيرهم بل الذين
تكلموا بلفظ الحقيقة والمجاز واتبعوا السلف في هذا الاصل كلهم يقولون
انه فاعل حقيقة كما صرح بذلك اصحاب الايمة الاربعة اصحاب ابي
حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم وكتبهم مشحونة بذلك
واما الذين قالوا انه فاعل مجازا وقالوا ان الفعل لا يقوم بالفاعل بل
الفعل هو المفعول فهو لا يلزمهم ان لا يكون لافعال العباد فاعل لا الرب
ولا العبد اما العبد فانها وان قامت به الافعال فانه غير فاعل لها عندهم
واما الرب فعندهم لم يقم به فعل لا هذه ولا غيرها والفاعل
المعقول من قام به الفعل كما ان المتكلم المعقول من قام بالكلام والمريد
المعقول من قامت به الارادة والحي والعالم والقادر من قامت
به الحياة والعلم والقدرة والمتحرك من قامت به الحركة فاثبات هؤلاء
فاعلا لا يقوم به فعل كاثبات متقدميهم من الجهمية والمعتزلة
متكلما لا يقوم به كلام ومريدا لا يقوم به ارادة وعالما لا يقوم به علم
وقادرا لا تقوم به قدرة وهذا كله باطل بما قرروه في مسئلة كلام الله
واثبات صفاته كما قد بسط في موضعه فان الاصل الذي وافقها
به ايمة السنة واحتجوا به على المعتزلة وهو ان المعنى اذا قام بمحل عاد حكمه
على ذلك المحل واشتق لذلك المحل منه اسم وعاد حكمه على ذلك المحل ولم يعد
الى غيره كما ان الحركة والسواد والبياض والحرارة والبرودة اذا قامت
بمحل كان هو المتحرك الاسود الابيض الحار البارد دون غيره قالوا فكذلك

الكلام والاراده اذا قاما بمحل كان ذلك المحل هو المتكلم المريد دون غيره
قالوا فلا يكون المتكلم متكلما الا بكلام يقوم به ولا مريدا الا باراده
يقوم به وكذلك لا يكون حيا عالما قادرا الا بحياه وعلم وقدره يقوم به
وطرد هذا انه لا يكون فاعلا الا بفعل يقوم به ولهذا استعاذ
النبي صلى الله عليه وسلم بصفات الله تعالى وافعاله وذاته فقال اللهم
اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا مما استدل به
الايمة احمد بن حنبل وغيره على ان كلام الله ليس بمخلوق قالوا لانه استعاذ به
ولا يستعاذ بمخلوق ه **فصل** واما قول السايل
ومن هنا لم يكن يكن للفعل فيما يلحق الفاعل تاثير فان اراد بذلك
انه لا تاثير للفعل فيما يلحق الفاعل من المدح والذم والثواب والعقاب
فهذا انما يقوله منكروا الاسباب كجهم ومن وافقه والا فالسلف
والايمة متفقون على اثبات الاسباب والحكم خلقا وامرا ففي الامر
مثل ما يقول الفقها الاسباب المثبتة للارث ثلاثة نسب ونكاح
وولا عتق واختلفوا في المخالفة والاسلام على يديه وكونهما من اهل
الديوان منهم من يجعل ذلك سببا للارث كابي حنيفة ومنهم من لا يجعله سببا
كمالك والشافعي وعن احمد روايتان ومثل ما يقولون ملك النصاب
سبب لوجوب الزكاة والقتل العمد المحض العدوان سبب للقود والسرقة
سبب للقطع ومذهب الفقها ان السبب له تاثير في مشيئته ليس علامة
محضة وانما يقول انه علامة محضة طايفة من اهل الكلام الذين
بنوا على قول جهم وقد يطلق ما يطلقونه طايفة من الفقها وجمهور من يطلق
ذلك من الفقها يتناقضون تارة يقولون بقول السلف والايمة وتارة
يقولون بقول هولاء وكذلك الحكمة وشرع الاحكام للحكم
بما اتفق عليه الفقها مع السلف وكذلك الحكمة في الخلق والقران

مملوا

مملو بذلك في الخلق والامر ومملو بانه يخلق الاشيا بالاسباب لا كما يقوله اتباع جهم
انه يفعل عندها لا بها كقوله تعالى انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها
وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد الى قوله عز وجل
واحيينا به بلدة ميتا وقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى
اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الما فاخرجنا به من
كل الثمرات وقوله تعالى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وقوله تعالى قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ونحو ذلك واما دخول
لام كي في الخلق والامر فكثير جدا وهو مبسوط في موضعه وقد بسط حجج
نفاة الحكمة والتعليل العقلية والشرعية وبين فسادها كما بين فساد حجج
المعتزلة والقدرية وحينئذ فالافعال سبب للمدح والذم والثواب والعقاب
والفقها المثبتون للاسباب والحكم قسموا خطاب الشرع واحكامه الى قسمين
خطاب تكليف وخطاب وضع واخبار كجعل الشي سببا وشرطا ومانعا
فاعترض عليهم نفاة ذلك بانكم ان اردتم بكون الشي سببا ان الحكم يوجد اذا
وجد فليس هنا حكم اخر وان اردتم معنى اخر فهو ممنوع وجوابهم ان المراد
ان الاسباب تضمنت صفات مناسبة للحكم شرع الحكم لاجلها وشرع لافضائه الى
الحكمة كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر وقال تعالى
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الاية وكذلك
ايضا الذين قالوا لا تاثير لقدرة العبد في افعاله هم هؤلاء اتباع جهم نفاة
الاسباب والا فالذي عليه السلف واتباعهم وائمة اهل السنة وجمهور
اهل الاسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة اثبات الاسباب وان قدرة
العبد مع فعله لها تاثير كتاثير سائر الاسباب في مسبباتها والله تعالى خلق الاسباب
والمسببات والاسباب ليست مستقلة بالمسببات بل لا بد لها من اسباب اخرى
تعاونها ولهذا مع ذلك اضداد تمانعها والمسبب لا يكون حتى
يخلق الله جميع اسبابه ويدفع عنه اضداده المعارضة له وهو سبحانه يخلق
جميع ذلك بمشيته وقدرته كما يخلق سائر المخلوقات فقدرة العبد سبب

ولهذا

من الاسباب وفعل العبد لا يكون بها وحدها بل لا بد من الارادة الجازمة
مع القدرة واذا اريد بالقدرة القوة القايمة بالانسان فلا بد من ازالة الموانع
كازالة القيد والحبس ونحو ذلك والصارف عن السبيل كالعدو وغيره **فصل**
وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله لا تدل على ان العبد ليس له
فاعل لفعله الاختياري ولا انه ليس قادر عليه وانه ليس يريد بل تدل على انه
لا يشاء الا ان يشاء الله وهذه الآية رد على الطائفتين الجبرية الجهمية
والمعتزلة القدرية فانه قال لمن شاء منكم ان يستقيم فاثبت للعبد مشيئة
وفعلا ثم قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فبين ان
مشيئة معللة بمشيئة الله والاول رد على الجبرية وهذه رد على
القدرية الذين قد يقولون قد يشاء العبد ما لا يشاءه الله كما يقولون
ان الله يشاء ما لا يشاؤن واذا قالوا المراد بالمشيئة هنا الامر علل اصلهم
والمعنى وما تشاؤن فعل ما امر الله به ان لم يامر الله **قيل** سياق
الكلام يبين ان ليس المراد هذا بل المراد وما تشاؤن بعد ان امرتم بالفعل
ان تفعلوه الا ان يشاء الله وقوله وما تشاؤن وان تذكر الامر والنهي
والوعد والوعيد ثم قال فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله
وقوله وما تشاؤن نفى لمشيتهم في المستقبل وكذلك قوله الا ان يشاء الله
تعليق لها بمشيئة الرب في المستقبل فان حرف ان يخلص الفعل المضارع
للاستقبال فالمعنى الا ان يشاءه بعد ذلك والامر متقدم على ذلك
وهذا كقول الانسان لا افعل هذا الا ان يشاء الله وقد اتفق السلف
والفقهاء على ان من حلف فقال لافعلن غدا ان شاء الله او لاقضين ديني
غدا ان شاء الله ومضى الغد ولم يقضه انه لا يحنث ولو كانت المشيئة هي
الامر لحنث لان الله امره بذلك وهذا مما احتج به على القدرية وليس
لهم عنه جواب وقد اخرق بعضهم الاجماع القديم وقال انه يحنث
والايضا فقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله سبق البيان مدح الرب نفسه
والثناء عليه ببيان قدرته وبيان حاجة العباد اليه ولو كان المراد لا يفعلون

بعد ذلك ان شاء الله تذكره

الا ان

الا ان يأمركم لكان كل امر بهذه المثابة فلم يكن ذلك من خصائص الرب تعالى
التي يمدح بها وان اريد انهم لا يفعلون الا بامره كان هذا مدحا
لهم لا له **فصل** وقوله وكل شيء ثم سلمت لم يكن للخالق تقدير
ان اراد به انه لو سلم ان العبد فاعل افعاله حقيقة ونحو ذلك من اقوال
السلف لزم نفي التقدير فهذا التلازم ممنوع وان اراد انه لو سلم ان
العبد يشا بدون مشية الرب لزم انتفا التقدير الذي هو عموم مشيته
وخلقه فهذا كلام صحيح فانه لو سلم انه يشاء ما لم يشاء الله لزم انتفا مشية الله تعالى
عن المحرمات والمباحات باتفاق الناس بل يلزم انتفا مشيته في الحقيقة
لافعال العباد كلها كما يلزم انتفا قدرته عن افعال العباد كلها وانتفا خلقه
لشيء منها ومن ذلك نفي هذا التقدير الذي هو بمعنى المشية والقدرة
والخلق واما التقدير الذي هو بمعنى تقديرها في نفسه وعلمه
بها وخبره عنها وكتابته لها فهذا انما يلزم لزوما بينا على قول من ينكر
العلم المتقدم وجمهور القدرية لا تنكره لكن اذا جوزوا حدوث حوادث
كثيرة بدون مشيته وقدرته وخلقه استوى في العالم حوادث كثيرة يحدثها
غيره وهو غير قادر على احداثها وحينئذ فلا يمكنهم الاستدلال بقوله تعالى
الا يعلم من خلق على انه عالم بها وخبره عنها فانه لم يخلقها عندهم فقد ينازعهم
اخوانهم القدرية في علمه بها قبل ان تكون ولا يمكنهم الاحتجاج عليهم بهذه
الاية وقد يقولون علمه بها مع امره بخلاف المعلوم يقتضي تكليف ما لا
يطاق لان خلاف المعلوم ممتنع فلا يكون عالما بها فيلزمونهم بنفي التقدير
السابق وقوله او كان فاللازم من كونه حدوثه والقول مهجور
كانه يريد والله اعلم او كان الله مقدرا لها عالما بها فيلزم من كونه
عالما بافعال العباد ولا مقدرا لها حتى فعلت وهذا القول
مهجور باطل عما اتفق على بطلانه سلف الصحابة والتابعين لهم
باحسان وسائر علما المسلمين بل كفروا من قاله والكتاب والسنة مع
الادلة العقلية تبين فساده فان الله قد اخبر عن ما يكون من افعاله

علما بها مقدرا لها بعد
ان يكون حدوث العلم
بها بعد ان كانت ويلزم
ان لا يكون الرب

العباد قبل ان يكون بل اعلم من بذلك من شاءه من ملايكته وغير ملايكته قال الله تعالى
واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون فالملايكة
حكموا بان الادميين يفسدون ويسفكون الدما قبل ان يخلق الانس ولا
علم لهم الا ما علمهم الله كما قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا ثم قال اني اعلم ما لا تعلمون
وتضمن هذا ما يكون فيما بعد من آدم وابليس وذريتهما وما يترتب على ذلك
ودلت هذه الاية على انه يعلم ان آدم يخرج من الجنة فانه لولا خروجه من
الجنة لم يصر خليفة في الارض فلما امره ان يسكن الجنة ولا ياكل من الشجرة بقوله
وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا
تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقال وقلنا يا آدم ان هذا عدو لك و
لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظما فيها ولا تضحى نهاه ان يخرجهما من الجنة وهو نهي
عن طاعة ابليس التي هي سبب الخروج وقد علم قبل ذلك انه يخرج من
الجنة وانما يخرج منها بسبب طاعة ابليس واكله من الشجرة لانه قال قبل
ذلك اني جاعل في الارض خليفة ولهذا قال من قال من السلف
انه قدر خروجه من الجنة قبل ان يامره بدخولها بقوله اني جاعل
في الارض خليفة وقال بعد هذا قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون وهذا خبر عما سيكون من عداوة
بعضهم بعضا وغير ذلك وقال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة
ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية وقال ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام
لم تنذرهم لا يؤمنون فهذا خبر عن المستقبل وانهم لا يؤمنون وقال تعالى
لاملئن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقال ولكن حق القول
مني لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا قسم منه
على ذلك وهو الصادق البار في قسمه وصدقه مستلزم لعلمه بما اقسم عليه وهو دليل على انه قادر

على ذلك

نخ علموا

على ذلك وهو الصادق وقد يستدل به على انه خالق افعال العباد اذ لو كانت
افعالهم غير مقدورة له لم يمكنه ان يملا جهنم منهم بل كان ذلك اليهم ان شاؤا
عصوه فملاها وان شاؤا اطاعوه فلم يملاوها لكن قد يقال انه علم انهم يعصونه
فاقسم على جزائهم على ذلك وقد يجاب عن ذلك بان علمه بالمستقبل قبل ان يكون
مستلزم لخلقه له فانه سبحانه لا يستفيد العلم من غيره كالملائكة والبشر
ولكن علمه من لوازم نفسه فلو كانت افعالهم خارجة عن مقدوره ومراده
لم يجب ان يعلمها كما يعلم مخلوقاته وبسط هذا له موضع اخر وقال تعالى عن
المنافقين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا اوضعوا خلالكم
يبغونكم الفتنة وهذا خبر عما سيكون منهم من الذنوب قبل ان يفعلوها
وقال تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم
او يسلمون وهذا خبر عن دعاء من يدعوهم الى جهاد هؤلاء ودعاؤه
لهم من جملة افعال العباد ومثل هذا في القران كثير بل العلم بالمستقبل من
افعال العباد يحصل لاحاد المخلوقين من الملائكة والانبياء وغيرهم
فكيف لا يكون حاصلا لرب العالمين وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
عما سيكون من الافعال المستقبلة من امته وغير امته بما يطول ذكره
كاخباره بان ابنه الحسن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين واخباره بانه تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم
اولى الطائفتين بالحق واخباره بان قوما يرتدون بعده على اعقابهم
واخباره بان الخلافة تكون ثلاثين سنة ثم يصير ملكا واخباره
بان الجبل ليس عليه الا نبي وصديق وشهيد وكان اكثرهم شهداء
واخباره يوم بدر بقتل صناديد قريش قبل ان يقتلوا واخباره بخروج
الدجال ونزول عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق وقتله عيسى عليه السلام له
على باب لد واخباره بخروج ياجوج وماجوج واخباره بخروج الخوارج الذين
قال فيهم يخرج من ضيفي هذا قوم يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته

مع قراءتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام
السهم كما يمرق السهم من الرمية آيتهم ان فيهم رجلا مخدج اليد على يده مثل البضعة
من اللحم تدردر وكان الامر كما اخبر به لما قاتلهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه
بالنهروان ووجد هذا الشخص كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم واخباره بقتال
الترك وصفتهم حيث قال لا تقوم الساعة حتى يقاتل الترك صغار الاعين
حمر الخدود ذلف الانوف يفتعلون الشعر كان وجوههم المجان المطروقة
وقد قاتل المسلمون هؤلاء الترك وغيرهم لما ظهروا ومثل هذا من
اخبار نبيه صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تذكر وهو انما يعلم ما علمه الله
واذا كان هو يعلم كثيرا مما يكون من اعمال العباد فكيف الذي خلقه
وعلمه ما لم يكن يعلم وهو سبحانه لا يحيط احد بشيء من علمه
الا بما شاء ولا يعلم احد لا نبي ولا غيره الا ما علمه الله وقال الخضر
لموسى اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وانت على علم علمك من علم الله
علمك الله لا اعلمه ولما نقر العصفور في البحر قال له ما
نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر
هذا وهو القائل في حق موسى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء والمقصود ان نفي علم الله بالحوادث افعال العباد
وغيرها قبل ان تكون باطل وغلاة القدرية ينفون ذلك واما
قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى لما
لبثوا امدا ونحو ذلك فهذا هو العلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد
وجوده وهو العلم الذي يتعلق بالمعلوم بعد وجوده وهو العلم الذي
ترتب عليه المدح والذم والثواب والعقاب والاول هو العلم بانه
سيكون ومجرد ذلك العلم لا يترتب عليه مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب
فان هذا انما يكون بعد وجود الافعال وقد روي عن بن عباس

انه قال

انه قال في هذا الذي كذبه قال المفسرون قالوا العلم موجود ابعدان كان العلم الله
سيكون وهذا المتجدد فيه قولان مشهوران للنظار منهم من يقول المتجدد
هو نسبة واضافة بين العلم والمعلوم فقط وتلك النسبة لا حقيقة ومنهم من
يقول بل المتجدد علم بكون الشيء ووجوده وهذا العلم غير العلم بانه سيكون
وهذا كما في قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون فقد اخبر
بتجدد العلم الرسوله فقيل المتجدد نسبة عدمية وقيل المتجدد امر ثبوتي
والكلام على القولين ومن قال هذا وهذا وجمع الفريقين وقد بسط في موضع
اخر وجمهور ائمة السلف وائمة السنة والحديث على ان المتجدد امر
ثبوتي كما دل عليه النص وهذا هو مما هجر الامام احمد بن حنبل الحرث
المحاسبي على نفيه فانه كان يقول بقول ابن كلاب فمن من تجدد امر ثبوتي
وقال يلزم ذلك فخالف من نصوص الكتاب والسنة واثار السلف
ما اوجب ظهور بدعة اقتضت ان يهجر الامام احمد ويحذر
عنه وقد قيل ان الحرث رجع عن ذلك والمتاخرون من اصحاب
مالك وابي الوفاء واحمد بن حنبل وابي حنيفة على قولين منهم من
سلك طريقة ابن كلاب واتباعه ومنهم من سلك طريقة ائمة السنة
والحديث وهذا مبسوط في موضعه والمقصود هنا ان تقدم علم الله
وكتابته باعمال العباد حق والقول بحدوث ذلك قول مهجور كما قال
الناظم ان كان قد اراد ذلك وليس في ذلك ما ينافي امر الله ونهيه فان كونه
خالقا لافعال العباد لا ينافي الامر والنهي فتكليف العلم السابق ليس فيه
ذلك ما يقتضي كون العبد مجبورا لا قدرة له ولا فعل كما يقوله الجهمية
المجبرة

فصل

واما قوله ولا علم الله علم ايد ملي يختار فالمختار مسطور عند الملائكة هنا بمنزلة اللوح المحفوظ فان علمه
بان المختار موافق لما كتبه من التمختار وتغيير العلم اعظم من

فهذا

على قوله يتعلق الذكر الى القدرة وجوابه
منعنا ذلك وقولهم لم يكن قد تعلق العلم
والا لانقلب العلم جهلا قلنا العلم تعلق
بالفعل مع القدرة عليه فتكون
الفعل للعباد قادرين خالقا
لافعال العباد
الناظم فان الذي
يختار العبد مسطور
تعلق علم الله
بذلك فلم يكن
هذا الجواب بان
يقال

بغير المسطور وقد يقال انه اذا اراد جعل السطر من تمام القول اي لا يقبل
علم ما يختاره وسطر ذلك اي فتقدم العلم والكتابة كاف في الايمان بالقدر
فان مجرد ذلك لا يكفي في الايمان بالقدر وهذا حجة القايلين بالجبر
قالوا خلاف المعلوم ممتنع فالمامور به امر ممتنع لانه لو وقع لما موير للزم
انقلاب العلم جهلا وجوابهم ان الممتنع لفظ مجمل فان اراد وان
خلاف المعلوم لا يقع ولا يكون فهذا صحيح ولكن التكليف
بما لا يكون تكليفا بما يعجز عنه الفاعل فان ما لا يفعله الفاعل قد لا
يفعله لعجزه عنه وقد لا يفعله لعدم ارادته له فان كلف بما يعجز عنه فقد
كلف بما لا يطيقه واما اذا كلف بما يقدر عليه ولكن لا يفعله لعدم ارادته
له فانما كلف بما يطيقه مع العلم بان الرب انه لا يكون كما يعلم ان ما لا يشاء لا يكون
مع انه لو شاء لفعله وقول المجيب لو وقع لانقلب العلم جهلا قول هذا حق
وهو يدل على انه لا يقع لكن لا يدل على ان المكلف عاجز عنه لو اراده له
يقدر على فعله فانه لا يقع لعدم ارادته له لا لعدم قدرته عليه كالذي
لا يفعل من مقدورات الرب التي لو شاء فعلها وهو يعلم انه لا يفعلها
ولا يجوز ان يقال انه غير قادر عليها كما قاله بعض غلاة اهل البدع بل قد قال
سبحانه ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه
وقال قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم
او يلبسكم شيعا مع انه قد ثبت في الصحيحين عن جابر انه قال لما نزل قوله
قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم
اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم باس بعض قال هاتان اهون فهذا الذي اخبر انه قادر عليه منه
ما لا يكون وهو ارسال عذاب من فوق الامة او من تحت ارجلهم ومنه
ما يكون وهو لبسهم شيعا واذاقة بعضهم باس بعض كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم

لا يكون ٢

انه قال

انه قال سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا
يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لا يهلكهم بسنة عامة
فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها وقد ذكر في غير
موضع من القران فيما لا يكون انه لو شاء لفعله لقوله ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها وقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد
ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله
ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة وامثال هذه الايات تبين انه لو شاء ان يفعل امورا لم
يكن يفعلها وهذا يدل على انه قادر على ما علم انه لا يكون فانه لولا قدرته
عليه لكان اذا شاءه لا يفعله فانه لا يمكن فعله الا بالقدرة عليه
فلما اخبر وهو الصادق في خبره انه لو شاء لفعله علم انه قادر عليه وان علم سبحانه
انه لا يكون وعلم ايضا ان خلاف المعلوم قد يكون مقدورا واذا قيل
هو ممتنع فهو من باب الممتنع لعدم مشية الرب له لا لكونه ممتنعا
في نفسه ولا لكونه معجوزا عنه ولفظ الممتنع فيه اجمال كما تقدم
وما سمي ممتنعا بمعنى انه لا يكون مع انه لو شاء العبد لفعله لقدرته
عليه فهذا نزاع لفظي ونزاع في ان القدرة هل يجوز ان تتقدم الفعل
ام لا

يجوز تكليفه بلا نزاع وان سماه بعضهم مما لا يطاق فهذا اصح

فصل واما قوله ذا الجبر ان صح يكن
مكرها وعندك المكره معذور فيقال قد تقدم بيان الجبر وان
الجبر اذا اريد به الاكراه كما يجبر الانسان غيره ويكرهه على خلاف
مراده فالله تعالى اجل واعلى واقدر من ان يحتاج الى مثل هذا الجبر
والاكراه فان هذا انما يكون من عاجز يعجز عن جعل غيره مريدا
لفعله مختارا له محبا له راضيا به والله سبحانه على كل شيء قدير فاذا شاء
ان يجعل العبد محبا لما يفعله مختارا له جعله كذلك وان شاء ان يجعله
مريدا له بلا محبة بل مع كراهة فيفعله كارها له جعله كذلك وليس هذا

كاكراه المخلوق للمخلوق فان المخلوق لا يقدر ان يجعل في قلب غيره
لا ارادة ولا محبا ولا كارها وبغضا بل غايته ان يفعل ما يكون سببا
لرغبته او رهبته فاذا اكرهه فعل به من العقاب او الوعيد ما يكون سببا
لرهبته وخوفه ففعل ما لا يختار فعله ولا يفعله راضيا بفعله ويكون
مراده دفع الشر عنه فهو مريد للفعل لكن المقصود دفع الشر عنه لا نفس
الفعل ولهذا قد يسمى مختارا ويسمى غير مختار باعتبارين ويسمى مريدا
ويسمى غير مريد باعتبار ولكن اللغة العربية لا يسمى فيها مختارا بل مكرها
وفي لغة الفقهاء كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
دعا احدكم فلا يقل اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن
ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له فبين النبي صلى الله عليه وسلم ان من يفعل
بمشيئة وقدرة لا يكون مكرها والمكره يفعل بمشيئة غيره وهو المكره
لدفانه وان كان قاصدا لما يفعله ليس هو بمنزلة المفعول به الذي لا قدرة
له ولا ارادة على الفعل بحال فان مقصوده بالقصد الاول دفع الشر لا نفس
الفعل فالمكره اما ان يكون ثلاثة احدها من يفعل به الفعل
من غير قدرة له على الامتناع كالذي يحمل بغير اختياره ويدخل الى مكان او
يضرب به غيره او تضجع المراة ويفعل بها الفاحشة بغير اختيارها من
غير قدرة على الامتناع فهذا ليس له فعل اختياري ولا قدرة ولا
ارادة ومثل هذا الفعل ليس فيه امر ولا نهي ولا عقاب باتفاق العقلاء وانما
يعاقب اذا امكنه الامتناع فتركه لانه اذا لم يمتنع كان مطاوعا
لا مكرها ولهذا فرق بين المرأة المطاوعة على الزنا والمكرهة عليه والثاني
ان يكره بضرب او حبس او غير ذلك حتى يفعل فهذا الفعل
يتعلق به التكليف فانه يمكنه ان لا يفعل وان قتل ولهذا
قال الفقهاء اذا اكره على قتل المعصوم لم يحل له قتله وان قتل
واختلفوا في العقوبة فقال اكثرهم هو كالذي قبله والاول اصح فعلى هذا في احد قوليه يجب
العقوبة على المكره والمكره لانهما جميعا اشتركا في القتل قال ابو حنيفة

يجب على

يجب على المكره الظالم لان المكره قد صار كالآلة وقال زفر بل على المكره
المباشر لانه مباشر وذاك متسبب وقال لو كان كالآلة لما كان
آثما وقد اتفقوا على انه آثم وقال ابو يوسف لا يجب على واحد منهما
واما ان اكره على الشرب للخمر ونحوه من الافعال فاكثرهم يجوز ذلك
له وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي واحمد في المشهور عنه لقوله
تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض
الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
واما اذا اكره الرجل على الزنا ففيه قولان في مذهب احمد وغيره
احدهما لا يكون مكرها عليه كقول ابي حنيفة وهو منصوص
احمد والثاني قد يكون مكرها عليه كقول الشافعي وطائفة
من اصحاب احمد واما اذا اكره على كلمة الكفر مع طمانينة
قلبه بالايمان جاز له التكلم بها واذا اكره على العقود كالبيع والنكاح
والطلاق والظهار والايلاء والعتق ونحو ذلك فمذهب الجمهور كمالك والشافعي
واحمد ان كل قول اكره عليه بغير حق فهو باطل فلا يقع به طلاق ولا عتاق
ولا يلزمه نذر ولا يمين ولا غير ذلك واما ابو حنيفة فيفرق بين
ما يقبل الفسخ عنده ويثبت فيه الخيار كالبيع ونحوه فلا يلزم مع الاكراه
وما ليس كذلك كالنكاح والطلاق والعتاق فيلزم مع الاكراه واما
المكره بحق كالحربي المكره على الاسلام فهذا يلزمه ما اكره عليه باتفاق
العلماء فقول الناظم والجبر ان صح يكن مكرها وعندك
المكره معذور قول مؤلف من مقدمتين باطلتين الاولى
ان صح الجبر كان مكرها وقد عرف ان لفظ الجبر اذا اريد به الجبر المعروف
من اجبار الانسان غيره على ما لا يريده فهذا الجبر لم يصح وان اريد
به ان الله يخلق ارادته فهذا الجبر اذا صح لم يكن مكرها والمقدمة الثانية قوله والمكره عندك معذور

الامر
فليس هو لكن كل المكره نوعان نوع اكرهه الملك بحق وهذا ليس بمعذور واثم
لا يكره احد الا بحق سواء قدر الاكراه بخلقه وقدره او شرعه وامره وانما المكره
المعذور هو المظلوم المكره بغير حق والله لا يظلم احدا مثقال ذرة بل هو الحكم
العدل القايم بالقسط كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة
واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم وقد اتفق المسلمون
وغيرهم على ان الله منزه عن الظلم لكن تنازعوا في معنى الظلم الذي
يجب تنزيه الرب عنه فجعلت القدرية من المعتزلة وغيرهم
الظلم الذي نزه عن الخالق من جنس ما يجب الظلم الذي نهى عنه
المخلوق وشبهوا الله بخلقه فاوجبوا عليه من جنس ما يجب على المخلوق وتكلموا
في التعديل والتجوير بكلام متناقض كما هو معروف عنهم والتزموا للناس
التزامات كثيرة منها ان قالوا ان العبد لو رأى مريضا
يظلم بعضهم بعضا وهو يقدر على منعهم من الظلم ولم يمنعهم لكان
ظالما ومثل هذا ليس ظلما من الله فقالوا هو قد نهاهم عن ذلك وعرضهم للثواب
اذا اطاعوه وللعقاب اذا عصوه وهم ظلموا باختيارهم ولم يمكن منعهم من ذلك الا
بالجائهم الى الترك والجائز ترك التكليف الذي عرضهم به للثواب فقالوا لهم الجمهور
الواحد منا لو فعل ذلك مع علمه بان عباده لا يطيعون امره ولا يمتنعون
عن الظلم بل يزدادون عصيانا وظلما لم يكن ذلك حكمة ولا عدلا وانما
يحمد ذلك من الواحد منا لعدم علمه بالعاقبة ولعجزه عن المنع والله عليم بالعواقب
وهو على كل شيء قدير والا فاذا كان الواحد منا يعلم انه اذا امرهم ليعرضهم للثواب
عصوه وظلم بعضهم بعضا وجب عليه ان يمنعهم من الظلم بالالجاء وتمام الكلام
في هذا مبسوط في موضع اخر فان هذا الجواب لا يحتمل الا التنبيه وقالت
طايفة من المثبتة من المتقدمين والمتاخرين من الجهمية واهل الكلام
والفقه واصل الحديث الظلم الممتنع لذاته فكل ممكن يدخل تحت القدرة ليس
فعله ظلما وقالوا الظلم التصرف في ملك الغير او الخروج عن طاعة

من يحب

من تجب طاعته وكل من هذين ممتنع في حق الله وقال كثير من اهل السنة والحديث
والنظار بل الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ومن ذلك ان يبخس المحسن شيئا
من حسناته او يحمل عليه سيئات غيره وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه
كقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما قال تعالى
غير واحد من السلف الهضم ان يهضم من حسناته والظلم ان يزاد في سيئاته
وقد قال الله تعالى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ان لا تزر وازرة
وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وقال لا تختصموا لدي وقد
قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
وفي حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وغيره وحسنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم ورواه الحاكم في صحيحه انه يجاء يوم القيمة برجل من امتي فينشر له تسعة
وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقول الله تعالى له اتنكر من هذا
شيئا فيقول لا يا رب فيقول عز وجل بلى ان لك عندنا حسنات وانه
لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات وثقلت
البطاقة وقال تعالى اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع
الحساب وقال تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وقال تعالى وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين ومثل هذه النصوص كثيرة ومعلوم ان
الله لم ينف بها الممتنع الذي لا يقبل الوجود كالجمع بين الضدين
فان هذا لم يتوهم احد وجوده وليس في مجرد نفيه ما يحصل به مقصود
الخطاب فان المراد بيان عدل الله وانه لا يظلم احدا كما قال تعالى ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا بل يجازيهم باعمالهم ولا يعاقبهم الا بعد
اقامة الحجة عليهم كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

الك عذر او حسنة فيهاب الرجل فيقول لا يا رب فيقول الله عز وجل

في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات

وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم اياتنا وما كنا
مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث الرسل وانزل الكتب ومثل
هذه النصوص كثيرة وهي تبين ان الظلم الذي نزه الله نفسه عنه ليس هو
ما يقوله القدرية ولا ما يقوله الجبرية ومن وافقهم وقد بسط الكلام على
تحقيق هذا المقام في مواضع اخر وبين فيها حكمة الله وعدله فان هذا
المقام من اعظم المقامات التي اضطرب فيها كثير من الاولين والاخرين
والبسط الكثير الذي ينتهي به الى تفصيل اقوال الناس وحقيقة الامر
في ذلك ببيان الدلايل والجواب عن المعارضات لا يناسب جواب
هذا النظم وهو مذكور في موضع اخر وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم
في صحيحه عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه انه قال يا عبادي
اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من
هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم
يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم

[illegible]

فذكر في اول هذا الحديث الالهي الذي قال
فيه الامام احمد هو اشرف حديث اهل الشام انه حرم الظلم على نفسه والتحريم
ضد الايجاب وبين في القران انه كتب على نفسه الرحمة وهذا قول الطايفة

الثانية

الثانية المراد بمجرد خبر محمد او عبدي او عبد وعلى قول الاخرين بل هو سبحانه
كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم كما اخبر عن نفسه فقال اجعل وكان
حقا علينا نصر المؤمنين فهو حق احقه سبحانه على نفسه لان احدا من الخلق
لا يوجب عليه حقا ولا يحرم عليه شيئا وختم الحديث بقوله تعالى
انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه كما ثبت في الحديث الصحيح الذي
رواه البخاري وغيره عن شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله
الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي
فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها
فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا امسى موقنا بها
فمات من ليلته دخل الجنة وفي هذا الحديث قوله ابوء لك
بنعمتك علي وابوء بذنبي ومن نعمه على عبده المؤمن ما يشرح له
من الخيرات والايمان فانها من فضله واحسانه ورحمته
وحكمته وسيئات العباد من عدله وحكمته اذ كل نعمة منه
فضل وكل نقمة منه عدل وهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
لكمال حكمته ورحمته وعدله لا لمجرد قهره وقدرته كما يقوله
جهم واتباعه وقد بسط الكلام على هذا وبين حقيقة
قوله والخير بيديك والشر ليس اليك وان كان خالق
كل شيء وبين ان الشر لم يضف الى الله في الكتاب والسنة
الا على احد ثلاثة اوجه اما بطريق العموم كقوله تعالى
الله خالق كل شيء واما بطريق اضافته الى السبب كقوله

من شر ما خلق واما ان يحذف فاعله كقول الجن وانا لا ندري
اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وقد جمع في
الفاتحة الاصناف الثلاثة فقال الحمد لله رب العالمين وهذا
عام وقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وقال
المغضوب عليهم ولا يحذف فاعل الغضب وقال ولا الضالين واضاف الضلال
الى المخلوق ومن هذا قول الخليل واذا مرضت فهو يشفين ويقول
الخضر فاردت ان اعيبها فاراد ربك ان يبلغا اشدهما فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه زكاة وقد بسط الكلام على تحقيق هذه الامور
وبين ان الله لم يخلق شيئا الا لحكمة وقول الذي احسن كل شيء
خلقه وقول صنع الله الذي اتقن كل شيء فالمخلوق باعتبار الحكمة التي
خلق لاجلها خير وحكمة وان كان فيه شر من جهة اخرى فذلك امر
عارض جزئي ليس شرا محضا بل الشر الذي يقصد به الخير الراجح
هو خير من الفاعل الحكيم وان كان شرا لمن قام به وظن الظان
ان الحكمة المطلوبة التامة قد تحصل مع عدمه انما يقول لعدم
علمه بحقائق الامور وارتباط بعضها ببعض فان الخالق اذا خلق
الشيء فلا بد من خلق لوازمه فان وجود الملزوم بدون وجود اللازم
ممتنع ولا بد من ترك خلق اضداده التي تنافيه فان اجتماع الضدين
المتنافيين في وقت واحد ممتنع وهو على كل شيء قدير لا يستثنى
من هذا العموم شيء لكن مسمى الشيء ما تصور وجوده فاما الممتنع
لذاته فليس شيئا باتفاق العقلاء والقدرة على خلق المتضادات
قدرة على خلقها على البدل وهو سبحانه اذا شاء ان يجعل العبد
متحركا جعله واذا شاء ان يجعله ساكنا جعله وكذلك

فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة وارحم

في الاصل

في الايمان والكفر وغير هما لكن لا يتصور ان يكون العبد في الوقت الواحد
متصفا بالمتضادات فيكون مؤمنا صديقا من اولياء الله المقربين
كافرا منافقا من اعداء الله وان كان يمكن ان يجتمع فيه شعبة
من الايمان وشعبة من النفاق والذي يجب على العبد ان يعلم ان
علم الله وقدرته وحكمته ورحمته في غاية الكمال التي لا يتصور زيادة
عليها بالكمال امكن من الكمال الذي لا نقص فيه فهو واجب للرب تعالى
وقد يعلم بعض العباد بعض حكمته وقد يخفى عليه كثير منها والناس
متفاضلون في العلم بحكمته ورحمته وعدله وكلما ازداد العبد
علما بحقايق الامور ازداد علما بحكمة الله وعدله ورحمته
وقدرته وعلم ان الله منعم عليه بحسنات علمها وثوابها وان ما يصيبه من
عقوبات ذنوب به فبعدل الله وان نفس صدور الذنوب منه وان
كان من جملة مقدورات الرب تعالى فهو لنقص نفسه وعجزها وجهلها
الذي هو من لوازمها وان ما في نفسه من الحسنات هو من فضل الله
واحسانه وجوده وان الرب مع انه قد خلق النفس وسواها
والهمها فجورها وتقواها فالهام الفجور والتقوى وقع بحكمة بالغة
لو اجتمع الاولون والاخرون من عقلاء الادميين على ان يروا
حكمة ابلغ منها لم يروا حكمة ابلغ منها ولكن تفصيل حكمة الرب
مما يعجز كثير من الناس عن معرفتها ومنها من يعجز عن معرفته
جميع الخلق حتى الملائكة ولهذا قال الملائكة لما قال الله تعالى لهم
اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء قال اني اعلم ما لا تعلمون فتكفيهم المعرفة المجملة والايمان العام

والله سبحانه قد امرهم ان يطلبوا منه جميع ما يحتاجون اليه من هدى ورشاد
وصلاح في المعاش والمعاد ومغفرة ورحمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في الحديث الصحيح اللهم اني اسالك الهدى والتقى والعفة
والغنى ويقول اللهم آت نفسي تقواها واصلح لي ديني الذي هو عصمة
امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي فيها
معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي
من كل شر وكل هذا في الاحاديث التي في الصحيح وفي صحيح
مسلم انه كان يقول اذا قام من الليل اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك
تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وقد امرنا الله تعالى ان نقول في
صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذا افضل الادعية
واوجبها على العباد ومن تحقق بهذا الدعا جعله
الله من اهل الهدى والرشاد فانه سميع الدعاء لا يخلف
الميعاد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين

تمت مسالة القدرة بين الاصال والبكرة بضع
مطنين من جمادى الاول وبرك خميس الى الجمعة تحول
اربع مئين مع ايضا ثمان وبضع افراد
ليست مائتين من هجرة ختم النبيين
اصلى واسلم عليه معهم اجمعين

وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها ويقول اللهم صح

ان تجد عيبا فسد الخللا
حل من لا عيب فيه وعلا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قل اعوذ برب الفلق معناه اعوذ التجي واعتصم واتحرز والفلق هو نور الفجر
الذي يطرد الظلام وتضمنت هذه السورة الستعاذ به والمستعاذ منه والمستعيذ ه
فالمستعاذ به هو الله وحده رب الفلق رب الناس الذي لا ينبغي الاستعاذة الا به ولا
يستعاذ باحد من خلقه وقد اخبر تعالى في كتابه عمن استعاذ بمخلوق ان استعاذته تد
زاده رهقا وهو الطغيان واجمع اهل السنة على المعتزلة فان كلمات الله غير
مخلوقة بان النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بقوله قل اعوذ برب الفلق واعوذ
بكلمات الله التامات الله غير مخلوقة بالبين وهو لا يستعيذ بمخلوق ابدا ه
والمستعيذ هو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه الى يوم القيمة ه
واما المستعاذ منه فهو اربعة انواع الاول الشر العام في قوله من شر ما خلق
وهذا يعم كل شر في الدنيا والاخرة وشر الشياطين من الانس والجن وشر السباع و
الهوام وشر النار وشر الذنوب والهوى وشر النفس وشر العمل وقوله من شر
ما خلق اي من شر كل مخلوق فيه شر وليس المراد الاستعاذة من كل ما خلقه الله
فان الجنة وما فيها ليس فيها شر وكذلك الملائكة والانبياء فانهم خير محض ه
والشر الثاني شر الغاسق اذا وقب وهذا خاص بعد عام
والغاسق الليل اذا اقبل ودخل في كل شيء والغسق الظلمة والوقوب الدخول والسبب
الذي لاجله امر الله بالاستعاذة من شر الليل هو ان الليل محل سلطان الارواح الله
الشريرة وفيه تنتشر الشياطين والشياطين انما سلطانهم في الظلمات والمواضع
المظلمة ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محال الشياطين ومبانيهم وذكر سبحانه في
هاتين الكلمتين الليل والنهار النور والظلمة فامر الله عباده ان يستعيذوا برب
النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها وهو سبحانه يدعى باسمائه الحسنى فيسأل الكل
مطلوب باسم يناسبه ه والشر الثالث شر النفاثات
في العقد وهذا الشر هو شر السحر فان النفاثات هن السواحر اللاتي يعقدن
الخيوط وينفثن على كل عقده حتى يعقدها يريدون من السحر والنفث هو النفخ
مع ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينهما والنفث فعل الساحر فاذا كيفية نفثه
بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور واستعان بالارواح الخبيثة نفث في تلك
العقد نفخا معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر مقترن بالريق
الممازج للقد تساعد هو الروح الشيطانية على اذى المسحور فيقع فيه السحر باذن
الله الكوني القدري ولما كان تاثير السحر من جهة الانفس الخبيثة والارواح

الشره قال سبحانه من شر النفاثات بالتانيث دون التذكير وقد دل
قوله تعالى من شر النفاثات في العقد على تاثير السحر وان له حقيقة وقد انكر
ذلك طائفة من اهل الكلام وقالوا انه لا تاثير للسحر لا في مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد
قالوا وانما ذلك تخييل لاعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك وهذا خلاف ما تواتر
به الاثار عن الصحابة والسلف والذي اتفق عليه الفقها والسحر يوثر مرضا وقتلا
وحلا وقتلا وحبا وبغضا وغير ذلك من الاثار موجوده يعرفه الناس ولا ينكره
منهم قد علم ذوقا بما اصيب به وقوله تعالى من شر النفاثات في العقد دليل
على ان النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه ولو كان الضرر لا يحصل الا
بمباشرة البدن ظاهرا كما يقوله هؤلاء لم يكن للنفاثات شر يستعاذ منه
وايضا فاذا جاز على الساحر ان يسحر اعين جميع الناظرين بحركتهم حتى
يروا الشيء بخلاف ما هو به مع ان هذا تغيير في احاسيسهم فما المانع ان يحيل
تاثيره في تغيير بعض اعراضهم وطباعهم وقواهم فاذا غير احاسيسه حتى صار
يرى الساكن متحركا والمتصل منفصلا فما المحيل لان يغير صفات نفسه حتى
يحصل المحبوب اليه بغيضا والبغيض محبوبا وغير ذلك من التاثيرات
وقد قال تعالى عن سحرة فرعون انهم سحروا اعين الناس لا يقين سبحانه ان
اعينهم سحرت وذلك اما ان يكون لتغير حصل في المرئي وهو الحبال والعصي
مثلا ان تكون السحرة استعانت بارواح حركتها وهي الشياطين فظنوا انها تحركت
بانفسها وهذا كما اذا جرا من لا يراه حصيرا وبساطا فترى الحصير والبساط يجر
ولا يرى الجار له مع انه هو الذي يجره فهذا حال الحبال والعصي قلبها الشاطين
فظن الرائي انها تقلبت بانفسها والشياطين الذين يقبلونها واما
ان يكون التغير حدث في الرائي حتى راى الحبال والعصي تتحرك وهي ساكنة
في انفسها ولا ريب ان الساحر يفعل هذا وهذا واما ما يقوله المنكرون من
انهم فعلوا في الحبال والعصي ما اوجب حركتها ومشيها مثل الزيبق وغيره
حتى سعت فهذا باطل من وجوه كثيرة

الشر الرابع شر الحاسد اذا حسد
وقد دل القران والسنة على ان نفس الحاسد يوذي المحسود فتؤثر حسده
شر يتصل بالمحسود من نفسه وعينه وان لم يوذه بيده ولا لسانه فان الله تعالى
قال ومن شر حاسد اذا حسد فحقق الشر منه عند صدور الحسد والقران ليس فيه
لفظة مهملة لكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لا عينه
فاذا خطر على قلبه انبعثت نار الحسد من قلبه اليه فيتاذى المحسود بمجرد

ذلك فان لم يستعذ بالله ويتحصن به ويكون له اوراد من الاذكار والدعوات والتوجه
الى الله والاقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه واقباله على الله
والا ناله شر الحاسد ولا بد في الحديث الصحيح رقية جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم
وفيها باسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك
فذكر شر عين الحاسد ومعلوم انها لا تؤثر بمجردها اذ لو نظر اليه نظر لاه
ساه كما ينظر الى الارض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئا واما اذا نظر اليه
نظر من تكيفت نفسه الخبيثة وانسمت فصارت نفسا غضبية خبيثة
حاسدة اثمرت بها تلك النظرة فاثرت في المحسود بحسب ضعفه وقوة
نفس الحاسد فربما امرضه وربما قتله والتجارب بها عند الخاصة والعامة
اكثر من ان تذكر وهذه العين انما تؤثر بواسطة النفس الخبيثة وهي
بمنزلة الحية انما يؤثر سمها اذا غضبت فانها تتكيف بكيفية الغضب
فتحدث فيها تلك الكيفية السم فتؤثر في الملسوع وربما قويت حتى
تؤثر بمجرد النظر وذلك في نوع منها حتى يؤثر بمجرد النظر فتطمس البصر وتسقط
الحبل كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الابتر وذي الطفيتين منها وقال اقتلوهما
وهذا علم لا يعرفه الا خواص الناس وهل الانفعال والتاثير وحدوث
ما يحدث من الاجسام الا للارواح والاجسام آلتها بمنزلة الصانع
فالصنعة في الحقيقة له والالات وسايط ومن له فطنة وتامل احوال
الارواح وتاثيراتها وتحريكها الاجسام راى عجايب وايات دالة
على وحدانية الله وعظمة ربوبيته وان ثم عالم اخر يجري عليه احكام اخر
يشهد اثارها واسبابها غيب عن الابصار فتبارك الله رب العالمين
واحسن الخالقين والعاين والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان
في شيء فيشتركان في ان كلا منهما تتكيف نفسه وتوجه نحو من تقصد
اذاه والعاين تتكيف نفسه عند مقابلة العين ومعاينته والحاسد
يحصل حسده في الغيبة والحضور ويفترقان في ان العاين قد يعين من
لا يحسده من حيوان او زرع وان كان لا ينفك من حسد صاحبه بل
ربما اصاب نفسه وسببه الاعجاب بالشيء واستعظامه فان رؤيته تعجب
للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية يؤثر في العين
وقوله من شر حاسد اذا حسد يعم الحاسد من الجن والانس

فان الشياطين الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما اتاهم الله من فضله
وكن الوشواس اخص بشياطين الانس والوسواس يعمهما ايضا فكلا الشيطانين
حاسد موسوس فالاستعاذة من شر الحاسد يعمهما جميعا فقد اشتملت
السورة على الاستعاذة من كل شر في العالم وتضمنت شر ما اربعة يستعاذ
منها شرا عاما وهو شر ما خلق وشر الغاسق اذا وقب فهذان نوعان ثم
ذكر شر الساحر والحاسد وهما نوعان ايضا لانهما من شر النفس الشريرة
واحدهما يستعين بالشيطان وبعده وهو الساحر وقلما ينال السحر دون
نوع عبادة للشيطان وتقرب اليه اما بذبح باسمه او بذبح يقصد به
هو فيكون ذبحا لغير الله وبغير ذلك من انواع الشرك والساحر وان
لم يسم هذا عبادة هم للشيطان فهو عبادة له وان سماه بما سماه به فان
الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظ من سجد
لمخلوق وقال ليس هذا سجود له هذا خضوع ويقبل الارض بالجبهة كما قبلها
بالفم او هذا اكرام لم يخرج بهذه الالفاظ عن كونه سجود لغير الله فليسم
بما شاء وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب اليه بما
يحب فقد عبده وان لم يسم ذلك عبادة بل يسمه استخداما وصدق هو
استخدام من الشيطان له فليصبر من خدم الشيطان وعابديه وبذلك
يخدم الشيطان لكن خدمة الشيطان ليست خدمة عبادة فان الشيطان
لا يخضع له ويعبده كما يفعل هو به والمقصود ان هذا عبادة منه للشيطان
وان سماه استخداما **وتامل** تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله
اذا حسد لان الرجل قد يكون عنده حسد لكن يخفيه ولا يرتب عليه
اذا لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد في قلبه شيئا من ذلك ولا يعامل
اخاه الا بما يحب الله فهذا لا يكاد يخلو منه احد الا من عصمه الله وقيل
للحسن البصري ايحسد المؤمن قال ما انساك اخوة يوسف فالرجل اذا كان
في قلبه حسد لكن يخفيه ولا يرتب عليه اذا بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده
بل لا يعامل اخاه الا بما يحب الله فهو لا يطيع نفسه بل يعصيها خوفا من الله
وحياء منه ان يكره نعمه على عباده فمتى ذكر مخالفة الله وبغضا لما يحب الله
فليجاهد نفسه على دفع ذلك وليلزمها الدعاء للمحسود ومتى زيادة الخير له
فان هذا الحمد الذي في قلبه لا يضره ولا يضر المحسود بخلاف ما اذا احقق

ذلك

قف تامل

ذلك وحسد ورتب على حسده مقتضاه من الاذى بالقلب واللسان والجوارح
فهذا الحسد المذموم هذا كله حسد تمني الزوال وللحسد ثلاث مراتب
احدها هذه وهي تمني زوال النعمة **الثانية** تمني استصحاب عدم
النعمة فهو يكره ان يحدث الله لعبده نعمة بل يحب ان يبقى على حاله من
جهله او فقره او قلة دينه فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص او عيب فهذا
حسد على شيء مخدوم والاول حسد على شيء محقق وكلاهما حاسد عدو نعمة الله
وعدو عباده ممقوت عند الله وعند عباده **الثالث** حسد الغبطة
وهو تمني ان يكون له مثل حال المحسود من غير ان تزول النعمة عنه فهذا لا باس به
ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة وقد قال تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا حسد الا في اثنتين
رجل اتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق رجل اتاه الحكمة فهو يقضي بها
ويعلمها الناس فهذا حسد غبطة الحامل لصاحبه عليه حب خصال الخير و
التشبه باهلها والدخول في جملتهم فيحدث له المنافسة والمسارعة مع محبته
لمن يغبطه وتمني دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل في الاية بوجه ما وهذه
السورة من اكبر ادوية المحسود فانها تتضمن التوكل على الله والالتجا اليه
والاستعاذة به من شر حاسد النعمة

واما سورة الناس فقد تضمنت
ايضا مستعاذ به ومستعاذ منه ومستعيذ فاما المستعاذ به فهو الله رب
الناس ملك الناس اله الناس فذكر ربوبيته للناس وملكه اياهم والهيته لهم
ولابد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان **فاضافهم**
في الكلمة الاولى الى ربوبيته المتضمنة لخلقهم وتربيتهم وتدبيرهم و
اصلاحهم وحفظهم مما يفسدهم هذا معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن
قدرته التامة ورحمته الواسعة وعلمه بتفاصيل احوالهم واجابة دعواتهم
وكشف كرباتهم **واضافهم** في الكلمة الثانية الى ملكه فهو ملكهم المتصرف
فيهم وهم عبيده ومماليكه وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء النافذ
القدرة فيهم فهو ملكهم الحق الذي اليه مفزعهم في الشدائد والنوائب
فلا صلاح لهم ولا قيام الا به **واضافهم** في الكلمة الثالثة الى الهيته

فهو الههم الحق ومعبودهم الذي لا اله سواه ولا معبود لهم غيره فكما انه وحده هو
ربهم ومليكهم لم يشاركه في ربوبيته ولا في ملكه احد فكذلك هو وحده الههم
ومعبودهم فلا ينبغي ان يجعلوا معه شريكا في الهيته كما لا معه شريك في
ربوبيته وملكه وهذه طريقة القران نحتج عليهم باقرارهم بهذا التوحيد
على ما انكروه من توحيد الالهيه والعباده فاذا كان هو ربنا ومليكنا
فلا مفزع لنا في الشدايد سواه ولا ملجا لنا منه الا اليه ولا معبود لنا غيره
فلا ينبغي ان يدعى ولا يخاف ولا يرجى ولا يحب سواه ولا يذل لغيره
ولا يخضع لسواه ولا يتوكل الا عليه لان من ترجوه وتخافه وتدعوه
اما ان يكون مربيك والقيم بامورك وهو ربك فلا رب لك سواه او
تكون مملوكه وعبده الحق فهو ملك الناس حقا وكلهم عبيده ومماليكه
او يكون معبودك والهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين بل حاجتك
اليه اعظم من حاجتك الى روحك وحياتك وهو الاله الحق اله الناس الذي
لا اله لهم سواه فهم جديرون ان لا يستعيذوا بغيره ولا يستنصروا سواه
فظهرت مناسبة هذه الاضافات الثلاث للاستعاذة من اعداء
العدو واعظمهم عداوه ثم انه سبحانه كرر الاسم الظاهر ولم يوقع المضمر
موقعه فيقول رب الناس وملكهم والههم تحقيقا بهذا المعنى فاعاد ذكرهم
عند كل اسم من اسمايه ولم يعطف بالواو لما فيها من الايذان بالمغايره وقدم
الربوبيه لعمومها وشمولها لكل مربوب واخر الالهيه لخصوصها لانه سبحانه
انما هو اله من عبده ووحده واتخذه الها دون غيره فمن لم يعبده
ويوحده فليس بالهه وان كان في الحقيقه لا اله له سواه ولكن ترك الهه
الحق واتخذ الها غيره ووسط صفة الملك بين الربوبيه والالهيه لان
الملك هو المتصرف بقوله وامره المطاع اذا امر فملكه لهم تابع لخلقه اياهم
فملكهم من كمال ربوبيته وكونه الههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه
وملكه يستلزم الهيته فهو الرب الملك الاله خلقهم بالربوبية وقهرهم بالملك
واستعبدهم بالالهيه فتامل هذه الجلاله وهذه العظمه التي تضمنتها هذه
الالفاظ الثلاثه على ابدع نظام واحسن سياق رب الناس ملك الناس اله
الناس وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان
وتضمنت معاني جميع اسمايه الحسنى اما تضمنها لمعاني اسمايه الحسنى فان الرب
هو القادر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد

المعطي

المعطي النافع الضار المقدم المؤخر يهدي ويضل ويسعد ويشقي ويعز ويذل الى
غير ذلك من المعاني الربوبيه **واما** الملك فهو الامر الناهي العز المذل الذي يصرف
امور عباده كما يحب ويقتضيه حكمته فهو العزيز الجبار المتكبر الحافظ الدافع المعز
المذل العظيم الجليل الوالي المتعالي الملك المقسط الجامع الى غير ذلك من الاسماء
العايده الى الملك **واما** الاله فهو الجامع لصفات الكمال ونعوت الجلال
فيدخل في هذا الاسم جميع الاسماء الحسنى وهذا كان القول الصحيح ان الله اصله
الاله وان اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى والصفات العليا
واسرار كلام الله اجل واعظم من ان تدركها عقول البشر وانما غايه اولي العلم
الاستدلال بما يظهر منها على ما وراءه **وهذه** السوره مشتمله على الاستعاذة
من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي وهو الشر الداخل في الانسان الذي
هو منشا العقوبات في الدنيا والاخره فسوره الفلق تضمنت الاستعاذة
من ظلم الغير بالسحر والحسد وهو شر خارج وسوره الناس تضمنت الاستعاذه
من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل فالشر الاول
لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لانه ليس من كسبه والشر
الثاني الذي في سوره الناس يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي فهذا
شر العايب والاول شر المصايب والشر كله يرجع الى العيوب والمصايب وقد
ثالث بهما فتضمنت سوره الناس الاستعاذه من شر العيوب كلها
لان اصلها كلها الوسوسه **واصل** الوسوسه الحركه او الصوت الخفي الذي
لا يحس فيتحرز منه **فالوسواس** الالقاء الخفي في النفس اما بصوت خفي لا
يسمعه الا من القي اليه واما بغير صوت كما يوسوس الشيطان الى
العبد **والوسواس** الخناس وصفان لموصوف محذوف وهو
الشيطان فالوسواس الشيطان لانه كثير الوسوسه **واما** الخناس فهو
فعال من خنس يخنس اذا توارى واختفى فان العبد اذا غفل عن ذكر الله جثم
على قلبه الشيطان ويذر فيه انواع الوساوس التي هي اصل الذنوب كلها فاذا
ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس والانخناس تاخر ورجوع معه اختفاء قال
قتاده الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس
ويقال راسه كراس الحيه وهو واضع راسه على ثمره القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله
خنس واذا لم يذكر عاد ووضع راسه يوسوس اليه وجيء بلفظ الفعال دون الفاعل
اعلاما بشده هربه ورجوعه وعظم نفوره عند ذكر الله وان ذلك

دابه فذكر ايقع الشيطان وبوله ويوذيه ولهذا كان شيطان المومن هزيلا لانه يعذبه
بذكر الله وطاعته وفي اثر عن بعض السلف اذا المومن ينضي شيطانه كما ينضي
الرجل بعيره في السفر لانه كلما اعترضه صعب عليه سياط الذكر والتوحيد والاستغفار
والطاعة فشيطانه معه في عذاب شديد واما شيطان الفاجر فهو معه
في راحة ودعه ولهذا يكون قويا عاتيا شديدا فمن لم يعذب شيطانه في
هذه الدار بذكر الله وتوحيده وطاعته عذبه شيطانه في الاخرة بعذاب النار
فلا بد لكل احد ان يعذب شيطانه او يعذبه شيطانه **وتامل** كيف جاء
بنا الوسواس مكبرا لتكرره الوسوسة الواحدة مرارا حتى يعزم عليها العبد وجاء
بنا الخناس على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل لانه كلما ذكر الله انخنس
فاذا غفل العبد عاد بالوسوسة فجاء بنا اللفظين مطابقا لمعنيهما **وقوله**
الذي يوسوس في صدور الناس صفة ثالثة للشيطان فذكر وسوسته
اولا ثم ذكر محلها ثانيا وانها في صدور الناس وقد جعل الله للشيطان
دخولا في جوف العبد ونفوذا الى قلبه وصدره فهو يجري منه مجرى الدم
وقد وكل بالعبد فلا يفارقه الى الممات **ومن** وسوسته ان يشغل القلب
بحديث حتى ينسيه ما يريد ان يفعله ما يريد ان ولهذا يضاف النسيان اليه
كما قال عن صاحب موسى انى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان
وتامل حكمة القران وجلالته كيف اوقع الاستعاذة من شر
الشيطان الموصوف بانه الوسواس الى اخر السورة ولم يقل من شر وسوسته
ليعم الاستعاذة جميع شره فان قوله الوسواس يتضمن كل شره ووصفه باعظم
صفاته واشدها شرا وهي الوسوسة التي هي مبادي الارادة فان القلب
يكون فارغا من الشر فيوسوس اليه ويخطر الذنب بباله فيصور لنفسه
ويشبهه فيصير شهوة وتزينها وتحسنها له فتصير ارادة ثم لا تزال
تمثل وتشهي وتنسي ضررها وتطوي عنه سوء عاقبتها فلا يرى الا التذاذه
بالمعصية فقط وربما وراء ذلك فتصير الارادة جازمة فيشتد الحرص
من القلب فلا يزال الشيطان بالعبد يقوده الى الذنب وينظم شمل الاجتماع
بالطف حيلة واتم مكيدة **فاصل** كل معصية وبلاء انما هو الوسوسة
فلهذا وصفها ليكون الاستعاذة من شرها اهم والاقدم بغيرها
الوسوسة حاصل ايضا **فمن** شره انه لص سارق لاموال الناس فكل طعام او شراب
لم يذكر الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف وكذلك يبيت في البيت الذي
لم يذكر اسم

لم يذكر فيه اسم الله فيأكل طعام الانس بغير اذنهم ويبيت في بيوتهم بغير امرهم ويدل
على عدم تعظيم قيام العبد بالمعصية ثم بقي في قلوب اعدائه بقطة وهنا ما انه فعل
كذا وكذا **ومن** هذا ان العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه احد من الناس
فيصبح والناس يتحدثون به وما ذاك الا ان الشيطان يجهد في كشف
سره وفضيحته فيغتر العبد ويقول هذا ذنب لم يره الا الله ولم يشعر
بان عدوه ساع في اذاعته وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة **ومن**
شره انه يعقد على رأس العبد اذا نام عقدة تمنعه من اليقظة كما في صحيح
البخاري يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد
الحديث **ومن** شره انه يبول في اذن العبد حتى ينام الى الصباح
ومن شره انه يعد لابن ادم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير
الا والشيطان من صد عليه يمنعه ان يسلكه فان خالفه وسلكه تنطع وعوقه
فان عمله وفر عجز منه سعى فيما يبطله **ويكفي** من شره انه اقسم
ليأتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فاذا كان
هذا شأنه وهمته في الشر فلا خلاص منه الا بمعونة الله وتأييده **ولا** يمكن
حصر اجناس شره فضلا عن احادها اذ كل شر في العالم فمن السبب
فيه **ولكن** يحصر شره في ستة اجناس الشر **الاول** الكفر والشرك ومعاداة الله
ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن ادم استراح وهو اول ما يئس منه
العبد فان يأس منه في ذلك وكان ممن سبق له الاسلام في بطن امه
نقله الى المرتبة **الثانية** من الشر وهي البدعة وهي احب اليه من
الفسوق والمعاصي لان ضررها متعدي وهو ذنب لا يتاب منه وهي
مخالفة دعوة الرسل ودعاء الى خلاف ما جاؤا به فاذا نال منه البدعة
وجعله من اهلها صار داعيا له وداعيا من دعاته فان اعجزه من
هذه المرتبة نقله الى المرتبة **الثالثة** وهي الكبائر على اختلاف
انواعها فهو اشد حرصا على ان يوقعه فيها ولا سيما ان كان عالما متبوعا
فهو حريص على ذلك لينفر الناس عنه ثم يشيع من ذنبه في الناس ويستنيب
منهم ما يشيعها تقربا بزعمه الى الله وهو نائب ابليس ولا يتم
فان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم
هذا اذا حبوا اشاعتها فكيف اذا تولوها اشاعتها فاعجز عن
هذه المرتبة نقله الى المرتبة **الرابعة** وهي الصغائر التي اذا اجتمعت

فربما اهلكت صاحبها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فان مثل ذلك
مثل قوم نزلوا بفلاة من الارض وذكر حديثا معناه ان كل احد منهم جاء بعود
حطب حتى اوقدوا نارا عظيمة فطبخوا ولا يزال يسهل عليه امر الصغائر حتى
يستهين بها فيكون صاحب الكبيرة الخايف احسن حالا منه فان
اعجزه العبد من هذه المرتبة نقله الى المرتبة **الخامسة** وهي اشتغاله
بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوات الثواب الذي ضاع
عليه باشتغاله بها فان اعجزه العبد من هذه المرتبة وكان حافظا لوقته
شحيحا به يعلم انه مقدار انفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب
نقله الى المرتبة **السادسة** وهو ان يشغله بالعمل المفضول عما هو افضل
منه له ليفوته ثواب العمل الفاضل فيامره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه
اذا تضمن ترك ما هو افضل منه وقل من يتنبه لهذا من الناس فانه
اذا راى فيه داعيا قويا الى نوع من الطاعة فانه لا يكاد يقول هذا الداعي
من الشيطان فان الشيطان لا يامر بخير ويرى ان هذا خير ولم
يعلم ان الشيطان يامره بسبعين بابا من ابواب الخير اما ليتوصل بها
الى باب واحد من الشر واما ليفوت بها خيرا اعظم من تلك السبعين
بابا واجل وافضل وهذا لا يتوصل الى معرفته الا بنور من الله يقذفه
في قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة الرسول وشدة عنايته بمراتب
الاعمال عند الله واحبها اليه وانفعها للعبد واعمها نصيحة لله ولرسوله
ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم واكثر الخلق محجوبون ذلك
لا يخطر بقلوبهم فاذا اعجزه العبد من هذه المراتب **سلط** عليه حزبه من
الانس والجن بانواع الاذى والتكفير والتبديع والتحذير منه ليشوش
عليه قلبه وليمنع الناس من الانتفاع به فحينئذ يلبس المؤمن لامة الحرب
ولا يضعها عنه الى الموت ومتى وضعها اسر واصيب فلا يزال في جهاد حتى
يلقى الله **فتامل** هذا الفصل وتدبره واجعله ميزانا تزن به
نفسك وتزن به الناس والله المستعان **وتامل** السر في قوله تعالى
يوسوس في صدور الناس ولم يقل قلوبهم والصدر هو ساحة القلب فهو بمنزلة
الدهليز وبيته فمنه يدخل الواردات اليه فيجتمع في الصدر ثم يلج في القلب
ومن القلب تخرج الاوامر والارادات الى الصدر ثم تتفرق على الجنود ومن
فهم هذا فهم قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم فالشيطان

يدخل

يدخل الى ساحة القلب وبيته ويلقي ما يريد القاه الى القلب فهو موسوس في الصدر وسوسة
واصلة الى القلب ولهذا قال تعالى فوسوس اليه الشيطان ولم يقل فيه لان المعنى انه القا اليه
ذلك واوصله اليه فدخل في قلبه **وقوله** تعالى من الجنة والناس
اختلف المفسرون في هذا الجار والمجرور بم يتعلق فقال الفراء وجماعة هو بيان
للناس الموسوس في صدورهم اي ان الموسوس في صدورهم قسمان انس وجن
فالوسواس يوسوس الى الانسي فالموسوس نوعان انس للجني كما يوسوس للانسي
وهذا القول ضعيف جدا لوجوه منها انه لم يقم دليل على ان الجني يوسوس
في صدر الجني ويدخل فيه كما يدخل في الانسي والناس اسم لبني ادم فلا يدخل
الجن في مسماهم **والصواب** القول الثاني وهو ان قوله من الجنة
والناس بيان للذي يوسوس وانهم نوعان انس وجن فالجني يوسوس
في صدور الانسي والانسي يوسوس الى الانسي فالموسوس نوعان انس وجن فان الوسوسة
هي الالقاء الخفي في القلب وهذا مشترك بين الجن والانس وان كان القاء الانسي
ووسوسته انما هي بواسطة الاذن والجني لا يحتاج الى الواسطة لانه يدخل في ابن
ادم ويجري منه مجرى الدم على ان الجني قد يتمثل ويوسوس اليه في اذنه كالانسي
كما روى البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملائكة تحدر في العنان
والعنان الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فيقرها في
اذن الكاهن كما يقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة من عند انفسهم
فهذه وسوسة والقاء من الشيطان بواسطة الاذن ونظير اشتراكهما في
هذه الوسوسة اشتراكهما في الوحي الشيطاني قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا
ونختم الكلام على السورتين بذكر
قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويتحرز به منه وذلك
عشرة اسباب **احدها** الاستعاذة من الشيطان الرجيم قال تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم والمراد بالسميع
ههنا سميع الاجابة لا السمع العام **الحرز الثاني** قراءة هاتين
السورتين فان لهما تاثيرا عجيبا في الاستعاذة بالله من شره
ودفعه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعوذ المتعوذون بمثلهما وكان
يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم وامر عقبة ابن عامر ان يتعوذ بهما
دبر كل صلاة وذكر صلى الله عليه وسلم ان من قراهما مع سورة الاخلاص

ثلاثا حين يمسي وثلاثا حين يصبح كفته من كل شئ **الحرز الثالث** قراءة اية الكرسي
الحرز الرابع قراءة سورة البقرة ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان البيت
الذي يقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان **الحرز الخامس** خاتمة البقرة
فقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ الايتين من آخر
سورة البقرة في ليلة كفتاه **الحرز السادس** اوائل سورة حم المؤمن الى قوله اليه المصير
ففي الترمذي من حديث عبد الرحمن ابن ابي بكر ابن ابي مليكة عن فروة بن نوفل
عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم
المؤمن الى المصير واية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما
حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح وعبد الرحمن المليكي وان كان قد تكلم فيه
من قبل حفظه فالحديث له شواهد في قراءة اية الكرسي وهو محتمل على غير ذلك
الحرز السابع لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شئ قدير مائة مرة ففي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة
حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه
ذلك حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا رجل عمل اكثر من
ذلك فهذا حرز عظيم النفع جليل الفايدة يسير سهل على من يسره الله
عليه **الحرز الثامن** وهو من انفع الحروز من الشيطان كثرة
ذكر الله عز وجل وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة الناس
فانه وصف الشيطان فيها بانه الخناس والخناس الذي اذا ذكر
العبد ربه انخنس فاذا غفل عن ذكر الله التقم القلب والقى اليه الوساوس
فاحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل **الحرز التاسع**
الوضوء والصلاة وهذا من اعظم ما يخرز به من الشيطان ولا سيما عند
الغضب والشهوة فانها نار تصلى في قلب ابن ادم كما روى الترمذي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا وان الغضب جمرة في قلب ابن ادم
فما طفى العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة فان الصلاة اذا
وقعت بخشوعها والاقبال على الله فيها اذهبت اثر ذلك جملة وهذا
امر تجربته تغني عن اقامة الدليل **الحرز العاشر** امساك فضول النظر
والكلام والطعام ومخالطة الناس فان الشيطان انما ينال غرضه من ابن ادم

من هذه الابواب

من هذه الابواب الاربعة فان فضول النظر يدعو الى الاستحسان ووقوع صورة المنظور
اليه في القلب والاشتغال به وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال النظر سهم مسموم
من سهام ابليس فمن غض بصره اورثه الله حلاوة يجدها في قلبه الى يوم يلقاه
وكم قال صلى الله عليه وسلم واما فضول الكلام فانها تفتح للعبد ابوابا من الشر كلها مداخل للشيطان فامساك فضول الكلام
يسد عنه تلك الابواب وكم من حرب جنبتها كلمة واحدة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد
السنتهم وفي الترمذي ان رجلين من الانصار تواخيا فقال بعض الصحابة
طوبى له فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما يدريك فلعله تكلم بما
يعنيه او بخل بما لا ينفعه واكثر المعاصي انما تولد عن فضول الكلام
والنظر وهما اوسع مداخل الشيطان فان جارحتهما لا يملان ولا يسامان
بخلاف شهوة البطن فانه اذا امتلأ لم يبق فيه ارادة للطعام واما العين
واللسان فلو تكلم يفترا وكان السلف يحذرون من فضول النظر وكانوا
يقولون ما من شيء احوج الى طول السجن من اللسان واما فضول
الطعام فهو داع الى انواع كثيرة من الشر فانه يحرك الجوارح الى المعاصي
وينقله عن الطاعات ويحسسه بهذين شر افكم من معصية جلبها
الشبع وفضول الطعام ولهذا جاء في بعض الآثار ضيقوا مجاري الشيطان
بالصوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه
ولم لو لم يكن في الامتلاء من الطعام الا انه يدعو الى الغفلة عن ذكر الله فاذا
غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة غلبه الشيطان وشهاه وهام به في
كل واد فان النفس اذا شبعت تحركت وطافت على ابواب الشهوات كلها
فاذا جاعت سكنت وذلك واما فضول المخالطة فهي الداء العضال
والحالب لكل شر وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة وكم زرعت من
عداوة وكم غرست في القلب من حرارة ففضول المخالطة بمقدار الحاجة
ويجعل الناس فيها اربعة اقسام متى خلط احد الاقسام بالاخر لم يتميز
بينهما دخل عليه الشر احدها من مخالطة العدا ولا يستغني عنه في
اليوم والليلة فاذا اخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم اذا احتاج اليه خالطه هكذا
على الدوام وهذا الضرب اعز من الكبريت الاحمر وهم العلماء بالله وامره و
مكايد عدوه وامراض القلوب وادويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله

ولخلقه فهذا الضرب من مخالطتهم الربح كله القسم **الثاني** من مخالطتهم
كالدوا تحتاج اليه عند المرض فما دمت صحيحا فلا حاجة لك في خلطته وهم
من لا تستغني عن مخالطتهم في مصلحة المعاش وقيام ما انت تحتاج اليه
في انواع المعاملات والمشاركات والاستشارة القسم **الثالث** من مخالطتهم
كالداء على اختلاف انواعه وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال
وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا ومع ذلك فلا بد من ان تخسر عليه
الدين والدنيا او احدهما فهذا اذا تمكنت مخالطته واتصلت فهي مرض
الموت المخوف ومنهم من مخالطته كوجع الضرس فاذا فارقك سكن الالم
ومنهم من مخالطته حمى الربع وهو الثقيل البغيض الذي لا يحسن ان
يتكلم فيفيدك ولا يحسن ان ينصت فيستفيد منك ولا يعرف منزلته
فيضعها في منزلتها بل ان تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين
مع اعجابه بكلامه وان سكت فاثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق
حملها ويذكر عن الشافعي رحمه الله انه قال ما جلس الى جانبي ثقيل الا وجدت
الجانب الذي هو فيه اثقل من الجانب الاخر ورايت يوما عند شيخنا
قدس الله روحه رجلا من هذا الضرب والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى
عن حمله فالتفت الي وقال مجالسة الثقيل حمى الربع ثم قال ولكن
ادمنت ارواحنا على الحمى فصارت لها عادة او كما قال وبالجملة فمخالطة
كل مخالف حمى الربع ومن تلك الدنيا على العبد ان يبتلى بواحد من هذا الضرب
وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله
له فرجا ومخرجا القسم **الرابع** من مخالطته الهلكة ومخالطته بمنزلة اكل
السم فان اتفق لاكله ترياق والا فاحسن الله فيه العزا وما اكثر هذا
الضرب في الناس لاكثرهم الله هم اهل البدع والضلالة الصادون عن
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الداعون الى خلافها فيجعلون السنة
بدعة والبدعة سنة ان جردت التوحيد قالوا تنقصت الاوليا والصالحين
وان جردت المتابعة للرسول قالوا اهدرت الايمة المتبوعين وان وصفت
الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا انت
من المشبهين وان امرت بما امر الله ورسوله من المعروف ونهيت عن المنكر
قالوا انت من المفتنين وان اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا
انت من الملبسين وان تركت ما انت عليه واتبعت اهواهم فانت عند الله

من الخاسرين

من الخاسرين وعندهم من المنافقين فالحزم كل الحزم التماس مرضات الله ورسوله
باغضابهم وان لاتبالي بذمهم ولا بغضهم فانه عين كما لك كما قال
واذا استكمل مذهبي من ناقص فهي الشهادة لي بانني فاضل وقد زادني حبا لنفسي بانني
بغيض الى امرء غير طائل فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل
الاربعة التي هي اصل بلاء العالم وهي فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة
واستعمل ما ذكرناه من الاسباب التسعة التي تحرز بها من الشيطان فقد اخذ
بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه باب جهنم وفتح لها باب الرحمة
ولا شك ان يجد عند الممات عاقبة هذا الدواء عند الممات يجد العبد
التقي وفي الصباح تحمد القوم السرى والله الموفق لا رب غيره ولا اله سواه

اخر الكلام على سورة الناس قوله عز وجل **ادعوا ربكم تضرعا**
وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين هاتان
الايتان مشتملتان على ادب نوعي الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسئلة فان
الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان
فان دعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه وكل
من يملك الضر والنفع فانه هو المعبود لا بد وان يكون مالكا للنفع والضر
ولهذا انكر تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا وذلك كثير
في القرآن كقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
وقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فنفى
سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدي فلا
يملكون لانفسهم ولا لعابديهم وهذا كثير في القرآن يبين ان
المعبود لا بد ان يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر
فمن يدعي للنفع والضر دعاء المسئلة ويدعى خوفا ورجاء دعاء العبادة فعلم
ان النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة متضمن لدعاء المسئلة وكل
دعاء مسئلة متضمن لدعاء العبادة وعلى هذا فقوله تعالى واذا سألك
عبادي عني الى قوله اذا دعاني يتناول نوعي الدعاء وكل منهما فسرت به الاية
قيل اعطيه اذا سالني وقيل اثيبه اذا عبدني والقولان متلازمان وليس

كليهما

هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما او استعمال اللفظ في حقيقته
ومجازه بل هذا استعماله في حقيقته الواحدة المتضمنة للامرين جميعا فتامل
فانه موضع عظيم النفع وقل من يفطن له واكثر ايات القران دالة على
معنيين فصاعدا فهي من هذا القبيل **مثال** ذلك قوله اقم الصلاة
لدلوك الشمس الى غسق الليل فسر الدلوك بالزوال وفسر بالغروب وليسا
بقولين بل اللفظ متناولهما معا فان الدلوك هو الميل ودلوك الشمس ميلها و
لهذا الميل مبتدا ومنتها فمبداها الزوال ومنتهاها الغروب واللفظ متناول
لهذا بهذا الاعتبار **ومثاله** ايضا تفسير الغاسق بالليل وتفسيره
بالقمر وان ذلك ليس باختلاف بل يتناولهما لتلازمهما فان القمر اية الليل ونظيره
كثيره **ومن** ذلك قوله تعالى قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم اياكم الى عبادته
فيكون المصدر مضافا الى المفعول ومحل الاول مضافا الى الفاعل فهو الارجح
من القولين وعلى هذا فالمراد به نوعان الدعا وهو في دعا العباده اظهر
وهو اي ما يعبا بكم لولا انكم تعبدونه وعبادته تستلزم مسئلته فالنوعان
داخلان فيه **ومن** ذلك قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم فالدعا
يتضمن النوعين وهو في دعا العبادة اظهر ولهذا عقبه بقوله
ان الذين يستكبرون عن عبادتي وفسر الدعا في الاية بهذا وهذا وروى
الترمذي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول على المنبر ان الدعا هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم قال الترمذي
حديث حسن صحيح **واما** قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا الاية وقوله ان يدعون من دونه الا اناثا وقوله ضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وكل موضع ذكر فيه دعا المشركين لاوثانهم
فالمراد به دعا العباده المتضمن دعا المسئله فهو دعا العبادة اظهر لوجوه
ثلاثة **احدها** انهم قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فاعترفوا
بان دعايهم اياهم عبادتهم لهم **الثاني** ان الله تعالى فسر هذا
الدعا في مواضع اخر بانه العبادة كقوله وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من
دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون وقوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم وقوله لا اعبد ما تعبدون فدعاهم
لالهتهم هو عبادتهم لها **الثالث** انهم انما كانوا يعبدونها فاذا جاءتهم

الشدايد

الشدايد دعوا الله وحده وتركوها وقد كانوا يدعون معها فكانوا يدعون بعض حوائجهم و
يطلبون منها وكان دعاؤهم لها دعا عبادة ودعا مسئلة **وقوله** فادعوا الله مخلصين
له الدين هو دعا العبادة كأنه قيل اعبدوه وحده واخلصوا عبادته لا تعبدوا معه
غيره **واما** قول ابراهيم الخليل ان ربي لسميع الدعاء فالمراد بالسمع فيها
السمع الخاص وهو سمع الاجابة والقبول لا السمع العام لانه مسموع لكل سامع
واذا كان كذلك فالدعاء ههنا يتناول دعاء العبادة ودعاء الطلب وسميع اذن
تبارك وتعالى له اثابته على الثناء واجابته للطلب فهو سميع هذا وهذا **واما**
قول زكريا ولم اكن بدعائك رب شقيا فقد قيل انه دعاء المسألة والمعنى
انك عودتني اجابتك ولم تشقني بالرد والحرمان فهو توسل اليه تعالى بما سلف
من اجابته واحسانه وهذا ظاهر ههنا **واما** قوله تعالى قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن الآية فهذا الدعاء المشهور انه دعاء المسألة وهو سبب النزول
قالوا لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه فيقول مرة يا الله ومرة يا رحمن فظن
المشركون انه يدعو الهين فانزل الله هذه الآية **واما** قوله انا كنا
من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فهذا دعاء العبادة المتضمن للسؤال رغبة
ورهبة والمعنى انا كنا من قبل نخلص له العبادة وهذا استفهام تقرير
قاهم عذاب السموم لا يحد السؤال المشترك بين الناجي وغيره فانه سبحانه
يسأل من في السموات ومن في الارض وكذلك قوله اصحاب الكهف ربنا رب
السموات والارض لن ندعو من دونه الها اي لن نعبد غيره **وكذلك**
قوله الذين تدعون بعلا الآية **واما** قوله وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم الآية
فهذا دعاء المسألة يكذبهم الله ويخزيهم يوم القيامة بان ادعاءهم ان شركاءهم لا يجيبون
لهم دعوتهم وليس المراد اعبدوهم وهو نظير قوله ويوم يقول نادوا شركائي
الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم **اذا عرف هذا** فقوله تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية بيتناول نوعي الدعاء لكنه ظاهر في دعاء المسألة متضمن
دعاء العبادة وهذا امر باخفائه واسراره قال الحسن بين دعوة السر ودعوة
العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما
يسمع لهم صوت ان كانت الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله
يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله ذكر عبدا صالحا ورضي
بفعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا **وفي اخفاء الدعاء فوائد عديدة**
احدها انها اعظم ايمانا لان صاحبه يعلم ان الله يسمع دعاءه الخفي

وثانيها انه اعظم في الادب والتعظيم لان الملوك لا ترفع عندهم الاصوات ومن رفع
صوته لديهم مقتوه ولله المثل الاعلى فاذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالادب
بين يديه الا خفض الاصوات به وثالثها انه ابلغ في التضرع والخشوع الذي روح
الدعاء ولبه ومقصوده فان الخاشع الذليل انما يسال مسئلة مسكين ذليل قد انكسر
قلبه وذلت جوارحه وخشع صوته حتى انه ليكاد تبلغ ذلته ومسكنته
وضراعته الى ان ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق وقلبه يسال طلبا مبتهلا ولسانه
لشدة ذله ساكتا وهذه الحالة لا تاتي مع رفع الصوت بالدعاء اصلا ورابعها
انه ابلغ في الاخلاص وخامسها انه ابلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء فان رفع
الصوت يفرقه فكلما خفض صوته كان ابلغ في تجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وسادسها
وهو من النكت البديعة جدا انه دال على قرب صاحبه من الله وانه لاقترابه وشدة حضوره
سال مسئلة اقرب شيء اليه فيسالها مسئلة مناجاة القريب للقريب لا مسئلة نداء البعيد
للبعيد ولهذا اثنى على عبده زكريا بقوله اذ نادى ربه نداء خفيا فلما استحضر
القلب قرب الله تعالى وانه اقرب اليه من كل قريب اخفاه دعاءه ما امكنه وقد
اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح لما رفع
الصحابة اصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال اربعوا على انفسكم انكم لا
تدعون اصما ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا اقرب الى احدكم من عنق راحلته
وقد قال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب الاية وهذا القرب من الداعي هو
قرب خاص ليس قربا عاما من كل احد فهو قريب من داعيه وقريب من عابديه
واقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية
فيه الارشاد والاعلام بهذا القرب وسابعها انه ادعى الى دوام الطلب والسؤال
فان اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب بخلاف ما اذا رفع صوته فانه قد يكل لسانه
ويضعف قواه وهذا نظير من يقرا ويكرر رافعا صوته فانه لا يطول له
بخلاف من خفض صوته وثامنها ان اخفاء الدعاء ابعد له من القواطع
والمشوشات فان الداعي اذا اخفى دعاءه لم يدر به احد فلا يحصل هنا تشويش
ولا غيره واذا جهر به تفرطت له الارواح البشرية ولا بد ومانعته وعارضته
ولو لم يكن الا ان تعلقها به يفرق عليه همته فيضعف اثر الدعاء ومن له تجربة يعرف
هذا فاذا اسر الدعاء امن من هذا المفسد وتاسعها ان اعظم النعم الاقبال
والتعبد له ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت او جلت ولا نعمة اعظم من هذه
النعمة فانفس الحاسدين متعلقة بها وليس للمحسود اسلم من اخفاء نعمته عن
الحاسد وقد قال يعقوب ليوسف لا تقصص رؤياك على اخوتك

فيسا

الاية

الاية وكم من صاحب قلب وجمعية وحال مع الله قد تحدث بها واخبر بها فسلبه اياها
الاغيار ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله وان لا يطلعوا
عليه احد والقوم اعظم شي كتمانا لاحوالهم مع الله وما وهب الله من محبته
والانس به وجمعية القلب ولا سيما للمبتدي السالك فاذا تمكن احدهم
وقوي وثبت اصول تلك الشجرة الطيبة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء
في قلبه بحيث لا يخشا عليه من العواصف فانه اذا ابدا حاله مع الله ليقتدي
به ويوتم به لم يبالي وهذا باب عظيم النفع انما يعرفه اهله واذا كان الدعا
المامور باخفايه يتضمن دعا الطلب والثنا والمحبة والاقبال على الله فهو من
اعظم الكنوز التي هي احق بالاخفا عن اعين الحاسدين وهذه فايدة شريفة
نافعة وعاشرها ان الدعا هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثنا
عليه باوصافه واسمايه فهو ذكر وزيادة كما ان الذكر يسمى دعا لتضمنه للطلب كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم افضل الدعا الحمد لله فسمى الحمد لله دعا وهو ثناء محض لان
الحمد متضمن الحب والثنا والحب اعلا انواع الطلب فالحامد طالب لمحبوبه
فهو احق ان يسمى داعيا من السايل الطالب فنفس الحمد والثنا متضمن لاعظم
الطلب فهو دعا حقيقة بل احق ان يسمى دعا من غيره من انواع الطلب الذي
هو دونه والمقصود ان كل واحد من الدعا والذكر يتضمن الاخر ويدخل فيه
وقد قال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة فامر تعالى نبيه ان يذكره في نفسه
قال مجاهد وابن جريج امر ان يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة
دون رفع الصوت والصياح وتامل كيف قال في اية الذكر واذكر ربك الاية
وفي اية الدعا ادعوا ربكم تضرعا وخيفة فذكر التضرع فيهما معا وهو التذلل
والتمسكن والانكسار وهو روح الذكر والدعا وخص الدعا بالخفية لما ذكرنا
من الحكم وغيرها وخص الذكر بالخيفة لحاجة الذاكر الى الخوف فان
الذكر يستلزم المحبة ويثمرها ولا بد فمن اكثر من ذكر الله اثمر له
ذلك محبة والمحبة ما لم تقترن بالخوف فانها لا تنفع صاحبها بل
تضره لانها توجب الادلال والانبساط وربما الت بكثير من الجهال
المغرورين الى ان استغنوا بها عن الواجبات وقالوا المقصود من
العبادات انما هو عبادة القلب واقباله على الله ومحبته له فاذا حصل
المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل ولقد حدثني رجل انه انكر على بعض

الطلب

هؤلاء خلوة له ترك فيها الجمعة فقال الشيخ اليس الفقهاء يقولون اذا خاف
على شيء من ماله فان الجمعة تسقط فقال له بلا فقال له هذا غرور بك
الواجب الخروج الى الله له فقلب المريد اعن عليه من عشرة دراهم او كما قال وهو
اذا خرج ضاع قلبه فحفظ لقلبه عذر مسقط للجمعة في حقه فقال له هذا غرور بك
الواجب الخروج الى الله **فتامل** هذا الغرور العظيم كيف آل بهؤلاء
الى الانسلاخ عن الاسلام جملة فان من سلك هذا المسلك انسلخ عن الاسلام
العام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن انه من خاصة الخاصة وسبب هذا
عدم اقتران الخوف من الله بمحبته وارادته **ولهذا** قال بعض السلف من عبد الله
بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده رجاء
بالرجا وحده فهو مرجي ومن عبده بالحب والخوف والرجا فهو مؤمن
والمقصود ان تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع في هذه المعاطب فاذا اقترن
بالخوف جمعه على الطريق ورده اليها كلما شرد كان الخوف سوط يضرب به
مطيته لئلا يخرج عن الذنب فالرجا حادي يحدوها يطيب لها السير
والحب قايدها وزمامها الذي يسوقها فاذا لم يكن للمطية سوط
ولا عصى يردها اذا حارت عن الطريق خرجت عن الطريق
وضلت عنها فما حفظت حدود الله ومحارمه ووصل الواصلون
اليه بمثل خوفه ورجاه ومحبته فمتى خلا القلب عن هذه الثلاثة فسد
فسادا لا يرجى صلاحه ابدا ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف ايمانه
بحسبه **فتامل** اسرار القران وحكمته في اقتران الخيفة بالذكر
والخيفة بالدعا مع دلالته على اقتران الخيفة بالدعا والخيفة بالذكر
ايضا وذكر الطمع الذي هو الرجا في اية الدعا لان الدعا مبني عليه فان
الداعي ما لم يطمع في سواله ومطلوبه لم يتحرك نفسه لطلبه اذ طلب ما لا
طمع فيه ممتنع وذكر الخوف في اية الذكر لشدة حاجة الخايف اليه
فذكر في كل اية ما هو اللايق بها من الخوف والطمع فتبارك من انزل كلامه
شفاء لما في الصدور **وقوله** تعالى انه لا يحب المعتدين قيل
المراد انه لا يحب المعتدين في الدعا كالذي يسال ما لا يليق به من منازل
الانبيا وغير ذلك وقد روى ابو داود في سننه عن عبد الله بن معقل
انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض عن يمين
الجنة اذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار

فاني سمعت

فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون في هذه الامة قوم يعتدون
في الطهور والدعا وعلى هذا فاعتداه في الدعا تارة بان يسال ما لا يجوز له سواله من
الاعانة على المحرمات وتارة يسال ما يفعله الله مثل ان يسال تخليده الى يوم القيمة
او يساله ان يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة الى الطعام والشراب او يساله ان
يطلعه على غيبه او ان يجعله من المعصومين او ان يهب له ولدا من غير زوجه
ونحو ذلك مما سواله اعتدا وكل سوال ينافي حكمة الله او يتضمن مناقضة شرعه
وامره او يتضمن خلاف ما اخبر به فهو الاعتدا لا يحبه الله ولا يحب
سايله وفسر الاعتدا برفع الصوت ايضا في الدعا وبعد فالاية اعم
من ذلك كله وان كان الاعتدا بالدعا مرادا بها فهو من جملة المراد والله
لا يحب المعتدين في كل شي دعاء كان او غيره كما قال تعالى ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين وعلى هذا فيكون امر بدعائه وعبادته واخبر انه
لا يحب اهل العدوان وهم الذين في غير مواضعها يدعون معه غيره فهولاء
اعظم المعتدين عدوانا فان اعظم العدوان الشرك وهو وضع العبادة في غير
مواضعها فهذا العدوان لا بد ان يكون داخلا في قوله انه لا يحب المعتدين
ومن العدوان ان يدعوه غير متضرع بل دعا مدل كالمستغني المدلي على
ربه وهذا من اعظم الاعتدا المنافي لدعاء الضارع الذليل فما لم يسال مسئلة
مسكين متضرع خايف فهو متعد ومن الاعتدا ان يعبده بما
لم يشرعه ويثني عليه بما لم يثن به على نفسه ولا اذن فيه فان هذا
اعتدا في دعاء الثناء والعبادة وهو نظير الاعتدا في دعا المسئلة
والطلب وعلى هذا فتكون الاية دالة على شيئين احدهما
محبوب للرب تعالى وهو الدعا تضرعا وخفية والثاني مكروه له مسخوط وهو الاعتدا
فامر بما يحبه وندب اليه وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو ابلغ
طرق الزجر والتحذير وهو انه لا يحب فاعله ومن لم يحبه الله فاي خير
يناله وفي قوله انه لا يحب المعتدين عقب قوله ادعوا ربكم
تضرعا وخفية دليل على ان من لم يدعه تضرعا وخفية فهو من
المعتدين الذين لا يحبهم فقسمت الاية الناس الى قسمين داع لله
تضرعا وخفية ومتعد بترك ذلك وقوله عز وجل ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها قال اكثر المفسرين لا تفسدوا فيها
بالمعاصي والدعا الى طاعة الله فان عبادة غير الله والدعوة الى غيره و

بعد اصلاح الله اياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعا الى طاعة الله فان عبادة
غير الله والدعوة الى غيره والشرك به هو اعظم الفساد في الارض بل فساد الارض
في الحقيقة انما هو الشرك بالله ومخالفة امره قال تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت اي الناس وقال عطية في الاية ولا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر
ويهلك الحرث بمعاصيكم وقال غير واحد من السلف اذا قحط المطر فان الدواب
تلعن عصاة بني ادم وتقول اللهم العنهم فبسببهم اجدبت الارض وقحط
المطر فبالجملة الشرك والدعوة الى غير الله واقامة معبود غيره ومطاع
متبع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اعظم الفساد في الارض ولا صلاح لها
ولا لاهلها الا ان يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره
والطاعة والاتباع لرسوله ليس الا وغيره انما تجب طاعته اذا امر بطاعة الرسول
فاذا امر بمعصيته فلا سمع له ولا طاعة فان الله اصلح الارض برسوله ودينه
وبالامر بتوحيده ونهى عن افسادها بالشرك به ومخالفة رسوله ومن تدبر احوال
العالم وجد كل صلاح في الارض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله
وكل شر في العالم وفتنة وبلا وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة
الرسول والدعوة الى غير الله ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الامر
كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموما وخصوصا ولا قوة الا بالله
وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا انما ذكر الامر بالدعا لما ذكره معه
من الخوف والطمع فامر اولا بدعايه تضرعا وخفية ثم امر ايضا ان يكون
الدعا خوفا وطمعا وفصل بين الجملتين بجملتين احداهما
خبرية ومتضمنة للنهي وهي قوله انه لا يحب المعتدين والثانية
طلبية وهي قوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها والجملتان مقرونتان
للجملة الاولى موكدان لمضمونها ثم لما تم تقريرها وبيان ما يضادها
امر بدعايه خوفا وطمعا ثم قرر ذلك واكد مضمون الجملة بقوله وادعوه
خوفا وطمعا لتعلق قوله انه لا يحب المعتدين بقوله ادعوا ربكم
تضرعا وخفية ولما كان قوله وادعوه خوفا وطمعا مشتملا على جميع
مقامات الايمان والاحسان وهي الحب والخوف والرجا عقبها بقوله ان رحمة
الله قريب من المحسنين اي انما تنال من دعاه خوفا وطمعا فهو المحسن
والرحمة قريب من المحسنين منه لان مدار الاحسان على هذه الاصول
الثلاثة ولما كان دعا التضرع والخفية يقابل الاعتدا بعدم التضرع

والخفية

والخفية عقب ذلك بقوله انه لا يحب المعتدين وانتصاب قوله تضرعا وخفية
وخوفا وطمعا على الحال اي ادعوه متضرعين اليه مختفين خايفين مطيعين
وقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فيه تنبيه ظاهر
على ان فعل هذا المامور هو الاحسان المطلوب منكم ومطلوبكم انتم
من الله رحمته ورحمته قريب من المحسنين الذين فعلوا ما امروا به من دعايه
تضرعا وخفية وخوفا وطمعا فقرب مطلوبكم منه وهو الرحمة بحسب ادايكم
لمطلوبه منكم وهو الاحسان الذي هو في الحقيقة احسان الى انفسكم فان الله
هو الغني الحميد وان احسنتم احسنتم لانفسكم وقوله ان رحمة الله
قريب من المحسنين له دلالة بمنطوقه ودلالة بايمايه وتعليله ودلالة
بمفهومه فبدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من اهل الاحسان ودلالته
بتعليله وايمايه على ان هذا القرب مستحق بالاحسان وهو السبب في قرب
الرحمة منهم ودلالته بمفهومه على بعده من غير المحسنين فهذه ثلاث دلالات
لهذه الجملة وانما اختص اهل الاحسان بقرب الرحمة منهم لانها احسان
من الله ارحم الراحمين واحسانه تعالى انما يكون لاهل الاحسان لان الجزا من جنس
العمل وكلما احسنوا باعمالهم احسن اليهم برحمته واما من لم يكن من اهل
الاحسان فانه لما بعد من الاحسان بعدت عنه الرحمة بعد ببعد وقرب
بقرب فمن تقرب اليه بالاحسان تقرب الله اليه برحمته ومن تباعد عن
الاحسان تباعد الله عنه برحمته والله سبحانه يحب المحسنين ويبغض من
ليس من المحسنين ومن احبه الله فرحمته اقرب شي منه ومن ابغضه الله
فرحمته ابعد شي منه والاحسان ههنا هو فعل المامور به سواء كان احسانا
الى الناس او الى نفسه فاعظم الاحسان الايمان والتوحيد والانابة الى الله
تعالى والاقبال عليه والتوكل عليه وان يعبد الله كانه يراه اجلالا ومهابة
وحياء ومحبة وخشية فهذا هو مقام الاحسان كما قال صلى الله عليه
وسلم وقد سال جبريل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فاذا كان
هذا هو الاحسان فرحمة الله قريب من صاحبه وهل جزاء الاحسان الا
الاحسان يعني هل جزاء من احسن عبادة ربه الا ان يحسن ربه
اليه قال ابن عباس هل جزا من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء محمد صلى الله عليه وسلم
الا الجنة وقد ذكر ابن ابي شيبة وغيره من حديث الزبير بن عدي عن
انس بن مالك قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزا الاحسان الا الاحسان

ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء
من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة اخر الكلام على الاثنين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم
النبيين وعلى اله وصحبه
وبه استعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وبه نستعين

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

اعلم رحمك الله أن الشرك بالله أعظم ذنب عصي الله تعالى به قال الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الصحيحين أن صلى الله عليه وسلم سئل أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك والند المثل قال الله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وقال تعالى وجعلوا لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار فمن جعل لله ندا من خلقه فيما يستحقه عز وجل من الإلهية والربوبية فقد كفر بإجماع الأمة فإن الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته لأنه إلهنا ومعبودنا الذي تألهه القلوب وترغب إليه وتفزع إليه عند الشدائد وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية فكيف يصلح أن يكون إلها قال الله وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين وقال إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا وقال لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين وقال إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين فالله سبحانه هو المستحق أن يعبد لذاته قال تعالى الحمد لله رب العالمين فذكر الحمد بالألف واللام التي تقتضي الاستغراق لجميع المحامد فدل على أن الحمد كله لله ثم خصص في قوله إياك نعبد وإياك نستعين فهذا تفصيل لقوله الحمد لله رب العالمين فهذا يدل على أنه لا معبود إلا الله وأنه لا يستحق أن يعبد أحد سواه فقوله إياك نعبد إشارة إلى عبادته بما اقتضته الإلهية من المحبة والخوف والرجاء والأمر والنهي وإياك نستعين إشارة إلى ما اقتضته الربوبية من التوكل والتفويض والتسليم لأن الرب سبحانه وتعالى هو المالك وفيه أيضا معنى التربية والإصلاح والمالك الكامل هو الذي يتصرف في ملكه كما شاء فإذا ظهر للعبد شيء من سوء تربيته رأى الملك والتدبير كله لله كما قال سبحانه وتعالى تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير فلا يرى نفعا ولا ضرا ولا حركة ولا سكونا ولا قبضا ولا بسطا ولا خفضا ولا رفعا إلا والله سبحانه هو فاعله وخالقه وقابضه وباسطه ورافعه وخافضه فهذا المشهد هو سر الكلمات الكونيات وهو علم معرفة صفة الربوبية

والاول هو علم صفة الالهيه وهو كشف سر الكلمات التكليفيات فالتحقق بالامر
والنهي والمحبة والخوف والرجا يكون عن كشف علم الالهيه والتحقق بالتوكل
والتفويض والتسليم يكون بعد كشف علم الربوبيه وهو علم التدبير الساري
في الاكوان كما قال تعالى انما امره قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
فاذا تحقق العبد بهذا المشهد ووفقه الله تعالى لذلك بحيث لا يحجبه هذا
المشهد عن المشهد الاول فهو السعيد في عبوديته فان هذين المشهدين
عليهما مدار الدين فان جميع مشاهد الرحمة واللطف والكرم والجمال داخل
في مشهد الالهيه وجميع مشاهد العظمة والكبريا والقهر والجلال
داخل في مشهد الربوبيه ولهذا قيل ان هذه الايه جمعت جميع سر القران
اياك نعبد واياك نستعين لان اولها اقتضى عبادته بالامر والنهي و
والمحبة والخوف والرجا كما ذكرنا واخرها اقتضى عبوديته بالتفويض والتسليم
وترك الاختيار وجميع العبوديات داخلة في ذلك ومن غيبة هذا
المشهد عن المشهد الاول وراى قيام الله عز وجل على جميع الاشيا وهو
القايم على كل نفس بما كسبت وتصرفه فيها وحكمه عليها فراى الاشيا كلها منه
صادرة عن نفاذ حكمه وارادته القدرية فغاب بما لاحظ عن التمييز
والفرق ولم يفرق بين الحسن والقبيح فقد خرج عن الشريعة بالكلية
وعطل الامر والنهي والنبوات ومرق من الاسلام مروق السهم من الرمية وان
كان ذلك المشهد قد ادهشه وغيب عقله لقوة سلطنة الوارد وضعف
قوى البصيرة ان يجمع بين المشهدين فهذا معذور منقوص بالنسبة
الى من جمع بين المشهدين مشهد الامر الشرعي ومشهد الامر الكوني الارادي
وقد زلت في هذا المشهد اقدام كثير من السالكين لقلة معرفتهم بما بعث
الله به المرسلين وذلك لانهم عبدوا الله على مرادهم منه ففنوا بمرادهم عن
مراد الحق عز وجل منهم لان العبد يفنى بمراده ومحبوبه ولو عبدوا الله تعالى
على مراده منهم لم ينلهم شيء من ذلك لان العبد اذا شهد عبوديته ولم
يزل مستيقظا لامر سيده لا يغيب بعبادته عن معبوده ولا بمعبوده
عن عبادته بل يكون له عينان ينظر باحدهما الى المعبود كانه يراه كما قال
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم

تكن تراه

الوجه

تكن تراه فانه يراك والاخرى ينظر بها الى امر سيده ليوقعه على الامر الشرعي
الذي يحبه مولاه ويرضاه **فاذا تقرر هذا فالشرك شركان** شرك يكفر به صاحبه
وهو نوعان شرك في الالهية وشرك في الربوبية فاما الشرك في الالهية فهو ان
يجعل لله ندا اي مثلا في عبادته او محبته او خوفه او رجائه او انابته
فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله الا بالتوبة منه قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا الذي قاتل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم مشركي العرب لانهم اشركوا في الاله قال الله تعالى ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقال القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع
للخير معتد مريب الذي جعل مع الله الها اخر الاية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لحصين كم تعبد قال ستة في الارض وواحدا في السما قال فمن الذي تعده
لرغبتك ورهبتك قال الذي في السما قال الا تسلم فاعلمك كلمات فاسلم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي
واما الربوبية فكانوا مقرين بها قال الله تعالى ولين سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان
كنتم تعلمون سيقولون لله الى قوله قل فانى تسحرون وما اعتقد احد
منهم قط ان الاصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبره وانما كان
شركهم كما ذكرنا اتخذوا من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وهذا
المعنى يدلك على ان من احب شيئا من دون الله كما يحب الله تعالى
فقد اشرك وهذا كقوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا
لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وكذا من خاف احدا كما يخاف
الله او رجاه كما يرجو الله وما اشبه ذلك **واما النوع** الثاني فالشرك
في الربوبية فان الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع
الخافض الرافع المعز المذل فمن شهد ان المعطي او المانع او الضار او
النافع او المعز او المذل غيره فقد اشرك في ربوبيته ولكن اذا اراد
التخلص من هذا الشرك فينظر الى المعطي الاول مثلا فيشكره على ما اولاه
من النعم وينظر الى من اسدى اليه المعروف فيكافيه عليه لقوله عليه السلام
من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تكافئوه فادعوا له حتى

تعلموا انكم قد كافيتموه لان النعم كلها من الله تعالى كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وقال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك فالله سبحانه هو المعطي على الحقيقة
فانه هو الذي خلق الارزاق وقدرها وساقها الى من يشاء من عباده فالمعطي
هو الذي اعطاه وحرك قلبه لعطا غيره فهو الاول والاخر ومما يقوي هذا
المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس واعلم ان الامة لو اجتمعت على
ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك
لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف قال
الترمذي هذا حديث صحيح فهذا يدل على انه لا ينفع في الحقيقة الا الله
ولا يضر غيره وكذا جميع ما ذكرنا في مقتضى الربوبية **ومن سلك**
هذا المسلك العظيم استراح من عبودية الخلق ونظره اليهم واراح الناس
من لومه وذمه اياهم وتجرد التوحيد في قلبه فقوي ايمانه وانشرح
صدره وتنور قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولهذا قال الفضيل رحمه الله
من عرف الناس استراح يريد والله اعلم انهم لا ينفعون ولا يضرون
واما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد ان يسلم منه احد
مثل ان يحب مع الله غيره فان كانت محبته لله مثل حب النبيين والصالحين
والاعمال الصالحة فليست من هذا الباب لان هذه تدل على حقيقة
المحبة لان حقيقة المحبة ان يحب المحبوب وما احبه ويكره ما يكرهه
ومن صحت محبته امتنعت مخالفته لان المخالفة انما تقع لنقص
المتابعة ونقص المتابعة يدل على نقص المحبة قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله الاية فليس الكلام في هذا انما الكلام في محبة تتعلق
بالنفوس لغير الله فهذا لا شك انه نقص في توحيد المحبة لله وهو دليل
على نقص محبته لله اذ لو كملت محبته لم يحب شيئا سواه ولا يرد علينا الباب
الاول لان ذلك داخل في محبته **وهنا ميزان** لا يخرم عليك
كلما قويت محبة العبد لمولاه صغرت عنده المحبوبات وقلت وكلما
ضعفت محبته كثرت محبوباته وانتشرت وكذا الخوف والرجا وما اشبه ذلك
فاذا كمل خوف العبد من ربه لم يخف شيئا سواه قال الله عز وجل الذين

يبلغون

يبلغون رسالات الله ولا يخشونه ولا يخشون احدا الا الله واذا نقص خوفه خاف
من المخلوقات وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف كما ذكرنا في المحبة
وكذا الرجا وغيره فهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد عبد
ان يسلم منه الا من عصم الله وقد روي ان الشرك في هذه الامة اخفى
من دبيب النمل وطريق التخلص من هذه الافات كلها الاخلاص لله
عز وجل قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا ولا يحصل الاخلاص الا بعد الزهد ولا زهد
الا بتقوى والتقوى متابعة الامر والنهي **فصل** ولا بد هنا
من التنبيه على قاعدة تحرك القلوب الى الله عز وجل فتعتصم به فتقل
افاتها او تذهب عنها بالكلية بحول الله وقوته فنقول
اعلم ان محركات القلوب الى الله عز وجل ثلاثة المحبة والخوف والرجا
واقواها المحبة وهي مقصودة لذاتها لانها تراد في الدنيا والاخرة بخلاف
الخوف فانه يزول في الاخرة قال الله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وقال تعالى ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق فالمحبة تلقي
العبد في السير الى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره اليه
والخوف يمنعه ان يخرج عن طريق المحبوب والرجا يقوده فهذا
اصل عظيم يجب على كل عبد ان ينتبه له فانه لا تحصل له العبودية
بدونه وكل احد يجب ان يكون عبد الله لا لغيره **فان**
قيل فالعبد في بعض الاحيان قد لا يكون عنده محبة تبعثه
على طلب محبوبه فاي شي يحركه **قلنا** يحركها
شيئان **احدهما** كثرة الذكر للمحبوب لان كثرة ذكره يعلق
القلوب به ولهذا امر الله عز وجل بالذكر الكثير فقال يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا **والثاني** مطالعة الاية ونعمائه
قال الله تعالى فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون وقال وما بكم من نعمة فمن الله وقال
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقال وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها فاذا
ذكر العبد ما انعم الله عليه من تسخير السماء والارض وما فيهما من الاشجار والحيوان

وما اسبغ عليه من النعم الباطنة من الايمان وغيره فلا بد ان يثير ذلك عنده
باعثا من المحبة وكذلك الخوف يحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب
ونحوه وكذلك الرجا يحركه مطالعة الكرم والحلم والعفو وما ورد في الرجا والكلام
في التوحيد واسع وانما الغرض التنبيه على ما تضمنه الاستفتا بادنى اشارة والله اعلم

هنا

ويسمى الليل كافرا كما قال ثعلبة بن حتى اذا سرا في كافر كما يسمى الزراع
كافرا لانه يغطي الزرع بالتراب فكان الامر بالاخراج من الظلمات الى النور امر بالاخراج
من ظلمة الكفر الى نور الايمان قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة
الى قوله يهدي الله لنوره من يشاء ثم قال والذين كفروا ~~اعمالهم~~ اعمالهم
كسراب بقيعة الى قوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج الى قوله
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فذكر سبحانه مثلين مثل الكفر المركب بالسراب
الذي يحسبه الظمآن ماء وليس كذلك فهذا مثل الاعتقاد الفاسد والاخر الذي
في الظلمات لا يرى شيئا وهذا مثل الجهل البسيط كالحيرة والشك والريب الذي لا
يعتقد صاحبها شيئا والاول حال البدعة والدين الفاسد كدين اهل الكتاب بعد
التبديل والنسخ والثاني حال الزنادقة والمعطلة والمتفلسفة وامثالهم ممن لم
يحصل له علم يعتقده ومثل كثير من اهل الكلام والنظر الذين لم يحصل لهم
الا الحيرة والشك وقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا والكتاب
والايمان نور وقد سمى الله ذلك نورا في قوله واتبعوا النور الذي انزل معه وقوله
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين الاية وقوله يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا وقوله يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم وقال تعالى في حق المؤمن والكافر ومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات وقال

يا ايها الناس

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به
وقال الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الاية وقال تعالى هو الذي ينزل
على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وذكر تعالى في سورة الحديد نور
النبي والذين امنوا معه وان الله يتم لهم نورهم حين يطفى نور المنافقين وذكر ان
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم فيها وفي سورة التحريم وذكر ان المنافقين انطفى
نورهم في الدنيا فلهذا انطفى نورهم في الاخرة فان الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى في حق المنافقين
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية وذكر لهم مثلا اخر بالمطر الذي فيه ظلمات ورعد وبرق
لان الله يضرب مثل الايمان والقران بالنار تارة وبالماء اخرى لان الماء فيه الحياة والرطوبة
والنار فيها الاشراق والحرارة وبهذا وهذا يحصل الايمان في القلب كما انه بذلك ينبت الزرع
في الارض والقلب مشبه بالارض قال الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه الاية ولهذا ذكر
المثلين في قوله انزل من السماء ماء الاية فهو سبحانه ذكر انه انزل الكتاب ليخرج الناس من
الظلمات الى النور وامر موسى باخراج قومه من الظلمات الى النور وان يذكرهم بايام الله
وقال ان في ذلك لايات لكل صبار شكور فان ايام الله الازمنة التي احدث فيها ما احدث
من الاية ولهذا قال ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة
الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون الاية والبلاء ان يبلوا الرب عز وجل عبده بالسراء والضراء
ليختبره ويمتحنه كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال ونبلوكم بالشر والخير
فتنة فهذا البلاء العظيم تضمن بلواهم بالسراء اولا وبالضراء ثانيا
وذلك يستوجب الصبر والشكر كما قال ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وقد
قال سليمان هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر الاية هذا بعد ان ذكر قوله
رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا
ترضاه الاية فلما راى عرش بلقيس مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني
ءاشكر ام اكفر الاية وقال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول رب
اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانني فاخبر ان ذلك
ليس اكراما ولا اهانة وانما ابتلاه ليعلم المؤمن الصبور والشكور من غيره كما قال
تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم وقال تعالى هو الذي
خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وذكر تعالى قول موسى واذ تاذن ربكم
لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فبين ان الكفر ضد الشكر

فاريد ان احدث للنعمة شكرا وللذنب استغفارا فقال الحسن انت عندي افقه من
الحسن وذلك ان الخير كله من الله كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وقال تعالى ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم الى قوله فضلا من الله ونعمة وقال يمنون عليك ان اسلموا
الاية وقال تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم والذين انعم الله عليهم
هم المذكورون في قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين الاية فالخير كله والنعم كلها من نعم الدنيا ونعم الدين
من الايمان والعمل الصالح وثواب ذلك كله من نعم الله ومنه على عبده **فصل**
واما الشر فليس هو الا الذنوب وعقوباتها ولهذا كان في خطبة الحاجة المشهورة
الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا
فاستعاذ من شر النفوس ومن سيئات الاعمال وهي عقوبات الاعمال او السيئات
من الاعمال الاول كقول الملائكة وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته **والمقصود** ان كلما سوى الذنوب وعقوباتها فهو نعمة فان المصائب اذا
اقترن بها طاعة الله كانت نعمة من اعظم النعم كما في الحديث الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له
ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له فاذا
كان العبد صبارا شكورا فجميع ما يصيبه خير له والخير هو النعمة فالضراء مع الصبر نعمة
كما ان السراء مع الشكر نعمة وذلك خير للعبد والذنب اذا حصل منه توبة نصوح كان
المجموع من اعظم نعم الله على العبد فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وهو
سبحانه اشد فرحا بتوبة عبده من الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في
ارض مهلكة اذا وجدها بعد الياس فالله اشد فرحا بتوبة عبده من فرح
هذا براحلته **وقد** قال طائفة من السلف كسعيد بن جبير ان العبد ليفعل
الحسنة فيدخل بها النار ويفعل الذنب فيدخل به الجنة يفعل الحسنة فيعجب بها
فلا يزال اعجابه حتى يهلكه ويفعل الذنوب فيتوب منها ويخشع ويخاف فلا يزال
خوفه وخشوعه حتى يدخله الجنة ولهذه الحكمة ابتلي بالذنب من ابتلي من كبار
عباد الله حتى قال بعض الناس لو لم تكن التوبة احب الاشياء اليه ما ابتلي
بالذنب اكرم الخلق عليه وحينئذ فالمذنب التائب الذي يبوء بنعمته ويبوء
بذنبه يحمده حمدا مطلقا على كل موجود من ذنوبه وغيرها وايضا فمن
شهد ابتلاءه بالذنب فحمد الله على خلقه مسلما لحكمته مع اعترافه بظلم نفسه واحتياجه

بنفع

ذكر معنى سيئات اعمالنا

ثبت صح

وليس ذلك الا للمؤمن صح

فرح صح

لرحمة ربه عز وجل **فصل** واما الطاعات فهو محمود عليها حمد مدح
وحمد شكر وهو ظاهر مستقيم على مذهب اهل السنة الذين يقولون ان الله
خلقه مسلما مصليا وهو الذي حبب اليه الايمان وزينه في قلبه وكره اليه الكفر
والفسوق والعصيان واهل السنة يقولون الحمد لله كله ويقولون اللام
في الحمد للاستغراق الجنس فان الحمد لله كله وكل محمود غيره فالحمد لله على حمده
وعلى ما حمد به وايضا فالحمد لله من وجهين من وجه انه المحمود ومن وجه
انه المستحق الحمد المحمود فلا محمود الا من حمده هو كما قال بعض الاعراب للنبي صلى الله
عليه وسلم ان حمدي زين وذمي شين قال ذاك الله فالمحمود من حمده الله
والمذموم من ذمه الله فهو الذي يستحق ان يحمد ويذم وبهذا الوجه
فلان يحمد وله ان يذم اي له حمد المحمود وذم المذموم حمد المؤمن وذم الكافر
كما ان له الثواب والعقاب والواجب ما يذم تاركه شرعا والمحرم ما يذم
فاعله وهو الذي يذم تارك الواجب وفاعل المحرم كما انه هو الذي يثيب هذا
ويعاقب هذا **فصل** واما ما يحدثه من المصائب
اما بغير فعل الخلق كالامراض واما بفعلهم كايذاء الانسان وظلمه باليد واللسان
فانه سبحانه محمود عليه مشكور حمد المدح وحمد الشكر اما حمد المدح فانه محمود
على كل ما خلق اذ هو رب العالمين والحمد لله رب العالمين واما حمد الشكر فلان
هذه نعمة في حق المؤمن اذا وفق للصبر عليها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقضي
الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان
اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا
له وهي نفسها تكفر خطاياه ويوجر على الصبر عليها ففيها له مغفرة من جهة
ما تكفره من الخطايا وله فيها رحمة من جهة ما يوجر على الصبر عليها ففيها
لا سيما اذا اقترن بها توبة وانابة الى الله وتوكل عليه وتوحيد له واخلاص
للدين له فانها تكون من اعظم النعم ومصيبة تقبل بك على الله خير لك
من نعمة تنسيك ذكر الله وقد قال بعض السلف يا ابن ادم لقد بورك لك في
حاجة اكثرت فيها قرع باب سيدك وفي الحديث اذا قالوا للمريض
اللهم ارحمه يقول الله كيف ارحمه من شيء به ارحمه وفي الاثر يا ابن ادم البلاء
يجمع بيني وبينك والعافية تجمع بينك وبين نفسك وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم

ولا اذى

الا كفر بها

ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله من خطاياه **فصل** واما ما يحدثه
من الكفر والفسوق والعصيان فهو ايضا محمود عليه حمد المدح وحمد الشكر اما
حمد المدح فعام واما حمد الشكر فلان هذه الحوادث نعمة في حق المومن لانه
مامور بانكارها اذا وقعت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان
رواه مسلم وغيره وما مور ان يجاهد فيها بحسب الامكان فاذا حصل
له ثواب المجاهدين فيحمد الله على ما وفقه له من انكارها والجهاد عليها وعلى
انه خلق ما يكون سببا للجهاد الذي يثاب العبد عليه فان كان ذلك الكفر
والفسوق والعصيان فيه ضرر على الانسان اما في دينه او دنياه **اما**
في دينه فمثل ان يكون ذلك مما يفتنه في قلبه او يمنعه ان يقوم بواجب دينه
او مستحبه فيجلب له في دينه ذنبا وترك حسنة فهذا يكون حينئذ ما حصل
له من باب الذنوب التي يجب عليه ان يتوب منها ويستعين الله على فعل
ما امر وترك ما حظر كما اذا حصلت له الاسباب الداعية الى الفواحش والظلم
وغير ذلك فان عصمه الله واعانه ووفقه لطاعته في ذلك كان ذلك نعمة والا كان
ما اصابه من نفسه كما تقدم من الذنوب وعقوباتها وهذه الحال حال المحنة لا
يثبت كونها نعمة وليست نعمة الا باعتبار العاقبة فان وفق فيها لما يحبه
الله ويرضاه فهي نعمة وان عمل فيها بمعصية كان حكمه حكم امثاله
واما الضرر في دنياه مثل ان يجرح المجاهد ويوخذ ماله او مثل ان يضرب
او يشتم ونحو ذلك فهذا يكفر الله بهذه المصيبة خطاياه ويوجر على هذه
المصايب اثيب عليه بخلاف المصائب التي لم تتولد عن عمله قال تعالى ذلك بانهم
لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار
ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح فاخبر تعالى انه يكتب
لهم عمل صالح بما يصيبهم من الظما والجوع والتعب الذي يحصل بدون ذلك فلا
يثاب الا على الصبر عليه فانه ليس من عمله ولا تولد عن عمل صالح لكن هو
من المصايب التي يكفر الله بها خطاياه وهذا هو الفرق بين المصايب
التي يثاب عليها والمصايب التي لا يثاب عليها فان بعض الناس يظن انه
يثاب على كل مصيبة فان من العلما من يطلق القول بان المصايب لا
يثاب عليها وانما يثاب على الصبر عليها لان الثواب انما يكون على فعل العبد

السؤال الثاني

لانها حصلت بسبب جهاده فهي مما يتولد عن عمله وما يتولد عن عمله الصالح صح

بسبب الجهاد في سبيل الله عز وجل واما الجوع والعطش والتعب الذي يحصل

لا على فعل الله فيه وهكذا روي حديث ابي عبيدة بن الجراح لما عاده وقال لو لك اجر
فقال ليس لي من الاجر مثل هذه ولكن المرض حطه يحط الله به الخطايا **وفصل**
الخطاب ان المصايب ان تولدت عن عمل صالح كما تتولد عن الجهاد
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا يثاب عليه فان الانسان يثيبه
الله على عمله وعلى ما يتولد عن عمله اذا اقدم على احتماله فان المجاهد قد اقدم
على الجهاد وهو يعلم انه يؤذى في الله عز وجل وقد قال صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصايم
اطيب عند الله من ريح المسك والخلوف يتولد عن صومه بغير اختياره
وقال صلى الله عليه وسلم ما من كلم يكلم في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله الا
جاء يوم القيمة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك
والدم الذي يخرج من جرح المريض ليس هكذا ولا الخلوف الذي يحصل بجوع الاضطرار
ليس هكذا ولهذا رتب الله الجزا على الاذى في سبيله فقال فالذين
هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي الاية فجعل كونهم اوذوا
في سبيله مقرونا بكونهم هاجروا وكذلك كونهم اخرجوا فالاخراج والاذى
فعل الكافرين بهم فاثابهم الله على ذلك لان ذلك حصل بسبب ايمانهم الذي
كان باختيارهم فمن فعل فعلا صالحا باختياره واوذي عليه واحتسب
ذلك الاذى كان ذلك الاذى من عمله الصالح الذي يثاب عليه كالصايم
اذا احتسب جوعه وعطشه والقايم بالليل اذا احتسب تعبه وسهره فان
الاذى الذي يحصل باختيارك في طاعة الله انت جلبته على نفسك باختيارك
طاعة الله فليس هو كمن اوذي بغير اختياره فان ذلك مصيبة محضة
ولكن هي حق له على الظالم واما الذي حصل له اذى باختياره فان كان من
الله كالجوع والعطش فهذا اجره فيه على الله وان كان من عدوه
كشتمه وضربه واخراجه من داره واخذ ماله ولعنه وسبه وكذبه عليه
ونحو ذلك فهذا النوع اعظم الاذى اجرا فان هذا من الله وفي سبيل الله
وفيه حق الله والادمي اما حق الله فلكونهم فعلوا ذلك بسبب طاعته فان هذا
فعل من يصد عن طاعة الله ويامر بمعصية الله واما حق الادمي فلكونه
اوذي بغير حق كما قال تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم
لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله وهذا اعظم

ما يوجر على

ما يوجر عليه المؤمن من المصايب وهي من اعظم النعم في حقه اذا رزق الصبر والشكر فان شكر
مثل هذه يتوقف على كونه يعرف الايمان ويعرف انه نعمة ويعرف ان الامر
وجهاد مخالفه نعمة ويعرف ان اذاه في ذلك نعمة ومعرفة هذه النعم والعمل بها
انما هو لخواص العباد فان كثيرا من الناس لا يعرف النعمة الا ما يتلذذ
به من دنياه كما قال بعض السلف من لم يعرف نعمة الله الا في مطعمه ومشربه
فقد قل علمه وحضر عذابه وهؤلاء فمنهم من يرى النعمة في بدنه فقط كالاكل
والشرب والنكاح ومنهم من يرى النعمة في الرياسة والجاه ونفاذ الامر والنهي و
قهر الاعدا ومنهم من يرى النعمة في جمع الاموال والقناطير المقنطرة وهؤلاء
من جنس الكفار بل الكفار يرون هذه نعما ويعلمون ان الله انعم بها واعلى من
هؤلاء من يرى النعمة في الايمان والعمل الصالح لكن لا يرى الامر بذلك والجهاد
عليه نعمة بل يرى هذا فيه من المضار ما يوجب تركه والذين يرون هذا نعمة
منهم من لا يراه نعمة الا مع الغنيمة والسلامة فمتى كان غالبا لعدوه غانما
لماله عد ذلك نعمة وان جرح او قتل بعض اولاده او اخذ ماله عد ذلك مصيبة
لا نعمة وهكذا في جهاد الكفار والمنافقين فمن الناس من لا يعد جهاده
نعمة الا اذا كانت الكلمة مطاعة والخصم مقهورا فمن اوذي او هضم حقه
او ضرب او حبس او كذب عليه عند الايمة او الامة وقيل هذا فاجر او جاهل
لم يكن هذا نعمة عند هؤلاء لان هذا مما يؤلم النفس وحجة هؤلاء كلهم ان
النعمة ما يتنعم بها العبد وهذه الامور مؤلمة للنفوس فلا تكون من
النعم بل من المصايب ولا ريب انها من المصايب باعتبار ما يحصل من
الالم ولهذا امر بالصبر عليها لكن لا منافاة بين كون الشي مصيبة
باعتبار ونعمة باعتبار فباعتبار ما يحصل به من الاذى هو مصيبة وباعتبار
ما يحصل به من الرحمة نعمة وهذا لانه اذا قيل ان هذا يكفر بها الخطايا ويوجر
عليها ويوجر على الصبر عليها كانت النعمة هذه الامور التي تحصل عن هذه
فيكون هذا بمنزلة شرب المريض الدوا الكريه وهو مصيبة باعتبار
مرارته وهو نعمة باعتبار ازالته للمرض الذي هو اشد ضررا فيه وادنى الضررين
اذا ازال اعظمهما كان نعمة لا سيما اذا حصل مع ذلك خير اخر وهذا كما ان
النعمة التي تستعمل في المعصية هي في الحقيقة ليست نعمة فمن استعمل النعم في المعاصي
كانت شرا في حقه لانها جرته الى العذاب الذي هو اعظم من تلك اللذة كمن اكل

وتقرير

عسلا فيه سم فان ضرر السم اعظم من حلاوة العسل وتحرير هذا يحتاج
الى اصول الاول منها ان نقول ان الله تعالى قد مدح الصبار الشكور
فمدح المتصف بالامرين جميعا والشكر واجب بالكتاب والسنة والاجماع وكذلك
الصبر على فعل الطاعات وترك المعاصي وعلى المصائب واجب بالكتاب
والسنة والاجماع وقد ذكر الله تعالى الصبر قريبا من مائة موضع من القران
وذكر الشكر ايضا في مواضع كثيرة جدا كقوله ان اشكر لي ولوالديك
في غير موضع وقال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال
عن الشيطان ولا تجد اكثرهم شاكرين واثنى على نوح بانه كان عبدا شكورا
وعلى ابراهيم بانه شاكرا لانعمه وقال عن موسى واذ تاذن ربكم لئن شكرتم
لازيدنكم الاية وقال سليمان ولقمان ومن شكر فانما يشكر لنفسه وامر
بذكر نعمه في غير موضع من القران كقوله اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه
الذي واثقكم به واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم وامر بني اسرائيل بذكر
نعمه مثل قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي
اوف بعهدكم الاية وايضا فانه ذكر ان ضد الشكر الكفر والكفر اكبر الكبائر وهذا
يقتضي ان الشكر الايمان فمن لم يشكر فهو كافر وهكذا ان لم يكن
عنده شيء من الشكر فهو كافر الاصل الثاني ان يعرف الانسان ان الايمان
والعمل الصالح من نعم الله عليه بل ذلك اجل نعم الله عليه وانما حصل ذلك بسبب ارسال
الرسل وانزال الكتب ونقل الامة ذلك فما كل احد يعرف هذا وانما يشهد ما في
الايمان من نعمة الدنيا كجاهه وماله فهذا لم يشكر على الايمان بل على دنيا حصلت
بالايمان قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله
وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
اليس الله باعلم بالشاكرين فاولئك المستضعفون عرفوا قدر النعمة بالايمان و
القران واما اولئك الملأ فكان ذلك عندهم ضررا وشرا يبغضونه ولا
يحبونه فكيف يتصور ان يشكروا على ما هو عندهم من المكروهات المذمومات
التي لا يدخل فيها الا جاهل ضال ولهذا قال الله المهتدي الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هم الاحزاب من قريش بني عبد مناف

وبني مخزوم

وبني مخزوم والاية تتناول هؤلاء وغيرهم من الذين بدلوا نعمة الله وهي محمد والقران كفرا
فجعلوا هذه النعمة التي هي من اعظم النعم مصيبة على من دخل فيها اعظم المصائب
وكان شر الناس عندهم من تابع محمدا صلى الله عليه وسلم يسعون في قتله وحبسه
او نفيه وهجره او منعه ما يحتاج اليه يمنعون نفعه بكل طريق ويوصلون
اليه الضرر بكل طريق لظنهم انه دخل فيما يضرهم ولا ينفعهم اما بجهلهم
بقدر ما جاء به الرسول واما بجحودهم وعنادهم حسدا وبغيا وكبرا فراوا ان
في متابعته الرسول زوال رياستهم التي هي احب الاشياء اليهم وراوا ان ترك
ذلك المحبوب هو مفارقة النعمة لا الدخول فيها وقد قدمنا ان الشاكر
هو في النور وان كافر النعمة في الظلمة **الاصل الثالث** ان تعرف ان
الثبات على العلم والايمان عند وقوع الفتن والشبهات هو من
اعظم النعم فان من الناس من يؤمن في العافية ثم اذا فتن ارتد فينبغي
ان يعلم ان ثباته على الايمان عند الفتنة والشبهة من اعظم النعم قال الله
تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم الى قوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة
نؤته منها وسنجزي الشاكرين وهم الذين يثبتون على الايمان اذا انقلب على عقبه
من ينقلب عند قتل الرسل وموتهم قال تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن
الله الى قوله الشاكرين فذكر الشاكرين في هذه الاية والتي قبلها ثم قال تعالى
وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما
ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين فذكر الصابرين ثم قال وما كان
قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الى قوله والله يحب المحسنين والربيون
الالوف الكثيرة وفي الاية قولان قيل وكاين من نبي قتل هو وكان معه
ربيون كثير وقيل وكاين من نبي قتل وقتل معه النبي ربيون كثير والقول الاول
يناسب كون النبي مقتولا لقوله افاين مات او قتل والثاني يدل على ظاهر
اللفظ فان المشهور لو اريد الاول لقيل معه ربيون كثير فانكر على من
انقلب على عقبيه عند قتل النبي او موته فالله تعالى ذكر الشاكرين الذين
يثبتون على الايمان عند الفتن العظيمة مثل قتل النبي وموته فان هذا من اعظم الفتن ولهذا لما قيل يوم

متابعته صح

لعله كذا قاتل وقيل

احد

قتل محمد انهزم اكثر الناس ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم ارتد اكثر الناس وفي الحديث
ثلاث من نجا منهن فقد نجا موتي وقتل خليفة مضطهد بغير حق والدجال
فموت النبي صلى الله عليه وسلم كان من اعظم الفتن للناس فانه ارتد عامة الناس
الا المدينة ومكة والطايف اما المدينة فهي دار المهاجرين والانصار وهم وان
لم يرتدوا لكن ضعفت قلوبهم وتغيرت احوالهم وجبن اكثر عن قتال
المرتدين وشكوا في قتال مانعي الزكاة حتى قام الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعلمهم ما جهلوا وذكرهم ما نسوا وقوا قلوبهم وامرهم بالجهاد فثبت الله عز وجل
به الايمان حتى ادخل الردة من الباب الذي خرجوا منه واما اهل مكة فاراد
من اراد منهم ان يرتد فقام فيهم سهيل بن عمرو خطيبا بنحو من خطبة ابي بكر الصديق
بالمدينة قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله
حي لا يموت ثم تلى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين والشاكرون
هو وتباعه الذين ثبتوا على الايمان المجاهدون عليه الى يوم القيمة كما قال تعالى فسوف
يات الله بقوم يحبهم ويحبونه الاية وهؤلاء هم الذين قاتل بهم الصديق المرتدين
من الكفار كاهل اليمن مثل ابي موسى الاشعري وقومه الاشعريين الذين قال فيهم النبي
صلى الله عليه وسلم هم مني وانا منهم واما اهل الطائف فاراد من اراد منهم
الردة فقام فيهم عثمان بن ابي العاص وهو امامهم واميرهم فنهاهم عن ذلك فقال كنتم
اخر الناس اسلاما وتكونون اولهم ردة اثبتوا فان اقام الله الاسلام كنتم على دينكم
والا لم تكونوا من اعداء الاسلام او نحو هذا الكلام وبهذا ظهر لك
بعض ما وصف الله به نوحا وابراهيم من الشكر قال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه
كان عبدا شكورا مع انه مكث في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى
التوحيد ويصبر منهم على الاذى فكان من اعظم الناس شكرا على نعمة الله لا
سيما نعمة الايمان وكذلك الخليل قال تعالى فيه ان ابراهيم كان امة قانتا لله
حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه الاية وقال تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون الاصل
الرابع ان تعلم ان المصايب نعمة وذلك لانها مكفرات للذنوب ولانها تدعوه
الى الصبر فيثاب عليها ولانها تقتضي الانابة الى الله والذل له والاعراض عن الخلق

اهل صح

الى غير ذلك

انه لا غير ذكر من للصالح العظيمة وكل الخير بها نوعان احدهما يحصل بكفها والثاني
يحصل بما يفعله المؤمن معها من العمل الصالح اما الاول ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا
كفر الله بها من خطاياه وفي المسند وغيره انه لما نزلت هذه الآية من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر يا رسول
قد جاءت قاصمة وانا لم يعمل سوءا قال يا ابا بكر الست تنصب الست تحزن الست يصيبك البلاء فذاك
مما تجزون به وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيئها
الرياح تقيمها تارة وتميلها اخرى ومثل المنافق مثل شجرة الارز لا تزال قائمة على اصلها
حتى يكون انجعافها مرة واحدة وفي مسند والترمذي وغيرهما انه قيل يا رسول الله اي الناس
اشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان
في دينه صلابة زيد في بلائه وان كان في دينه رخاوة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن
حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة وفي الحديث من يرد الله به خيرا يصب منه وفي
الحديث ان ابن مسعود قال للنبي صلى الله عليه وسلم انك توعك وعكا شديدا قال اجل اوعك كما
يوعك رجلان منكم لان له في الاجر مرتين فهذه النصوص وامثالها تبين ان نفس
البلاء يكفر به الخطايا ومعلوم ان هذا من اعظم النعم ولو كان الرجل مما تجن الناس
فانه لا بد ان يخفف الله عذابه بمصايبه وهذا لو قدر كافرا فاذا كان الكافر
سواء في الكفر وابتلى احدهما في الدنيا بمصايب كان عقابه في الاخرة دون عقوبة
الذي لم يعاقب في الدنيا مثل وزوجه فانه من اشد الناس عذابا في الاخرة اذا كان
لم يبتل في الدنيا فالمصايب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق اللهم الا ان يدخل معها
بسببها في معاص اعظم مما كان قبل ذلك فتكون شرا عليه من جهة ما اصابه في
دينه فان من الناس من اذا ابتلي بفقر او مرض او جوع حصل له من الجزع والسخط
والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات
ما يوجب له ضررا في دينه بحسب ذلك وهذا كانت العافية خيرا له من جهة
ما اورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة كما ان من اوجبت له المصيبة صبرا وطاعة
كانت في حقه نعمة دينية فمتى بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق والله يحق ويفعلها
فان اقترن بها طاعة كان ذلك نعمة ثانية على صاحبها وان اقترن بها معها
معصية كان ذلك من نفس صاحبها وكان ذلك بتحقيقا لما قدمناه ان ما يشاء
الا لذنوب وعفو بها واما الخير الذي يحصل للمؤمن بالمصيبة فهذا مما تنوع

في احوال الناس كما تتنوع احوالهم في العافيه وقد قال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الايه وقال والصابرين في البأساء
والضراء وحين البأس وقال ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات الايتين فقد انكر سبحانه على من حسب انهم يدخلون الجنه بدون الابتلاء بالبأساء
وهي الفقر في الاموال والضراء وهي المرض في الابدان وحين البأس والزلزال وهو الخوف من الاعداء
قال تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فجعل الصبر في هذه المواطن الثلاثه من تمام
البر والتقوى الذي به تتم الايمان لقوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
الايه وكذلك قوله تعالى في الايه الاخرى وبشر الصابرين فالبشرى وقعت للصابرين فمن ابتلي
فرزق الصبر كان الصبر نعمة عليه في دينه وحصل له بعد ما كفر من خطاياه رحمه وحصل
بثنايه عليه به صلاة ربه عليه حيث قال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه فحصل له غفران
السيئات ورفع الدرجات وهذا من اعظم النعم فالصبر واجب على كل مصاب فمن قام بالصبر
الواجب حصل له ذلك واما الرضى فمستحب في اصح القولين فمن قام به كان ممن رضي
الله عنهم ورضوا عنه وقد قال عبد الواحد بن زيد الرضى جنة الدنيا وباب الله الاعظم
ومن الواجبات التي تحصل بالمصيبه التوبه فان الله يبتلي العبد بعذاب الدنيا ليتوب
من ذنوبه قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون
وقال تعالى وما اصابكم من مصيبه فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقال تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال تعالى فما وهنوا لما
اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين فمن رزق التوبه
بسبب المصيبه كان ذلك من اعظم نعم الله عليه وايضا فمنها الخير الذي يحصل بها دعاء الله
والتضرع اليه كما قال تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم
يتضرعون الى قوله وهم لا يعلمون وقال تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون ودعاء الله والتضرع اليه من اعظم النعم فهذه النعم والتي قبلها من اعظم
صلاح الدين فان صلاح الدين في ان يعبد الله ويتوكل عليه ولا يدعى مع الله الها اخر
لا دعاء عبادة ولا دعاء مسئلة فاذا حصلت تلك التوبه التي مضمونها ان تعبد الله وحده
وتطيع رسله بفعل المامور وترك المحظور كنت ممن يعبد الله واذا حصل لك الدعاء الذي هو
سؤال الله حاجتك فسأله ما تنتفع به وتستعيذه مما تستضر به كان هذا من
اعظم نعم الله عليك كثيرا بحصول المصايب اما الاول فان المصيبه يرق معها القلب ويخشع

الى قوله

ونزل

وتذل النفس فتنقاد لفعل المأمور وترك المحظور وما يمنع حصول الرياسة والمال والعافية في النفس والاهل
فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى والنفس حينئذ لا تستجيب لفعل المأمور وترك المحظور بل تتعدى
الحدود وتنتهك المحارم وتضيع الواجبات الباطنة والظاهرة من الاخلاص والتوكل والصبر والشكر
وحقوق عباده ويحصل لها من الاستكبار والخيلاء والاعجاب والرياء ما هو من امراض القلوب وأما
الثاني فلان المصيبة توجب قطع تعلق قلبه بالمخلوق اذا ايس منها بالمخلوق كالمرض الذي
اعيا الاطباء والفقر الذي لم يرحموه احد بزيله والخوف الذي ليس فيه نصر المخلوق والنفع بطلب
جلب المنفعة ودفع المضرة من حيث يرجو ذلك كان توجه وخيالا فضلا بغلب عليها الشرك
اولا بتعلق مرتجوه لجلب المنفعة وتحصيل الرزق اولدفع المضرة كقهر العدو ومثل الاخوان والاصدقا
ومثل الارباب والجيران ومثل الملوك والولاة والقضاة ومثل المشايخ والحلما ومثل بعض
الصالحين والانبياء اذا ايست من الخلق اقبلت على الله فوعيت الله محاصة له الدين قال الله
واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الاية فمن الخير الذي يحصل بالمصائب اذا
حصل له التوبة والانابة الى الله والاستكانة له والتضرع فذاق طعم الايمان ووجد
حلاوة حسب السرور بسببه فعظم ايمانه علما وعملا وذاق من حلاوة ذكر ولذته ما لم
يكن ذاقه قبل ذلك لان هوى النفس وعادتها الفاسدة كانت حجابا له عن ذوق طعم
الايمان ووجد حلاوته فلما حصل البلا ازال الهوى النفس فارتفع الحجاب وذاق العبد حلاوة
الايمان مثل رجل كان يدعى الى انواع من المآكل الطيبة والصور الجميلة فلا يجيب الى ذلك
اشتغالا بما اعتاده في بلده من المآكل الرديه والمناكح الرديه فاسره عدوه او حبسه
فجعل يطعمه في سجنه من تلك المآكل الطيبة وانكحه من تلك المناكح التي كانت في بلده
وكان ينكرها اولا فذاق ما لم يكن ذاقه فلما اخرجوه من السجن واطلع من
الاسراقام عندهم في بلدهم ولم يرجع الى بلده لما وجده من الطيب الذي لم يكن
ذاقه لاسيما اذا كان دينهم خيرا من دينه فذاق حلاوة الدين والدنيا كما يحصل
لكثير من التتر اذا اسرهم المسلمون واسترقوهم ثم تقلهم الى عسكر المسلمين فذاقوا من
الرق والاسر حلاوة الدين والدنيا مالم يكونوا يذوقونه في اوطانهم فهم احرار طلقا
والمرض سجن الله وكذلك المصائب اذا ارتق العبد فيها الانابة حصل له من ذوق
طعم الايمان ووجود حلاوته ما لم يكن ذاقه لاسيما اذا حصل مع ذلك نعيم في
بدنه ومسكنه فيكون قد جمع نعيم الدين والدنيا هذا مع نعمة حاضرة محسوسة
فعليه ان يشكر الله سبحانه وان كان مأمورا بالصبر فان العبد في الحال الواحدة
مأمور بالصبر والشكر فيصبر لما يجده من المرض ويشكر لما يراه من النعم الظاهرة عليه فعليه

ان يصبر فيها على اداء الواجبات وترك المحرمات فان النعم الظاهرة من المال والعافية والانتصار
على العدو يبسط هوى النفس فيحصل لها العدوان والطغيان والظلم والفواحش والاعراض
عما يجب عليها لله في حقيقة العبودية والاخلاص له والتوكل عليه والخوف منه والانابة اليه
ما هو من اعظم الضرر في حقها فان لم يصبر في السراء والا هلك والصبر في السراء اعظم
الصبرين كما قال عبد الرحمن بن عوف ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر
وقال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن ولا يصبر على العافية الا كل صديق واذا
ابتلي بمصيبة ظاهرة فعليه الشكر كما قد بسطنا الكلام فيه وهو اعظم الشكرين والشكر
في الضراء واجب واما الشكر في السراء والصبر في الضراء فوجوبه ظاهر لعموم الناس
والمقصود انه لا بد من الشكر والصبر في كل حال وهذا يكون على وجهين احدهما
انه في الحال الواحدة يبتلى بنعمة توجب شكرا ومحنة توجب صبرا والعبد في كل حال
هو في نعم الله التي توجب الشكر وهو محتاج الى الصبر على فعل المامور مع مخالفة
هواه وترك المحظور مع مخالفة هواه والصبر على المقدور مع جزع النفس وليس للعبد
حال الا وهو مامور فيها بفعل المامور وترك المحظور والصبر على المقدور وهذه الثلاثة
فرض على كل احد محتاج اليها في كل وقت ولا يكون العبد من المؤمنين المتقين
المتقين الا بها والناس يتفاضلون في هذا بحسب تفاضلهم فيها وبها يصير العبد من
اولياء الله المتقين وجنده المفلحين وحزبه الغالبين والثاني ان نفس الامر الواجب
يتضمن نعمة توجب شكرا ويتضمن الما يوجب صبرا فعليه ان يكون في ذلك الامر الواحد
صابرا شاكرا كالذي يشوب الدواء الكريه فعليه ان يصبر على مرارته ويشكر الله اذ يسر له
ما يزيل عنه مرضه والله تعالى محمود على كل حال وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اتاه الامر الذي يسر به قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذا اصابه الامر
الذي يكرهه قال الحمد لله على كل حال والجمع بين الصبر والشكر يحتاج الى كلام ابسط
من هذا والمقصود هنا التنبيه على نعم الله التي تحصل في المصائب وبيان
ما على العبد من الشكر في مصائبه الاصل الخامس ان المصيبة
التي تحصل بسبب العمل الصالح هي اعظم قدرا فانها من العمل الصالح الذي يثاب عليه
كجوع وعطش وكتعب المسافر في حج او جهاد او طلب علم او هجرة في سبيل الله
او تجارة يستعين بها على طاعة الله فانه ما يحصل له من تعب وجوع وعطش
وسهر وخوف وذهاب مال ونحو ذلك حاصل بفعله الاختياري الذي يفعله لله
مبتغيا به وجه الله فهذا مع ما يحصل له من تكفير السيئات يكتب له به عمل صالح

بخلاف

بخلاف المصيبة التي لم تحصل عن طاعة الله كما تقدم التنبيه على ذلك قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ
ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا
الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم قال ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم فالانفاق وقطع المسافة هي عملهم القايم
بذاتهم فقال فيه الا كتب لهم ولم يقل به عمل صالح فانه نفسه عمل صالح واما ما تقدم
فانه ليس هو عملهم القايم بذاتهم ولكن تولد بسببه وسبب غيره ولهذا تنازع
النظار في هذه الاعمال الحادثة بسبب فعل اختياري من العبد كالجوع والعطش
والتعب وخروج السهم من كبد القوس وقطع العنق وزهوق الروح عند تحريك اليد
بالسلاح كالسيف والسكين ونحو ذلك فقال من قال من القدرية والمعتزلة وغيرهم
ان هذا فعل للعبد وجعلوا افعال العباد قسمين مباشر ومتولد واحتجوا بانه
يثاب على ذلك ويعاقب عليه فقال لهم الجمهور قد يحصل الثواب والعقاب بما يحصل
عن فعله وان لم يكن من فعله بالاتفاق مثل من دعى الى هدى فان له من الاجر
مثل اجور من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن دعى الى ضلالة كان
عليه من الوزر مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا مع
ان هدى هؤلاء وضلال هؤلاء هو باختيارهم وهم يثابون عليه ويعاقبون
عليه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان
على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل مع ان قابيل عليه اثم قتل
نفسه وقال نفاة الاسباب والحكمة من مثبتة القدر بل هذه من افعال الله تعالى
التي ليس لقدرة العبد فيها تعلق بوجه من الوجوه قالوا لان قدرة العبد انما تؤثر
في محلها ومحل القدرة هو نفسه وبدنه فاما ما خرج عن ذلك فليس محلا لقدرته
فلا يكون محلا لتاثيرها ولهؤلاء كلام وتنازع في تاثير قدرة العبد ليس هذا
موضعه وهذا قول ابي الحسن ومن وافقه من المتكلمين والفقهاء كالقاضي
ابي بكر ونحوه والقاضي ابي يعلى وابي المعالي الجويني واتباعهما وحكي
عن بعض اهل الكلام انه قال هذا حادث لا فاعل له والصواب
مع قولنا ان الله خالق كل شيء خلافا للقدرية ان هذه الحوادث حاصلة عن فعل العبد
وعن الاسباب الاخر التي بها حصل ذلك ففعل العبد مشارك في حصولها

ليس مستقلا بحصولها فان الشبع انما يحصل مع بلع الاكل ومضغه مع ما في الطعام
من قوة التغذية وما في المعدة والبدن من القبول لذلك وهذا لا قدرة له عليه فاكله
مشارك في حصول الشبع لا فاعلا للشبع ولم يحصل الشبع بدون اكله وكذلك
هدى المهتدين وضلال الضالين حصل بسبب الدعاة وبسبب استجابة المدعو به وكلاهما
اثر في حصول الهدى والضلال وهذا بناء على ثبوت الاسباب في المخلوقات وان الله سبحانه
يخلق الاشيا بالاسباب وهذا مذهب السلف والائمة وساير انواع اهل العلم من
الفقها وغيرهم والعامة ولهذا قال تعالى في هذا النوع المتولد بسبب فعلهم
وغير فعلهم كتب لهم به عمل صالح فلم يجعله نفسه عملهم كما قالت القدرية ولم يجعله
اجنبيا عن عملهم كما قالت نفاة الاسباب المثبتة بل اخبر انه يكتب لهم به عمل صالح
لمعاونتهم عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في
اهله بخير فقد غزا ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم من فطر صايما
فله مثل اجره لانه اعان على ذلك فحصل الصوم بمال هذا وعمل هذا فاذا
عرف هذا فالانبيا الذين بلغوا الرسالة يحصل لهم بذلك ظما ونصب
واذى الخلق يكتب لهم بذلك عمل صالح لا يكون اذى الخلق مجرد مصيبة لهم
كمن اوذي بغير عمل صالح وكذلك من امر بمعروف ونهى عن منكر فضرب
او شتم او منع حقه فانه يكتب له من عمله الصالح الذي يوجر عليه وكذلك
المجاهد الذي جرح او قتل يكتب له جرحه وقتله من عمله الصالح وان
لم يكن ذلك من فعله بل بفعل العدو الكافر وليس هذا كمن قتل مظلوما
غير مجاهد فان ذلك قتل بغير عمل صالح ولهذا كان الاول اعظم
الشهدا فلا يغسل باتفاق الائمة كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لما اوتي بشهدا احد قال زملوهم بكلومهم ودمايهم فان احدهم ياتي
يوم القيمة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك وليس
هذا لكل مقتول ظلما فان هؤلاء لما اختاروا الجهاد في سبيل الله تعالى فالذين
هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن
عنهم سيئاتهم الاية فاخبر انه يكفر عنهم السيئات وانه يدخلهم الجنات ثوابا من عنده

علمه

قتلوا

والثواب

والثواب على العمل واطلق الثواب ولم يقل على بعض ما ذكر بل الثواب مطلق مع انه ذكر
مع هجرتهم التي هي حركة اختيارية كونهم اخرجوا من ديارهم فان ذلك اكراه لهم
على الخروج فهم اختاروا مفارقة الكفار ليقيموا دينهم ولكن الكفار بعداوتهم
اكرهوهم على هذه المهاجرة وان لم يقصدوا هم اخراجهم لكن عداوتهم الجاتهم
اليها ثم قال تعالى واوذوا في سبيلي وهذا من فعل غيرهم ثم قال وقاتلوا وهذا
فعلهم وقتلوا وهذا من فعل غيرهم وقال تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فوعده بالاجر العظيم على كلا التقديرين
وقال تعالى والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم وفيها قراتان مشهورتان
قتلوا وقاتلوا وايضا فالشهيد يثني عليه بالشهادة ومعظم الشهادة انما حصل
بفعل الكافر وهو قتله للشهيد فلو لم يكن للشهيد في كونه قتل عمل
يثاب عليه لكان قتله مصيبة من المصايب التي تكفر بها الخطايا
ولا يثاب عليها لكن على الصبر عليها مع انه بعد الموت لا يومر بصبره
وليس الامر كذلك لان الشهيد اقدم باختياره على القتال صابرا على الاهوال
محتسبا ذلك عند الله لتكون كلمة الله هي العليا ولهذا قيل يا رسول الله
ايفتن الشهيد في قبره فقال كفى ببريق السيف فتنة ولا بد ان يكون
ممن يختار القتل اذا وقع به لا يسخط ذلك ففعله لسببه الذي امر به حصل
له به عمل صالح وكذلك كلما يحصل من انواع المصايب بسبب طاعة الله
ورسوله في الدعوة الى الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد باللسان
واليد في سبيل الله عز وجل فالمصيبة الحاصلة بسبب ذلك في ذلك من نعم الله في
ساير المصايب وتمتاز هذه بانها من افضل اعماله الصالحة التي يثاب عليها
كما يثاب الشهيد على كونه يقتل وهذا الاصل يتناول كلما يوذى به العبد في سبيل الله
سواء كان جهادا او لم يكن وسواء كان الاذى بافعال العباد او لم يكن كالجوع
والنصب الحاصل في سفر الجهاد والحج وصوم الصايم فان هذا الاذى يشارك المصايب

من الله عز وجل

في كونه مصيبة ويمتاز عنها بكونه عمله به عمل صالح **السادس** ان الاعمال الصالحة
كلها من اعظم نعم الله على عبده المؤمن وهي مستوجبة لاعظم الشكر اذ هي منة
من الله كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وشهود هذا للقلب يدفع عنه العجب
والفخر ونحو ذلك مما يحصل باضافة ذلك الى النفس وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغ احد على احد
وقد قال تعالى ان الله لا يحب كل مختال فخور **والناس** في هذا المقام اربع طبقات
خير الناس اهل الايمان المحض الذين يشهدون نعم الله في الطاعة ويشهدون
ذنوبهم في المعصية كما في الحديث الصحيح الالهي يا عبادي انما هي اعمالكم
احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلومن الا نفسه **٢ وشر الناس** الذين يشهدون انفسهم فاعلة
للطاعات ويشهدون المعاصي انها من القدر فيضيفونها الى الله كما قال
بعض العلماء انت عندي الطاعة قدري وعند المعصية جبري اي مذهب وافق
هواك تمذهبت به والاولون اذا عملوا طاعة يمنون على الله عز وجل واحسنوا الى احد من
خلقه شكروا الذي اعانهم على ذلك وسيرهم لليسرى فلم يروا لهم امنا يمنون به
على الخلق ولا يدلون به على الخالق اذ كان ذلك من نعم الله عليهم وعلى الناس
واما الاخرون فهم ان فعلوا مع احد خيرا منوا به عليه واذوه ورؤيتهم العبد
عليه وظلموه واه فعلوا فاحشة قالوا الفناء في البحر مكتوب فاوقالها لك
ان يقبلوا انا يحتجون على ربهم بحجة داحضة عند ربهم تغلظ قلوبهم وتزيدهم
شرا من جنس احتجاج المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا
من شيء واعمل احدهم ما يكرهه الله يضيف ذلك الى الله وقد يكون عادلا في ذلك
بحق ولا يشهدون القدر في هذا الموضع مع ان ذكر القدر الذي ان كان ظلما
من الظالم ينفي النقص عن الفاعل الذي سلطه عليه ليس بظالم فكيف اذا كان هو عادلا فيهم طيبا لنشره
والرب عادل في خلقه وامره منزه عن الظلم كما في الحديث الصحيح الالهي

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فهذا الضرب لا هم مع قدر ولا شرع بل هم
مع هواهم يدورون من القدر والشرع ما وافق هواهم ويدعون ما خالف
هواهم وهو لا شرار الخلق ومن سلك طريقتهم فطرقها قادية الى الاسلاخ
من دين الاسلام بل الى ما هو شر من حال اليهود والنصارى **واما الطبقة ٣**
فهم الذين ينظرون الى الشرع لهم وعليهم ولا ينظرون الى القدر يتحرون
فعل الحسنات وترك السيئات لكن يضيفون هذا وهذا الى انفسهم ومن
اذا هم انتصفوا منه ولم يجعل اذكرهما ابتلاهم الله به وهذا مذهب
القدرية وكثير من الناس حاله حالهم وان لم يكن اعتقاده اعتقادهم
وهؤلاء مطيعون لله عز وجل في امتثال الامر لكنهم عاصون لله في ترك الايمان
بالقدر والصبر على ابتلاهم به فيفوتهم من طاعة الله اليق امرهم به من الايمان بالقدر
والصبر على اذى الخلق ما لا يعلمه الا الله تعالى ويقعون في انواع من الذنوب
والمعاصي بهذا السبب **واما الطبقة ٤** من ينظر الى القدر فيما
يفعله هو ويفعله غيره وهذا لو امكن طرده لكان مذهبا يقال وهو
دون مذهب القدرية لكنه لا يمكن طرده ولم يذهب الله طائفة من بني
آدم وانما هو في الارادات والاعمال من جنس السفسطة في الاعتقادات
والاقوال وهو امر يعرض لكثير من الناس بل الانسان في كثير من احواله
وليس هو مذهبا يصير عليه طائفة من بني آدم وذلك ان الانسان
مجبول على حب ما ينفعه وبغض ما يضره فما يمكن ان يستوي عنده
جميع الحوادث المقدرة حتى يكون الحسن والقبيح عنده سواء فان
هذا ممتنع عقلا وطبعا كما هو ممنوع عرفا وشرعا واذا كانت الاعمال
الصالحة من اعظم نعم الله فكلما كان العمل افضل كانت النعمة به اتم والجهاد
سنام العمل كما في حديث معاذ المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم رأس الامر
الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله

وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا

مطلقا الى معرفة ان كثيرا من الناس في هذا الامر حال هؤلاء المذمومين وان لم يعتقد اعتقادهم

والسهو والاعراض عنه هو سبب الخذلان

بلى

فيظن ان الجهاد هو الثلاثة وهذا ان كان محفوظا فالمراد به ان الجهاد يتضمن الثلاثة
فان المجاهد لابد ان يكون مسلما مقيما للصلاة فمع الجهاد تحصل له الثلاثة والا
فحقيقة الامر ما في الرواية المفصلة راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة
سنامه الجهاد قال الامام احمد لا يعدل الجهاد عندي شيء ونصوص الكتاب
والسنة تدل على انه افضل من غيره ولهذا قال الفقهاء انه افضل ما تطوع به
والتحقيق انه افضل من جميع الاعمال بعد الايمان بالله ورسوله فاذا كان فرض عين قدم على كل ما يزاحمه من فروض الاعيان يقدم على ايتاء الزكاة وعلى
الصيام وعلى الحج وعلى بر الوالدين وعلى طاعة السيد والاب وعلى قضاء الدين
ولهذا قال الفقهاء اذا حصر العدو بلدا وجب الجهاد على كل احد حتى
يغزو العبد بدون اذن سيده والولد بدون اذن والده والمراة بدون اذن زوجها
والغريم بدون اذن غريمه واما الصلوات الخمس فان امكن
الجمع بينها وبين الجهاد كما في صلاة الخوف في غير وقت القتال فلا مزاحمة
بينهما فيجب فعلهما جميعا فان الصلاة عمود الدين وهذا ذروة سنامه فلا
يقوم احدهما الا بالاخر وان ازدحما كما في وقت المسايفة ففيه ثلاثة
اقوال للفقهاء احدها انه يجمع بينهما فيصلي صلاة خفيفة مع قتاله وهذا
قول اكثرهم كمالك والشافعي واحمد في اشهر الروايتين عنه والثاني انه يخير
بين تقديم الصلاة وتاخيرها بحسب المصلحة وهذا هو الرواية الثانية
عن احمد وقول طائفة من الفقهاء واحتج هؤلاء بما ثبت في الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه لا يصلين احد العصر الا في
بني قريظة فادركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا
لم يرد منا تفويت الصلاة وبعضهم قال لا نصلي الا في بني قريظة فاخروها

حتى غربت

حتى غربت الشمس فبلغه ان صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدة من الطائفتين فهذا
هؤلاء هذا دليل على جواز تقديمها في الوقت وتاخيرها عنه عند الضرورة
والقول الثالث انه يؤخرها عند المسايفة الى ان تنقضي المسايفة ثم
يصليها ولو بعد الوقت كما هو مذهب ابي حنيفة واحتجوا بتاخير
النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الاحزاب فصلى العصر بعد
ما غربت الشمس وقال ملاء الله قبورهم وبيوتهم نارا كما شغلونا
عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس ومن نصر القول الاول قال
هذا منسوخ بقوله تعالى حافظوا على الصلوات الاية وان هذه الاية
نزلت بعد ذلك لما اخر صلاة العصر ولهذا قال عقيبها فان
خفتم فرجالا او ركبانا وبهذا يجيبون عن تاخير من اخرها الى
بني قريظة يقولون هذا قبل الفتح والامر بالمحافظة وقت الخوف
وطائفة من الفقهاء اجابوا عن هذا بجواب اخر وقالوا ان التاخير
كان باجتهادهم فلم يعنفهم لان المجتهد المخطئ لا اثم عليه وكذلك
يقول من قال كان فرضهم تاخيرها يقول لم يذم المقدمين لانهم
كانوا مجتهدين فحديث بني قريظة يجيب عنه اهل القول الاول بجوابين
واهل الثالث بجواب واحد واهل القول الثاني يجيبون عن حديث الخندق
بانه يدل على الجواز ونحن نقوله واما اهل القول الثالث فيحتجون
في جواز التاخير بخبر بني قريظة يقولون انما لم يذم المقدمين لانهم كانوا
مجتهدين مخطئين واهل القول الاول يقولون جواز التاخير منسوخ كما
دل عليه هذا الخبر والسنة ولهذا كان اكثر الفقهاء عليه وعلى كل قول
فصلاة الجهاد الواجب مامور به لا يجوز ان يفوت الجهاد المتعين لا صلاة ولا
غيرها بل امكان تخفف واما ان يؤخر ولهذا قال عمر اني لاجهز جيشي وانا
في الصلاة لان ذلك كان من باب الجهاد الواجب عليه فلم يكن ليدعه

الاشتغال بالصلاة كحال المصلي وقت المسايفة والخوف فانه لا يكون كحاله عند الامن
ولهذا قال تعالى فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون وقال في
الاية الاخرى فاذا اطمانتم فاقيموا الصلاة لاية فدل على ان الصلاة وقت الخوف
لم تكن مقامه على الوجه التام لانه زاحمها في هذه الحال ما هو اوجب من اقامتها
الكاملة فكان ترك اقامتها الكاملة في هذا الوقت للجهاد الذي هو اوجب هو
المامور به في هذه الحال وقد قال تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
الى قوله عز وجل ان الله عنده اجر عظيم وفي صحيح مسلم وغيره عن النعمان
بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر
الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر ابن الخطاب وقال لا ترفعوا
اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة
دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام الاية وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قيل له اي الاعمال افضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيل الله وفيهما
عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني
على عمل يعدل الجهاد قال لا اجده قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد
ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال من يستطيع
ذلك فقال ابو هريرة ان فرس المجاهد يستن في طوله فتكتب له حسنات
وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد
في سبيل الله كمثل القانت الصايم الذي لا يفتر من صلاة ولا
صيام حتى يرجعه الله الى اهله بما يرجعه من غنيمة او اجر او يتوفاه ليدخله الجنة
واذا كان الجهاد افضل الاعمال بعد الفرايض المتعينة وهو افضل الفرايض المتعينة بعد
الايمان كان نعمة الله عز وجل به اعظم فيستحق من الشكر ما لا يستحقه ما هو دونه من الاعمال

الا ان اسقي الحاج و
قال الاخر لا ابالي ان لا
اعمل عملا بعد الاسلام
صح

ثم الجهاد

ثم الجهاد وفي نفسه انواع فانه يتناول الجهاد بالمال والنفس والجهاد بالنفس قد يكون بالفعال
بالبدن وقد يكون بتدبير الحرب والراي وهو اعظم نفعا وقد يكون بتبليغ رسالة
الله تعالى واظهار حجته ودفع ما يعارضها وهو افضل الانواع الثلاثة وقد
يكون بالدعاء والتوجه اليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تنصرون
وترزقون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم هذا بقوى نارة
وبضعف اخرى كالجهاد بالبدن ولهذا كان ابو بكر رضي الله عنه افضل
المجاهدين لانه قام بهذا قياما لم يشركه في غيره بعد النبي صلى الله عليه وسلم
وكان مشاركا للنبي صلى الله عليه وسلم في النوع الاوسط شاركه
لم يشاركه فيها احد غيره بخلاف الثالث فانه كان يقوم به من
شبان الصحابة عدد كثير وهذا كذلك كان مقدما في الجهاد بالقلب
والدعاء واليد مقدما بالمال على كل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين **واذا كان** الجهاد انفع فمن قام بافضل انواعه او بكثير
من انواعه كان نعمة الله عليه اعظم من نعمته على من لم يعط ما اعطى
كما ان نعمة الله على ابي بكر في الجهاد اعظم من نعمته على عمر وعثمان
وعلي وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين

الاصل السابع ان الاذى في الجهاد هو افضل من الاذى في غيره
من الاعمال وهو معدود من افضل اعمال الصحابة الصالحة رضي الله
عنهم فاذا كان الجهاد اعظم قدرا كان الاذى الحاصل به افضل
قدرا من الاذى في غيره وكلما كان الجهاد اكثر كان افضل والاذى
فيه كلما كان اشد واكبر كان ذلك افضل وكان نعمة الله به اعظم
واكبر ولهذا كان حال نبينا صلى الله عليه وسلم افضل الاحوال ونعمة الله
عليه اكمل من نعمته على غيره كان جهاده من حين امر بتبليغ الرسالة

الى ان مات صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد فانه كان من قبل ان يفرض القتال امر بالجهاد باللسان كما قال تعالى فلا تطع
الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا والاية في سورة الفرقان وهي مكية باتفاق
العلما وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان ربي قال لي قم في قريش فانذرهم فقلت يا رب اذا يثلغوا راسي حتى
يدعوه خبزة فقال اني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا
لا يغسله الماء تقراه نايما ويقظانا فابعث جندا ابعث مثليهم وقاتل
بمن اطاعك من عصاك وانفق انفق عليك وهو صلى الله عليه وسلم
بلغ الرسالة وكان يوذى هو واصحابه وهو اذى على تبليغ الرسالة والايمان
بالله ورسوله وهذا افضل انواع الاذى على الاطلاق فان الجهاد
باليد تبع لهذا وكان اذاه انواعا متنوعة وكان ذلك افضل في حقه
وكان نعمة الله عليه بذلك اعظم ولكن هذه النعمة لا يذوق المنعم عليه
طعمها الا بعد ان يصبر وهكذا كل نعمة بمصيبة لا يوجد فيها
لذة يومر صاحبها بالصبر والنعمة قد تعلم ولا تذاق وقد
تذاق ~~ولا تعلم~~ والحمد لله على كل حال **فصل** واذا كان الانذار
لا بد فيه من شيئين الاعلام بالمخوف والاعلام بسبيل النجاة
منه فمعلوم ان الاول هو الوعيد وهو مستلزم للوعد والوعيد
الصريح او اللازم وهو التبشير والثاني هو الامر والنهي لان النجاة
من العذاب باداء الواجبات وترك المحرمات فصارت هذه
الاصول الاربعة الامر والنهي والوعد والوعيد لازمة لا بد منها
في الانذار الذي لا بد منه لبني آدم وبذلك بعث الله الرسل
جميعهم ولكن الامر والنهي لا بد للناس من معرفته مفصلا اذ
قد يحتاج الى العمل والعمل لا يكون الا مفصلا لكن انما يحتاج الى معرفة

مع ذلك

التفصيل

التفصيل فيما يجب عليه واما ما يجب مطلقا فيكفي فيه العلم المجمل ولكن
لابد ان يكون في الامة من يدعو الى الخير ويامر بالمعروف وينهى
عن المنكر كما اوجب الله ذلك وهذا لا يكون الا اذا علموا ما يدعون
اليه ويامرون به وينهون عنه مفصلا اذ المجمل لا يكفي عند
الحاجة الى الامتثال ولهذا اتفق العلماء على انه لا يجوز تاخير
البيان عن وقت الحاجة وانما تنازعوا في تاخيره من حين الخطاب
الى حين الحاجة واما العلم بالوعد والوعيد فقد يكفي
فيه المجمل فانه اذا علم ان هذا الفعل يكون سببا للعذاب
حصل ذلك فاما العلم بالوجوب والتحريم بدون الايمان بان المعصية تبرر
العذاب فلا يحصل النجاة وهذا الاصل هو من الايمان بالوعد والوعيد
كان الاول من الايمان بالامر والنهي ومتى صدق العبد بذلك خاف
عقوبة المعصية فان الحي مجبول على انه يخاف ما يجوز وجوده من الضرر
فاذا استشعر ان المعصية سبب للضرر خاف وهو يرجو مع ذلك السلامة
من الضرر اذا اطاع ولو لم يكن الرجاء مقرونا بما يجوز وجوده من النفع
واذا لم يقترن بالخوف رجاء لم يكن خوفا وانما هو يأس وقنوط ولا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون ولا يقنط من رحمة ربه الا الضالون ومتى
لم يقترن بالرجاء خوف لم يكن رجاء وانما هو امن ولا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون ولهذا كان الرجاء والخوف واجبين وهما موجب الوعد
والوعيد كما ان الطاعة والامتثال موجب الامر والنهي وهما متلازمان
فكل خائف راج كما ان كل امر ونهي فهو مستلزم للوعد والوعيد وكل
وعد ووعيد فهو مستلزم للامر والنهي فالمعرض عن الخشية والرجاء عاص
وقد يكون بعض ذلك ذنبا وقد يكون فسقا وقد يكون كفرا ولذلك
امر الله بهما واثنى على اهلهما وذم المعرضين عنهما فقال تعالى ادعوا ربكم

تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين فامر بدعايه وان يكون
الداعي خايفا طمعا وقال تعالى لما ذكر دعا زكريا له واصلاحه زوجه له قال
انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين
وقال تعالى تتجافا جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه
وقال عن الملايكة والنبيين كالمسيح وعزير اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه الاية وقال
ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
وقال الخليل والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقال للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وابتغاء
ذلك هو طلبه وهو الرجا في العمل فان الرجا قد يكون من باب المحبة والارادة
والطلب الذي يتبع اعتقاد جواز المحبوب والخوف من باب النفرة والكراهة
والبغض الذي يتبع اعتقاد جواز المحبوب وقوع المكروه ولهذا قيل
من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شي هرب منه اي من رجاه بقلبه طلبه
بنفسه ومن خافه بقلبه هرب منه وقد يكونان من باب
الاعتقاد والظن كما يقال اخاف ان لا يقبل وارجوا ان يتقبل مني وارجوا
ان لا يامره بهذا وارجوا ان لا يكون فلان مومنا واخاف ان يكون عدوا
وفي الجملة فالرجا يتضمن للتجويز في الاعتقاد الذي يكون ظنا
واقوى واضعف وللمحبة والبغض التابع لذلك الاعتقاد فهو مشتمل
على جنس الظن والارادة معا ولهذا قال الا امين البيت الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا وقال تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا
من الله ورضوانا وكذلك قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

لعله كذا وقوع

والخوف

وقوله

وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقوله تعالى وما لاحد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقوله منكم من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الاخرة وكذلك في القرآن من المسئلة والدعاء من
التوكل على الله والاستعانة به وكل ذلك متضمن الرجاء وعد ذم الله تعالى
من لا يرجو رحمة الله فقال ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه
انه ليؤس كفور وقال تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر
فيؤس قنوط وقال عن يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية وقال عن ابراهيم ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون لما قالت له الملائكة بشرناك بالحق فلا تكن
من القانطين وقال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء الآية وقال واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا الآيتين وكذلك ذم من
لا يخشاه وامر بخشيته دون خشية الخلق فقال الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم
واخشون وقال فلا تخافوهم وخافون وقال واياي فاتقون وقال انما ذلكم الشيطان
يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال اليوم يئس الذين
كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون وقوله اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله او اشد خشية وقوله لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله
وقال في البقرة يحكم بها النبيون الى قوله فلا تخشوا الناس واخشون
الآية وقال الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
وقال فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة وقال انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة وقال انما
تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم وقال انما

المرجع الذين قبلهم
كفوا ايديكم

يتذكر من يخشى وقال انما انت منذر من يخشيها وقال عن اهل الجنة انا كنا قبل
في اهلنا مشفقين وقال والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة الاية وقال وفي نسختها
هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقال ذلك يخوف الله به عباده وقال يخافون
ربهم من فوقهم الى قوله فاياي فارهبون وقال واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده الاية وقال من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب

فصل

الرجاء والخوف قد يتعلقان بما بعد الموت من النعيم والعذاب وقد
يتعلقان بما يكون في الدنيا من نعيم او عذاب وكذلك الوعد والوعيد يتعلقان
بما بعد الموت ويتعلقان بما في الدنيا ولهذا يجمع الله سبحانه بين قصص
الامم المتقدمين التي فيها عبرة من الخوف
والرجا ما يتعلق بالدنيا ويذكر ما في الاخرة من الثواب والعقاب كما فعل ذلك
في غير سورة فكل منهما قد يتعلق بفعل مثل ان يرجوا الثواب ويخاف العقاب
على حسناته وسيئاته وقد يكون متعلقا بغير فعله كما قال سبحانه هو
الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فقد قيل خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وكل
من الرجا والخوف لا يجوز تعليقه الا بالله وقد تقدمت ايات الخوف وكذلك
ايات الرجا مثل قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له
فان ابتغاء الرزق هو من الرجا وكذلك قوله اياك نعبد واياك
نستعين فان المستعين راجي وكذلك قوله تعالى فاعبده وتوكل عليه
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وعلى الله فليتوكل المومنون
فان التوكل رجا وزيادة وقال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وكذلك من انه لا
يدعى الا الله ولا يستعان الا به بينهما فرق من وجه اخر كما قال عليه السلام

لا يرجون

لا يرجون عبد الا ربه ولا يخاف من عبد الا ذنبه فان الرجا بفضل الله ورحمته وان
كان العبد قد فعل عملا صالحا فان العمل الصالح غايته ان يسبب للخير ولو اقام
الله سببا اكمل منه للخير لكن الواجب على العبد ان لا يرجو الا الله ولا
يتوكل الا عليه لا على الاسباب المخلوقة فانه سبحانه خالقها وخالق العمل الصالح
وسائر الاسباب ومع هذا فليس من الاسباب ما هو موجب لا محالة الا بمشيئة
الله تعالى فما شاء الله كان ومالم يشا لم يكن فما من سبب يلتفت اليه
العبد وهو يقف على شروط ويتخلف عنه لموانع فالعمل
الصالح قد يحبط وقد يكون له من الاسيئات ما يعارضه وقد يكون
في نفسه صالحا لكن العبد لم يتق الله فيه وسائر ما ينظر اليه في
امر الرزق والنصر والهدى كذلك فليس في الاسباب ما هو مستقل وهي
جميعها من الله وحده لا شريك له لا قيام لها الا بمشيئة الله وقدرته
فلا حول وهي الحركة والتحول من حال الى حال ولا قوة على
ذلك الحول الا به سواء في ذلك الحول والقوة الموجود في السما والارض
والادميين والملايكة والجن وسائر الدوابّ قال ادعوا الذين
زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض وما
لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له فليس لغير ملك ولا شرك في ملك فلا ملك
غير ولا شريك له هذان الصفان هما اللذان لهما ملك اما كامل
واما مشاع ومن ليس له ملك فاما ان يكون عونا للملك كالوكلاء
والوجراء والغلمان والجند والاولياء واما ان يكون سائلا طالبا منه لانه
اما ان ينفع الملك فيكون له عليه حق واما ان لا ينفع لكن يسأله فاخبر
سبحانه انه ليس له من المخلوقات ظهير **واما مسئلة** الشفاعة
فلم ينفها لكن اخبر انها لا تنفع الا لمن اذن له في الشفاعة له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فنفعته الشفاعة والا فلا وهذا بخلاف الشفعا للمخلوقين فانهم قد
يشفعون لمن لم يوذن لهم في الشفاعة له وقبل استيذان المشفوع اليه وهذا
كقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وكقوله وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وقال ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم الاية وهذا يوجب انقطاع
تعلق القلوب بغيره ولو كان ملكا او نبيا فكيف بالمشايخ والعلماء والملوك والاغنيا
فان غاية الراجي لهم المعتمد عليهم ان يقول هم يشفعون لي فقد اخبر انه
ما من شفيع الا من بعد اذنه وانكر ان يشفع احد الا باذنه واخبر ان الشفاعة
لا تنفع الا لمن اذن له ولهذا اذا جاء سيد الشفعا يوم القيمة الى ربه وراه سجد
وحمده بمحامد يفتحها عليه لا يبتدي بالشفاعة حتى يقال له اي محمد ارفع راسك
وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع وبهذا تتبين الشفاعة المنفية يوم القيمة
كما قال تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ
منها عدل ولا هم ينصرون وكذلك نظيره في الاية الاخرى وقال من قبل ان
ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر
يومئذ لله وذلك ان الانسان في الدنيا يحصل ما ينفعه اما بمعاوضة واما
بغير معاوضة فالمعاوضة هي البيع فان عدل
الشي ما عادله من جنسه وهي الفدية كما قال او عدل ذلك صياما وهذا اجود من
قول من قال في قوله لا يقبل منه صرف ولا عدل ان الصرف هو التوبة وهو
صرفه وانصرافه عن الذنب والعدل النظير وهو الفدا والعوض من غير الجنس
فان التوبة من جنس السيئة والعدل من غير جنسها ولهذا لما كانت التوبة
تبديل السيئة بجنسها جعل الله للتائب مكان كل سيئة تاب منها حسنة فكانه
قال لا يقبل منه البدل لا بجنسه وهو الصرف ولا بغير الجنس وهو العدل
ولهذا شرع الله ما يمحوا السيئات تارة صرفا وهو التوبة وتارة عدلا وهو

الحسنات

الحسنات الماحية كالكفارات المشروعة لذنوب معينة او للذنوب المطلقة فان الصلاة والصيام
والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يكفر فتنة الرجل في اهله وماله وولده كما نطق
بذلك حديث حذيفة الذي في الصحيح فاخبر سبحانه انه يوم القيمة لا يحصل
ما ينفعه ويدفع ما يضره لا بعاوضة وهي البيع والعدل ولا بغير معاوضة
لان غير المعاوضة اما ان يكون من عند الرجل واما ان يكون سائلها
من غيره والذي من عنده اعلى مراتبها ان يكون خليلا له وهو الكامل
في محبته الذي تخللت محبته كله كما قيل قد تخللت مسلك الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا فيبذل له ما ينفعه ويدفع عنه ما يضره بلا
عوض فنفى سبحانه ان يكون هناك خلة وهو تنبيه على انتفاء
سواها بالعموم بالفحوى ونفى في الاخرى بصيغة العموم اللفظي فقال واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وهو في معنى قوله ولا خلة فهذا الباذل
من عنده والطالب من غيره وهو الشفيع فقال ولا يقبل منها شفاعة
فالآيتان سواء وهما جامعتان للانواع نوعا نوعا وهذا من معنى كون القرآن
متشابها مثانيا ومن معنى كونه من جوامع الكلم ومن معنى انه احكمت ايا ته
ثم فصلت ومن معنى كونه ضرب فيه من كل مثل وهو كما قال
ابن عباس فيه الاقسام والامثال فالاشباه الامور المتشابهة المتماثلة
ويضرب له المثل بقياس التشبيه والتمثيل وقياس الشمول والاقسام
هي الاصناف والانواع المختلفة وهي التي تتثنى اي تعدد وتقسم
فتذكر كلمة بعد كلمة واسم بعد اسم بخلاف المتشابهة فانه يجمعها اسم
واحد وكلمة واحدة ويضرب لها المثل بقياس التقسيم والتفضيل ومثل
هؤلاء الايات قوله تعالى واذكروا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون

ان يقبل في الاخرة من النفس الشفاعة واخبر انه لا شفاعة في ذلك اليوم
هو الامر بالشفاعة واذن له فيها ففي الحقيقة ليس هو شفيعا وانما هو
عبد مطيع يبين ذلك ان الشفاعة سميت بذلك لان الشفيع يصير شفعا للطالب
فانه يكون طالبا لامر فان اعانه اخر صار شافعا فالشفيع كالمعين والنصير وهذا
في الدنيا يفعل ابتداء واما في الاخرة فلا معين ولا نصير الا بامر الله فلا فرق بين الذي
هو يشفع باذنه وبين ساير جنود الله الذين لا يفعلون الا باذنه والذين لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وهكذا قول المشركين تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
فان الصديق الحميم هو مثل الخليل ومثل قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا
ومثل قوله لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا والله سبحانه
بين ذلك يوم القيمة لان في الدنيا قد خلق اسبابا تعلق بها كثير من الناس واشركوا
بها خالقها واعرضوا عنه واتخذوا عباده من دونه اوليا ونازعه المستكبرون الربوبية
والالهية ونازعوه العظمة والكبريا فوقع الاشراك من الاتباع والمتبوعين فاذا
كان يوم القيمة ونادى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لم يبق احد يدعي ذلك فهو
مالك يوم الدين الذي كان يكذب به الكافرون حيث يقول كلا بل تكذبون بالدين
والامر لله يومئذ لله وحده فلا احد يظن او يدعي ان له امرا او شركا في امر بل باتفاق
الخلق كلهم ان ذلك كله لله وان كان في الدنيا ينازعونه ويشركون به والمستحق
للحق اذا نازعه المبطلون ثم سلموا له حقه فهو في الموضعين وان كان حقه
لكن حق مسلم او حق ينازع فيه المبطل او يدعيه لنفسه **فاما**
شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة غيره يوم القيمة
فهي بامره واذنه وهي منه لا من الشافع فلا يشفعون الا بعد ان
ياذن الله لمن يشاء ويرضى فلا يتوكل العبد الا على الله ولا يعبد

الا اياه

الا اياه فانه الذي يسر له الشفعا ولهذا لما سال ابو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم
من اسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة فقال لقد ظننت ان لا يسالني
عن هذا احد اول منك لما رايت من حرصك على الحديث اسعد الناس
بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله فقد اخبر
ان اسعد الناس بشفاعته هم اهل التوحيد لله الذين اخلصوا له
الدين الذين لم يتالهوا غيره فبين ان كل من كان بالاسباب اشد
تعلقا ورجا كان عن رحمة الله بشفاعة الشفعا وغيرها ابعد وكل
من كان لله اعظم اخلاصا وعليه اشد توكلا كان اولى برحمة
الله بشفاعة الشفعا وغيرها فان الاسباب جميعها كالشفاعة ليست
مستقلة موجبة ومع هذا فالله خالقها وربها واعظم الاسباب
التي يرجوا بها العبد رحمة الله العمل الصالح والدعا والشفاعة ومع هذا
فالثلاثة بمنزلة الاسباب التي ليست من فعل العباد من جهة انها
من جملة مخلوقات الله ومصنوعاته وما سببه من الاسباب ومن جهة
انها غير موجبة ولا مستقلة فلذلك وجب ان لا يتوكل العبد الا على ربه ولا
يتخذ من دونه وليا ولا شفيعا قال الله تعالى وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع الاية وقال ما لكم
من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وليس للعباد ولي يتولى امورهم
دونه ولا شفيع يعينهم على امورهم دونه ولهذا قال ام اتخذوا من دون
الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيا ولا يعقلون قل لله الشفاعة
جميعا له ملك السموات والارض وقال تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء الاية وقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم

ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقال تعالى يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء الآية ومعلوم ان الخلق انما دعوا غيره رجاء للمنفعة به او خوف الضر في ترك
ذكر كما يدعو الشمس والقمر وشيئا من الكواكب او يدعو الملائكة او النبيين او يدعو
غير ذكر من المخلوقات كالفلك والسحاب والمطر وغير ذكر فان جميع المخلوقات
عبدت من دون الله سبحانه وتعالى **فصل** اصل الايمان والهدى
ودين الحق وما يدخل في ذكر من الايمان والعمل الصالح هو الايمان بالله ورسله
وهو اول ما اوجب الله على عباده وامرهم به وقد قررت ذكر فيما تقدم
من القواعد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وكما قال معاذ لما ارسله الى
اليمن انك ستاتي قوما من اهل الكتاب فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وكما تواتر النقل العام وعلم بالاضطرار
من دين الرسول واتفقت عليه الامة ان اصل الاسلام واول ما يومر به الخلق
شهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا رسول الله فبذلك يصير
الكافر مسلما والعدو وليا والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال
ثم ان كان ذلك من قلبه فقد دخل في الايمان وان قاله بلسانه
دون قلبه فهو في ظاهر الاسلام دون باطن الايمان كما قال تعالى قالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وكما ان هذين اصلا
الدين فهما ايضا جماع الدين وكماله وبهما تمام ووعد فيهما الفرقان
بين اهل الجنة واهل النار والسعادة والاشقاء كما قال تعالى سابقوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا
بالله ورسله فاخبر ان الجنة انما اعدت للذين امنوا بالله

ورسله

ورسله ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم درجات في الجنة عالية قالوا تلك درجات
لا ينالها الا النبيا فقال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين
وقال تعالى يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا الآية وقال يا معشر الجن
والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى وقال تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية وفي الآية الاخرى فمن اتبع هداي
فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا وقد
اخبر في غير موضع من كتابه ان المعذبين في الدنيا والاخرة هم المعرضون
عن اتباع الرسل كقوله كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الآية وقال تعالى وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا الآية وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وقالوا لولا انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا ارسلت الينا رسولا الآية
وقال تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا الآية وقال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقالوا ما
كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا الآية واخبر ايضا بانه ارسل
الرسل الى جميع خلقه فقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا الآية وقال وان من
امة الا خلا فيها نذير وقال يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الآية وذكر
الايمان بالله ورسله في القرآن كثير جدا في انواع من الاصول كقوله تعالى
والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون الآية وقوله امنوا بالله
ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وقوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط الآية وسورة الحديد

انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ٢٢

قد ثنى الله فيها هذا الاصل مرة بعد مرة وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله الاية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل وقال تعالى في خطابه لبني اسرائيل
لئن امنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم
الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق
الاية الى قوله تعالى فان تولوا فانما هم في شقاق وقال تعالى في اول السورة الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الى قوله عز وجل وبالاخرة هم يوقنون فسورة
البقرة جماعها في تقرير الرسالة فان الرسالة متضمنة للايمان بجميع الكتب وبجميع
الرسل والملايكة الذين هم رسل ايضا كما قال تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن
الناس ولفظة الملك تقتضي الرسالة فانه من الالوكة والالوكة الرسالة
وهذه المادة الك وذاك يقتضي الرسالة وقد قال فيهم والمرسلات عرفا وهم
الملايكة في اشهر القولين وهم رسل الله في تنفيذ اوامره الكونية والدينية و
العالم كله قايم بامر الله الكوني كما ان الديانات جميعها قايمة بامر الله الديني وهذا
الاصل وان كانت سورة البقرة متضمنة فكذلك ايضا كثير من السور بل
اكثرها مثل سورة ال عمران التي في اولها الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
الى قوله لهم عذاب شديد الاية وذكر في اثنايها ما ذكر من الايمان بالله
ورسله ثم ختمها بمثل ذلك في قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله
وما انزل اليكم الاية والفرق بين البقرة وال عمران ان البقرة جامعة لتقرير جنس
الرسالة على الكافرين ولتقرير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واصول شريعته على من كفر به من
اهل الكتاب واما ال عمران فالمقصود الاكبر فيها تقرير رسالته على اهل
الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك سورة الاعراف ايضا مقصودها
الاكبر تقرير الكتاب والرسالة جنس ذلك وعينه وذلك بين فيها

وكذلك

وكذلك سورة يونس وهود والرعد وابراهيم والحجر وسبحان والانبياء والطسم ويس
والحم والحديد وغيرها من السور وذكر لان المقصود الذي خلق له الخلق عبادة
الله الجامعة لمعرفته باسمائه وصفاته ومحبته والانابة اليه واخلاص الدين
له والطريق الى ذلك هو رسل الله تعالى فبالايمان بالله ورسله يتم المقصود والوسيلة
وبدون احدهما لا يحصل ذلك فمن اقر بالخالق ولم يؤمن بالرسل لم يعلم ما يحبه ويرضاه
ولما يامر به ولا ما يكرهه ويسخطه وينهى عنه ولم يعرف ايضا من اسمائه وصفاته
ما لا يعرف الا من الرسل سواء في ذلك العلوم والاعمال التي لا تعلم الا بالسمع والاثار
او العلوم والاعمال التي قد يعلم بعضها الانسان بعقله فان هذا القسم ليس بينا
في العقول ولا ظاهرا للناس ولا هو متفق عليه بين ارباب العقل الهائم
بل من لم يهتد فيه بنور الرسالة واكتفى فيه برايه او راي بني جنسه فاندفع في
الشبهات والضلالات والاختلاف والتفرق الذي لا يحيط به الا الله
كما نجده في الخارجين عن اتباع حقيقة الرسالة من المشركين والمجوس
والمبدلين المبتدعين من الصابئين واليهود والنصارى والمسلمين وهم
الذين تفرقوا على الانبيا والرسل كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
المتفق عليه عن ابي هريرة ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم
بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم
بامر فاتوا منه ما استطعتم وقد قال الله سبحانه في كتابه ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وقال تعالى كان الناس
امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين الى اخر الاية وقال
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية وقال يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات الى قوله تعالى فرحون وقال في الاية الاخرى بعد ان ذكر قصص الانبيا
وان هذه امتكم امة واحدة الى قوله كل الينا راجعون وقال فاختلف الاحزاب
من بينهم وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله

وذلك سورة يونس وهود والرعد وابراهيم والحجر وسبحان والانبياء والطسم ويس
والحم والحديد وغيرها من السور وذكر لان المقصود الذي خلق له الخلق عبادة
الله الجامعة لمعرفته باسمائه وصفاته ومحبته والانابة اليه واخلاص الدين
له والطريق الى ذلك هو رسل الله تعالى فبالايمان بالله ورسله يتم المقصود والوسيلة
وبدون احدهما لا يحصل ذلك فمن اقر بالخالق ولم يؤمن بالرسل لم يعلم ما يحبه ويرضاه
ولما يامر به ولا ما يكرهه ويسخطه وينهى عنه ولم يعرف ايضا من اسمائه وصفاته
ما لا يعرف الا من الرسل سواء في ذلك العلوم والاعمال التي لا تعلم الا بالسمع والاثار
او العلوم والاعمال التي قد يعلمها الانسان بعقله فان هذا التقسيم ليس بينا
في العقول ولا ظاهرا للناس ولا هو متفق عليه بين ارباب العقل الهجوم
بالذهن لم يصدق فيه بنور الرسالة واكتفى فيه برايه واراي بني جنسه فانه في
الشبهات والضلالات والاختلاف والتفرق الذي لا يحيط به الا الله
كما تجده في الخارجين عن اتباع حقيقة الرسالة من المشركين والمجوس
والمبدلين المبتدعين من الصابئين واليهود والنصارى والمسلمين وهم
الذين تفرقوا على الانبياء والرسل كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
المتفق عليه عن ابي هريرة ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم
بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه
ما استطعتم وقد قال الله سبحانه في كتابه ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وقال تعالى كان الناس
امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين الى اخر الاية وقال
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية وقال يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات الى قوله تعالى فرحون وقال في الاية الاخرى بعد ان ذكر قصص الانبياء
وان هذه امتكم امة واحدة الى قوله كل الينا راجعون وقال فاختلف الاحزاب
من بينهم وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله

لفي شك منه مريب وهذا المعنى قد ثناه الله في كتابه بين فيه ان دينه واحد وهو الاسلام
العام والايمان العام وانه امر رسله بالاجتماع فيه والايتلاف ونهاهم عن التفرق فيه
والاختلاف وهو دين الله الذي امر به الاولين والاخرين من عباده فمن خرج عنه
كفر بجميع الرسل وهو الكفر بجميع الكتب والرسل ولو امن ببعض الرسالة دون بعض وهو
الايمان ببعض الكتب والرسل دون بعض كما تدعيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى
او ببعض شي من الكتب والرسل كما عليه الصابئية المبتدعون الذين هم في الاسلام
وغيرهم ومن سلك سبيلهم من المبتدعة اهل التحريف والتبديل في المسلمين واليهود
والنصارى والثنتان والسبعون الذين في المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم في احاديث
متعدده افترقت اليهود والنصارى على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان
وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وفي رواية هي من كان
على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي فوصفهم بالاجتماع واتباع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا هو السنة والجماعة فكل من خرج عن الدين العام
من الاولين والاخرين فهو من اهل التفرق والاختلاف الذين اختلفوا في الكتاب
واختلفوا على الانبيا وخرجوا عن بعض ما جاءت به الرسل عن الله وهو دين الله
العام وهو دين واحد والله سبحانه هو الاله الواحد له ما في السموات
وما في الارض وهو احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والايمان
بالله ورسوله يتضمن ما اخبرت به الرسل من الجزا وما امرت به من العمل
فان ذلك ايضا وسيلة ومقصود بالايمان بما اخبرت به من الجزا وهو الايمان
باليوم الاخر وهو المقصود والايمان بما امرت به هو الايمان بالعمل الصالح
وهو الوسيلة فان الايمان بالله واليوم الاخر غايتان والايمان بالرسل
والعمل الصالح وسيلتان ولما ذكر الملل الاربع التي فيها خير قال ان الذين امنوا
والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل

وامر جميع عباده بالاجتماع فيه والايتلاف ونهاهم عن التفرق فيه والاختلاف

ويدخل في هؤلاء السبعون فرقة الذين في اليهود والاحدى والسبعون الذين في النصارى

صالحا

صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومثل ذلك في
المايده فعلم ان هذه الاصول الثلاثة هي جماع ما يجب في الملل كلها ولما
امر بقتال اهل الكتاب بخروجهم عن الاصول الثلاثة في قوله تعالى قاتلوا الذين
لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
الايه فذكر خروجهم عن حقيقة الايمان بالله واليوم الاخر وعن العمل
الصالح الذي هو فعل ما امر به **فصل** ومحمد ابن عبد الله
هو خاتم الرسل وافضلهم واكملهم صلى الله عليه وسلم تسليما
ودين الله هو ما بعثه به من الكتاب والحكمة وهو الاسلام الخاص
والايمان الخاص المتضمن للايمان العام والاسلام العام و
قد اوجب الله على جميع اهل الارض عربهم وعجمهم وانسهم وجنهم
الايمان به وطاعته واتباعه وتعزيره وتوقيره ونصره وغير ذلك من
حقوقه واوجب على الخلق اتباع الكتاب والسنه وحرم اتباع ما سوى
ذلك فقال تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من
قبلك الايتين وقال تعالى انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا الايه وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الايه وقال تعالى فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وثبت في صحيح مسلم ان جابر رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته ان اصدق الكلام كلام
الله وخير الهدي هدي محمد وكان عبد الله بن مسعود يقول ايضا
في خطبته كل خميس انهما اثنتان الكلام والهدي فخير الكلام كلام الله
وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وثبت عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يعلم اصحابه ان يقولوا في خطبة الحاجه

من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولن يضر الله شيئا
وذكره بهذه الاصول في خطبته يوم الجمعة وغيرها دليل على ان هذا من قواعد الاسلام
واصول الايمان بل ذكره لهذا الكلام بعد قوله اما بعد كما رواه جابر وغيره
دليل على ان هذا هو جماع الدين كما قررناه اولا فانه بعد الحمد والشهادتين يقول
اما بعد فان اصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها
وكل بدعة ضلالة فعلم بذلك كله ان موضع هذا الكلام من الدين وذكر انه مشتمل
على اصل الايمان شهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا رسول الله وعلى الايمان
بالله ورسله وكتبه فيه جماع امور الدين فانها نوعان قول وعمل كما قال ابن مسعود
انما هما اثنتان الهدى القصد والعمل فقال هدى يهدي هديا كما يقال مشى يمشي مشيا
وسعى يسعى سعيا وقال هدى غير مهدي هدى ومن الاول قوله ومن قوم
موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ومنه قوله ومن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون ومنه قوله امن لا يهدي الا ان يهدى على قراءة من قرأ يهدي
على احدى القولين والهدى من هدى يهدي مثل من دل يدل ومنه الحديث
المأثور في السنن الهدى الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من
النبوة ومنه قول من كان عبد الله بن مسعود يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله وكان
علقمة يشبه بعبد الله في هديه ودله وسمته وكان ابراهيم يشبه بعلقمة في هديه
ودله وسمته وكان منصور يشبه بابراهيم في هديه ودله وسمته وكان سفيان
يشبه بمنصور في هديه ودله وسمته وكان وكيع يشبه بسفيان في هديه ودله
وسمته وكان احمد بن حنبل يشبه بوكيع في هديه ودله وسمته وذكر لان المهتدي
لابد له من شيئين غاية يقصدها ومن عمل الى تلك الغاية وكل انسان فله قصد
وعمل فان اصدق الاسماء الحارث وهمام سواء كان قصده صوابا او خطأ وسواء
سعى اليه او لم يسع فمن لم يقصد الحق او قصده ولم يعمل لمقصوده فليس بمهتدي

بخلاف من قصده وعمل له فانه يهدي بالحق واذا كان كذلك فالواجب
ان ينظر في كل كلام فما وافق كتاب الله فهو حق وما خالفه فهو باطل والموافق له وان
كان حقا فيعلم ان كلام الله اصدق الكلام واحسن الحديث وكذلك ينظر
في كل عمل وحركة باطنة وظاهرة ويعلم ان خير ذلك وافضله هو هدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم نيته وعمله فافضل النيات نيته وافضل الاعمال عمله فيكون
هديه احسن الهدي كما قال الفضيل ابن عياض في قوله تعالى ليبلوكم
ايكم احسن عملا قال اخلصه واصوبه قيل يا ابا علي ما اخلصه واصوبه فقال
ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا
لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب ان
يكون على السنة فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخلص الاعمال لا يعبد الا الله
وحده لا شريك له كما علم ذلك من دينه الخاص والعام وكان يقول في دبر
صلاته لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثنا الحسن
لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون بل هو امام الموحدين
المخلصين لم يقم احد من الخلايق دين الله وتوحيده باطنا وظاهرا كما قامه
ولم يدع احدا الى سبيل ربه كما دل عليه عا اليه ولم يجاهد احد كما جاهد في سبيل
ربه وعمله اصوب الاعمال كما قال تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وكان خلقه
القران وهو لم يفعل من العباده ويشرع منها الا ما امره به ربه ولم يدع الى سبيل الله
الا باذنه كما قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه الاية
وقال عنه ان اتبع الا ما يوحى الي وقال عنه اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم ويتفرع على هذا الاصل ان المتكلمين الخائضين
في العلوم الالهية والمعارف الدينية والحقايق العلمية من جميع الطوايف المتكلمة والمتصوفة
والمتفقهة والمتفلسفة وغيرهم اهل الخطاب واهل الكتاب فان المهتدي منهم هو
المتبع لكتاب الله والسالكين طرق العبادات والزهادات والاحوال القلبية والتالهات

وبه نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم **فصل** في الغيبة لشيخ الاسلام
ابو العباس احمد بن تيمية رحمه الله فمن الناس من يغتاب موافقة لجلسائه
واصحابه وعشرائه مع علمه بان المغتاب بري مما يقولون او فيه بعض ما يقولون
لكن يرى انه لو انكر عليهم قطع المجلس واستثقله اهل المجلس ونفروا عنه فيرى
موافقتهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة وقد يغضبون فيغضب
لغضبهم فيخوض معهم **ومنهم** من يخرج الغيبة في قوالب شتى تارة في قالب
ديانة وصلاح فيقول ليس لي عادة ان اذكر احدا الا بخير ولا احب الغيبة ولا
الكذب وانما اخبركم باحواله ويقول والله انه مسكين او رجل جيد ولكن
فيه كيت وكيت وربما يقول دعونا منه الله يغفر لنا وله وانما قصده
استنقاصا به وهضما لجانبه **و**يخرجون الغيبة في قوالب صلاح وديانة
يخادعون الله بذلك كانما يخادعون مخلوقا وقد راينا منهم الوانا كثيرة من هذا
واشباهه **ومنهم** من يخرج غيره رياء فيرفع نفسه فيقول والله لقد دعوت البارحة
في صلاتي لفلان لما بلغني عنه كيت وكيت ليرفع نفسه ويضعه عند من يعتقده
او يقول فلان بعيد الذهن قليل الفهم وقصده مدح نفسه واثبات معرفته
وانه افضل منه **ومنهم** من يحمله الحسد على الغيبة فيجمع بين
امرين قبيحين الغيبة والحسد اذا اثنى على شخص ازال ذلك عنه
بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح او في قالب حسد وفجور وقدح
ليسقط ذلك عنه **ومنهم** من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب ليضحك غيره
باستهزائه ومحاكاته واستصغار المهزوبة **ومنهم** من يخرج الغيبة في قالب
التعجب فيقول تعجبت من فلان كيف لا يفعل كيت وكيت ومن فلان كيف وقع منه كيت وكيت

وكيف فعل كيت وكيت فيخرج اسمه في معرض تعجبه **ومنهم** من يظهر الاغتمام
فيقول مساكين فلان غمني ما جرا له وما تم له فيظن من يسمعه انه يغتم له ويتاسف
وقلبه منطو على الشفي به ولو قدر لزاده على ما به وربما يذكره عند اعدايه ليشفوا به
وهذا وغيره من اعظم امراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه **ومنهم**
من يظهر الغيبة في قالب غضب وانكار منكر فيظهر في هذا الباب
اشياء من زخارف القول وقصده غير ما اظهره

قال محمد بن اسحاق الامام

لحا الله اسرارا تعالوا واخروا عن السبق اجبارا تعالوا على الفضل
اذا ما اخو علم يروم فضيلة ومكرمة اذاه منهم ابو جهل
ولا يخفى على الذايق النبيه الفطن ما في اضافة اخوة العلم
واخوة الجهل من النكتة الدقيقة اللطيفة

دين الاله من الضلال حنيف ومن الفواحش والفسوق نظيف
ما فيه اجبار ولا صب ولا رفض ولا حشو ولا تكييف
فمن القواعد انه عدل حكيم في القضا بمن يشاء لطيف
وحكمة يختص منهم من يشاء بالفضل عدلا ليس فيه يحيف
هذا الذي جائت به آياته والرسل وهو المنهج المعروف

ولبعضهم قال

لله درك من اخ متمسك بكتاب ربك بكرة واصيلا
هنيت بالتقوى وبالرشد الذي قد جاءك من عند الاله دليلا
لسنة الغرا بها متمسك وكتاب احمد صار معك دليلا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على محمد وسلم

فصل نقل من سؤال قدم من بلاد كيلان في مسئلة القرآن لدمشق
في سنة اربع وسبعماية من جهة سلطان تلك البلاد وعلى يد قاضيها لاجل معرفة
الحق من الباطل عندهم لما كثر عندهم الاختلاف والاضطراب
ورغب كل من الفريقين في قبول كلام شيخ الاسلام ابي العباس احمد ابن
تيمية في هذا الباب فاملاه شيخ الاسلام في المجلس وكتبه احمد
بن محمد بن مري الشافعي بخط جيد قوي ثم ان كاتب هذه الاوراق
اطلع على هذه الفتوى يوم الاثنين ثالث ربيع الاخر سنة احدى
وعشرين وثمانمايه فاخترت لنفسي منها مواضع نقلتها في هذه
الاوراق اذ الجواب جواب طويل جدا صورة السؤال ما يقول السادة
العلماء ائمة الدين رضي الله عنهم في قوم يقولون كلام الناس وغيرهم
قديم سواء كان الكلام صدقا او كذبا فحشا او غير فحش نظما او نثرا
ولا فرق بين كلام الله عز وجل وكلامهم في القدم الا من جهة الثواب
وقال قوم منهم بل اكثرهم اصوات الحمير والكلاب كذلك ولما
قرئ عليهم نقل عن الامام احمد رضي الله عنه في قولهم تالوا ذكر القول وقالوا ان
احمد انما قال ذلك خوفا من الناس فهل هؤلاء مصيبون او مخطئون
فاذا كانوا مخطئين فهل على ولي الامر وفقه الله ردعهم وزجرهم
عن ذلك ام لا واذا وجب زجرهم عن ذلك ام لا واذا وجب زجرهم
فهل يكفرون ان اصروا ام لا وهل الذي نقل عن الامام احمد حق
او هو كما يزعمون افتونا ماجورين اجاب شيخ الاسلام

ابو العباس احمد بن تيمية الحمد لله بل هؤلاء مخطئون في ذلك خطأ محرما فاحشا
باجماع المسلمين وقد قالوا منكر من القول وزور بل كفرا وضلالا لا يجب
نهيهم عن هذا القول البشع الفاحش ويجب عقوبة ولاة الامور عقوبة
من لم ينته منهم عن ذلك جزاء بما كسبا نكالا من الله فان هذا القول
مخالف للعقل والعقل والدين مناقض للكتاب والسنة واجماع المؤمنين
وهي بدعة شنيعة لم يقلها قط احد من علماء المسلمين لا من علماء السنة
ولا من علماء البدعة ولا يقولها عاقل يفهم ما يقول ولا يحتاج في مثل هذا
الكلام الذي فساده معلوم ببديهة العقل ان يحتج له بنقل عن امام من الائمة
الامر جهة انه رده وانكاره منقول عن الائمة وان قائله مخالف للامة
مبتدع في الدين وتزول بذكر شبهة من يتوهم ان قوله من لوازم قول احد
من السلف ويعلم انهم مخالفون للائمة المقتدى بهم بل قول الامة مناقض لقولهم
فان الائمة كلهم نصوا على ان كلام الادميين مخلوق بل نص الامام احمد على ان
افعال العباد مخلوقة عموما وعلى كلام الادميين خصوصا ممتنعا عن هذه الاطلاقة
لاجل الشبهة التي عرضت لمثل هؤلاء المبتدعة ثم ساق الشيخ كلاما طويلا الى
ان قال ومن المشهور في كتاب صريح السنة لمحمد بن جرير الطبري وهو متواتر
عنه لما ذكر الكلام في ابواب السنة قال واما القول في لفاظ العباد بالقرآن فلا
تواتر فيه نعلمه عن صحابي ممضر ولا عن تابعي قفا الاثر في قوله التقى والاتقياء
وفي اتباعه الرسل والهدى ومن قام مقام الائمة الاولى ابي عبد الله احمد
بن محمد بن حنبل فانا اسمعيل الترمذي حدثني قال سمعت ابا عبد الله
احمد بن محمد بن حنبل يقول اللفظية جهمية قال ابن جرير وسمعت جماعة
من اصحابنا لا احفظ اسماءهم يحكون عنه انه كان يقول من قال
لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قال ابن جرير

بداية

شيخ ابن جرير على الامام احمد

لا اقول

لا اقول في ذكر عندنا يجوز ان يقول احد غير قوله اذا لم يكن لنا امام
قايم برسوله وفيه كفاية لكل متبع وقناعة لكل مقتنع وهو الامام المتبع
وقال صالح بن الامام احمد بلغني ان اباطالب يحكي عن ابي انه يقول لفظي
بالقرآن غير مخلوق فقال ابعث الى ابي طالب فوجهت اليه فجاء فقال له ابي
انا قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق وغضب ابي وجعل يتعرق فقال له
قرأت عليك قل هو الله احد فقلت لي هذا ليس بمخلوق فقال له فلم حكيت
عني اني قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق وبلغني انك وضعت ذلك في كتابك
وكتبت به الى قوم فان كان في كتابك فامحه اشد المحو واكتب الى القوم الذين
كتبت اليهم اني لم اقل هذا وغضب وقال لم احكي عني ما لم اقل فجعل قوم ان يعتذر له
وانصرف من عنده وهو مغضب فعاد ابو طالب فذكر له انه حك ذلك من كتابه
وكتب الى اولئك القوم يخبرهم انه وهم على ابي عبد الله في الحكاية عنه وقال
ابو عبد الله القرآن حيث يصرف غير مخلوق وقال عبد الوهاب الوراق
من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فانه يهجر ولا يكلم ويحذر منه وذكر الخلال
في كتاب القراءة عن اسحق بن ابراهيم قال قال ابو عبد الله يعني احمد بن حنبل
يوما وكنت سألته عن قوله من لم يتعق بالقرآن قال هو الرجل
يرفع صوته به فهذا معناه اذا رفع صوته به فقد تعق به وعن منصور
وصالح انه قال لابيه يرفع صوته في القرآن قال نعم ان شاء رفع ثم ذكر
حديث ام هاني كنت اسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وانا على عريشي من
الليل وقال الاثرم سألت ابا عبد الله عن القراءة بالالحان فقال كل لا يحدث
فانه لا يعجبني الا ان يكون صوت رجل لا يتكلفه قال واما قول القائل

ان احمد قال ذلك خوفا من الناس فبطلان هذا القول يعلمه كل عاقل بلغه سيرة
من اخبار احمد وقايل هذا القول الى العقوبة البليغة احوج منه الى الاجوبة
لافتراءه على الامام فان الامام احمد صار مثلا سايرا يضرب به المثل في المحنة
والصبر على الحق فانه لم يكن يأخذه في الله لومة لائم حتى صارت الامامة مقرونة
باسمه في كل احد فيقال قال الامام احمد وهذا مذهب الامام احمد لقوله عز وجل
وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فانه اعطى من
الصبر واليقين ما نال به الامامة في الدين وقد تداوله بعده خلفاء وسلطون
عليه من مشرق الارض الى مغربها ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والولاة
والسعاة والامراء والولاة ما لا يحصيه الا الله فبعضهم تسلط عليه بالحبس وبعضهم
بالتهديد الشديد وبعضهم يتعده بالقتل وبغيره من الرعب وبعضهم بالترغيب
في الرياسة والمال وبعضهم بالمنع والتشريد من وطنه وقد حذل له في ذلك
اهل الارض حتى اصحابه العلماء والصالحون وهو مع ذلك لا يجيبهم الى كلمة واحدة
مما طلبوا منه وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ولا استعمل التقية
بل قد اظهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره ما دفع به البدع المخالفة لذلك
مما لم يأت مثله لعالم من نظرائه ولهذا قال علماء الشام لم يظهر احد ما جاء به
الرسول كما اظهره احمد بن حنبل فكيف يظن به انه كان يخاف هذه الكلمة التي لا قدر لها
وايضا فان اصوله انه لا يقول في الدين قولا مبتدعا فكيف بكلمة ما قالها احد
قال فالمنتسبون الى السنة والحديث وان كانوا اصلح من غيرهم وفيهم
من الخير ما لا يوجد في غيرهم فان السنة في الاسلام كالاسلام في الملل فكما انه
يوجد في المنتسبين الى الاسلام ما لا يوجد في غيرهم من كل خير وكل شر
فهو في المسلمين اكثر وكل شر في المسلمين فهو في غيرهم اكثر فكذلك المنتسبة

الحال

الى السنه قد يوجد فيهم من الخير ما لا يوجد في غيرهم وان كان في غيرهم خير فهو فيهم
اكثر وكل شر فيهم فهو في غيرهم اكثر **قال** ويجب القطع بان كلام
الادميين مخلوق ويطلق القول بذلك اطلاقا ولا يحتاج الى تفصيل بان يقال
نظمه او تاليفه وغير ذلك وذلك لان كلام المتكلم هو عبارة عن الفاظه
ومعانيه وعامة ما يوجد في كتاب الله وسنة رسوله وكلام السلف وساير الامم
عربهم وعجمهم فيقال عن كلام الله وهو القران وهذا كلام الله وهذا كلام فلان
فانه عند اطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعا لشموله لهما **قال** واما
الامة الوسط الباقون على الفطره فيقولون لما بلغه المبلغ عن غيره واداه هذا
كلام ذاك لا كلامك وانما بلغته بقولك قال ابو بكر الصديق لما خرج على قريش فقرا
الم غلبت الروم الايه فقالوا هذا كلامك او كلام صاحبك فقال ليس هذا بكلامي
ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله وفي سنن ابي داود من حديث جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول الا رجل يحملني الى قومه
لابلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي عز وجل فبين ان ما يبلغه ويتلوه
هو كلام الله لا كلامه وان كان يبلغه بافعاله وصوته والامم متفقون على هذا
اذا سمعوا من يروي قصيدة او كلام او قران مسيلمة قالوا هذا كلام فلان وقوله
فانه الذي اتصف به والفه وانشاه **قال** وكذلك من اتبع اباه الذين
سلفوا من غير اعتصام بالكتاب والسنه فانه مما ذمه الله في كتابه في مثل قوله
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وفي قوله
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الايه وكذلك من اتبع الظنون والاهوى معتقدا
انها عقليات وذوقيات فهو ممن قال الله فيه ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس
وانما يفصل بين الناس فيما تنازعوا فيه الكتاب المنزل من السما والرسول قال الله تعالى فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

المؤيد بالانباء

وقال ابن عباس نزلت في قوم من اليهود والنصارى قالوا نحن على دين إبراهيم وقبلته ونحن نؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله تعالى ليس الأمر كما تقولون بل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه الآية وقال ابن عباس نزلت في الذين آمنوا والذين هادوا الآية وخبر من الله عز وجل عمن مضى ممن كان متمسكا بدين حق من اليهود والنصارى والصابئين وعن المؤمنين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جميع الأمم أن من يلبس بهذه الخصال من سائر الأمم وهي جماع الصلاح وهي الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل صالحا وهو أداء المأمورات وترك المحظورات فإن له أجره عند ربه ولا خوف عليه مما أمامه ولا يحزن على ما وراءه وإسلام الوجه هو إخلاص الدين لله وهو عبادته وحده لا شريك له وهو حقيقة قولنا إياك نعبد وإياك نستعين وهو محسن فالأول هو إسلام الوجه هو النية والثاني وهو الإحسان وهو العمل الصالح وهو الذي ذكره الله في هاتين الآيتين وهو الإيمان العام الكلي بعث به جميع الرسل وأنزل به جميع الكتب والإسلام العام الذي أوجبه الله على جميع عباده من الأولين والآخرين وهو دين الله العام الذي بعث به جميع الرسل وأنزل به جميع الكتب فكان أول بدعة حدثت في هذه الأمة بدعة الخوارج المكفرة بالذنب فإنهم تكلموا في الفاسق الملي فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة ومنهم من قال والصغيرة لا تجامع الإيمان أبدا بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام قالوا والإيمان هو فعل المأمور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات فيكون العاصي كافرا كأنه ليس بمؤمن أو كافرا وقالت المعتزلة نزل له منزلة بين المنزلتين يخرجه من الإيمان ولا يدخله في الكفر وقابلتهم المرجئة والجهمية ومن تبعهم من الأشعرية والكرامية فقالوا ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة ولا ترك المحظورات البدنية فإن الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمرسلين والمقتصدين والظالمين وأما السلف والأئمة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل فيدخل في القول قول القلب واللسان وفي العمل عمل القلب والجوارح

قال الشيخ

قال المنتصرون لمذهبهم ان للايمان اصولا وفروعا وهو مشتمل على اركان وواجبات
ومستحبات بمنزلة اسم الحج والصلاة فان اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه وترك مثل
الاحرام وترك مثل محظوراته والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى والطواف والسعي
ثم الجمع هذا مشتمل على اركان متى تركت لم يصح الحج كالوقوف بعرفة وعلى ترك
محظور متى فعله فسد حجه وهو الوطي ومشتمل على واجبات من فعل وترك
ياثم بتركها عمدا ويجب لتركها لعذر او غيره الجبران بدم كالاحرام من المواقيت
والجمع بين الليل والنهار بعرفة وكرمي الجمار ونحو ذلك ومشتمل على مستحبات من
فعل وترك يكمل الحج بها ولا ياثم بتركها ولا توجب دما مثل رفع الصوت بالاهلال
والاكثار منه وسوق الهدي وذكر الله في تلك المواضع وقلة الكلام الا في امر او نهي ودعاه صح
فمن فعل ذلك الواجب وترك المحظور فقد تم حجه وعمرته وهو مقتصد من اصحاب اليمين
في هذا العمل لكن من اتى بالمستحب فهو اكمل منه واتم حجا وعملا وهو سابق مقرب ومن
ترك المامور وفعل المحظور لكنه اتى باركانه وترك مفسداته فهو حج ناقص يثاب
على ما فعله من الحج ويعاقب على تركه وقد سقط عنه اصل الفرض بذلك
مع عقوبته على ما ترك ومن اخل بركن او فعل مفسدا فحجه فاسد لا يسقط
به فرضه بل عليه اعادته مع انه قد تنازعوا في اثابته على ما فعله وان لم
يسقط به الفرض والاشبه انه يثاب عليه فصار الحج ثلاثة اقسام كاملا
بالمستحبات وتاما بالواجبات فقط وناقصا عن الواجب والفقهاء
يقسمون الوضوء الى كامل ومجزي ويريدون بالكامل ما اتى بمفروضه
ومسنونه وبالمجزي ما اقتصر على واجبه فهذا في الاعمال المشروعة وكذلك
في الاعيان المشهوده فان الشجرة مثلا اسم لمجموع الجذع والاغصان وهي
بعد ذهاب الورق شجرة وبعد ذهاب الاغصان شجرة لكن كاملة
وناقصة فليكن مثل ذلك في مسمى الايمان والذين قالوا الايمان ثلاث
درجات ايمان السابقين المقربين وهو ما اتى فيه بالواجبات والمستحبات
من فعل وترك وايمان المقتصدين اصحاب اليمين وهو وهو ما

ترك صاحبه في بعض الواجبات او فعل فيه بعض المحظورات ولهذا والعلماء
السنة لا يكفر احد بذنب اشارة الى بدعة الخوارج الذين يكفرون بالذنب وايمان
الظالمين لانفسهم وهو من اقر باصل الايمان وهو الاقرار بما جاءت به الرسل عن الله
وهو شهادة ان لا اله الا الله ولم يفعل المامورات ويجتنب المحظورات فان
اصل الايمان التصديق والانقياد وهذا اصل الايمان الذي من لم يات به
فليس بمؤمن وقد تواتر في الاحاديث اخر جوا من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من الايمان او مثقال حبة من خردل او مثقال ذرة من خير والايمان
بضع وستون او بضع وسبعون شعبة اعلاها لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان فعلم ان الايمان يقبل
التبعيض والتجزيء وان يخرج به صاحبه من النار لا ان دخلها وليس خالدا
بقوله الخارجون عن مقالة اهل السنة انه لا يقبل التبعيض والتجزيء بل هو
واحد اما ان يحصل كله واما انه لا يحصل منه شيء واعلم ان عامة السور المكية التي انزلها
الله بمكة هي في هذا الايمان العام المشترك بين الانبياء جميعهم والمؤمنين جميعهم
وهذا القدر المشترك هو في بعض الملل اعظم قدرا ووصفا فان ما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم من صفات الله واسمائه وذكر اليوم الاخر اكمل مما جاءت به سائر
الانبياء ومنه ما تختلف فيه الشرائع والمناهج كالقبلة والنسك ومقادير
العبادات واوقاتها وصفاتها والسنن والاحكام وغير ذلك فمسمى الايمان
والدين في اول الاسلام ليس هو مسماه في اخر زمان النبوة بل مسماه في الاخر اكمل من
مسماه في اول البعثة واوسطها كما قال تعالى في اخر الامر اليوم اكملت لكم دينكم وقال
بعدها ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ولهذا قال الامام احمد كان الايمان
في اول الاسلام ناقصا فجعل يتم وهكذا مسمى الايمان والدين قد يتنوع بحسب
الاشخاص بحسب امر الله كلا منهم وبحسب ما يفعله مما امر به وبحسب اقباله وحضوره
واخلاصه فان المؤمنين من الموحدين من الاولين والاخرين مشتركون في الايمان بالله
واليوم الاخر والعمل الصالح ولكن بينهم تفاوت ما في القلوب اذا ذكر الله وجل

اليوم

اليوم الاخر ما تفاوت به الايمان فعند ذكر الجنة والنجاة من النار وذم من ترك
بعضه وتخوف ذلك يزداد به الايمان الواجب لقوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الاية وقوله انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه
على امر جامع الاية وفي الصحيح الجنة اعدت للذين امنوا بالله ورسله
وقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن الحديث نفى الايمان الواجب
عنه الذي يستحق به الجنة ولا يستلزم ذلك نفي اصل الايمان وسائر
اجزائه وشعبه وهذا معنى قولهم نفي كمال الايمان وحقيقة ذلك
ان الكمال الواجب ليس هو الكمال المستحب المذكور في قولهم الفعل
كامل ومجزئ ومنه قوله عليه السلام من غشنا فليس منا ليس المراد انه
كافر كما تاولته الخوارج ولا انه ليس من خيارنا كما تاولته المرجئة
ولكن المضمر يطابق المظهر والمظهر هو المؤمنون المستحقون للثواب
السالمون من العذاب والغاش ليس منا لانه معرض لعذاب الله
وسخطه اذا تبين هذا فمن ترك بعض الايمان الواجب في الجملة لعجزه عنه
اما لعدم تمكنه من العلم واما لعدم تمكنه من العمل لم يكن مامورا
بما يعجز عنه ولم يكن ذلك من الايمان والدين الواجب في حقه
وان كان من الدين والايمان الفاضل الاصل بمنزلة صلاة المريض والخائف
وسائر اهل الاعذار الذين يعجزون عن اتمام الصلاة فان صلاتهم
صحيحة بحسب ما قدروا عليه وبه امروا وان كانت صلاة القادر
على الاتمام اكمل وافضل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير واحب الى الله
من المؤمن الضعيف وفي كل خير رواه مسلم وفي حديث حسن الصحيح
ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس ولو امكنه العلم به دون العمل لوجب
الايمان به علما واعتقادا وان لم يعمل به قال فان الله قد بين

حديث ابي هريرة

بنصوص معروفة ان الحسنات يذهبن السيئات وانه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان مصائب الدنيا تكفر الذنوب وانه يقبل شفاعة
النبي صلى الله عليه وسلم في اهل الكبائر وانه يغفر الذنوب جميعا ويغفر ما دون
الشرك وان الصدقة يبطلها المن والاذى وان الريا يبطل العمل ونحو ذلك
فجعل السيئات ما يوقع عاقبتها كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها ولكن
ليس شي يبطل جميع السيئات الا التوبة كما انه ليس شي يبطل جميع الحسنات
الا الردة وبهذا يتبين انا نشهد بان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
انما ياكلون في بطونهم نارا على الاطلاق والعموم ولا نشهد لمعين انه
في النار لانا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه لان لحوق الوعيد بالمعين مشروط
بشروط انتفا موانع ونحن لا نعلم ثبوت الشرط وانتفاء الموانع في حقه
وفايدة هذا الوعيد بيان ان هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب
والسبب قد يقف تاثيره على وجود شرطه وانتفا موانعه يبين هذا
انه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن الخمر وعاصرها
ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها
واكل ثمنها وثبت عنه في الصحيح ان رجلا كان يكثر شرب الخمر فلعنه
رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فنهى
عن لعن هذا المعين وهو مدمن الخمر لانه يحب الله ورسوله وقد لعن
اولا شربة الخمر على العموم قال فمسئلة تكفير اهل الاهوى والبدع
متفرعة على هذا الاصل فنبدا بذكر مذاهب الايمة في ذلك قبل التنبيه على
الحجة فنقول المشهور من مذهب احمد وعامة ايمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة
لصفات الرحمن فان قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل وحقيقة
قولهم جحود الصانع وجحود ما اخبر به عن نفسه وعلى لسان رسوله بل وجميع
الرسل ولهذا قال عبد الله بن المبارك انا لنحكي كلام اليهود والنصارى

ولا نستطيع

ولا نستطيع ان نحكي كلام الجهمية وقال غير واحد من الايمة انهم اكفر من اليهود والنصارى
وبهذا كفروا من يقول القران مخلوق وان الله لا يرى في الاخرة وان الله ليس على
العرش وانه ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته
واما المرجئة فلا تختلف نصوصه انه لا يكفرهم فان بدعتهم من جنس
اختلاف الفقها في الفروع وكذلك الذين يفضلون عليا على ابي بكر لا يختلف
قوله انه لا يكفرهم وذلك قول طايفة من الفقها ولكن يبدعون قال وعنه
في تكفير من لم يكفر الجهمية روايتان اصحهما لا يكفر والجهمية عند كثير من السلف
مثل ابن المبارك ويوسف ابن اسباط وطايفة من اصحاب احمد ليسوا من
الثلاث والسبعين فرقة افترقت عليها هذه الامة بل اصول هذه الفرق
هم الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية قال فان الدعا الى المقالة
اعظم من قولها واثابة قايلها وعقوبة تاركها اعظم من مجرد الدعا
اليها قال وفي الادلة الشرعية ما يوجب ان الله لا يعذب احدا من هذه
الامة مخطيا على خطايه وان عذب المخطي من غير هذه الامة فقد
ثبت في الصحيح من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في
البحر فوالله لين قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا العالمين فلما مات
الرجل فعلوا به كما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من
خشيتك يا رب وانت اعظم فغفر له وهذا الحديث متواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم من طرق رواه اصحاب الصحيح والمسانيد من حديث ابي سعيد وحذيفة
وعقبة بن عامر وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة يعلم اهل الحديث
انها تفيد العلم اليقيني وان لم يحصل ذلك لغيرهم فهذا الرجل كان قد وقع
له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على اعادة من يصل الى الحالة التي امر

البر فجمع ما فيه وامر

اهله ان يفعلوها به وان من احرق وذري لا يقدر الله ان يعيده ويحشره اذا
فعل به ذلك وانه ظن ذلك ظنا ولم يجزم به وهذان اصلان عظيمان احدهما
متعلق بالله وهو الايمان بانه على كل شيء قدير والثاني متعلق باليوم الاخر وهو
الايمان بان الله يعيد هذا الميت ولو صار الى ما تقدر صيرورته اليه مهما كان فلا
بد ان الله يحييه ويجزيه باعماله فهذا الرجل لما كان مؤمنا بالله في الجملة ومؤمنا
باليوم الاخر في الجملة وان الله يثيب ويعاقب بعد الموت فهذا عمل صالح وهو
خوفه من الله ان يعاقبه على تفريطه فغفر له بما كان معه من الايمان بالله واليوم
الاخر وانما اخطا من شدة خوفه كما ان الذي وجد راحلته بعد ياسه منها
اخطا من شدة فرحه وقد وقع الخطا كثير الخلق من هذه الامة واتفقوا
على عدم تكفير من اخطا مثل ما انكر بعض الصحابة ان يكون الميت يسمع
نداء الحي وانكر بعضهم ان يكون المعراج يقظة ولبعضهم في الخلافة والتفضيل
كلام وكذلك لبعضهم في قتال بعض وتكفير بعض اقوال معروفة وكان القاضي شريح
ينكر قراءة من قرا بل عجبت ويقول ان الله لا يعجب فبلغ ذلك ابراهيم النخعي فقال
انما شريح شاعر يعجبه علمه كان عبد الله افقه منه وكان يقرا بل عجبت فهذا
قد انكر قراءة ثابتة وانكر صفة لله دل عليها الكتاب والسنة واتفقت الامة
على ان شريحا اماما من الائمة وكذلك بعض العلما انكر حروفا من القران
كما انكر بعضهم اولم ييأس الذين امنوا فقال انما هي اولم يتبين الذين امنوا واخر
انكر وقضى ان لا تعبدوا الا اياه فقال انما هي ووصى ربك وبعضهم كان حذف
المعوذتين واخر يكتب سورتي القنوت وهذا الخطا معفو عنه بالاجماع وكذلك
الخطا في الفروع العملية فان المخطي فيها لا يكفر ولا يفسق بل ولا ياثم وان كان بعض المتكلمة
والمتفقهة يجعل المخطي فيها اثم وبعض المتفقهة يعتقد كل مجتهد فيها مصيب

فهذان

فهذان القولان شاذان ولم يقل احد بتكفير المخطئ فقد اخطا بعض السلف فيها
مثل خطا بعضهم في بعض انواع الربا واستحلال اخرين الخمر واستحلال اخرين
القتال في الفتنة وقد قال نوح وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى قوله
ففهمناها سليمان الاية وفي الصحيحين اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران
واذا اجتهد فاخطا فله اجر والسنة والاجماع منعقد على ان من بلغته
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد
لظهور ادلة الرسالة واعلام النبوة والنصوص انما اوجبت رفع المواخذة
بالخطا لهذه الامة واذا كان كذلك فالمخطئ في بعض المسايل اما ان
يلحق بالكفار من المشركين واهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة اصول
الايمان واما ان يلحق بالمخطئين في مسايل الايجاب والتحريم مع
انها ايضا من اصول الايمان فان الايمان بوجوب الواجبات الظاهرة
المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة هو من اعظم اصول الايمان وقواعد
الدين والجاهد جدها كافر بالاتفاق واذا كان لابد من الحاقه بالمشركين
واهل الكتاب مع العلم بان كثيرا من اهل البدع منافقين النفاق الاكبر فما
اكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون ولكن في الردة
الاسفل من النار باصل هذه البدع من المنافقين الزنادقة ممن يكون
اصله زندقة ماخوذا من الصابئين والمشركين واصل هؤلاء هو الاعراض
عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة واتباع الهوى وعند ذلك فمن كان هذا
اصله فهو بعد الرسالة انما هي للعامة دون الخاصة كما يقول قوم من المتفلسفة
والمتكلمة والمتصوفة فنفي الصفات كفر والتكذيب بان الله لا يرى في الاخرة
كفر وانكار ان يكون الله على العرش كفر وكذلك ما كان في معنى ذلك كانكار تكليم
الله لموسى واتخاذ الله ابراهيم خليلا قال فان الجزاء في الحقيقة
انما هو في الدار الاخرة التي هي دار الثواب والعقاب واما الدنيا فانما يشرع
فيها ما شرع من العقوبات دفعا للظلم والعدوان وكسرا للنفوس العاتية

مطلب

ما حكم المخطئين في مسائل الاجتهاد

ودفع اكثر الجهال الطاغي واذا كان الامر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة
لعقوبة الاخرة والامر بالعكس ولهذا اكثر السلف على قتل الداعي الى البدع مما
يجري على يديه من الفساد في الدين سواء قالوا هو كافر وليس بكافر واذا عرف
هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وامثالهم يجب ان يحكم عليه بانه مع
الكفار لا يجوز الاقدام عليه الا بعد ان يقوم على احدهم الحجة الرسالية التي يتبين
بها انهم مخالفون للرسول وان كانت مقالتهم هذه لا ريب انها كفر وهكذا
الكلام في جميع تكفير المعينين مع ان بعض هذه البدع اشد من بعض وبعض
المبتدعة يكون فيه من الايمان والعمل الصالح ما ليس في بعض والله اعلم

وقال ابو العباس بعد كلام له سبق
على ائمة المتكلمين وهذا اذا كان في المقالات الخفية فقد يقال انه وقع فيها مخطئ
ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم
في الامور الظاهرة التي يعلم العامة والخاصة من المسلمين انها من دين
الاسلام بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون ان محمدا صلى الله عليه وسلم
بعث بها وكفر مخالفها مثل امره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن
عبادة احد سوى الله من الملائكة والنبيين والشمس والقمر والكواكب
والاصنام وغير ذلك فان هذا اظهر شعائر الاسلام ومثل امره بالصلوات
الخمس وايجابه لها وتعظيم شانها ومثل معاداة اليهود والنصارى
والمشركين والصابئين والمجوس ومثل تحريم الفواحش والربا والميسر
ونحو ذلك ثم تجد كثيرا من رؤسهم وقعوا في هذه الانواع فكانوا مرتدين
وان كانوا قد يتوبون من ذلك ويعودون الى الاسلام مثل ما حكي عن

الجهم

الجهم ابن صفوان انه ترك الصلاة اربعين يوما لا يرى وجوبها عليه كرؤس
العشاير مثل الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ونحوهم ممن ارتد عن الاسلام
ثم دخل فيه ففيهم من كان يتهم بالنفاق ومرض القلب وفيهم من لم يكن كذلك
او يقال هم لما فيهم من العلم يشبهون بعبد الله بن سعد ابن ابي سرح الذي
كان كاتب الوحي فارتد بالمشركين فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه عام الفتح
ثم اتى به عثمان اليه فبايعه على الاسلام فمن صنف في مذهب المشركين ونحوهم
احسن احواله ان يكون اسلم فكثير من روس هؤلاء هكذا تجده تارة يرتد
عن الاسلام ردة صريحة وتارة يعود اليه ولكن مع مرض في قلبه ونفاق وقد
يكون له حال ثالثة يغلب الايمان فيها النفاق ولكن قل ان يسلموا من نوع نفاق
والحكايات عنهم بذلك صريحة مشهورة وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفا
في اول مختلف الحديث وقد حكى اهل المقالات بعضهم عن بعض من
ذلك طرفا كما يذكره ابو عيسى الوراق والنوبختي وابو الحسن الاشعري والقاضي ابو بكر
ابن الباقلاني وابو عبد الله الشهرستاني وغيرهم ممن يذكر مقالات اهل الكلام وابلغ
من ذلك ان منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام كما صنف الرازي
كتابه في عبادة الكواكب والاصنام واقام الادلة على حسن ذلك ومنفعته
ورغب فيه وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين وان كان قد عاد الى
الاسلام انتهى

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بيان نحو

يختي

مسئلة ما تقول السادة الفقهاء ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين
في هؤلاء التتار والذين قدموا سنة تسع وتسعين وستمايه وفعلوا ما اشتهر
من قتل المسلمين وسبي الذراري والنهب لمن وجدوه من المسلمين وهتكوا
حرمات الدين من اذلال العلما واهانة الساجد لاسيما بيت المقدس وافسدوا
فيه واخذ وا من اموال المسلمين واموال بيت المال المجمل العظيم واسروا
من رجال المسلمين الجم الغفير واخرجوهم عن اوطانهم وادعوا مع ذلك التمسك
بالشهادتين وادعوا نحن نقاتلهم لما زعموا من اتباع اصل الاسلام
ولكنهم عفوعن اسيصال المسلمين فهل يجوز قتالهم او يجب وايما كان من
اي الوجوه جوازا او وجوبه افتونا ماجورين **الجواب**
كل طائفة ممتنعة عن التزام شرايع الاسلام الظاهرة المتواترة من
هؤلاء القوم فانه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرايعه وان كان مع ذلك
ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرايعه كما قاتل ابو بكر والصحابة
رضي الله عنهم مانعي الزكاة وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم بعد سابقة مناظرة
عمر لابي بكر رضي الله عنهما فاتفق الصحابة رضي الله عنهم على القتال على حقوق الاسلام
عملا بالكتاب والسنة وكذلك ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في عشرة اوجه الحديث
عن الخوارج وامر بقتالهم واخبارهم شر الخلق والخليقة من قوله يحقرون صلاتكم
مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم مع فعلهم ان مجرد الاعتصام بالاسلام مع عدم التزام
شرايعه ليس بمسقط للقتال فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون
فتنة فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب فايما طائفة ممتنعة ممتنعة
عن بعض الصلوات المفروضات او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدما
والاموال والخمر والزنا او الميسر او نكاح ذوات المحارم او عن التزام جهاد الكفار
او ضرب الجزية على اهل الكتاب او غير ذلك من واجبات الدين او محرماته
التي لا عذر لاحد في جحودها او تركها التي يكفر الواحد بجحودها فان الطائفة
الممتنعة تقاتل عليها وان كانت مقرة بها وهذا مما لا اعلم فيه
خلافا

خلافا بين العلماء وانما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة اذا اصرت على
ترك بعض السنن كركعتي الفجر والاذان او الاقامة عند من لا يقول
بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر هل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها ام لا
فاما الواجبات والحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال
عليها وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين
على الامام او الخارجين عن طاعته كأهل الشام مع امير المؤمنين علي بن ابي
طالب رضي الله عنه فان اولئك خارجون عن طاعة امام معين او خارجون
عليه لازالة ولايته واما المذكورون فهم خارجون على الاسلام
بمنزلة مانعي الزكاة وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه ولهذا
افترقت سيرة علي رضي الله عنه في قتاله لاهل البصرة واهل الشام وفي قتاله
لاهل النهروان فكانت سيرته مع البصريين وان مبين سيرته الاخ مع اخيه
ومع الخوارج بخلاف ذلك وثبتت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما استقر
عليه اجماع الصحابة من قتال الصديق وقتال الخوارج بخلاف الفتنة
الواقعة مع اهل الشام واهل البصرة فان النصوص دلت فيها بما دلت
والصحابة وان بعدهم اختلفوا فيها حتى ان من فقهاء الامة من يرى ان
اهل البغي الذين يجب قتالهم هم الخارجون على الامام بتاويل سايغ
لا الخارجون عن طاعته وآخرون يجعلون القسمين بغاة وبين البغاة
وبين السارق فرق بين فان الذين لا يلتزمون شرايع الاسلام الظاهرة
المتواترة فلا علم بوجوب قتالهم خلافا فاذا تقرر هذه
القاعدة فهؤلاء القوم المسؤل عنهم عسكرهم مشتمل على قوم كفار من الفساق
والمشركين وعلى قوم منتسبون الى الاسلام وهم جمهور العسكر ينطقون
بالشهادتين اذا طلبت منهم ويعظمون الرسول وليس فيهم من يصلي
الا قليل جدا وصوم رمضان اكثر فيهم من الصلاة والصلاة عندهم اعظم
من غيرها والصالحين من المسلمين عندهم قدر وعندهم من الاسلام بعضه

وهم متفاوتون فيه لكن الذي عليه عامتهم والذين يقاتلون عليه متضمن لترك كثير
من شرايع الاسلام او اكثرها فانهم اولا لا يوجبون الاسلام ولا يقاتلون من
تركه بل كمن قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وان كان كافرا عدوا لله ورسوله
وكل من خرج عن دولة المغول او عليها استحلوا قتاله وان كان من خيار المسلمين فلا
يجاهدون الكفار ولا يلزمون اهل الكتاب بالجزية والصغار ولا ينهون احدا
من عسكرهم ان يعبد ما شاء من شمس او قمر او غير ذلك بل الظاهر من سيرتهم
ان المسلم عندهم بمنزلة العدل او الرجل الصالح او المتطوع في المسلمين والكافر عندهم
بمنزلة الفاسق في المسلمين او بمنزلة تارك التطوع وكذلك ايضا عامتهم لا يحرمون
دماء المسلمين واموالهم ان ينهاهم عنها سلطانهم اي لا يلتزمون تركها واذا نهاهم
عنها او عن غيرها اطاعوه لكونه سلطانا لا بمجرد الدين وعامتهم لا يلتزمون اداء
الواجبات لا من الصلاة ولا من الزكاة ولا من الحج ولا غير ذلك ولا يلتزمون
ايضا الحكم بينهم بحكم الله بل يحكمون باوضاع لهم توافق الاسلام تارة وتخالفه اخرى
وانما كان الملتزم بشرايع الاسلام الشهير ببروز وهو الذي اظهر من شرايع
الاسلام ما استفاض عند الناس واما هؤلاء فدخلوا فيه وما التزموا
شرايعه وقتال هذا الضرب واجب باجماع المسلمين وما يشك في ذلك
من عرف دين الاسلام وعرف حقيقة امرهم فان هذا المسلك الذي هم
عليه ودين الاسلام لا يجتمعان ابدا واذا كان الاكراد والاعراب وغيرهم
من اهل الهوادي الذي لا يلتزمون شريعة الاسلام يجب قتالهم
وان لم يتعد ضررهم الى اهل الامصار فكيف بهؤلاء نعم يجب ان يسلك
في قتالهم المسلك الشرعي من دعايتهم الى التزام الشرايع ان لم تكن الدعوة
الى الشرايع قد بلغتهم فان اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في
رضوان الله واعزاز كلمته واقامة دينه وطاعة رسوله وان كان فيهم من فيه
فجور وفساد دينه بان يكون يقاتل على الرياسة او يتعدى عليهم في بعض الامور
وكانت مفسدة ترك قتالهم اعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا
الوجه كان الواجب ايضا قتالهم دفعا لاعظم المفسدتين بالتزام
ادناهما فان هذا من اصول الاسلام التي تنبغي مراعاتها ولهذا كان من

اصول

اصول الاسلام التي ينبغي مراعاتها ولهذا كان من اصول السنة والجماعة الغزو مع كل بر
وفاجر فان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما اخبر بذلك
النبي صلى الله عليه وسلم لانه اذا لم يتفق الغزو الا مع الامرا الفجار او مع عسكر كثير الفجور فانه لا بد
من احد امرين اما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلا الاخرين الذين هم اعظم ضررا
في الدين والدنيا واما الغزو مع الامير الفاجر فيحصل بذلك دفع الافجرين واقامة اكثر
شرايع الاسلام وان لم يكن اقامة جميعها وهذا هو الواجب في هذه الصورة وكلما
اشبهها بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفا الراشدين لم يقع الا على هذا الوجه
وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والمغنم
فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه ابو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم
الغزو ماض منذ وابعثني الله الى ان تقاتل امتي الدجال لا يبطله جور جاير ولا عدل
عادل وما استفاض عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال امة من امتي ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خالفهم الى يوم القيمة الى غير ذلك من النصوص التي اتفق اهل السنة والجماعة
من جميع الطوايف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الامرا ابراهم وفجارهم
بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين السنة والجماعة هذا مع اخباره صلى الله عليه وسلم
بانه سيلي امرا ظلمة خونة فجرة فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني
ولست منه ولا يرد علي الحوض ومن لا يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو
مني وانا منه وسيرد علي الحوض فاذا احاط المرء علما بما امر النبي صلى الله عليه وسلم
من الجهاد الذي يقوم به الامر الى يوم القيمة وبهانها عنه من اعان الظلمة على
ظلمهم علم ان الطريقة الوسطى التي هي دين الاسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهولاء
القوم المسئول عنهم مع كل امير وطايفة هي اولى بالاسلام منهم اذا لم يمكنه جهادهم الا كذلك
واجتناب اعانة الطايفة التي يغزو معها على شي من معاصي الله بل يطيعهم في طاعة
الله ولا يطيعهم في معصية الله اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وهذه
طريقة خيار هذه الامة قديما وحديثا وهي واجبة على كل مكلف وهي متوسطة بين
طريقة الحرورية وامثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الامرا مطلقا وان لم يكونوا ابرارا والله
يوفقنا وجميع اخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل والله سبحانه وتعالى اعلم

انتهى

مسألة في رجلين تناظرا فقال احدهما لابد لنا من واسطة
بيننا وبين الله فانا لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك الجواب
الحمد لله رب العالمين ان اراد بذلك انه لابد من واسطة تبلغنا امر الله فهذا حق
فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما امر به وما نهى عنه وما اعده لاوليائه
من كرامته وما وعد به اعدائه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله من
اسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تعجز العقول عن معرفتها وامثال ذلك
الا بالرسل الذين ارسلهم الله الى عباده فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم
المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والاخرة
واما المخالفون للرسل فانهم ملعونون وهم ضالون وعن ربهم محجوبون
قال تعالى يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي
فلا يضل ولا يشقى الى قوله وكذلك اليوم تنسى قال ابن عباس تكفل الله لمن
بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وقال عن اهل النار
كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا الاية
وقال وسيق الذين الذين كفروا الى جهنم زمرا الى قوله ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين وقال تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن امن واصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا
يفسقون وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الى قوله
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ومثل هذا
في القران كثير وهذا مما اجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى
فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله امره
ونهيه قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ومن انكر هذه
الوسائط فهو باجماع اهل الملل والسور التي انزلها الله بمكة مثل
سورة الانعام والاعراف وذوات الرحم وطس ونحو ذلك
الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر وقد

قصر ابه

قص الله قصص الكفار الذين كذبوا الرسل وكيف اهلكهم الله ونصر رسله والذين امنوا قال تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون الاية وقال انا لننصر رسلنا والذين
امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وهذه الوسايط يطاع ويتبع ويهتدى بها
قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال الذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا واراد بالواسطة انه لابد
من واسطة يتخذه العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل
ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون
اليه فيه وهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله
اولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار لكن الشفاعة لمن يأذن
الله فيها قال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تذكرون وقال وانذر به
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وقال وذكر
ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وقال قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الى قوله محذورا قال
طائفة من السلف كان اقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير والملائكة والانبياء
فبين الله لهم ان الملائكة لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وانه يتقرب وون الى
ربهم الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه وقال تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله الى قوله امركم بالكفر بعد
اذ انتم مسلمون فبين سبحانه وتعالى ان اتخاذ الملائكة والنبيين ارباب كفر
ممن جعل الملائكة والانبياء وسايط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع
ودفع المضار مثل ان يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكربات
وسد الفاقات منهوك فريا جماع المسلمين وقد قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني
اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال ليستكف المسيح

ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون الاية وقال ان كل من في السموات والارض الا
اتي الرحمن عبدا الايتين وقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الاية وقال تعالى ان كل وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى من
ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير فلا راد لفضله وقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وقال تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره الاية ومثل هذا في القران كثير ومن سوى الا
من مشايخ العلم والدين من اثبتهم وسايط بين الرسول وامته يبلغونهم ويقتدون
بهم فقد اصاب في ذلك وهم اذا اجتمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون
على ضلالة وان اختلفوا في شيء رد الى الله والرسول اذ لو احد منهم ليس بمعصوم على
الاطلاق بل كل يوخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم
العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن
اخذه فقد اخذ بحظ وافر ومن اثبتهم وسايط بين الله وبين خلقه
كالحجاب الذي بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوايج خلقه وان
الله تعالى انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى ان الخلق يسالونهم وهم
يسالون الله كما ان الوسايط عند الملوك يسالون الملوك حوايج الناس لقربهم منهم
والناس يسالونهم او بانهم يسالون شروا سوال الملك او لان طلبهم من الوسايط
انفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم اقرب الى الملك من الطالب فمن اثبتهم وسايط على
هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل وهؤلاء مشبهون
شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله اندادا وفي القران من الرد على هؤلاء ما لا
تتسع له هذه الفتوى فان الوسايط التي بين الملوك تكون على احد وجوه
ثلاثة اما لاخبارهم من احوال الناس بما لا يعرفون ومن قال ان الله تعالى لا يعرف
احوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملائكة او الانبياء او غيرهم فهو كافر بل هو
سبحانه يعلم السر واخفى لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم

لعله من

البصير

البصير يسمع ضجيج الاصوات على اختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع
عن سمع ولا تغلطه المسايل ولا يبترم بالحاح الملحين والوجه الثاني ان يكون
الملك عاجز عن تدبير رعيته ودفع اعدايه الا باعوان يعينونه فلا بد له من اعوان
وانصار لذله وعجزه والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم
من ظهير وقال وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكل ما في الوجود من الاسباب فهو خالقه وربه ومليكه فهو الغني عن كل ما سواه وكل ما سواه
فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرايهم وهم في الحقيقة شركا وهم في الملك والله
تعالى ليس له شريك في الملك بل لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي
قدير ولهذا لا يشفع احد عند الله الا باذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما فان من شفع
عنده بغير اذنه فهو شريك له في حصول المطلوب اثر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل
ما يطلب والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه وسمي الشفيع شفيعا لانه يشفع
غيره اي يصير له شفعا قال تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن
يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكل من اعان غيره في امر فقد شفعه فيه
والله تعالى وتر لا يشفعه احد بوجه من الوجوه الوجه الثالث ان يكون
الملك مريدا لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم الا بمحرك يحركهم من خارج فاذا
خاطب الملك من ينصحه ويعظه او من يدل عليه بحيث يكون يرجوه
ويخافه الملك وهمته في قضا حوايج رعيته اما لما حصل
في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير واما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام
المدل عليه والله تعالى هو رب كل شي ومليكه وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها
وكل الاسباب انما تكون بمشيئته فما شا كان وما لم يشا لم يكن وهو اذا اجرى نفع العباد
بعضهم على يد بعض فجعل هذا يحسن الى هذا او يدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك
فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي والشافع ارادة
الاحسان والدعا والشفاعة ولا يجوز ان يكون في الوجود من يكرهه على
خلاف مراده او يعلمه ما لم يكن يعلمه او من يرجوه الرب تعالى او يخافه قال

صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم
المسئلة فان الله لا مكره له والشفعا الذين يشفعون عنده لا يشفعون الا لمن ارتضى
وقال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وهذا بخلاف الملوك فان الشافع
عندهم قد يكون له ملك وقد يكون شريكا لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا
لهم على ملكهم وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم والملك
يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم وتارة لخوفه منهم وتارة لجزا احسانهم اليه ومكافاتهم
على انعامهم حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك ليضرر بذلك ويقبل شفاعة
مملوكه فانه اذا لم يقبل شفاعته يخاف ان لا يعطيه وان يسعى في ضرره وشفاعة
العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ولا يقبل احد شفاعة احد الا لرغبة
او رهبة والله تعالى لا يرجوا احدا ولا يخاف احد ولا يحتاج الى احد بل هو الغني قال الله
الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون الى قوله قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني
له ما في السموات وما في الارض بين سبحانه ان من اتبع من دون الله شركاء فليس معه
علم ليس معه الا ظن وخرص والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق
فان الخرص تضمن معنى الكذب لقوله قتل الخراصون ومن ظن ان ما هنا نافيه
فقد فسر الاية بما هو خطا كما قد بسط في غير هذا الموضع والمشركون يتخذون
شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند المخلوقين قال تعالى ويعبدون من
دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الاية وقال تعالى
عن صاحب يس وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من دونه
الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال
مبين وقال تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة الاية
واخبر عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال ولا يامرهم
ان يتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر الاية وقال قل ادعوا الذين
زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الاية فاخبر ان ما يدعا من
دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه

ويتقربون اليه

ويتقربون اليه فهو سبحانه قد نفى ما اثبتوه من توسط الملائكة والانبيا الا الشفاعة
والشفاعة هي دعا ولا ريب ان دعا الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد امر بذلك لكن
الداعي الشافع ليس له ان يدعوا او يشفع الا باذن الله له في ذلك فلا يشفع
شفاعة نهى عنها كالشفاعة للمشركين ولو كانوا اولي قربى والدعا لهم بالمغفرة قال
الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية
وقال في حق المنافقين استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فنهى الله نبيه
عن الاستغفار للمشركين والمنافقين واخبر انه لن يغفر لهم كما في قوله ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال ولا تصل على احد منهم مات ابدا
ولا تقم على قبره وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين فهو سبحانه لا
يحب المعتدين في الدعا ومن الاعتدا في الدعا ان يسال العبد ما لم يكن الرب يفعله
مثل ان يساله منازل الانبيا وليس منهم او المغفرة للمشركين ونحو ذلك او يساله
ما فيه معصية الله كاعانته على الكفر والفسوق والعصيان فالشفيع الذي اذن له
في الشفاعة شفاعته من الدعا الذي ليس فيه عدوان ولو سال احد من الانبيا لاحد
دعا لا يصلح له لم يقر عليه لانهم معصومون ان يقروا على ذنب ولهذا لما قال نوح
رب ان ابني من اهلي قال يا نوح انه ليس من اهلك الاية وكل شافع وداع دعا الله
وشفع فلا تكون شفاعته ودعاوه الا بقضا الله وقدره ومشيته وهو الذي
يجيب الدعا ويقبل الشفاعة فهو الذي خلق السبب والمسبب والدعا من جملة الاسباب
التي يقدرها سبحانه وتعالى واذا كان كذلك فالالتفات الى الاسباب شركة في التوحيد
ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح
في الشرع بل العبد يجب ان يكون توكله ودعاوه وسؤاله ورغبته الى الله تعالى والله يقدر له
من الاسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما يشا والدعا مشروع ان يدعوا الاعلى للادنى والادنى
للاعلى ومن ذلك طلب الدعا والشفاعة من الانبيا كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الاستسقا ويطلبون منه الدعا وكذلك بعده استسقى عمر بن الخطاب
والمسلمون بالعباس عمه والناس يطلبون الشفاعة يوم القيمة من الانبيا ومحمد صلى الله عليه وسلم

هو سيد الشفعا وله شفاعات يختص ببعضها وبعضها وان شاركه فيه غيره فله
منه ما لا يحصل لغيره ومع هذا فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فان من صلى علي واحدة صلى الله
بها عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله
وارجو ان اكون ذلك العبد فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيمة
وقد قال لعمر ابن الخطاب لما اراد ان يعتمر وودعه لا تنسانا يا اخي من دعاك فالنبي
صلى الله عليه وسلم قد طلب من امته ان يدعوا له ولكن ليس ذلك من باب سوالهم بل امره
لهم بذلك كامره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها مع انه صلى الله عليه وسلم له من
الاجر مثل اجورهم في كل ما يعملونه فانه قد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دعى
الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم
شيئا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل اوزار من تبعه لا ينقص ذلك من
اوزارهم شيئا وهو داعي الامة الى كل هدى فله مثل اجورهم في كل ما اتبعوه فيه وكذلك
اذا صلوا عليه صلى الله عليه وسلم فان الله سبحانه يصلي على احدهم عشرا وله مثل اجورهم مع
ما يستجيبه سبحانه من دعائهم له فذلك الدعا قد اعطاهم الله اجرهم عليه وصار
ما يحصل له به من النفع نعمة من الله عليه وقد ثبت عنه في الصحيح انه قال
ما من رجل يدعو لاخيه بظهر الغيب بدعوة الا وكل الله به ملكا كلما دعا لاخيه بدعوة
قال الملك الموكل به امين ولك بمثله وفي حديث اخر اسرع الدعا اجابة دعوة الغايب
فالدعا للغير ينتفع به الداعي وان كان الداعي دون المدعو له وينتفع بالدعا الداعي
والمدعو له فمن قال لغيره ادع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك كان هو واخوه
متعاونين على البر والتقوى فهو نبه المسؤل واشار عليه بما ينفعهما بمنزلة من يامر غيره
ببر وتقوى فيثاب المامور على فعله والامر يثاب لكونه دعا اليه لا سيما ومن الادعية
ما يومر به العبد كما قال تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فامره بالاستغفار
بالاستغفار ثم قال ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم
اذ ذاك مما امر الله به الرسول حيث امره ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولم يامر الله
مخلوقا ان يسال مخلوقا شيئا لم يامر الله المخلوق المسؤل به بل ما امر الله العبد امر

فيثاب

ايجاب

الايجاب او استحباب ففعله هو عبادة لله وطاعة وقربة الى الله وصلاح لفاعله وحسنة
منه واذا فعل ذلك كان من اعظم احسان الله اليه وانعامه عليه بل كل نعمة ينعم
الله بها على عبده ان هداه للايمان والايمان قول وعمل يزيد بالطاعة والحسنات
فكلما ازداد العبد عملا للخير ازداد ايمانه وهذا هو الانعام الحقيقي المذكور في
قول صراط الذين انعمت عليهم وفي قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين الآية بل نعم الدنيا يدعون الدين هل يسمى نعمة ام لا فيه قولان
مشهوران للعلماء والتحقيق انها نعمة من وجه وان لم تكن نعمة تامة من وجه
واما الانعام بالدين فهو فعل ما امر الله به من واجب ومستحب فهو الخير
الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين وهو النعمة المحققة عند اهل السنة اذ عندهم
ان الله هو الذي انعم بفعل الخير والقدرة عندهم الما انعم بالقدرة الصالحة
الضدين فقط والمقصود هنا ان الله لم يأمر مخلوقا ان يسأل مخلوقا
الا اذا كان مصلحة لذلك المخلوق اما واجبا واما مستحبا لا يطلب من العبد
الا ذلك فلا يسأل العبد مسئلة الا عند الضرورة وان كان عطاء المال مستحبا ثم
من طلب من غيره اما واجبا واما مستحبا ان كان قصده مصلحة المسئول
المامور او مصلحة ومصلحة المامور فهذا مثاب على ذلك وان كان مقصوده
حصول مطلوبه من غير قصد لانتفاع المامور فهذا من نفسه الخ ومثل
هذا السؤال لا يأمر الله به فقط بل ينهى عنه اذ هو سؤال محض للمخلوق من غير
قصد لنفعه ولا لمصلحة والله تعالى يأمرنا ان نعبده ونرغب اليه ويأمرنا ان
نحسن الى عباده وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا بل قصد الرغبة الى الله ودعاؤه
وهو الصلاة ولا قصد الاحسان الى المخلوق وهو الزكاة وان كان العبد قد لا يأثم
بمثل لكن فرق بين ما يحمد به العبد وبين ما يؤذن فيه الا ترى ان
صلى الله عليه وسلم قال في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب انهم الذين
لا يسترقون فان كان الاسترقاء جائزا وهذا قد بسطناه في غير هذا الموضع وبينا
ان الاصل في سؤال الخلق ان يكون محرما وانما يباح للحاجة فكان السؤال للمخلوق فيه ذل
للناس وهو ظلم من العبد لنفسه وفيه اذا السئول وهو من جنس ظلم العباد وفيه خضوع العبد

لعنه الله وهو من جنس الشرك ففيه اجناس الظلم الثلاثة الظلم المتعلق بحق الله والظلم
العباد وظلم العبد نفسه والمقصود هنا ان من اثبت وسايط بين الله وبين
خلقه كالوسايط التي بين الملوك وحاشيته فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد
الاوثان كانوا يقولون انهم تماثيل الانبياء والصالحين وانهم وسايط يتقربون بهم الى الله
وهو من الشرك الذي انكره الله تعالى على النصارى حيث قالوا اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله الآية وقال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي الآية اي فليستجيبوا لي
اذا دعوتهم بالامر والنهي وليؤمنوا بي اني اجيب دعاهم اي بالمسئلة والتضرع وقال
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم اذا هم يشركون
الاية وقال امن يجيب المضطر اذا دعاه الآية وقال يسأله من في السموات
والارض كل يوم هو في شان وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الاشراك
به حيث لا يخاف احد غير الله ولا يرجو سواه ولا يتوكل الا عليه قال تعالى فلا تخشوهم
الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وقال انما ذلكم الشيطان يخوف
اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية
الله او اشد خشية وقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة
واتى الزكاة ولم يخش الا الله وقال ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون فبين ان الطاعة لله ولرسوله واما الخشية والتقوى فلله وحده
وقال تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا
الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فجعله ان الايتاء لله والرسول كما قال وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فان الرسول هو الذي يبين ما امرنا الله به
وما نهانا عنه واما الحسب فهو لله وحده كما قالوا حسبنا الله
ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ونظير قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لامته ويحسم عنهم مواد الشرك واذا تحقق

قول لا اله الا الله فان الاله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والاجلال والاكرام
والرجاء والخوف وضع قال لم لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده
وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد اشرك
وقال ابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما انت
لاق فلو جهدت الخلائق ان تنفعك لم تنفعك الا بشيء كتبه الله لك ولو جهدت ان تضرك
لم تضرك الا بشيء كتبه الله عليك وقال ايضا لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن
مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
وقال لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقال في مرضه
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة
ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وهذا باب واسع ومع علم المؤمن
ان الله رب كل شيء ومليكه فانه لا ينكر ما خلقه من الاسباب كما جعل الطر سببا
للنبات كما قال تعالى وانزلنا من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها وكما جعل
الشمس والقمر سببا لما خلقه بهما وكما جعل الشفاعة والدعاء سببا لما يقتضيه بذلك
من صلاة المسلمين على الجنازة فان ذلك من الاسباب التي يرحم الله الميت بها
ويثيب عليها المصلي عليه لكن ينبغي ان يعرف في الاسباب ثلاثة امور احدها
ان السبب المعين لا يستقل بالمطلوب بل لا بد معه من اسباب اخر ومع هذا
فلها موانع فان لم يكمل الله الاسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود وهو
سبحانه ما شاء كان وان لم يشأ الناس وما شاء الناس لا يكون اذا لم يشأه الله
الثاني ان لا يجوز ان يعتقد ان الشيء سبب من اثبت سببا
بلا علم او بخلاف الشرع كان مبطلا مثل من يظن ان البذر سبب في دفع
البلاء وحصول النعماء وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل الثالث
ان الاعمال الدينية لا يجوز ان تتخذ سببا الا ان تكون مشروعة فان العبادات
مبناها على التوقيف فلا يجوز للانسان ان يشرك بالله فيدعو غيره وان
ظن ان ذلك سبب في حصول بعض اغراضه وكذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة
للشريعة وان ظن ذلك فان الشياطين قد تعين الانسان على بعض ما يتخاطره

اذا اشرك وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض اغراض الانسان فلا يحصل
له ذلك اذ المفسدة الحاصلة به اعظم والرسول صلى الله عليه وسلم انما بعث بتحصيل
المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما امر الله به فمصلحته راجحة وما نهى
عنه فمفسدته راجحة وهذه الجملة لها بسط طويل لا يحتمله هذا الموضع والله اعلم
وقال الشيخ رحمه الله في الكلام على زيارة القبور الزيارة تنقسم قسمين
زيارة شرعية وزيارة بدعية فالزيارة الشرعية السلام على الميت والدعاء له بمنزلة
الصلاة على جنازته كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعلم اصحابه اذا زاروا
القبور ان يقولوا السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم
لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم
واغفر لنا ولهم وهذا الدعاء يروى بعدة الفاظ كما رويت الفاظ التشهد وغيره
وهذه الزيارة هي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها واما الزيارة
البدعية فمن جنس زيارة اليهود والنصارى واهل البدع الذين يتخذون قبور
الانبياء والصالحين مساجد وقد استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب الصحاح
انه قال عند موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر
ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وثبت
عنه في الصحيح انه قال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا
القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك فالزيارة البدعية مثل قصد
قبر بعض الانبياء والصالحين الصلاة عنده او الدعاء عنده او به او طلب الحوائج
منه او من الله عند قبره او الاستغاثة به او الاقسام على الله تعالى به ونحو ذلك
هو من البدع التي لم يفعلها احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا سن
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من الخلفاء الراشدين بل قد نهى عن ذلك ائمة
المسلمين والحديث الذي يرويه بعض الناس اذا سألتم فاسألوه بجاهي هو من المكذوبات
التي لم يروها احد من علماء المسلمين ولا هو في شيء من كتب الحديث بمنزلة ما يروونه من قوله
لو احسن احدكم ظنه بحجر لنفعه الله فان هذا ايضا من المكذوب وقد نص غير
واحد من العلماء على انه لا يقسم على الله بمخلوق لا نبي ولا غيره فمن ذلك ما ذكره ابو
الحسين القدوري في كتاب شرح الكرخي عن بشر ابن الوليد قال سمعت
ابا الوليد قال سمعت ابا يوسف قال قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا ينبغي

لاحد

لاحد ان يدعوا الله الا به واكره ان يقول بمعاقد العز من عرشه وبحق خلقك وهو
قول ابي يوسف وقال ابو يوسف بمعاقد العز من عرشه هو الله فلا
اكره هذا واكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق النبيين والمشعر الحرام
قال القدوري شارح الكتاب المسئلة بخلقه لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على
الخالق فلا يجوز يعني وفاقا قلت واما الاستشفاع الى الله تعالى به
وهو طلب الشفاعة منه والتوسل الى الله تعالى بدعائه وشفاعته وبالايمان به ومحبته
وطاعته والتوجه الى الله تعالى بذلك فهذا مشروع باتفاق المسلمين كما جاءت بذلك
الاحاديث الصحيحة وقد ثبت في الصحيح عن ابي حميد الساعدي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا الفين احدكم يوم القيمة يقول يا رسول الله اغثني
فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك وفي الصحيح عنه انه قال صلى الله عليه وسلم
يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمت رسول الله لا اغني عنك من الله
شيئا سلوني من مالي ما شئتم فبين صلى الله عليه وسلم ما هو موافق لكتاب الله من انه ليس عليه الا
البلاغ المبين واما الجزاء بالثواب والعقاب فهو الى الله سبحانه وهو صلى الله عليه وسلم قد بلغ
الرسالة واشهد الله على امته انه بلغهم كما جعل في حجة الوداع يقول الا هل بلغت فيقولون
نعم فيرفع اصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم اشهد رواه مسلم واما اجابة الداعي
وتفريج الكربات وقضاء الحاجات فهذا لله وحده لا يشركه فيه احد ولهذا فرق سبحانه
وتعالى في كتابه بين ما حق للرسول وبين ما هو لله وحده كما في قوله ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فبين سبحانه ما يستحقه الرسول من الطاعة
واما الخشية والتقوى فجعل ذلك لله وحده وكذلك قوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله
ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله فجعل الايتاء لله والرسول كما
في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
واما التوكل والرغبة فلله وحده كما في قوله وقالوا حسبنا الله ولم يقل ورسوله وقال انا الى الله
راغبون ولم يقل الى رسوله وذلك موافق لقوله فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب
فالعبادة والخشية والتوكل والدعاء والرجاء والخوف لله وحده لا يشركه فيه احد واما
الطاعة والمحبة والارضاء فعلينا ان نطيع الله ورسوله ونحب الله ورسوله ونرضي الله

عباس عم رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا

ورسوله لان طاعته طاعة الله وارضاه ارضاء الله وحبه من حب الله وكثير من اهل الضلال
من الكفار واهل البدع بدلوا الدين فان الله جعل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وسايط
في تبليغ امره ونهيه ووعده ووعيده فليس لاحد طريق الى الله الا بمتابعة الرسول بفعل
ما امر وترك ما حذر ومن جعل الى الله طريقا غير متابعة الرسول للخاصة والعامة فهو كافر
بالله ورسوله مثل ما زعم ان من خواص الاوليا او العلما او الفلاسفة واهل الكلام من له طريق
الى الله غير متابعة رسوله ويذكرون في ذلك من الاحاديث المفتراة ما هو من اعظم الكفر
كقول بعضهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم استاذن على اهل الصفة فقال اذهب الى من انت
له رسول اليه وقول بعضهم انهم اصبحوا ليلة المعراج فاخبروه بالسر الذي ناجاه الله به
وان الله اعلمهم بذلك بدون اعلام الرسول وقول بعضهم انهم قاتلوه في بعض الغزوات
مع الكفار وقالوا من كان الله معه كنا معه وامثال ذلك من الامور التي هي من اعظم
الكفر والكذب ومثل احتجاج بعضهم بقصة الخضر مع موسى عليه السلام على ان من الاوليا من
يستغني عن محمد صلى الله عليه وسلم كما استغنى الخضر عن موسى ومثل قول بعضهم ان خاتم
الاوليا له الى الله تعالى طريق يستغني به عن خاتم الانبيا ومثل هذه الامور التي كثرت في
المنتسبين الى الزهد والفقر والتصوف والكلام والتفلسف وكفر هؤلاء قد يكون من
جنس كفر اليهود والنصارى وقد يكون اعظم وقد يكون اخف بحسب احوالهم وهو
سبحانه لم يجعل احدا من الانبيا والمؤمنين واسطة في شي من الربوبية والالهية مثل ما
ينفرد به من الخلق والرزق واجابة الدعا والنصر على الاعدا وقضا الحاجات وتفريج
الكربات بل غاية ما يكون العبد سببا مثل ان يدعو او يشفع والله تعالى من ذا
الذي يشفع عنده الا باذنه ويقول ولا يشفعون الا لمن ارتضى ويقول وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا والاية بعدها قال
طايفة من السلف كان اقوام يدعون الملايكة والانبيا فنهاهم الله عن ذلك وقد قال تعالى ما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الى قوله ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين
اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون فبين سبحانه ان اتخاذ الملايكة والنبيين
اربابا كفر ولهذا كانوا في الشفاعة على ثلاثة اقسام فالمشركون اثبتوا

الشفاعة

الشفاعة عند الله مشركون كفار لان الله تعالى لا يشفع عنده احدا الا باذنه ولا يحتاج الى احد
من خلقه بل من رحمته واحسانه اجابة دعاء من يشفع وهو سبحانه ارحم بعباده من
الوالدة بولدها ولهذا قال تعالى ما لكم من دون الله من ولي ولا شفيع وقال ام اتخذوا من
دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال
عن صاحب يس ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا ولا ينقذون واما الخوارج والمعتزلة فانهم انكروا شفاعة نبينا صلى الله
عليه وسلم في اهل الكبائر من امته وهو لا مبتدعة ضلال مخالفون للكتاب المستفيضة
عن النبي صلى الله عليه وسلم والاجماع خير القرون والقسم الثالث
هو اهل السنة والجماعة وهم سلف الامة وائمتها ومن اتبعهم باحسان اثبتوا ما اثبته
الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونفوا ما نفاه الله فالشفاعة التي اثبتوها
هي التي جاءت بها الاحاديث كشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيمة اذا جاء الناس
الى آدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم انوه فقال اذهب الى ربي فاذا رايت ربي
خررت له ساجدا فاحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا احسنها الآن فيقال اي محمد
ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع فهو يحمد ربه سبحانه فيسجد له والثناء عليه
فاذا اذن له في الشفاعة شفع نبينا هو واخي صلى الله عليه وسلم وهذه الشفاعة
التي نفاها القرآن كما على المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الامة فينفيها
اهل العلم والايمان مثل انهم يطلبون من الانبياء والصالحين الحاضرين والميتين قضاء
حوائجهم ويقولون انهم اذا اراد ذلك قضوها ويقولون انهم عند الله تعالى كخواص
الملوك عند الملوك يشفعون بغير اذن الملوك ولم يدل الملوك الا يقضون حوائجهم
فيجعلون لهم بمنزلة شركاء الملك ومنزلة اولاده والله تعالى قد نزه نفسه عن ذلك كما قال تعالى
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل الآية
وهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم فانما
انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وهذه المسئلة مبسوطة في غير هذا الموضع

والزيارة المبتدعة هي من اسباب الشرك بالله ودعا خلقه واحداث دين لم ياذن الله به
والزيارة الشرعية هي من جنس الاحسان الى الميت بالدعا له كالاحسان اليه بالصلاة
عليه وهي من العبادات التي ينفع الله بها الداعي والمدعو له كالصلاة والسلام على النبي
صلى الله عليه وسلم وطلب الوسيلة والدعا لساير المومنين احياهم وامواتهم **فصل**
واما الحديث المذكور في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من زار قبري
وجبت له شفاعتي الي فهو ضعيف وليس في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم حديث
صحيح ولا حسن ولا روى اهل السنن المعروفة كسنن ابي داود والنسائي
وابن ماجة والترمذي ولا اهل المسانيد المعروفة كمسند احمد وغيره ولا
اهل المصنفات المعروفة كموطا مالك وغيره في ذلك شيئا بل عامة ما يروى احاديث
مكذوبة موضوعة كما يروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من زارني وزار ابي ابراهيم
في عام واحد ضمنت له على الله الجنة وهذا حديث موضوع كذب باتفاق اهل
العلم وكذلك ما يروى من قوله من زارني بعد مماتي فكانما زارني في حياتي ومن زارني
بعد مماتي ضمنت له على الله الجنة ليس لشي من ذلك اصل وان كان قد روى بعض ذلك
الدارقطني والبزار في مسنده فمدار ذلك على عبد الله ابن عمر العمري او هو ممن هو اضعف
منه مما لا يجوز ان يثبت بروايته حكم شرعي وانما اعتمد الايمة في ذلك على ما رواه ابو داود
في السنن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل يسلم علي الا رد الله
علي روحي حتى ارد عليه السلام وكما في سنن النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وكل
بقبري ملايكة تبلغني عن امتي السلام فالصلاة والسلام عليه مما امر الله به ورسوله
فلهذا استحب ذلك العلما ومما يبين ذلك ان مالكا رضي الله عنه كره
ان يقول الرجل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومالك قد ادرك التابعين بالمدينة وهم
اهل اعلم الناس بهذه المسئلة فدل ذلك على انه لم يكن معروفا عندهم الفاظ
زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا كره مالك وغيره من الايمة
عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم مستقبل القبر يقوم الدعا لنفسه هناك
وذكر ان هذا لم يكن من عمل الصحابة والتابعين وانه لا يصلح اخر

الدعا

هذه الامة

هذه الامة الا ما اصلح اولها وقد ذكروا في اسباب كراهته لان يقول زرت قبر النبي
صلى الله عليه وسلم هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد الزيارة البدعية وهي
قصد الميت لسؤاله ودعائه والرغبة اليه في قضاء الحوائج ونحو ذلك مما يفعله كثير من
الناس فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا وهذا ليس بمشروع باتفاق الائمة فكره
مالك ان يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد بخلاف الصلاة والسلام عليه فان ذلك
مما امر الله به اما لفظ الزيارة في عموم القبور فقد لا يفهم منها مثل هذا الا ترى الى قوله فزوروا
القبور فانها تذكركم الاخرة مع زيارته لقبر امه فان هذا يتناول زيارة قبور الكفار
فلا يفهم من ذلك الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به ونحو ذلك مما
يفعله اهل الشرك والبدع بخلاف ما اذا كان المزور معظما في الدين كالانبياء والصالحين
فانه كثيرا ما يعني بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية والشركية ولهذا كره مالك
ذلك في مثل هذا وان لم يكره ذلك في موضع اخر ليس فيه هذه المفسدة فلا يمكن
احد ان يروي باسناد ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا عن اصحابه شيئا في زيارة
قبره صلى الله عليه وسلم تسليما بل الثابت عنه في الصحاح ما يناقض هذا المعنى الفاسد
الذي يريده الجهال بهذا صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا
علي فان صلاتكم تبلغني وقوله صلى الله عليه وسلم لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان
يتخذ مسجدا وقوله صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد
الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك واشباه هذه الاحاديث
التي في الصحاح والسنن والكتب المعتمدة فكيف يعدل من له علم وايمان عن موجب
هذه النصوص الثابتة باتفاق اهل العلم الى متناقض معناها من الاحاديث التي
لم يثبت منها شيئا احد من اهل العلم والله سبحانه وتعالى اعلم

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت ونعم الوكيل
عدد كل ساكن
واستغفر الله
وتحرك

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مسئلة هل الميت يسمع كلام زائره ويرد شخصه وهل تعاد روحه الى جسده في ذلك الوقت ام تكون مترفرفة على قبره في ذلك الوقت وغيره وهل تصل اليه القراءة والصدقة من مخلفيه وغيرهم سواء كان من المال الموروث عنه او غيره وهل يجتمع روحه مع ارواح اهله واقاربه الذين ماتوا قبله سواء كان مدفونا قريبا منهم او بعيدا وهل تتغاير روحه الى جسده في ذلك الوقت او يكون وبدنه اذا فات في بلاد بعيده ودفن بها الا الارض التي ولد بها وهل يتاذى بكاء اهله عليه والمسؤل من اهل العلم رضي الله عنهم الجواب عن هذه الفصول فصلا فصلا جوابا واضحا مستوعبا لما ورد في ذلك من الكتاب والسنة ونقل عن الصحابة رضي الله عنهم وشرح مذاهب الائمة والعلماء اصحاب المذاهب واختلافهم وما الارجح من اقوالهم ما جورين ان شاء الله تعالى

الجواب الحمد لله رب العالمين نعم يسمع الميت في الجملة كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه مدبرين وانه ليسمع قرع نعالهم حين ينقلبون عنه وثبت في الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر بقتلى بدر فطرحوا في قليب بدر فقام عليهم فناداهم فقال يا ابا جهل بن هشام يا امية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة اليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا ثم امرهم فسحبوا الى قليب بدر وكذلك في الصحيحين عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا وقالوا انهم يسمعون الان ما اقول وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه انهم قالوا يا رسول الله كيف يسمعون يا ام المؤمنين عائشة الا ان اهل القبور يعلمون قولها السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ورحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستاخرين نسال الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم وقد ثبت بالخطاب والنداء في الصحيح من سمع ورد ابن عبد البر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل

يمر بقبر

يمر بقبر اخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وفي السنن عنه انه قال اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعني صرت رميما فقال ان الله حرم على الارض ان تاكل لحوم الانبياء وفي السنن انه قال ان الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن امتي السلام فهذه النصوص وامثالها تبين ان الميت يسمع في الجملة ولا يجب ان يكون السمع له دائما بل قد يسمع في بعض الاحوال دون حال كما يعرض للحي فانه قد يسمع احيانا خطاب من يخاطبه وقد لا يسمع لعارض يعرض له وهذا السمع سمع ادراك ليس بترتب عليه جزاء ولا هو السمع المنفي بقوله انك لا تسمع الموتى فان المراد انك لا تسمع القبول والامتثال فان الله جعل الكافر الذي لا يستجيب لمن يدعوه وكانهم بمنزلة الذي لا تسمع الصوت ولا تفقه المعنى فالميت وان سمع الكلام وفقه المعنى لكنه لا يمكنه اجابة الداعي والامتثال لما امر به ونهى عنه فلا ينتفع بالامر والنهي وهذا الكافر لا ينتفع بالامر والنهي وان سمع الخطاب وفهم المعنى كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم واما ما روي في الميت فقد روي في ذلك اثار عن عائشة رضي الله عنها وغيرها **فصل** واما قول القائل هل تعاد روحه الى بدنه ذلك الوقت ام تكون مترفرفة على قبره ذلك الوقت وغيره فان روحه تعاد الى بدنه في ذلك الوقت كما جاء في الحديث وتعاد ايضا في غير ذلك الوقت وارواح المؤمنين في الجنة كما في الحديث الذي رواه مسلم ومالك وان في رواية احمد وغيرهم ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وفي لفظ اخر تاوي الى قناديل معلقة بالعرش فتتصل بالبدن متى شاء الله وذكر في اللحظ بمنزلة نزول الملك وظهور الشعاع في الارض والتباهه الناس وهذا جاء في عدة اثار ان الارواح تكون على افنية القبور وقال مجاهد ان الارواح تكون على افنية القبور سبعة ايام من يوم يدفن الميت لا يتفرقون فهذا يكون احيانا وقال مالك بن انس بلغني ان الارواح مرسلة تذهب حيث شاءت

قول

فصل واما وصول القراءة والصدقة وغيرهما من اعمال البر فلا نزاع بين
علماء السنة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة والعتق كما يصل
اليه ايضا الدعاء والاستغفار والصلاة عليه صلاة الجنازة والدعاء عند قبره ونحو
في وصول الاعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة والصواب
ان الجميع يصل اليه فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من مات وعليه صيام صام عنه وليه وثبت ايضا في الصحيح ان امرأة ماتت
امها وعليها صوم ان تصوم عن امها وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لعمرو بن العاص لو اقر ابوك فصدقت او اعتقت او صمت عنه نفعه
ذلك وهذا مذهب احمد وابي حنيفة وطائفة من اصحاب مالك وان في هذا
احتجاج بعضهم بقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فيقال قد ثبت بالسنة
المتواترة واجماع الامة ان يصلى عليه ويدعا له ويستغفر وهذا من سعي غيره
وكذلك ثبت ما سلم من ان ينتفع بالصدقة عنه والعتق وهو من سعي غيره
وما كان من جوابهم من موارد النزاع فمنه جواب النافين عن موقع النزاع
وللناس فيه ذكر اجوبة متعددة لكن المحقق ذكر ان الله تعالى لم يقل ان الانسان
لا ينتفع الا بسعي نفسه وانما قال ليس له الا ما سعى وهو لا يملك الا سعيه ولا
يستحق غير ذلك واما سعي غيره فهو له كما ان الانسان لا يملك الا ما لنفسه
ونفع نفسه فمال غيره ونفع غيره هو كذلك للغير لكن اذا تبرع له الغير
بما يذكر جاز وهكذا اذا تبرع الغير بسعيه نفعه سعيه بذلك كما ينفعه
بدعائه له والصدقة عنه وهو ينتفع بكل ما يصل اليه من كل مسلم سواء كان من قرابته
او قرابة ربه او غيرهم كما ينتفع بصلاة المسلمين عليه ودعائهم له عند قبره فصل
واما قوله هل يجتمع روحه مع ارواح اهله وقرابته ففي الحديث عن ابي ايوب الانصاري
وغيره من السلف ورواه ابو حاتم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت اذا
عرف بروحه تلقته الارواح يسألونه عن الاحياء فبعضهم لبعض دعوه حتى يستريح

فيقولون

فيقولون له ما فعل فلان فيقول في كذا فيقولون ما فعل فلان فيقول الم يقدم
عليكم فيقولون لا فيقولون ذلك به الى امه الهاوية ولما كانت اعمال الاحياء تعرض
على الموتى كان ابو الدرداء يقول اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله
بن رواحة فهذا اجتماعهم عند قدومه يسالونه ويحييهم واما استقرارهم فبحسب
منازلهم عند الله فمن كان من المقربين كانت منزلته اعلا منزلة من كان من اصحاب
اليمين لكن الاعلى ينزل الى الاسفل والاسفل لا يصعد الى الاعلى فيجتمعون اذا شاء الله مع
تفاوت منازلهم كما يجتمعون في الدنيا ويتزاورون وسواء كانت المدافن متقاربة
في الدنيا او متباعدة قد تجتمع الارواح مع تباعد المدافن وقد تفترق مع تقارب
المدافن فقد يدفن المؤمن عند الكافر وروح هذا في الجنة وروح هذا في النار والرجلان يكونا
جالسين او نائمين في موضع واحد وقلب هذا ينعم وقلب هذا يعذب وليس
بين الروحين اتصال فالروح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والبدن لا ينقل الى موضع الولادة بل قد جاء
اثر ان الميت يذر عليه من تراب حفرته ومثل هذا لا يجزم به ولا يحتج به بل اجود منه
حديث اخر فيه انه ما من ميت يموت في غير بلده الا قيس له من مسقط راسه الى منقطع
اثره في الجنة والانسان يبعث من حيث مات وبدنه في قبره مشاهد فلا تدفع
المشاهدات بظنون لا حقيقة لها بل هي مخالفة في العقل والنقل

فصل

واما قول السائل هل يؤذيه البكاء عليه فهذه المسئلة في تنازع بين السلف
والخلف والعلماء والصواب انه يتاذى بالبكاء عليه كما نطقت به الاحاديث
الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه وفي لفظ من نيح عليه يعذب بما نيح عليه صح
الحديث الصحيح ان عبد الله بن رواحة لما اغمي عليه جعلت اخته تندب وتقول
واعضداه وانصيراه فلما افاق قال ما قلت لي شيئا الا قيل كذلك انت وقد انكر ذلك
طوائف كثيرة من السلف والخلف واعتقدوا ان هذا من باب تعذيب
الانسان بذنب غيره فهو مخالف لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى

ثم تنوعت طرقهم في تلك الاحاديث الصحيحة فمنهم من غلط الرواة لها كعمر ابن الخطاب وغيره
وهذه طريقة عائشة رضي الله عنها والشافعي وغيرهما ومنهم من حمل ذلك على ما اذا اوصى به فيعذب
على ايصائه وهو قول طائفة كالمزني وغيره ومنهم من حمل ذلك على ما اذا كان عادتهم
فيعذب على ترك النهي عن المنكر وهو اختيار طائفة منهم جدي ابو البركات وكل هذه الاقوال
ضعيفة جدا والاحاديث الصحيحة الصريحة التي يرويها مثل عمر بن الخطاب وابنه
عبد الله وابي موسى الاشعري وغيرهم لا ترد بمثل هذا وعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها
لها مثل هذا فطائفة ترد الحديث بنوع من التاويل والاجتهاد لاعتقادها بطلان
معناه ولا يكون الامر كذلك ومن تدبر هذا الباب وجد هذا الحديث الصحيح الصريح
الذي يرويه الثقة لا يرده احد بمثل هذا الا كان مخطيا وعائشة رضي الله عنها
روت عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظين وهي الصادقة فيما تنقله رضي الله عنها فروت عن النبي
صلى الله عليه وسلم قوله ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه وهذا موافق لحديث عمر فانه
اذا جاز ان يزيده عذابا ببكاء اهله جاز ان يعذب غيره ابتداء ببكاء اهله ولهذا
رد الشافعي في مختلف الحديث بهذا الحديث ايضا نظرا الى هذا المعنى وقال الاشبه روايتها
الاخرى انهم يبكون عليه وانه يعذب في قبره والذين اقروا هذا الحديث على مقتضاه
ظن بعضهم ان هذا من باب عقوبة الانسان بذنب غيره وان الله يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد واعتقد هؤلاء ان الله يعاقب الانسان بذنب غيره فجوزوا ان يدخل اولاد
الكفار النار بذنوب آبائهم وهذا وان كان قد قاله طوائف منتسبة الى السنة فالذي
دل عليه الكتاب والسنة ان الله لا يدخل النار الا من عصاه كما قال تعالى لاملئن جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين فاقسم ابدا ان يملأ جهنم من اتباع ابليس واذا امتلأت منهم
لم يكن لغيرهم فيها موضع فمن لم يتبع ابليس لم يدخل النار واطفال الكفار
اصح الاقوال فيهم الله اعلم بما كانوا عاملين كما قد اجاب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح وطائفة من اهل السنة وغيرهم قالوا انهم كلهم في النار وذكر انه من نصوص احمد
وهو غلط على احمد وطائفة جزموا بانهم كلهم في الجنة واختار ذلك ابو الفرج بن الجوزي

فروت

اشار

واختار ذلك القاضي ابو يعلى وغيره صح

وغيره

وغيره واحتجوا بحديث فيه رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى ابراهيم الخليل وعنده اطفال
المؤمنين قيل يا رسول الله واطفال المشركين قال واطفال المشركين والصواب
ان يقال الله اعلم بما كانوا عاملين ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار وقد جاء في عدة احاديث
انهم يوم القيمة في عرصات القيمة يؤمرون وينهون فمن اطاع دخل الجنة ومن عصى دخل
النار وهذا هو الذي ذكره ابو الحسن الاشعري عن اهل السنة والجماعة والتكليف
انما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار واما عرصات القيمة فيمتحنون
فيها كما يمتحنون في البرزخ فيقال لاحدهم من ربك وما دينك ومن نبيك
وقال تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون الاية وقد
ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث تجلي الله لعباده في الموقف
اذا قيل ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون فيتبع المشركون الهتهم ويبقى المؤمنون
فيتجلى لهم الرب في غير الصورة التي يعرفون فينكرونه ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفون
فيسجد له المؤمنون وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر يريدون السجود فلا يستطيعون
الاية وذكر قوله يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون الاية والكلام
على هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان الله تعالى
لا يعاقب احدا في الاخرة الا بذنبه وانه لا تزر وازرة وزر اخرى وقوله
ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه ليس فيه ان النائحة لا تعاقب بل النائحة تعاقب
على النياحة كما في الحديث الصحيح ان النائحة اذا لم تتب قبل موتها فانها تلبس يوم القيمة
درعا من جرب وسربالا من قطران فلا يحمل عمر بنوح وزره احد وانما يعذب
الميت فهو لم يقل ان الميت يعاقب ببكاء اهله عليه بل قال يعذب والعذاب اعم من
العقاب فان العذاب هو الالم وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقابا له على
ذلك الامر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه
فسمى السفر عذابا وهو ليس هو عقابا على ذنب والانسان يعذب بالامور المكروهة
التي يشعر بها مثل الاصوات الهائلة والارواح الخبيثة والصور القبيحة فهو يتعذب

الصحيح

ان يسجدوا

السبب

بسماع هذا وبشم هذا ولم يكن ذلك عملا له عوقب به فكيف ينكر ان يتعذب
الميت بالنياحة وان لم تكن النياحة عملا له يعاقب عليه والانسان في قبره يعذب
بكلام بعض الناس وبسماع كلامه ويتالم برؤية بعضهم وبسماع كلامه ولهذا افتى القاضي
ابو يعلى بان الموتى اذا عمل عندهم بالمعاصي فانهم يتالمون بهذا كما جاءت بذلك الاثار فتعذيبهم
بعمل المعاصي عند قبورهم كتعذيبهم بنياحة من ينوح عليهم ثم النياحة
بسبب العذاب وقد يندفع حكم السبب بما يعارضه فقد يكون من الميت من قوة
الكرامة ما يدفع عنه ذلك كما قد يكون في بعض الناس من القوة ما يدفع ضرر الاصوات
الهائلة والارواح الخبيثة والصور القبيحة واحاديث الوعيد يذكر فيها
السبب وقد يتخلف موجبه عنه لموانع تدفع ذلك عنه اما بتوبة مقبولة واما
بحسنات ماحية واما بمصائب مكفرة واما بشفاعة شفيع مطاع واما
بفضل الله ورحمته ومغفرته فانه لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وما
للمؤمن في الدنيا والبرزخ والقيامة عن الالم التي هي عذاب فان ذلك مما يكفر الله به
خطاياه كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المؤمن من وصب
ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه
وفي المسند لما نزلت هذه الاية من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق يا رسول الله جاءت
قاصمة الظهر واينا لم يعمل سوءا فقال يا ابا بكر الست تنصب الست تحزن الست يصيبك
الاذى فان الجنة طيبة لا يدخلها الا طيب كما قال تعالى طبتم فادخلوها خالدين وفي
الحديث الصحيح انهم اذا عبروا على الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة والكلام في هذه المسائل
مبسوط في غير هذا الجواب والله اعلم بالصواب وما ذكرناه في ان الموتى يسمعون
الخطاب ويصل اليهم الثواب ويعذبون بالنياحة عليهم بل وما لم يسال عنه السائل من
عقابهم في قبورهم وغير ذلك فقد ينكشف لكثير من ابناء زماننا يقظة ومناما ويعلمون
ذلك ويتحققونه وعندنا من ذلك امور كثيرة لكن الجواب في المسائل العلمية

كما ان صاحب الكبيرة قد توعد بالعقاب وقد يدفع عنه صح

السنن

يعتمد

وهو يعتمد فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فانه يجب على الخلق التصديق به وما كشف للانسان
من ذلك او اخبر به من هو صادق عنده فهذا ينتفع به من علمه ويكون ذلك مما يزيده
ايمانا وتصديقا بما جاءت به النصوص ولكن لا يجب على جميع الخلق الايمان بغير ما جاءت
الانبيا فان الله تعالى اوجب التصديق بما جاءت به النصوص ولكن لا يجب على جميع
الخلق الايمان بغير ما جاءت به الانبيا كما في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
الاية وقال تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والنبيين الاية وقد ثبت
في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي
احد فعمر فالمحدث الملهم المكاشف من هذه الامة يجب عليه ان يزن ذلك بالكتاب والسنة
فان وافق ذلك صدق ما ورد عليه وان خالف ذلك لم يلتفت اليه كما كان يجب على
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو سيد المحدثين اذا القي في قلبه شي وكان مخالفا للسنة
لم يقبل منه فانه ليس هو معصوما وانما العصمة للنبوة ولهذا كان الصديق افضل من
عمر فان الصديق لا يتلقى عن قلبه بل عن مشكاة وهي معصومة والمحدث يتلقى تارة عن
قلبه وتارة عن النبوة فما تلقاه عن النبوة فهو معصوم يجب اتباعه وما الهم في قلبه
فان وافق ما جاءت به النبوة فهو حق وان خالف ذلك فهو باطل فلهذا لا يعتمد
اهل العلم والايمان في مثل مسائل العلم والدين الا على نصوص الكتاب والسنة واجماع
الامة وان كان عندهم في بعض ذلك شواهد وبينات فما شاهدوه ووجدوه
مما عقلوه وعلموه فذلك بما ينتفعون هم في انفسهم واما حجة الله تعالى على عباده
فهم رسله والا فهذه المسائل فيها من الدلائل والاعتبارات العقلية والشواهد الحسية
ما ينتفع به من وجد ذلك وقياس بني ادم وكشفهم تابع لما جاءت به الرسل عن
الله تعالى لا مخالف ومع كونه حقا فلا يفصل الخلاف بين الناس ولا يجب على من لم
يحصل له ذلك التصديق به كما يجب التصديق بما عرف انه معصوم وهو كلام الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم لكن من حصل له في مثل هذه الامور بصيرة او قياس او
برهان كان ذلك نورا على نور قال بعض السلف بصيرة المؤمن تنطق بالحكمة وان
لم يسمع فيها الاثر فاذا جاء الاثر كان نورا على نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال الله تعالى

بيان الايمان بغير ما جاءت به الانبيا

فالحق في ذلك موافق لما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليه لا مخالف

قال الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم
الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما
جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على محمد وسلم

مسئلة في قوله صلى الله عليه وسلم لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن
عبد الا ذنبه فما معنى لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه **الجواب**
الحمد لله رب العالمين هذا الكلام يؤثر عن امير المؤمنين علي بن
ابي طالب وهو من احسن الكلام وابلغه واتمه فان الرجا يكون للخير والخوف يكون
من الشر والعبد انما يصيبه الشر بذنوبه قال الله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
اذا هم يقنطون وقال اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
الاية فان كثيرا من الناس يظن ان المراد بالحسنات والسيئات من هذه الاية الطاعات
والمعاصي ثم المثبتة للقدر يحتجون بقوله كل من عند الله ويعارضهم قوله ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ونفاة القدر يحتجون بهذه
الثانية مع غلطهم في ذلك في مذهبهم ان العبد يخلق جميع افعاله ويعارضهم قوله
كل من عند الله وانما غلط كلا الفريقين لما تقدم من ظنهم ان الحسنات والسيئات هي الطاعات
والمعاصي وانما الحسنات والسيئات في هذه الاية النعم والمصائب كما في قوله وبلوناهم
بالحسنات والسيئات وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه ونحو ذلك وهذا كثير وهذه الاية ذم الله بها المنافقين الذين
ينكلون عما امر الله به من الجهاد وغيره فاذا نالهم رزق ونصر وعافية قالوا هذه من
عند الله واذا نالهم فقر وذل ومرض قالوا هذه من عندك يا محمد بسبب الدين الذي امرتنا به
كما قال قوم فرعون لموسى وذكر الله ذلك عنهم بقوله وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
وكما قال الكفار للرسل انا تطيرنا بكم والكفار والمنافقون اذا اصابتهم المصائب بذنوبهم

يطيروا

وقوله وقهم السيئات صح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يطيروا بالمؤمنين فبين الله سبحانه ان الحسنة من الله ينعم بها عليهم وان السيئة انما تصيبهم بذنوبهم
ولهذا قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاخبر انه لا يعذب مستغفر لان الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب
فيندفع العذاب كما في سنن ابي داود وابن ماجه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اكثر
الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقد
قال تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا ومن عمل بعد ذلك خيرا
زاده الله من فضله وفي الحديث يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني
بلا اله الا الله والاستغفار فلما رايت ذلك بثثت فيهم الاهوا فهم يذنبون ولا
يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولهذا قال تعالى فاخذناهم بالباساء
والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا فحضهم عند مجي الباس على
التضرع وقال تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون قال عمر ابن
عبد العزيز ما نزل بلاء الا بذنب ولا رفع بلاء الا بتوبة ولهذا قال تعالى الذين قال لهم
الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الى قوله فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
فنهى المؤمنين عن خوف اولياء الشيطان وامرهم بخوفه وخوفه يوجب فعل ما امر به
وترك ما نهى عنه والاستغفار من الذنوب وحينئذ يندفع عنه البلا وينصر على الاعدا
فلهذا قال علي عليه السلام لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه فانه وان سلط
عليه مخلوق فما سلط عليه الا بذنوبه فليخف الله وليتب من ذنوبه التي ناله بها ما ناله
كما في الاثر يقول الله تعالى انا الله مالك الملوك واطيعوني اعطف قلوبهم عليكم واما
قوله لا يرجون عبد الا ربه فان الراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر ولا
ياتي بالحسنات الا الله ولا يذهب السيئات الا الله وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده والرجا مقرون بالتوكل فان المتوكل
يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة والتوكل لا يجوز الا على الله
كما قال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال ان ينصركم الله فلا

اي هلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا صح

قلوب الملوك ونواصيهم بيدي من اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك صح

وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون صح

غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال تعالى ولو انهم رضوا
ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله الاية وقال الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا في دفع البلاء واوليك امروا
ان يقولوا حسبنا الله في جلب النعما فهو سبحانه كافي عبده في ازالة الشر وفي انالة الخير اليس الله
بكاف عبده ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الاية واتخذوا من دون الله الهة
ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ومن يشرك بالله فكانما
خر من السما فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق لا تجعل مع الله الها اخر
فتقعد مذموما مخذولا وقال الخليل فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فمن عمل لغير الله
ورجا ان ينتفع بما عمل له كانت صفقته خاسرة قال الله تعالى والذين كفروا بربهم اعمالهم
كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء الاية وقال والذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت
به الريح في يوم عاصف الاية وقال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وقال كل شيء هالك الا وجهه قيل في تفسيرها كل باطل الا ما اريد به وجه الله فمن عمل
لغير الله ورجاه بطل سعيه والراجي يكون تارة راجيا بعمل يعمله وتارة باعتماد قلبه
عليه والتجائه اليه وسواله فذاك نوع من العبادة له وهذا نوع من الاستعانة به وقد
قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقال فاعبده وتوكل عليه وقال قل هو ربي لا اله
الا هو عليه توكلت واليه متاب ومما يوضح ذلك ان كل خير ونعمة
تنال العبد فانما هي من الله وكل شر ومصيبة تندفع عنه او تكشف عنه فانما يمنعها
الله وانما يكشفها الله واذى ما جرى ما جرى من اسبابه على يد خلقه فالله سبحانه هو خالق الاسباب
كلها سواء كانت الاسباب كل حركة حي باختياره وقصده كما يحدثه بافعال الحركة
الملائكة والجن والانس والبهائم او كل حركة جماد مما جعل الله فيه من الطبع او بقاسر يقسره
كحركة الرياح والمياه وغير ذلك فالله خالق ذلك كله فانه لا حول ولا قوة الا بالله وما شاء
كان وما لم يشا لم يكن فالرجا يجب ان يكون لرب هذا كله والتوكل عليه والاعتماد فانه ان

شاء ذلك

ان شاء ذلك ويسره كان وتيسيره ولو لم يشأ الناس وان لم يشأه ولم يسره لم يكن ولو
شاءه الناس وهذا واجب لو كان شيء من الاسباب مستقلا بالمطلوب فانه لو قدر
مستقلا بالمطلوب وانما يكون بمشيئة الله وتيسيره لكان الواجب ان لا يرجا
الا الله ولا يتوكل الا عليه ولا يسأل الا هو ولا يستعان الا به ولا يستغاث
الا هو فله الحمد واليه المشتكى وهو المستعان وبه المستغاث ولا حول ولا قوة الا به
فكيف وليس شيء من الاسباب مستقلا بمطلوب بل لا بد من انضمام اسباب اخر اليه
ولا بد ايضا من صرف الموانع والمعارضات عنه حتى يحصل المقصود فكل سبب
فله شريك وله ضد فان لم يعاونه شريكه ولم ينصرف عنه ضده لم يحصل مسببه
فالمطر وحده لا ينبت النبات الا بما ينضم اليه من الهوى والتراب وغير ذلك ثم الزرع
لا يتم حتى تصرف عنه الافات المفسدة له والطعام والشراب لا يغذي الا بما جعل في
البدن من الاعضا والقوى ومجموع ذلك يفسد ان لم تصرف المفسدات والمخلوق
الذي ينصرك ويعطيك فهو مع ان الله يخلق فيه الارادة والقوة والفعل فلا يتم ما يفعله
الا باسباب كثيرة خارجة عن قدرته تعاونه على مطلوبه ولو كان ملكا مطاعا ولا
بد ان يصرف عن الاسباب المعاونة ما يعارضها ويمانعها فلا يتم المطلوب الا بوجود المقتضي وعدم
المانع ومن عرف هذا حق المعرفة انفتح له باب توحيد الله وعلم انه لا يستحق ان
يدعا غيره ولا فرق بين الاسباب العلوية والسفلية وافعال الملائكة والانبيا والمؤمنين
وشفاعتهم وغير ذلك من الاسباب فان من توكل على الشفاعة او الدعا من ملك او نبي او
رجل صالح ونحو ذلك قيل له هذا ايضا سبب من الاسباب فهذا الشافع والداعي
لا يفعل ذلك الا بمشيئة الله وقدرته فليس احد يشفع عنده الا باذنه الاذن
القدري الكوني فان شفاعته من جملة افعال العباد لا تكون الا بمشيئته
وقدرته فليس كالمخلوق الذي يشفع اليه شافع بغير حول المشفوع اليه وقوته بل هو خالق
شفاعة الشافع كساير التحويلات ولا حول ولا قوة الا به والحول يتضمن التحول من حال الى حال

ويمانعها

وكل سبب معين فانما هو جزء من التمني فليس في الوجود شيء واحد هو مقتض تام وان سمي مقتضيا وسمي ساير ما يعينه شروطا فهذا نزاع لفظي وحينئذ فيقال لا بد من وجود المقتضي والشروط وانتفا الموانع واما ان يكون في المخلوقات علة تامة تستلزم معلولها فهذا باطل صح

بحركة او ارادة او غير ذلك فان ضح لاحول له في الشفاعة ولا غيرها الا بعد اهل طاعته
الذين يقبل شفاعتهم لا يشفعون الا لمن ارتضى فلا يطلبون منه ما لا يحب ان يطلب منه
بل الملائكة لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يشفعون الا لمن ارتضى والصادر عنهم اما قول واما عمل فالقول لا يسبقونه بل لا يقول حتى
يقول ولا يشفعون الا لمن ارتضى وعلينا ان نكون معه ومع رسله هكذا
فلا نقول في الدين حتى يقول لا نتقدم بين يدي الله ورسوله ولا نعبده الا بما
امر واعلم من هذا ان لا نعمل الا ما امر فلا تكون اعمالنا الا واجبة او مستحبة واذا
كان هكذا في مثل هذه الاسباب فكيف من توكل او رجا اسبابا غير هذه من
الكواكب او غيرها او من افعال الآدميين من الملوك الرؤساء والاصحاب والاصدقاء
والمماليك والاتباع وغير ذلك ومما ينبغي ان يعلم ما قاله طائفة من العلماء قالوا
الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص
في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع وانما التوكل والرجاء معنى
يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع وبيان ذلك ان الالتفات الى الاسباب
هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد اليه وليس في المخلوقات ما يستحق هذا
لانه ليس بمستقل ولا بد له من شريك واضداد ومع هذا كله فان لم يسخره مسبب
الاسباب لم يستخدم وهذا مما يبين ان الله رب كل شيء ومليكه وان السموات
والارض وما بينهما والافلاك وما حوته لها خالق مدبر غيرها وذلك ان كل
ما يقدر من فلك او كوكب او ملك او غير ذلك فانه يجده ليس مستقلا باحداث شيء من
الحوادث بل لا بد له من مشارك معاون وهو مع ذلك له معارضات وممانعات

ومن اعظم ذلك الفلك الاطلس التاسع الذي كثير من المتفلسفة الالهيين والمنجمين
وغيرهم انما حركته هي السبب في حدوث الحوادث كلها واليه انتهى علمهم بالاسباب
الحوادث ثم هم اما ان يجعلوه معلولا لواجب الوجود بتوسط عقل ونفس او
بغير توسط ذلك واما ان يكون له

معلولا

الذين هم لا يكذبون كما قال فيهم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون ضح

فانك

في السبب ولهذا قال الخليل صلى الله عليه وسلم لا حب الآفلين فلم يبق جهة يستند اليها المتعلق بها والرب الذي يدعا ويسأل وهو
الا الله ولا يتوكل الا عليه **وامن قولهم** الخوف لا فانه فلا علم قبو ما يقع العبد في جميع الاوقا
انه لا يصيبه مصيبة الا بذنوبه وهذا يعم باب الآفاق والانفس وبما احدث على الحي الذي لا يموت وتوكل
في كتابه كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وهذا بتحقيق ما ثبت في الحديث الصحيح الالهي حديث ابي ذر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم
اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فبين
ان ما يجده العبد من الخير فليحمد الله عليه فان الله هو الذي انعم به عليه
وان كل ما وجده من الشر فلا يلومن فيه الا نفسه وفي الصحيح ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني
وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء
لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فقوله ابوء لك
بنعمتك علي اعتراف واقرار بالنعم وقوله وابوء بذنبي اقرار بالذنب ولهذا قال
من قال من السلف اني اصبح بين نعمة وذنب فاريد ان احدث للنعمة شكرا
وللذنب استغفارا لكن الشكر يكون بعد النعمة والتوكل والرجا يكون قبل النعمة
كما قال الخليل فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم
الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا فجمع
بين حمده والاستعانة به والاستغفار له فقد تبين ان الالتفات الى الاسباب
شركة التوحيد وهو ظلم وجهل وهذه حال من دعا غير الله او توكل على غير الله
واما قولهم محو الاسباب ان تكون اسبابا بقصر العقل فهي
كذلك وهو في الشرع ايضا فانه كثيرا ما اصل الكلام الامر والاسباب بالكلية وجعلوا
وجودها كعدمها والله تعالى يقول والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
وقال ويسقى به الله من يشاء من عباده وقال يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
وامثال ذلك ممن فعل عندها لا بها فقد خالف لفظ القرآن مع ان الحس

يرحمني ويتوكل عليه لا بد ان يكون
والا حوال كما قال تعالى
من انواع النظر والاعتبار
يوجب ان العبد لا يرجو الا الله

والعقل يشهد انها اسباب بعضها اقوى من بعض والعين في اختصاص
احدها بقوة ليست في الاخرى وبين الخبز والحصاد فان احدهما يحصل به
العباد دون الاخر وهو قولهم الاعراض عن الاسباب
بالكلية قدح في الشرع بل هو ايضا قدح في العقل فان افعال العباد من اقوى الاسباب
لما نيط بها من جعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض او جعل
المتقين كالفجار فهو من اعظم الناس جهلا واشدهم كفرا بما امر الله به من العبادات
والدعوات والعلوم والاعمال هي من اعظم الاسباب فيما نيط بها من العبادات
وكذلك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان هو من اعظم الاسباب فيما
نيط به من العبادات لما علق به من العقوبات ومع هذا فقد قال خير الخلق
انه لن يدخل احدكم منكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمة منه وفضل ولما قال لهم ما منكم من احد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده
من النار قالوا يا رسول الله افلا نتكل على الكتاب وندع العمل فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له
اما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة وامن كان من اهل الشقاوة
فكذلك وكذلك الدعاء والتوكل من اعظم الاسباب لما جعله الله سببا له فمن قال ما
قدر لي فهو يحصل لي دعوت او لم ادع وتوكلت او لم اتوكل فهو بمنزلة من يقول ما
قسم لي من السعادة والشقاوة فهو يحصل لي امنت او لم امن وعصيت او اطعت
ومعلوم ان هذا ضلال وكفر وان كان الاول ليس مثل هذا في الضلال اذ ليس تعليق
المقاصد بالدعاء والتوكل كتعليق سعادة الاخرة بالايمان لكن لا ريب ان ما جعل الله
الدعاء سببا له فهو بمنزلة ما جعل العمل الصالح سببا له وهو قادر على ان يفعل
سبحانه بدون هذا السبب وقد يفعله بسبب اخر وكذلك من ترك الاسباب المشروعة
اما هو بها في جلب المنافع ودفع المضار كان ذما في الشرع

امر بجواب اولى استحباب هم

خارجا

كم لا ذنب له ولا يحسن لوم التايب باتفاق الناس وايضا فان ادم احتج بالقدر
وليس لاحد ان يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر اهل الملل وسائر العقلاء
فان هذا لو كان معقولا لامكن كل احد ان يفعل ما يخطر له من قتل النفوس واخذ الا
موال وسائر انواع الفساد في الارض ويحتج بالقدر ونفس المحتج بالقدر اذا اعتدى
عليه واحتج عليه المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يلتبس ويناقض القول ويظهر فساده
فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول ومن نظر ان الامر بالقدر
وان الله خالق خالق افعال العباد ديانا في الامر كما يظنه المباحية المشركية الذين
يقرون بالقدر دون الامر والقدرية المجوسية الذين يقرون بالامر دون القدر
اوظن ان التكليف مع ذلك غير معقول ولكن الشارع اطبع فيه لمحض المشيئة الالهية
وان الله يفعل وجعل ذلك حجة له ان الافعال لم تتضمن اسبابا مناسبة للامر والنهي بل
انكر ما اشتملت عليه الشريعة من المصالح والمحاسن والمقاصد التي للعباد في المعاش
والمعاد وجعل علل الشرع مجردا مادة من غير ان يكون بين العلة والحكم مناسبة
وملائمة وانكر ان تكون الافعال على وجوه لاجلها كانت حسنة مامورا بها و
كانت سيئة منهيا عنها احتجاجا على ذلك بالقدر وانه مع كون الرب هو الخالق
لكل شيء يمتنع هذا كله فهو مخطئ ضال يعلم فساد قوله بضرورة العقل وبما اتفق
عليه العقلاء من دلالة الكتاب والسنة والاجماع على فساد قوله فان عامة
بني آدم يومنون بالقدر ويعلمون انه لا بد من عقوبة المعتدين حتى في المجانين
والبهائم يؤدبون لكف عدوانهم وان كانت الافعال مقدرة فكيف بعقوبة الآدميين
على عدوانهم وان كانت الافعال مقدرة عليهم فالعبد عليه ان يصبر وينبغي ان يرضى
بما قدر من المصائب ويستغفر من الذنوب والمعايب ولا يحتج لها بالقدر ويشكر على ما
قدر له من النعم والمواهب فيجمع بين الشكر والصبر والاستغفار والايمان بالقدر والشرع
والله اعلم

المعلول

بلغ مقابلة

كتاب التحفة العراقية في الاعمال

القلبية لشيخ الاسلام

احمد بن تيمية

رضي الله عنه وارضاه

وجعل [illegible] منزله

[illegible] وماواه امين

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبي عليه توكلت

ونعم الوكيل

آمين
اجمعين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
ونشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما **اما بعد**
فهذه كلمات مختصرات في اعمال القلوب التي قد تسمى المقامات او الاحوال وهي من
اصول الايمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله واخلاص الدين له والشكر
له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من اوجب
الله حقه من اهل الايمان واستكتبها وكل منا عجلان **فاقول هذه**
الاعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المامورين في الاصل باتفاق ائمة الدين والناس فيها
على ثلاث درجات كما هم في اعمال الابدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق
بالخيرات فالظالم لنفسه العاصي بترك مامور او فعل محظور والمقتصد المؤدي الواجبات
والتارك للمحرمات والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك
للمحرم والمكروه وان كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه اما
بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين واما بحسنات ماحية واما بمصائب
مكفرة واما بغير ذلك وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من اولياء الله فان
اولياء الله هم الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون فاولياء الله هم المؤمنون المتقون
ولكن ذلك ينقسم الى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وان كان السابقون
هم اعلى درجات كالانبياء والصديقين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم القسمين في الحديث
الذي رواه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من عادى
لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه
ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي
يبطش وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت

عن شيء

عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مسائته ولا بد له منه
واما الظالم لنفسه من اهل الايمان ففيه من ولاية الله بقدر ايمانه وتقواه كما معه من
ضد ذلك بقدر فجوره فالشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب
والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن ان يثاب ويعاقب وهذا قول جميع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وايمة الاسلام واهل السنة والجماعة الذين يقولون انه لا يخلد في النار من في قلبه
مثقال ذرة من ايمان واما القايلون بالتخليد كالخوارج والمعتزلة القايلون بانه لا يخرج من
النار من دخلها من اهل القبلة وانه لا شفاعة للرسول ولا لغيره في اهل الكباير لا قبل دخول
النار ولا بعدها فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب وعقاب وحسنات وسيئات
بل من اثيب لم يعاقب ومن عوقب لم يثب ودليل هذا الاصل من الكتاب والسنة واجماع
السلف الامة كثيرة ليس في هذا موضعه قد بسطناه في مواضعه وينبني عليه امور
كثيرة ولهذا من كان معه ايمان حقيقي فلا بد ان يكون معه من هذه الامور عمال بقدر
ايمانه وان كان له ذنوب كما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا كان
يسمى حمارا وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يشرب الخمر ويجلده النبي صلى الله عليه وسلم
فاتي به مرة فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فهذا يبين ان المذنب بالشرب وغيره قد يكون محبا لله
ورسوله وحب الله ورسوله اوثق عرى الايمان كما ان العابد الزاهد قد يكون لما في قلبه من بدعة
ونفاق مسخوط من ذلك الوجه عند الله ورسوله كما استفاض في الصحاح من حديث
امير المؤمنين علي بن ابي طالب وابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الخوارج فقال
يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القران لا يجاوز
حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في
قتلهم اجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيمة لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد وهؤلاء قاتلهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح تمرق مارقة على خير فرقة من المسلمين يقتلهم ادنى الطايفتين ولهذا
قال ايمة الاسلام كسفيان الثوري وغيره ان البدعة احب الى ابليس من المعصية لان البدعة
لا يتاب منها والمعصية يتاب منها ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان
المبتدع الذي يتخذ دينا لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب
ما دام يراه حسنا لان اول التوبة العلم بان فعله سيء ليتوب منه او بانه ترك حسنا مامورا به امر

بيان دلايل

وغيرها

وغيرها

الى الحق

ايجاب او امر استحباب ليتوب فيفعله فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الامر فانه
لا يتوب ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بان يهديه الله ويرشده حتى يتبين له
الحق كما هدى سبحانه وتعالى من الكفار والمنافقين وطوايف من اهل البدع والضلال
وهذا يكون بان يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعمل كما قال تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم وقال تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان
خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا
تمشون به الاية وقال تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام الاية وشواهد ذلك كثيرة في الكتاب
والسنة وكذلك من اعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعا لهواه فان ذلك يورثه الجهل والضلال
حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الاية وقال تعالى في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا وقال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة الاية
وهذا استفهام نفي وانكار اي وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون وانا نقلب افئدتهم وابصارهم
كما لم يؤمنوا به اول مرة وعلى قراءة من قرا انها بالكسر تكون جزما بانها اذا جاءت لا يؤمنون
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ولهذا قال من قال من السلف كسعيد
بن جبير ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان من عقوبة السيئة السيئة بعدها وقد
ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالصدق فان
الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى
يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور
يهدي الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يسمى عند الله كذابا فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم ان الصدق اصل يستلزم البر وان الكذب اصل يستلزم الفجور وقد قال تعالى ان
الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ولهذا كان بعض المشايخ اذا امر بعض متبعيه بالتوبة
واحب ان لا ينفره ويشعب قلبه امره بالصدق ولهذا يكثر في كلام مشايخ الدين
وائمة ذكر الصدق والاخلاص حتى يقولون قل لمن لا يصدق لا يتبعني ويقولون الصدق

من هدى

قف تامل

سيف

بيان صح
سيف

سيف الله في الارض ما وضع على شيء الا قطعه ويقول يوسف بن اسباط وغيره ما صدق الله
عبد الا صنع له وامثال هذا كثير والصدق والاخلاص هما في الحقيقة تحقيق الايمان والاسلام
فان المظهرين للاسلام ينقسمون الى مؤمن ومنافق والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق
فاساس النفاق الذي يبنى عليه هو الكذب ولهذا ذكر الله حقيقة الايمان نعته بالصدق
كما في قوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا الى قوله انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون فاخبر ان الصادقين في دعوى
الايمان هم المؤمنون الذين لم يتعقب ايمانهم ريبة وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
وذلك ان هذا هو العهد الماخوذ على الاولين والاخرين كما قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به
ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري الاية قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا
اخذ عليه الميثاق لان بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره ان
ياخذ الميثاق على امته لان بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه وقال تعالى لقد ارسلنا
رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد
فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز
فذكر سبحانه انه انزل الكتاب والميزان وانه انزل الحديد لاجل القيام بالقسط وليعلم الله
من ينصره ورسله ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر وكفى بربك
هاديا ونصيرا والكتاب والحديد وان اشتركا في الانزال فلا يمنع ان يكون احدهما نزل
من حيث لم ينزل الاخر حيث نزل الكتاب من الله كما قال تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
وقال كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وقال وانك لتلقى القران من لدن حكيم
عليم والحديد انزل من الجبال التي يخلق فيها وكذلك وصف الصادقين في دعوى البر الذي هو جماع

الايمان
الذي في قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر
والملائكة والكتاب والنبيين الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون واما المنافقون فوصفهم
بالكذب في ايات متعددة كقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا
يكذبون وقوله اذا جاء المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون وكقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه
وبما كانوا يكذبون ونحو ذلك من القران كثير **ومما ينبغي** ان يعرف ان الصدق والله
والتصديق يكون في الاقوال وفي الاعمال كقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كتب
على ابن ادم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر والاذنان
تزنيان وزناهما السمع واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي
والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه ويقال حملوا على العدو حملة صادقة
اذا كانت ارادتهم للقتال ثابتة جازمة ويقال فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك ولهذا
يريدون بالصادق الصادق في ارادته وقصده وطلبه وهو الصادق في عمله ويريدون
الصادق في خبره وكلامه والمنافق ضد المومن الصادق وهو الذي يكون كاذبا في خبره او
كاذبا في عمله كالمرائي بعمله قال الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا
قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس الايتين **واما** الاخلاص لله
فهو حقيقة الاسلام اذ الاسلام هو الاستسلام لله لا لغيره كما قال تعالى ضرب الله مثلا رجلا
فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان الاية فمن لم يستسلم له فقد استكبر ومن
استسلم لله ولغيره فقد اشرك وكل من الكبر والشرك ضد للاسلام والاسلام ضد الكبر والشرك
ويستعمل لازما ومتعديا كما قال تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقال تعالى بلى من اسلم وجهه لله
وهو محسن الاية وامثال ذلك في القران كثير ولهذا كان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وهي
متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه وهو الاسلام العام الذي لا يقبل
الله من احد من الاولين والاخرين دينا سواه كما قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما

بالقسط

بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام **وهذا** الذي
ذكرناه مما يبين ان اصل الدين في الحقيقة هي الامور الباطنة من العلوم والاعمال وان الاعمال الظاهرة
لا تنفع بدونها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه احمد في مسنده الاسلام علانية
والايمان في القلب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير عن
النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من
الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه الا وان في
الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر
الجسد الا وهي القلب وعن ابي هريرة قال القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب
الملك طابت جنوده واذا خبث خبثت جنوده **فصل** هذه الاعمال
الباطنة كمحبة الله والاخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها
مامور بها في حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودا في حال احد وان ارتقى مقامه
واما الحزن فلم يامر الله ولا رسوله بل قد نهى عنه في مواضع وان تعلق بامر الدين كقوله
ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مومنين وقوله فلا تحزن عليهم
ولا تك في ضيق مما يمكرون وكقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقوله
ولا يحزنك قولهم وقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وامثال
ذلك كثير وذلك لانه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فايدة فيه وما لا فايدة فيه
لا يامر الله به نعم لا ياثم صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصايب كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يواخذ على دمع العين ولا على حزن القلب
ولكن يواخذ على هذا او يرحم واشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا
نقول الا ما يرضي الرب ومنه قوله تعالى وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت
عيناه من الحزن فهو كظيم وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون
محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبته في دينه وعلى مصايب
المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك ولكن
الحزن على ذلك اذا افضى الى ترك مامور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة
نهي عنه والا كان حسب صاحبه رفع الاثم عنه من جهة الحزن واما ان افضى

الملك

ذكر ان الحزن لا ياثم به صاحبه اذا لم يقترن به محرم

لعله الى

الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما امر الله به ورسوله كان مذموما عليه من تلك الجهة
وان كان محمودا من جهة اخرى واما المحبة لله والتوكل عليه والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها
خير محض وهي حسنة محبوبة في حق كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال
ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخاصة
عنها فان هذه لا يخرج عنها مومن قط وانما يخرج عنها كافر ومنافق وقد تكلم بعضهم
بكلام بينا غلطه فيه وانه تقصير في تحقيق هذه المقامات من مدة وليس هذا موضعه ولكن
هذه المقامات ينقسم الناس فيها الى عموم وخصوص فللخاصة خاصها وللعامة
عامها مثال ذلك ان هؤلاء قالوا التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت والخاص
لا يناضل عن نفسه وقالوا المتوكل يطلب بتوكله امرا من الامور والعارف يشهد
الامور بفروعها منها فلا يطلب شيئا فيقال اما الاول فان التوكل اعم من التوكل في مصالح الدنيا
فان المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وارادته وهذا اهم الامور اليه
ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله اياك نعبد واياك نستعين كما في قوله فاعبده وتوكل عليه
وعليه قوله عليه توكلت واليه انيب فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع لان هذين
يجمعان الدين كله ولهذا قال من قال من السلف ان الله جمع الكتب المنزلة في القران وجمع
علم القران في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم الفاتحة في قوله اياك
نعبد واياك نستعين وهاتان الكلمتان هما الجامعتان اللتان للرب والعبد
كما في الحديث الذي في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله سبحانه وتعالى
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي
ولعبدي ما سال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله
حمدني عبدي يقول الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي يقول مالك يوم
الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله
فهذه الاية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال يقول العبد اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله تعالى
فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سال فالرب سبحانه له نصف الثنا والخير والعبد له نصف الدعا والطلب وهاتان

لعله الخبر

جامعتان

جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فاياك نعبد للرب واياك نستعين للعبد وفي
الصحيحين عن معاذ قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ اتدري ما
حق الله على العباد قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على عباده ان يعبدوه لا يشركوا
به شيئا اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم عليه ان
لا يعذبهم والعبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة امر الله ومحبته ورضاه
كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وبها ارسل الرسل وانزل الكتب وهو اسم يجمع
كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحب الخلي عن ذل والذل الخلي عن حب
لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الامرين ولهذا كانت العبادة لا تصلح الا لله
وهي وان كانت منفعتها للعبد والله غني عنها فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها
ولهذا كان الله اشد فرحا بتوبة العبد من الفاقد لراحلته عليها طعامه وشرابه
في ارض دويه مهلكة اذا نام ايسا منها ثم استيقظ فوجدها فالله اشد فرحا بتوبة عبده
من هذا براحلته وهذا يتعلق به امور جليلة قد بسطناها وشرحناها في غير هذا
الموضع والتوكل والاستعانة للعبد لانه هو الوسيلة والطريق الذي ينال به مقصوده
ومطلوبه من العبادة فالاستعانة كالدعا والمسئلة وقد روى الطبراني في كتاب
الدعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله يا ابن آدم انما هي اربع واحدة لي و
واحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقي فاما التي لي فتعبدني
لا تشرك بي شيئا واما التي هي لك فعملك اجازيك به احوج ما تكون اليه واما التي بيني
وبينك فمنك الدعا وعلي الاجابة واما التي بينك وبين خلقي فات الى الناس ما تحب
ان ياتوه اليك وكون هذا لله وهذا للعبد هو باعتبار تعلق المحبة والرضا ابتدا فان العبد
ابتداء يحبه ويريد ما يراه ملائما له والله تعالى يحب ويرضى ما هو الغاية المقصودة في رضاه وحبه الوسيلة
تبعا لذلك والا فكل مامور به فمنفعته عائدة على العبد وكل ذلك يحبه الله ويرضاه وعلى هذا
فلهذا ظن ان التوكل من المقامات العامة ظن ان التوكل لا يطلب به الا حظوظ الدنيا

عن العالمين

وهو غلط بل التوكل في الامور الدينيه اعظم وايضا الامور الدنيويه التي لا تتم الا بالواجبات او المستحبات
الا بها هي من الدين والزاهد فيها زاهد فيما يحب الله وما مور به ويرضاه والزهد المشروع
هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الاخره وهي فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة
الله كما ان الورع المشروع هو تركما قد يضر في الدار الاخره وهو ترك المحرمات والشبهات الذي
لا يستلزم تركها تركما فعله ارجح منها كالواجبات فاما ما ينفع في الدار الاخره بنفسه او
على ما ينفع في الدار الاخره فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا وان الله لا يحب المعتدين كما ان الاشتغال
بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع فان اشتغل بها عن واجب او فعل محرم كان
عاصيا والا كان منقوصا عن درجة المقربين الى درجة المقتصدين وايضا فالتوكل
هو محبوب لله مرضي مامور به دائما وما كان محبوبا لله مرضيا مامورا به دائما لا يكون
من فعل المقتصدين دون المقربين **فهذه** ثلاثة اجوبة عن قولهم المتوكل
يطلب حظوظه **واما قولهم** ان الامور قد فرغ منها فهذا نظير ما قاله بعضهم
في الدعاء انه لا حاجة اليه لان المطلوب ان كان مقدرا فلا حاجة اليه وان لم يكن مقدرا
لم ينفع وهذا القول من افسد الاقوال شرعا وعقلا وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا
يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وانما هو عبادة محضة وان حقيقة التوكل بمنزلة
حقيقة التفويض المحض وهذا وان كان قالته طائفة من المشايخ فهو غلط ايضا وكذلك
قول من قال الدعاء انما هو علامة محضة فهذه الاقوال وما يشبهها يجمعها اصل
واحد وهو ان هؤلاء ظنوا ان كون الامور مقدرة مقضية يمنع ان يتوقف
على اسباب مقدرة ايضا تكون من العبد ولم يعلموا ان الله سبحانه يقدر الامور ويقضيها
بالاسباب التي جعلها معلقة بها من افعال العباد وغير افعالهم ولهذا كان طرد
قولهم يوجب تعطيل الاعمال بالكلية وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا لما ذكرت فاجاب
عنه كما اخرجاه في الصحيحين عن عمران بن حصين قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله

معرفة
الزهد المشروع
والورع المشروع

لعله
ان يعين على ما ينفع

نظر

اعلم اهل

اعلم اهل الجنة من اهل النار فيم يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له وفي الصحيحين
عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة في بقيع فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ومعه مخصرة
فجعل ينكت بمخصرته في الارض ثم رفع راسه فقال ما من نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها
من النار والجنة الا وقد كتبت شقية او سعيدة فقال رجل من القوم يا نبي الله افلا
نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من اهل السعادة ليكونن من اهل السعادة ومن
كان منا من اهل الشقاوة ليكونن من اهل الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعادة
فييسرون للسعادة واما اهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب
بالحسنى فسنيسره للعسرى اخرجه الجماعة في الصحاح والسنن والمسانيد وروى
الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل فقيل يا رسول الله ارايت ادوية نتداوى بها ورقى
نسترقي بها وتقى نتقيها ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وقد جاء هذا المعنى
عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة احاديث فبين صلى الله عليه وسلم ان تقدم العلم والكتابة
بالسعيد والشقي لا ينافي ان يكون سعادة هذا بالاعمال الصالحة وشقاوة هذا
بالاعمال السيئة فان سبحانه وتعالى يعلم الامور على ما هي عليه وكذلك كتبها فهو يعلم
ان السعيد يسعد بالاعمال الصالحة والشقي يشقى بالاعمال السيئة فمن كان سعيدا
ييسر للاعمال الصالحة التي تقتضي السعادة ومن كان شقيا يسر للاعمال السيئة
التي تقتضي الشقاوة وكلاهما ميسر لما خلق له وهو ما يصير اليه من مشيئة الله العامة
الكونية التي ذكرها سبحانه في كتابه في قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك
خلقهم واما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه وهو ارادته الدينية الامرية فهو الذي اوجبها فذلك مذكور
في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانزل به كتبه في كل واحدة
من الكلمات والامر والارادة والاذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم ونحو ذلك
مما هو دينه موافق لمحبة الله ورضاه وامره الشرعي وما هو كوني موافق لمشيئة الكونية

التي ذكرها سبحانه في كتابه في قوله ولا يزال يلومونك الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وانما مختلفون
ليس محبة الله ورضاه وهو ارادته الدينية فانه اذا كان قال في الامر الديني ان الله يامركم بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى الاية وقال تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
وتخبر كم وقال في الكوني انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وكذلك قوله واذا
اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول على احد الاقوال في
هذه الاية وقال في الارادة الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله ليبين لكم
ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن
يريد ليطهركم وقال في الارادة الكونية ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وقال فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان
يغويكم وقال انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال في الاذن الديني ما قطعتم
من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وقال في الكوني وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله وقال في القضاء الديني وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اي
امر وقال في الكوني فقضاهن سبع سموات في يومين وقال في الحكم الديني احلت
لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد وقال
ذلكم حكم الله يحكم بينكم وقال في الكوني عن ابن يعقوب فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم
الله لي وهو خير الحاكمين وقال قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
وقال في التحريم الديني حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
الاية وقال في الكوني فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض وقال في الكلمات
الدينية واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقال في الكونية وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني اسرائيل بما صبروا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المستفيض عنه من وجوه في الصحاح والسنن
والمسانيد انه كان يقول في استعاذته اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا

شبكة الألوكة www.alukah.net

فاجر ومن المعلوم ان هذا هو الكوني الذي لا يخرج منه شيء عن مشيئته وتكوينه واما
كلمات دينه فقد خالفها الفجار بمعصيته **والمقصود هنا** انه صلى الله عليه وسلم بين
ان العواقب التي خلق الناس لها من سعادة وشقاوة وييسرون لها بالاعمال التي
يصيرون بها الى ذلك كما ان ساير المخلوقات كذلك فهو سبحانه يخلق الولد وساير الحيوان
في الارحام بما يقدره من اجتماع الابوين على النكاح واجتماع الماءين في الرحم فلو قال الانسان
انا اتوكل ولا اطا زوجتي فان كان قد قضي لي بولد والا لم يوجد ولا حاجة الى وطي كان
احمق بخلاف اذا وطا وعزل الما فان عزل الما لا يمنع انعقاد الولد اذا شاء الله اذ قد يسبق
الما بغير اختياره وقد ثبت في الصحيح عن ابي سعيد الخدري قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزاة بني المصطلق فاصبنا سبيا من العرب فاشتهينا النسا واشتدت
علينا العزبة واحببنا العزل فسالنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عليكم
ان لا تفعلوا فان الله قد كتب ما هو خالق الى يوم القيمة وفي صحيح مسلم عن جابر
ان رجلا اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وانا
اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سياتيها ما قدر لها وهذا
مع ان الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الانسان من غير ابوين كما خلق ادم ومن
خلقه من اب فقط كما خلق حوى من ضلع ادم القصير او من خلقه من ام كما خلق المسيح بن مريم
لكن خلق ذلك باسباب اخرى غير معتاده وهذا الموضع وان كان انما يجحده الزنادقة
المعطلون للشرايع فقد وقع في كثير من دقه كثير من المشايخ المعظمين يسترسل احدهم
مع القدر غير محقق لما امر به ونهى عنه ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل ويجري مع
الحقيقة القدرية ويحسب ان قول القايل ينبغي للعبد ان يكون مع الله كالميت بين يدي
الغاسل يتضمن ترك العمل بالامر والنهي حتى يترك ما امر به ويفعل ما نهى عنه وحتى يضعف
عنده النور والفرقان الذي يفرق به بين ما امر الله به واحبه ورضيه وبين ما نهى عنه وابغضه
وسخطه فيسوي بين ما فرق الله بينه كما قال تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان
نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال

وجدم

افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقال تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقال تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا
الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات وامثال ذلك مما يقتضي الامر بخلافهم الى غير
التمييز بين الامر بالمعروف الالهي النبوي الفرقاني الديني الشرعي الذي دل عليه الكتاب
والسنة وبين ما يكون في الوجود من الاحوال التي تجري على ايدي الكفار والفجار
فيشهدون وجه الجمع من جهة الجميع بقضاء الله وقدره وربوبيته وارادته
العامة وانه داخل في ملكه ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرق الله به بين اولياءه
واعدائه والابرار والفجار والمؤمنين والكافرين واهل طاعته الذين اطاعوا امره الديني
واهل معصيته الذين عصوا هذا الامر ويستشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت
عن بعض الاشياخ ان بعض غلطات بعضهم **وهذا** اصل عظيم ارادة ح
من اعظم ما يجب الاعتناء به على اهل طريق الله السالكين سبيل الارادة الذين يريدون
وجهه فانه قد دخل بسبب اهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان
ما لا يعلمه الا الله حتى صار اكثر من يدعي الفقر والتصوف والعبادة من اهل الظلم والعلو
كالذين يتوجهون بقلوبهم خضوعا وتعبدا من هو دونهم
من اهل العلو في الارض والفساد ظانين انهم اذا كانت لهم احوال اثروا بها
في ذكر من اولياء الرحمن القلوب لهم من التاثير اعظم مما للابدان لكن ان
كانت صالحة كان تاثيرها صالحا وان كانت فاسدة كان تاثيرها فاسدا
فالاحوال يكون تاثيرها محبوبا لله تارة ومكروها لله اخرى وقد تكلم الفقهاء
في وجوب القود على من قتل غيره في الباطن حيث يجب القود في ذلك ويشهدون
بواطنهم وقلوبهم الامر الكوني ويعدون مجرد خرق العادة لاحدهم بكشف كيف
لهم في تاثير يوافق ارادته هو كرامة من الله ولا يعلمون ان الخرق الحقيقي اهانة

انما

انما الكرامة لزوم الاستقامة وان الله لم يكرم عبده بكرامة اعظم من موافقته فيما
يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة اوليايه ومعادات
اعدايه وهؤلاء هم اولياء الله الذين قال الله فيهم الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون فان كانوا موافقين له فيما اوجبه الله عليهم فهم
من المقتصدين وان كانوا موافقين فيما اوجبه واحبه فهم من المقربين مع
ان كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجب واما
ما يبتلي الله به عبده من السراء بخرق العادة او بغيرها او بالضراء فليس ذلك لاجل
كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه بل قد يسعد بها قوم اذا اطاعوه في ذلك
وقد يشقى بها قوم اذا عصوه في ذلك قال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه
ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
فيقول ربي اهانن كلا ولهذا كان الناس في هذه الامور على ثلاثة اقسام قسم
ترتفع درجتهم بخرق العادة اذا استعملوها في طاعة الله وقوم يتعرضون
بها لعذاب الله اذا استعملوها في معصيته كبلعام وغيره وقوم تكون في حقهم
بمنزلة المباحات والقسم الاول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد ادم
الذي انما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله او لحاجة يستعين بها
على طاعة الله ولكثرة الغلط في هذا الاصل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المامور الذي ينفع العبد فروى
مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير احرص على
ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شي فلا تقل لو اني فعلت كان
كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان اللو يفتح عمل الشيطان

السراء

وفي سنن ابي داود ان رجلان اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى على احدهما
فقال المقضي عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على
العجز ولكن عليك بالكيس فان اغلبك امر فقل حسبي الله ونعم الوكيل فامر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يحرص على ما ينفعه وان يستعين بالله وهذا مطابق
لقوله اياك نعبد واياك نستعين وقوله فاعبده وتوكل عليه
فان الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته اذ النافع له هو طاعة
الله ولا شيء له انفع من ذلك وكلما يستعان به على الطاعة فهو طاعة
وان كان من جنس المباح قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لسعد
انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة
تضعها في في امراتك فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز الذي هو ضد الكيس
وهو التفريط فيما يومر بفعله فان ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل وان كان
لا ينافي القدرة المتقدمة التي هي مناط الامر والنهي فان الاستطاعة التي توجب الفعل
وتكون بها مقارنة له لا تصلح الا لمقدورها كما ذكرها الله في قوله ما كانوا يستطيعون
السمع وقوله وكانوا لا يستطيعون سمعا واما الاستطاعة التي يتعلق بها الامر والنهي
فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لا يقترن كما في قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمران صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم
تستطع فعلى جنبك **هذا** الموضع قد انقسم الناس فيه اربعة اقسام **قوم** ينظرون
الى جانب الامر والنهي والطاعة والعبادة شاهدين لالوهية الرب سبحانه الذي امروا
ان يعبدوه ولا ينظرون الى جانب القضا والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال
كثير من المتفقهة المتعبدة فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعايره يغلب
عليهم الضعف والعجز والخذلان لان الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجا اليه واندعا له

هي التي

هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الامور ولهذا قال بعض السلف من سره ان يكون
اقوى الناس فليتوكل على الله وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفته في التوراة انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ولن اقبضه حتى اقيم به الملة
العوجاء فافتح بك اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا بان يقولوا لا اله الا الله
ولهذا روي ان حملة العرش انما اطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة الا بالله
وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انها كنز من كنوز الجنة قال تعالى ومن
يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل الى قوله وخافوني ان كنتم مؤمنين وفي
صحيح البخاري عن ابن عباس في قوله حسبنا الله ونعم الوكيل قال قالها ابراهيم الخليل
حين القي في النار وقالها محمد حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وقسم
ثاني يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه ويستعينون به على اهوائهم واذواقهم
غير ناظرين الى حقيقة امره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من
المتفقرة والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود
لا يقصدون ما يرضي الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون ان معصيته
هي مرضاته فيعودون الى تعطيل الامر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويظنون
ان هذه الحقيقة القدرية يجب الاسترسال معها دون مراعات الحقيقة الامرية
الدينية التي هي تحوي مرضاة الرب ومحبته وامره ونهيه ظاهرا وباطنا وهؤلاء
كثيرا ما يسلبون احوالهم وقد يعودون الى نوع من المعاصي والفسوق بل كثير منهم
يرتد عن الاسلام لان العاقبة للتقوى ومن لم يقف عند امر الله ونهيه فليس من المتقين
فهم يقعون في بعض ما وقع فيه المشركون تارة من بدعة يظنونها شرعة

يسمون

لعله تحري

وتارة في الاحتجاج بالقدر على الامر لا والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركين في سورة الانعام ذكر
الاعراب ذكر ما ابتدعوه في الدين وجعلوه شرعة كما قال تعالى واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء وقد ذمهم على
ان حرموا ما لم يحرم الله وان شرعوا ما لم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر في
قوله وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء ونظيرها
في النحل ويس والزخرف وهؤلاء يكون فيهم شبه منهم في هذا وهذا **واما**
القسم الثالث وهو من اعرض عن عبادة الله واستعانته به فهؤلاء
شر الاقسام والقسم **الرابع** هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا اياك نعبد
واياك نستعين وقوله فاعبده وتوكل عليه فاستعانوا به على طاعته
وشهدوا انه الههم الذي لا يجوز ان يعبدوا الا اياه وطاعته وطاعة رسوله وانه
ربهم الذي ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وانه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ولهذا
قال طائفة من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون
اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع وانما التوكل
المامور به ما يجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فقد بين ان من ظن
التوكل من مقامات عامة اهل الطريق فقد غلط غلطا شديدا وان كان من
اعيان المشايخ كصاحب علل المقامات وهو من اجل المشايخ واخذ ذلك عنه صاحب
محاسن المجالس وظهر ضعف حجته فمن قال ذلك ظنه ان المطلوب به حظ العامة فقط وظنه انه
لا فائدة في تحصيل المقصود وهذه حال من جعل الدعاء كذلك وذلك بمنزلة من
جعل الاعمال المامور بها فمن غلط هذا من ترك الاسباب الا كذلك كمن اشتغل بالتوكل

نظر

عما يجب عليه

عما يجب عليه من الاسباب التي هي طاعة وعبادة مأمور بها فان غلط هذا من ترك الاسباب
المأمور بها التي هي داخلة في قوله فاعبده وتوكل عليه كغلط الاول في التوكل المأمور به الذي
هو داخل في قوله فاعبده وتوكل عليه لكن يقال من كان توكله على الله ودعاؤه له هو في
حصول المباحات فهو من العامة وان كان في حصول مستحبات فهو واجبات
فهو من الخاصة كما ان من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن
اعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله خارج عن حقيقة الايمان فكيف يكون هذا
المقام للخاصة قال تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم
مسلمين وقال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من
بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقد ذكر الله هذه الكلمة حسبي الله في جلب المنفعة
تارة وفي دفع المضرة اخرى فالاولى في قوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا
الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله الآية والثانية في قوله الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفي قوله ان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله وفي قوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا
حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله يتضمن الامر بالرضا والتوكل والرضا والتوكل
يكتنفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في الصلاة اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا لي
وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم اني اسالك خشيتك في الغيب والشهادة
واسالك كلمة الحق في الغضب والرضا واسالك القصد في الفقر والغنى واسالك نعيما
لا ينفد واسالك قرة عين لا تنقطع اللهم اني اسالك الرضا بعد القضاء
واسالك برد العيش بعد الموت واسالك لذة النظر الى وجهك واسالك الشوق الى
لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا

هداة مهتدين رواه احمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر واما ما يكون قبل القضاء فهو
عزم على الرضى لا حقيقة للرضى ولهذا كان طائفة من المشايخ يعزمون على الرضا قبل
وقوع البلاء فاذا وقع انفسخت عزائمهم كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره كما قال تعالى ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص نزلت
هذه الاية لما قالوا لو علمنا اي الاعمال احب الى الله لعملناه فانزل الله اية الجهاد وكرهه من
كرهه ولهذا كره للمرء ان يتعرض للبلاء بان يوجب على نفسه ما لا يوجبه الشارع
عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك او يطلب ولاية او يقدم على بلد فيه طاعون كما
في الصحيحين من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما
يستخرج من البخيل وثبت عنه في الصحيحين انه قال لعبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة
فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها
واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير منها وكفر عن
يمينك وثبت عنه في الصحيحين انه قال في الطاعون اذا سمعتم به
بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها وثبت
في الصحيحين انه قال لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ولكن اذا لقيتموهم
فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف وامثال ذلك مما يقتضي ان الانسان لا
ينبغي له ان يسعى فيما يوجب عليه شيئا او يحرم عليه شيئا فيبخل بالوفاء كما يفعله
كثير ممن يعاهد الله عهودا على امور وغالب هؤلاء يبتلون بنقض العهود ويقتضي
ان الانسان اذا ابتلي فعليه ان يصبر ويثبت ولا ينكل حتى يكون من الرجال
المؤمنين القائمين بالواجبات ولا بد في جميع ذلك من الصبر ولهذا كان الصبر واجبا
باتفاق المسلمين على اداء الواجبات وترك المحظورات ويدخل في ذلك الصبر على

بلغ

لعله فيبخل

المصائب

المصايب عن ان يجزع فيها والصبر عن اتباع اهواء النفوس فيما نهى الله عنه وقد ذكر الله الصبر
في كتابه في اكثر من تسعين موضعا وقرنه بالصلاة في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة
وانها لكبيرة الا على الخاشعين واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين
وقوله واقم الصلاة طرفي النهار وزلفى من الليل الى قوله واصبر فان الله لا
يضيع اجر المحسنين فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك الاية وجعل الامامة في الدين موروثة
عن الصبر واليقين بقوله وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون
فان الدين كله علم بالحق وعمل به والعمل به لا بد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج الى
الصبر كما قال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فان طلبه لله عبادة ومعرفته خشية والبحث
عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومذاكرته تسبيح به يعرف الله ويعبد
وبه يمجد الله ويوحد يرفع الله بالعلم اقواما يجعلهم للناس قادة ايمة يهدون
بهم وينتهون الى رايهم فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولا بد في الجهاد من
الصبر ولهذا قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالصبر وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار فالعلم النافع هو اصل الهدى والعمل بالحق هو الرشاد وضد الاول
الضلال وضد الثاني الغي فالضلال العمل بغير علم والغي اتباع الهوى قال تعالى
والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فلا ينال الهدى الا بالعلم ولا ينال
الرشاد الا بالصبر ولهذا قال علي عليه السلام الا ان الصبر من الايمان
بمنزلة الراس من الجسد فاذا انقطع الراس بار الجسد ثم رفع صوته فقال
الا لا ايمان لمن لا صبر له واما الرضا فقد تنازع العلما والمشايخ من اصحاب
الامام احمد وغيرهم في الرضا بالقضا هل هو واجب او مستحب على قولين فعلى
الاول يكون من اعمال المقتصدين وعلى الثاني يكون من اعمال المقربين

بالحق وتواصوا

قال الحسن البصري الرضا عزيز ولكن الصبر معول المؤمن وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عباس ان استطعت ان تعمل لله بالرضا مع اليقين
فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ولهذا لم يجي في القران
الا مدح الراضين لا ايجاب ذلك وهذا في الرضا بما يفعله الرب بعبده من المصايب
كالمرض والفقر والزلزال كما قال تعالى والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس
وقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء
والضراء وزلزلوا فالباساء في الاموال والضراء في الابدان والزلزال في القلوب
واما الرضا بما امر الله به فاصله واجب وهو من الايمان كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبينا ومن توابع المحبة كما سنذكره ان شاء الله تعالى قال الله فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
وقال ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله الاية وقال تعالى ذلك بانهم
اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم وقال تعالى وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون
الا وهم كارهون ومن النوع الاول ما رواه احمد والترمذي وغيرهما عن سعد عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم الله له
ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارته لله وسخطه بما يقسم الله له واما الرضا بالمنهيات
من الكفر والفسوق والعصيان فاكثر العلماء يقولون لا يشرع الرضا بهذه كما لا يشرع
محبتها فان الله سبحانه لا يرضاها ولا يحبها وان كان قد قدرها وقضاها كما
قال سبحانه والله لا يحب الفساد وقال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر بل يسخطها كما قال
ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم وقال طايفة ترضى
من جهة كونها مضافة الى الله خلقا وتسخط من جهة كونها مضافة الى العبد

فعلا

فعلا وكسبا وهذا لا ينافي القول الذي قبله بل هما يعودان الى اصل واحد وهو بجانه انما قدر
الاشياء لحكمة فهي لاعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة
اذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان يحب من احدهما ويكره من الآخر كما في الحديث الصحيح
ما ترددت عن شيء انا فاعله تردد عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره
مساءته ولا بد له منه واما من قال الرضا بالقضا الذي هو وصف الرب وفعله لا
بالمقضي الذي هو مفعول فهو خارج عن مقصود الكلام فان الكلام ليس في الرضا
بما يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وافعاله وانما الكلام في الرضا بمفعولاته والكلام فيما
يتعلق بهذا قد بيناه في غير هذا الموضع **والرضا** وان كان من اعمال القلوب فكمالها هو
الحمد حتى ان بعضهم فسر الحمد بالرضا ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال
وذلك يتضمن الرضا بمقتضياته وفي الحديث اول من يدعى الى الجنة الحامدون الذين
يحمدون الله في السراء والضراء وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اتاه الامر
يسره قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات واذا اتاه الامر يسوءه قال الحمد لله على كل حال
وفي مسند الامام احمد عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قبض ولد العبد يقول
الله للملائكة قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبنينا محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب لواء الحمد
وامته هم الحامدون الذين يحمدون الله على الضراء والسراء **والرضا** والحمد على الضراء
يوجب مشهدان **احدهما** علم العبد بان الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق
له لنفسه فانه احسن كل شيء خلقه واتقن كل شيء وهو العليم الحكيم الخبير الرحيم
والثاني علمه ان اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه كما روى مسلم
في صحيحه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يقضي
الله للمؤمن بقضاء الا كان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن ان اصابته سراء فشكر فكان خيرا له وان

اصابته ضراء فصبر فكان خيرا له فاخبر صلى الله عليه وسلم انه كل قضا يقضيه الله للمؤمن
الذي يصبر على البلا ويشكر على الرخا فهو خير له قال تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
وذكرهما في اربعة مواضع من كتابه فاما من لا يصبر على البلا ولا يشكر على الرخا فلا يلزم
ان يكون القضا خيرا له فاخبر صلى الله عليه وسلم انه كل ولهذا اجبت من اورد علي هذا
بما يقضي على المؤمن من المعاصي بجوابين **احدهما** ان هذا انما يتناول ما اصاب العبد
لا ما فعله العبد كما في قوله ما اصابك من حسنة فمن الله اي من سرا وما اصابك من سيئة فمن نفسك
اي من ضر وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون اي بالسرا والضرا كما قال
ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها
يراد بها المسار والمضار ويراد بها الطاعات والمعاصي **والجواب** الثاني ان هذا
في حق المؤمن الصبار الشكور والذنوب تنقص الايمان فاذا تاب العبد احبه الله وقد ترتفع درجته
بالتوبة قال بعض السلف كان داود بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة فمن قضي له بالتوبة
كان كما قال سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وان العبد ليعمل السيئة
فيدخل بها الجنة وذلك انه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون
نصب عينه فيستغفر الله ويتوب اليه منها وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الاعمال بالخواتيم **والمؤمن اذا فعل سيئة فان عقوبتها تندفع عنه**
بعشرة اسباب ان يتوب فيتوب الله عليه فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له او يستغفر الله
فيغفر له او يعمل حسنات تمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات او يدعو له اخوانه
المؤمنون ويشفعون له حيا وميتا او يهدون له من ثواب اعمالهم ما ينفعه الله به او
يشفع فيه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم او يبتليه الله في الدنيا بمصايب تكفر عنه او يبتليه
في البرزخ والصعقة فيكفر بها عنه او يبتليه في عرصات القيمة من اهوالها
بما يكفر عنه او يرحمه ارحم الراحمين فمن اخطاته هذه العشرة فلا يلومن الا نفسه كما قال تعالى
فيما روى عنه رسوله يا عبادي انما هي اعمالكم ترد عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله

فالحسنات والسيئات

بالفتنة

ومن وجد

ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فاذا كان المؤمن يعلم ان القضاء خيرا
له اذا كان صابرا على المكروه او كان قد استخار الله وعلم ان من سعادة ابن
ادم استخارة الله ورضاه بما قسم الله كان قد رضي بما هو خير له وفي الحديث عن
علي قال ان الله يقضي بالقضاء من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ففي هذا
الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا
اكمل من الصبر والصبر فلهذا ذكر في ذكر الرضا وهو في هذا الصبر ثم اذا كان القضاء
مع الصبر خيرا له فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث المصاب من حرم الثواب
في الاثر الذي رواه ان في مسند ابن ابي الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات سعد قال يا ليت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فايت
فبالله فثقوا واياه فاجعوا فان المصاب من حرم الثواب ولهذا لم نؤمر بالحزن
المنافي للرضا فقط مع انه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة بل كنه يعفى عنه اذا لم يقترن به
ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا
بخلاف البكاء عليه لفوت حظ منه وبهذا يعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما
بكى على الميت وقال ان هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من
عباده الرحماء وان هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت وان الفضيل بن عياض
لما مات ابنه فضحك وقال رأيت ان الله قد قضى فاحببت ان ارضى بما قضى الله به
حالة حال حسن بالنسبة الى اهل الجزع واما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله
كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا اكمل قال تعالى ثم كان من الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة والناس اربعة
اقسام منهم من يكون في صبر يقسوه ومنهم من يكون في رحمة يجزع ومنهم من
يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس وقد
ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب ان الرضا عن الله من توابع المحبة

وهذا انما يوجب على الماخذ الاول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذكر بنفسه
مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف الماخذ الثاني وهو الرضا لعلمه بان
الرضا المقضي خير له مع ان المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في
تقرير ما قاله صاحب المصنف ونحوه ان المحبة نوعان محبة لذاته ومحبة له لما منه
من الاحسان وكذلك الحمد نوعان حمد على ما يستحق بنفسه وهو حمد على احسانه
الى عبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة واما الرضا به وبدينه وبرسوله
فذلك من حظ المحب ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذاق طعم الايمان من رضي بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من كن
فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان يحب
المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره
ان يلقى في النار وهذا انما يبين بالكلام على المحبة **فنقول فصل** محبة الله
بل محبة الله ورسوله من اعظم واجبات الايمان واكبر اصوله واجل قواعده بل هو
اصل كل عمل من اعمال الايمان والدين كما ان التصديق اصل كل قول من اقوال الايمان
والله الدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة اما عن محبة محمود ما و
عن محبة مذموم كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع
الاعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن المحبة المحمودة واصل المحبة المحمودة هو محبة الله سبحانه
وتعالى اذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال الدينية
الايمانية لا تصدر الا عن محبة الله فان الله تعالى لا يتقبل من العمل الا ما اريد به وجه
كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل
عملا اشرك فيه غيري فانا منه بري وهو كله للذي اشرك وثبت في الصحيح حديث
الثلاثة الذين هم اول من تسعر بهم جهنم القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدق المرائي بل اخلاص
الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الاولين والآخرين من الرسل

وانزل به جميع الكتب واتفق عليه ائمة اهل الايمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية
وهو قطب القرآن الذي يدور عليه رحاه قال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين
الى قوله قل الله اعبد مخلصا له ديني الى قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
وقد امرت ان اكون اول السلمين بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه الى قوله قل ارايتم ما
تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الى قوله ام
اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة
جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون الى قوله قل افغير الله
تامروني اعبد ايها الجاهلون الى قوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وقال تعالى فيما قصه
من قصة آدم وابليس انه قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال انه ليس له سلطان على
الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فبين
ان سلطان الشيطان واغوائه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واتباع الشيطان هم اهل النار كما قال تعالى لاملئن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد قال سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهذه الآية في حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك وقبل
ما سواه المشيئة فاخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه وما دونه يغفره لمن يشاء واما
قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا فتلك في حق التائبين ولهذا عمم واطلق وساق الآية بسبب ذلك مع سبب نزولها
وقد اخبر سبحانه ان الاولين والآخرين انما امروا بذلك في غير موضع كالسورة التي
قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على ابي لما امره الله ان يقرأ عليه قرأة ابلاغ واسماع بخصه فقال

الاصل الذي تخالف
والسورة كلها عاشرا
وهذا المعنى قد قال الله
ادع عبادي الذين مخلصا له الدين

وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء الاية وهذا حقيقة قول لا اله الا الله وبذلك بعث
جميع الرسل قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وقال واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وجميع
الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره لا سيما افضل الرسل الذين اتخذهما الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم
فان هذا الاصل بينه الله بهما وايدهما فيه ونشره بهما فابراهيم هو الامام
الذي قال الله فيه اني جاعلك للناس اماما وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فاهل
هذه النبوة والرسالة هم الذين بارك الله عليهم قال سبحانه واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني
براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه
لعلهم يرجعون فهذه الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبود الا من الخالق
الذي فطرنا كما قال صاحب يس وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من
دونه الهة ان يردني الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون وقال تعالى
في قصته بعد ان ذكر ما يبين ضلال من اتخذ بعض الكواكب ربا يعبده من دون الله
قال فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين الى قوله ولا تخافون انكم اشركتم
بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا وقال ابراهيم الخليل عليه السلام افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني
فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقال تعالى قد
كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون

الله كفرنا بكم

الله كفرنا بكم الآية ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي قام الله به الدين الخالص بعد دين
التوحيد وقمع به المشركين ممن كان مشركا في الأصل من الذين كفروا من أهل الكتاب
وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد وغيره بعثت بالسيف بين يدي الساعة
حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة
والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم وقد تقدم بعض ما أنزل
الله من الآيات المتضمنة للتوحيد فقارنها والصافات صفا إلى قوله إن الكم
لواحد إلى قوله إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو
آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين إلى قوله أولئك لهم رزق معلوم
فواكه وهم مكرمون لما ذكر من قصص الأنبياء في التوحيد وإخلاص الدين لله إلى قوله
سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين وقال إن المنافقين في الدرك
الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا
دينهم لله الآية وفي الجملة فهذا الأصل في سورة الأنعام والأعراف والنحل والحج
والطس وسورة المفصل وغير ذلك من السور المكية ومواضع من السور المدنية كثير
ظاهر وهو أصل الأصول وقاعدة الدين حتى في سورة الإخلاص قل يا أيها الكافرون
وقل هو الله أحد وهاتان السورتان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما في ركعتي
التطوع كسنة الفجر وركعتي الطواف وهما متضمنتان للتوحيد فأما قل يا أيها
الكافرون فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين لله بالقصد
والإرادة وهو الذي يتكلم به مشايخ التصوف غالبا وأما قل هو الله أحد
فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن رجلا كان
يقرأ قل هو الله أحد في صلاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة
الرحمن فأنا أحبها فقال أخبروه أن الله يحبه ولهذا تضمنت هذه السورة
من وصف الرب سبحانه وتعالى الذي جاء بنفي فعل أهل التعطيل وقول أهل التمثيل

ما صارت به هي الاصل المعتمد في مسايل الذات كما قد بسطنا ذكره في غير هذا
الموضع وذكرنا اعتماد الائمة عليها على ما تضمنته في تفسير الاحد الصمد كما
جاء تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه وسلم والصحابة والتابعين وما دل على ذلك من
الدلايل لكن المقصود هنا هو التوحيد العملي وهو اخلاص الدين لله وان
كان احد النوعين مرتبطا بالاخر فان كثيرا من اهل التعطيل الجهمية واهل
التمثيل المشبهة الذين وقع من الشرك العملي في اصل قولهم فيه شرك وتسوية بين الله وبين
خلقه او بينه وبين المعدومات كما يسوي المعطلة بينه وبين المعدومات مادة الصفات
السلبية التي لا تستلزم مدحا ولا ثبوت كمال او يسوون بينه وبين النقص من
الوجودات في صفات النقص وكما يشبهون اذا اثبتوا هم ومن ضاهاهم من الممثلة
مساواة بينه وبين المخلوقات في حقايقها حتى يعبدونها فيعدلون بهم ويجعلون
له اندادا ويشبهون المخلوق برب العالمين والهود كثيرا ما يعدلون الخالق
بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالفقر والعجز والبخل ونحو ذلك من النقايص التي يجب تنزيه
عنها وهي من صفات خلقه والنصارى كثيرا ما يعدلون المخلوق بالخالق حتى يجعلوا في
المخلوق من نعوت الربوبية وصفات الالهية ويجوزون له ما لا يصلح الا للخالق سبحانه
وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا والله سبحانه قد امرنا بالدعاء والانابة في قولنا اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وفي هذه الامة من فيه شبه
من هؤلاء وهؤلاء كما قال صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة
بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن
ولحديث في الصحيحين واذا كان اصل العمل الديني هو اخلاص الدين لله وهو ارادة
الله وحده فالشيء المراد لنفسه المحبوب لذاته وهذا كمال المحبة يكون اكثر ما جاء
المطلوب مسمى باسم العبادة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

وقوله

وقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم وامثال هذا
والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذلة ونهايته فالمحبوب الذي لا يعظم
ولا يذل له لا يكون معبودا والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودا ولهذا قال الله
سبحانه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا
اشد حبا لله منهم لله ولابائهم لان المؤمنين اعلم بالله والحب يتبع العلم ولان المؤمنين
جعلوا جميع حبهم لله وحده واولئك جعلوا بعض حبهم له واشركوا بينه وبين الانداد في الحب
ومعلوم ان ذلك اكمل قال تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
هل يستويان الاية واسم المحبة فيه اطلاق وعموم فان المؤمن يحب الله ويحب رسله وانبياءه
وعباده المؤمنين وان كان ذلك من محبة الله وان كانت المحبة التي لله لا يستحقها
غيره فلهذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة لله والانابة
اليه والتبتل له ونحو ذلك فكل هذه الاسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى ثم انه كما بين
ان محبته اصل الدين فقد بين ان كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها فان النبي صلى
الله عليه وسلم قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله
فاخبر ان الجهاد سنام العمل وهو اعلاه واشرفه وقد قال تعالى اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله
الى قوله اجر عظيم والنصوص في فضائل الجهاد واهله كثيرة وقد ثبت انه افضل ما
تطوع به العبد والجهاد لازم للمحبة الكاملة قال تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم الاية وقال سبحانه في صفة المحبين المحبوبين
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة
لائم فان المحبة مستلزمة للجهاد لان المحب مستلزمة للجهاد لان المحب
يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه

الاية فوصف المحبوبين المحبين بانهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة الاية

ويرضا لرضاه ويغضب لغضبه ويامر بما يامر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق له في ذلك وهؤلاء
هم الذين يرضا الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم اذ هم انما يرضون ما يرضاه ويغضبون
لما يغضب له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر في طايفة فيهم صهيب وبلا لعلك
اغضبتهم لان كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك فقال لهم يا اخوتي هل اغضبتكم
قالوا لا ويغفر الله لك يا ابا بكر وكان قد مر بهم ابو سفيان بن حرب فقالوا لما اخذت
السيوف من عدو الله ماخذها فقال لهم ابو بكر اتقولون هذا لسيد قريش وذكر ذلك ابو بكر
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم لان هؤلاء انما قالوا ذلك غضبا
لله لكمال ما عندهم من الموالات لله ورسوله والمعادات لاعدايه ولهذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروي عن ربه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن
سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي
عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه فبين
انه يتردد لان التردد تعارض ارادتين وهو سبحانه يحب ما يحبه عبده ويكره
ما يكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وانا اكره مساءته وهو سبحانه
قد قضى بالموت فهو يريد ان يموت فسمى ذلك ترددا ثم بين انه لا بد من
وقوع ذلك وهذا واتحاد في المحبوب المرضي المامور به والمبغض المكروه
المنهي عنه وقد يقال انه اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد الذاتين فان ذلك
محال ممتنع والقايل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة وجهال
النساك كالحلاجية ونحوهم وهو الاتحاد المقيد في شي بعينه واما
الاتحاد المطلق الذي هو قول اهل وحدة الوجود الذين يزعمون ان وجود
المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع

لكل شرك

لكل شرك وكما ان الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان قوم يقولون بالحلول
المقيد في بعض الاشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شيء وهم الجهمية الذين يقولون
ان ذات الله في كل مكان وقد يقع لبعض المصطلحين من اهل الفنا في المحبة ان
يغيب بمحبوبه فيظن في زوال عن نفسه وحبه ويغيب بمذكوره عن ذكره
وبمعروفه عن معرفته وبموجوده عن وجوده حتى لا يشهد الا محبوبه فيظن
في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره انه هو محبوبه كما قيل ان محبوبا وقع
في اليم فالقى المحب نفسه خلفه فقال انا وقعت فانت ما الذي اوقعك فقال
غبت بك عني فظننت انك اني فلا ريب ان هذا خطا وضلال لكن ان كان هذا القوة
المحبة والذكر من غير ان يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذورا في زوال
عقله فلا يكون مواخذا بما يصدر منه من الكلام في هذه الحال التي زال عقله فيها بسبب غير
محظور كما قيل في عقلاء المجانين انهم قوم اعطاهم الله عقولا واحوالا فسلب عقولهم
وابقى احوالهم واسقط ما فرض بما سلب واما اذا كان السبب الذي به زوال العقل محظورا
لم يكن السكران معذورا وان كان لا يحكم بكفره في اصح القولين كما لا يقع طلاقه في اصح
القولين وان كان النزاع في الحكم مشهورا وقد بسطنا الكلام في هذا وفيمن يسلم له حاله
ومن لا يسلم في قاعدة ذلك وبكل حال فالفنا الذي يفضي بصاحبه الى مثل هذا
حال ناقص وان كان صاحبه غير مكلف ولهذا لم يرد مثل هذا على الصحابة
الذين هم افضل هذه الامة ولا على نبينا صلى الله عليه وسلم وان كان لهؤلاء في
صعق موسى نوع تعلق وانما حدث زوال العقل عند الواردات الالهية على
بعض التابعين ومن بعدهم وان كانت المحبة التامة مستلزمة لموافقة
المحبوب في محبوبه ومكروهه في هذه الامة وولايته وعداوته فمن المعلوم
ان من احب الله المحبة الواجبة فلا بد ان يبغض اعداءه ولا بد ان يحب
ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا

كانهم بنيان مرصوص والمحب التام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل بل ذلك يعرفه بملازمة
المحبة كما قد اكثر الشعراء في ذلك وهؤلاء هم اهل الملام المحمود وهم الذين لا يخافون من يلومهم
على ما يحب الله ويرضاه من جهاد اعدائه فان اللائم على ذلك كثير واما الملام على فعل
ما يكرهه الله او ترك ما احبه الله فهو لوم بحق وليس من ذلك المحمود الصبر على هذا الملام
بل الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل وبهذا يحصل الفرق بين الملامية
الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وبين الملامية
الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك

فصل واذا كانت المحبة اصل كل عمل ديني فالخوف والرجا
وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها فان الراجي الطامع انما يطمع فيما يحبه لا
فيما يبغضه والخائف يفر من المخيف لينال المحبوب قال تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه الاية وقال
ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله ورحمته
اسم جامع لكل خير وعذابه اسم جامع لكل شر ودار الرحمة الخالصة هي الجنة ودار العذاب
الخالص هو النار واما الدنيا فدار استدراج فالرجا وان تعلق بدخول الجنة فالجنة اسم جامع
لكل نعيم والجامع واعلاه النظر الى الله كما في صحيح مسلم عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن صهيب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادا مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا
يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة
وينجينا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما اعطاهم شيئا احب اليهم
من النظر اليه وهي الزيادة **ومن هنا** يتبين زوال الاشتباه في قول من قال
ما عبدتك شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك وانما عبدتك شوقا الى رؤيتك فان هذا
القائل ظن هو ومن تابعه ان الجنة لا يدخل في مسماها الا الاكل والشرب واللباس والنكاح
والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات كما يوافقه على ذلك من ينكر رؤية الله من

الجهمية

الجهمية او من يقربها ويزعم انه لا يمنع في نفس رؤية الله كما يقول طايفة من المتفقهة فهؤلاء متفقون
على ان مسمى على ان مسمى الجنة او الاخرة لا يدخل فيه الا التمتع بالمخلوقات ولهذا قال بعض من
غلط من المشايخ لما سمع قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة قال فاين من
يريد الله وقال اخر في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
قال فاذا كانت الاموال والنفوس بالجنة فاين النظر اليه وكل هذا لظنهم ان الجنة لا يدخل
فيها النظر **والتحقيق** ان الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم واعلاها فيها النظر الى
الله وهو من النعيم الذي لا ينالونه في الجنة كما اخبرت به النصوص وكذلك اهل النار وانهم
محجوبون عن ربهم يدخلون النار مع ان هذا القايل اذا كان عارفا بما يقول
فانما قصده انك لو لم تخلق نارا ولم تخلق جنة لكان يجب ان تعبد ويجب التقرب اليك
والنظر اليك كما قال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي هو
لا يعصيه ولو لم يخفه فان اجلاله واكرامه لله يمنعه عن معصيته فالراجي الخايف
اذا تعلق خوفه ورجاه بالتعذب باحتجاب الرب عنه والتنعم بتجليه له فمعلوم ان
هذا من توابع محبته له فالمحبة هي التي اوجبت محبة التجلي والخوف من الاحتجاب
وان تعلق خوفه ورجاه بالتعذب بمخلوق والتنعم به فهذا انما يطلب ذلك بعبادة
الله محبة الله واحدها اخلاصها من كل محبة ولهذا يكون اشتغال اهل الجنة بذلك
اعظم من كل شيء كما في الحديث ان اهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهذا
يبين غاية نفعهم بذكر الله ومحبته فالخوف من التعذب بمخلوق والرجاء يسوقه الى محبة
الله التي هي الاصل وهذا كله ينبني على اصل المحبة **فيقال** قد نطق الكتاب
والسنة بذكر محبة العباد المؤمنين لربهم ومحبة الرب لعباده المؤمنين **كما في**
قوله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله وقوله يحبهم ويحبونه وقوله احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما
ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد

ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار بل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت
محبة الله كما في حق اجب اليكم من الله ورسوله وكما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله
يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك
من نفسك قال فوالله لانت احب الي من نفسي فقال الآن يا عمر وكذلك محبة
صحابته وقوله كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال آية الايمان محبة الانصار وآية النفاق
بغض الانصار وقال لا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقال علي عليه السلام انه
لعهد النبي الامي الي انه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق وفي السنن انه قال
للعباس والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي يعني بني
هاشم وقد روي حديث عن ابن عباس مرفوعا انه قال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي **واما** محبة الرب لعبده فقال
واتخذ الله ابراهيم خليلا وقال تعالى يحبهم ويحبونه وقال واحسنوا ان الله يحب
المحسنين واقسطوا ان الله يحب المقسطين فاموا باعمالهم التي هي من تمام ان الله يحب المتقين
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ان الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص بالوفاء في عهده والتقى فان الله يحب المتقين
واما الاعمال التي يحبها الله الواجبات والمستحبة الظاهرة والباطنة فكثيرة
معروفة وكذلك حب لاهلها وهم الموصوفون اولياء الله المتقون وهذه المحبة كما
نطق بها الكتاب والسنة والذي عليه سلف الامة وائمتها واهل السنة والحديث وجميع
مشايخ الدين وائمة التصوف ان الله سبحانه يحب ويحب فانه محبة حقيقة
بل هي اكمل محبة فانها كما قال والذين امنوا اشد حبا لله وكذلك هو سبحانه يحب ما
يحب من عباده المؤمنين وما هو في الله محبة حقيقة وانكر الجهمية حقيقة
المحبة من الطرفين زعما منهم ان المحبة لا تكون الا مناسبة بين المحب والمحبوب وانه لا

مناسبة

مناسبة بين القديم والمحدث توجب واجب قاسوا به المحبة وكان اول من ابتدع هذا في الاسلام
هو الجعد ابن درهم في اوايل المائة الثانية فضحى به خالد ابن عبد الله القسري امير العراق والمشرق
بواسط خطب الناس يوم الاضحى فقال ايها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني
مضحي بالجعد ابن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما
ثم نزل فذبحه وكان قد اخذ هذا المذهب عن الجهم ابن صفوان فاظهره وناظر عليه
واليه اضيف قول الجهمية فقتله مسلم ابن احوز امير خراسان بها ثم انتقل ذلك
الى المعتزلة اتباع عمرو بن عبيد وظهر قولهم في اثناء خلافة الخليفة الملقب بالمامون
حتى امتحن ايمة الاسلام ودعوا الى الموافقة لهم على ذلك واصل هذا ماخوذ عن المشركين
والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة اهل الكتاب الذين يزعمون ان الرب
ليس له صفة ثبوتية اصلا وهؤلاء هم اعدا ابراهيم الخليل وهم يعبدون الكواكب
ويبنون الهياكل للعقول والنجوم وغيرهما وهم ينكرون في الحقيقة ان يكون
ابراهيم خليلا او موسى كليما لان الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل
قد تخللت مسلك الروح مني ۞ وبذا سمي الخليل خليلا ۞ ويشهد لهذا ما ثبت
في الصحيح عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا من
اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وفي رواية ان الله اتخذني خليلا
كما اتخذ ابراهيم خليلا فبين صلى الله عليه وسلم انه لا يصلح له ان يتخذ من
المخلوقين خليلا وانه لو يكن ذلك لكان احق الناس به ابو بكر الصديق مع انه
صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بانه يحب اشخاصا كقوله لمعاذ
والله اني لاحبك وكذلك قوله للانصار وكان زيد بن حارثة حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابنه اسامة حبه وامثال ذلك وقال له عمرو بن العاص اي الناس
احب اليك قال عايشة قال فمن الرجال قال ابوها وقال لفاطمة بنته الا تحبين
ما احب قالت بلى قال فاحبي عايشة وقال للحسن اللهم اني احبه فاحبه

ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه وفي رواية اني ابرا الى كل خليل من خلته
ولو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا

واحب من يحبه وامثال هذا كثير فوصف نفسه بمحبة الاشخاص وقال اني ابرا
الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
فعلم ان الخلة اخص من مطلق المحبة بحيث هي من كمالها وتخللها للمحب
يكون المحبوب بها محبوبا لذاته لا لشيء اخر اذ المحبوب بشيء غيره هو موخر في المحب
عن ذلك الغير **ومن** كمالها لا تقبل الشركة المتزاحمة لتخللها المحب ففيها كمال التوحيد وكمال
الحب **ومن** الخلة ايضا تنافي المزاحمة وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبا
لذاته لا يزاحمه فيها غيره **وهذه** المحبة لا تصلح الا لله فلا يجوز ان يشركه
غيره فيما يستحقه من المحبة وهو محبوب لذاته وكلما يحب غيره اذا كان
محبوبا بحق فانما يحب لاجله وكلما احب لغيره فمحبته باطلة فالدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله تعالى **واذا** كانت الخلة كذلك **فمن** المعلوم ان من
انكر ان يكون الله محبوبا لذاته ينكر مخالته **وكذلك** ايضا ان انكر محبته لاحد
من عباده فهو ينكر ان يتخذه خليلا بحيث يحب الرب العبد على اكمل ما يصلح
للعباده **وكذلك** تكليمه لموسى انكروه لانكارهم ان يقوم به صفة من الصفات
او فعل من الافعال فكما ينكرون ان يتصف بحياة او قدرة او علم
او ان يستوي او يجي فكذلك ينكرون ان يتكلم او يكلم **فهذا**
حقيقة قولهم كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم
لكن لما كان الاسلام ظاهرا والقران متلوا لا يمكن جحده لمن اظهر الاسلام اخذوا
يلحدون في اسماء الله ويحرفون الكلم عن مواضعه فتاولوا محبة العباد له
بمجرد محبتهم لطاعته او التقرب اليه وهذا جهل عظيم فان محبة التقرب
الى المتقرب اليه تابع لمحبته وفرع عليه فمن لا يحب الشيء لا يمكن ان يحب التقرب اليه
اذ التقرب وسيلة ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود فيمتنع ان يكون
الوسيلة في المحبوب دون الشيء المقصود بالوسيلة **وكذلك** العباده

لعله للمحب

محبة صح

بلغ

والطاعة

والطاعة اذا قيل في المطاع المعبود ان هذا يحب طاعته وعبادته فان محبة ذلك تبع
لمحبته والا فمن لا يحب لا يحب طاعته وعبادته ومن كان لا يعمل لغيره الا لعوض يناله
منه او لدفع عقوبته فانه يكون معاوضا له او مفتديا منه لا يكون محبا له ولا
يقال ان هذا يحبه ويفسر ذلك بمحبة طاعته وعبادته فان محبة المقصود
وان استلزمت محبة الوسيلة او غير محبة المقصود عن محبة الوسيلة فان
ذلك يقتضي ان يعبر بلفظين محبة العوض والسلامة عن محبة العمل
اما محبة الله فلا تعلق لها بمحبة مجرد العوض الا ترى ان من استاجر اجير
العوض والسلامة عن محبة العمل اما محبة الله فلا تعلق لها بمحبة مجرد
العوض لا يقال ان الاجير يحبه بمجرد ذلك بل قد يستاجر الرجل من لا يحبه
بحال بل من يبغضه وكذلك من افتدى نفسه بعمل من عذاب معذب
لا يقال انه يحبه بل يكون مبغضا له **فعلم** ان ما وصف الله به عباده
المومنين من انهم يحبونه يمتنع ان لا يكون معناه لا بمجرد محبة العمل الذي
ينالون به بعض الاغراض المخلوقة من غير ان يكون ربهم محبوبا لذاته اصلا
وايضا فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم ولهذا كان الحب للبشر
على طبقات **احدها** العلاقة وهو تعلق القلب بالمحبوب ثم الصبابة
وهو انصباب القلب اليه **ثم** الغرام وهو الحب اللازم **ثم** العشق
واخر المراتب هو التتيم وهو التعبد للمحبوب والمتيم المعبد وتيم الله
عبد الله فان المحب يبقى قلبه معبدا مذللا لمحبوبه وايضا فاسم
الانابة اليه يقتضي المحبة ايضا وما اشبه ذلك من الاسما كما تقدم
وايضا فلو كان هذا الذي قالوه حقا لكان ذلك مجازا لما فيه من الحذف
والاضمار والمجاز لا يطلق الا بقرينة تبين المراد **ومعلوم** ان ليس

لعله لذاته
مع

في كتاب الله وسنة رسوله ما ينفي ان يكون الله محبوبا وان لا يكون المحبوب
الا لاعمال الا في الدلالة المتصلة ولا المنفصلة بل ولا في العقل ايضا وايضا فان
علامات المجاز صحة اطلاق لفظه فيجب ان يصح اطلاق القول بان الله لا يحب
ولا يحب كما اطلق امامهم بجعلين درهم انه لم يتخذ ابراهيم خليلا
ولم يكلم موسى تكليما ومعلوم ان هذا ممتنع باجماع المسلمين فعلم دلالة
الاجماع على ان هذا ليس مجازا بل هي حقيقة وايضا فقد فرق بين محبة
ومحبة العمل في قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله كم فرق بين محبة
ومحبة رسوله في قوله احب اليكم من الله ورسوله فلو كان المراد بمحبته نفس الامحبة
العمل لكان هذا تكريرا وهو من باب عطف الخاص على العام وكلاهما على خلاف
ظاهر الكلام الذي لا يعدل المصير اليه الا بدلالة تبين المراد وكما ان محبته لا يجوز
ان تفسر بمحبة رسوله فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل وان كان محبته
تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له وايضا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة
طاعته لا بمحبة نفسه امر لا يعرف في اللغة لا حقيقة ولا مجازا فحمل الكلام
عليه تحريف محض وقد قررنا في مواضع من القواعد الكبار
انه لا يجوز ان يكون غير الله محبوبا مرادا لذاته كما لا يجوز ان يكون
غير الله موجودا بذاته بل لا رب الا الله وحده ولا اله ولا اكبر ولا اعظم ولا اله
هو المعبود الذي يستحق ان يحب لذاته ويعظم لذاته بكمال المحبة والتعظيم
وكل مولود على الفطرة فان الله سبحانه فطر القلوب على انه ليس محبوبا لها
ومرادا لها ما تطمئن اليه وتنتهي اليه الا الله وحده والا كل احب المحبة
فمطعوم وملبوس ومنظور ومسموع وملموس يجد من نفسه ان قلبه يطلب
سواه ويحب امرا غيره ويتالهه ويصمد اليه ويطمئن اليه ويرى ما يشبهه من

هذه

هذه الاجناس ولهذا قال سبحانه في كتابه الا بذكر الله تطمئن القلوب وفي
الحديث الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه قال اني
خلقت عبادي حنفا فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم
ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا كما في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما
تنتج البهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم **وايضا**
فكلما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فان الله هو المستحق لكل الكمال
وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لان يحب على الحقيقة
والكمال وانكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة انكار كونه الها معبودا كما ان
انكار محبته لعبده يستلزم انكار مشيئته وهو يستلزم انكار كونه ربا خالقا
فصار انكارها مستلزما لانكار كونه رب العالمين ولكونه اله العالمين وهذا
هو قول اهل التعطيل والجحود **ولهذا** اتفقت الامتان قبلنا
على ما عندهم من امور واحكام موسى وعيسى ان اعظم الوصية التي اتانا
موسى ان تحب الله بكل قلبك وعقلك وهو حقيقة الحنيفية ملة ابراهيم
التي هي اصل في التوراة والانجيل والقران وانكار ذلك هو ماخوذ مما سن
له الصابئين اعداء ابراهيم الخليل ومن وافقهم على ذلك من متفلسف ومتكلم
او متفقه اخذا من هؤلاء وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من الاسماعيلية ولهذا
قال الخليل امام الحنفا افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين **وقال** ايضا لا احب الافلين وقال تعالى
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وهو السليم
من الشرك **واما** قولهم انه لا مناسبة بين المحدث والقديم

يوجب محبته له ويمنعه بالنظر بالنظر اليه فهذا الكلام مجمل فان ارادوا بالمناسبة
انه ليس بوالد فهذا الكلام حق وان ارادوا انه ليس بينهما من المناسبة ما بين
الناكح والمنكوح والاكل والماكول ونحو ذلك فهذا ايضا حق وان ارادوا انه لا
مناسبة بينهما يوجب ان يكون احدهما محبا عابدا والآخر محبوبا معبودا
فهذا هو راس المسئلة فالاحتجاج به مصادرة على المطلوب ويكفي في ذلك المنع
ثم يقال بل لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة الا المناسبة التي بين المخلوق والخالق
الذي لا اله غيره الذي هو في السماء اله وفي الارض اله وله المثل الاعلى في السموات والارض
وحقيقة قول هؤلاء جحدوا كون الله معبودا في الحقيقة ولهذا وافق على
هذه طايفة المسئلة طوايف من صوفية المتكلمين الذين ينكرون ان يكون
الله محبا في الحقيقة فاقروا بكونه محبوبا ومنعوا كونه محبا لانهم تصوفوا
مع ما كانوا عليه من قول اوليك المتكلمة فاخذوا عن الصوفية مذهبهم في المحبة
فاما محبة الرب عبده فهم لها اشد انكارا **و** منكروها قسمان **قسم**
يتاولونها بنفس المعقولات التي يحبها العبد فيجعلون محبته نفس خلقه **وقسم**
يجعلونها نفس ارادته لتلك المفعولات وقد بسطنا الكلام في ذلك في قواعد الصفات
والقدر وليس هذا موضعها **ومن** المعلوم انه قد دل الكتاب والسنة واتفاق
الامة على ان الله يحب ويرضى ما امر بفعله من واجب ومستحب وان لم يكن
ذلك موجودا وعلى انه قد يريد وجود امور يبغضها ويسخطها من الاعيان
والافعال كالفسوق والكفر وقد قال تعالى والله لا يحب الفساد وقال تعالى ولا يرضى لعباده
الكفر **والمقصود** هنا انما هو ذكر محبة العباد لالههم وقد تبين ان ذلك
هو اصل اعمال الايمان ولم يكن بين احد من سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم
باحسان نزاع في ذلك وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله ان تحرك به من انواع
العبادات الشرعية كالعرفان الايماني والسماع الفرقاني قال تعالى وكذلك اوحينا

اليك

اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الى اخر السورة ثم انه لما
طال الامد صار في طوائف المتكلمة من المعتزلة وغيرهم من ينكر هذه المحبة
وطائفة من بعض المتصوفة من يطلب تحقيقها بانواع السماع المحدث وسماع
كالتغبير وسماع المكا والتصدية فيستعون من الاقوال والاشعار ما فيه تحريك
جنس الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب بحيث يصلح لمحب الاوتار والغلمان
والاخوان والاوطان والمردان والنسوان كما يصلح لحب الرحمن ولكن كان الذي
يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والامكان والخلان وربما اشترطوا
له الشيخ يحرس من الشيطان ثم توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا فيه الى انواع
من المعاصي بل الى انواع من الفسوق بل خرج فيه طوائف الى الكفر الصريح بحيث
يتواجدون على انواع من الاشعار التي فيها الكفر والالحاد مما هو من اعظم
الفساد ويبيح لهم ذلك من الاصل بحسبه كما يبيح لعباد المشركين واهل
الكتاب عباداتهم بحسبها والذي عليه محققوا المشايخ انه كما قال الجنيد رضي الله عنه
من تكلف السماع فتن به ومن صادفه السماع استراح به ومعنى ذلك انه لا يشرع الا جتماع
لهذا السماع المحدث ولا يؤمر به ولا يتخذ ذلك دينا وقربة فان القرب والعبادات
انما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فكما ان لا حرام الا ما حرمه الله
فلا دين الا ما شرعه الله قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن
به الله ولهذا قال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم فجعل محبتهم لله موجبة لمتابعة رسوله وجعل متابعة رسوله موجبة
لمحبة الله لهم قال أبي ابن كعب رضي الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فانه ما من
عبد على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله الا تحاتت عنه
خطاياه كما تحات الورق اليابس عن الشجر وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
خاليا ففاضت عيناه من خشية الله الا لم تمسه النار ابدا وان
اقتصاد في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في غير سبيل وسنة

فاحرصوا ان تكون اعمالكم ان كانت اقتصادا او منهاج الانبيا وسننهم
وهذا مبسوط في غير هذا الموضع فلو كان هذا مما يومر به ويستحب وتصلح
به القلوب للمعبود المحمود لكان ذلك مما دلت الادلة الشرعية عليه
ومن المعلوم انه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله
عليه وسلم خير القرون قرني الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا في مصر ولا في خراسان
احد من اهل الخير والدين يجمع على السماع المبتدع لصلاح القلوب
ولهذا كره الايمة كالامام احمد وغيره وعند الشافعي هو من احداث الزنادقة
حين قال خلفت ببغداد شيئا احدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به
الناس عن القران **واما** ما لم يقصده الانسان من الاستماع
فلا يترتب عليه نهي ولا ذم باتفاق الايمة ولهذا انما يترتب الحمد والذم
على الاستماع لا على السماع فالمستمع للقران يثاب عليه والسامع له بدون
قصد ارادته لا يثاب على ذلك اذ الاعمال بالنيات **وكذلك** ما ينهى عن
استماعه من الملاهي لو سمعه السامع بدون قصده لم يضره ذلك فلو سمع السامع
بيتا يناسب بعض حاله يحرك ساكنه المحمود وازعج قاطنه المحبوب او بمثل ذلك
ونحو هذا لم يكن هذا مما ينهى عنه وان كان المحمود الحسن حركة قلبه التي
يحبها الله ورسوله الى محبته التي تتضمن فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله
كالذي اجتاز ببيت فسمع قايلا يقول كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل
فاخذ منه اشارة تناسب حاله فان الاشارات هي من باب القياس والا
عتبار وضرب الامثال ومسئلة السماع كبيرة منتشرة قد تكلمنا عليها في
غير هذا الموضع **والمقصود** هنا ان المقاصد المطلوبة للمريدين
يحصل بالسماع الايماني القراني النبوي الديني الشرعي الذي هو سماع
النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين وسماع المؤمنين قال الله تعالى

لعله باطنه المكنون

اوليك الذين

اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا الآية وقال الله تعالى نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم الآية وكامدح المقبلين على هذا السماع وقد ذم المعرضين عنه في مثل قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا الى قوله واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا الآية وقال تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا وقال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وقال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم الآية وقال تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ومثل هذا كثير في القرآن وهذا سماع سلف الامة واكابر مشايخها وائمتها كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشايخ الكبار كابراهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وابي سليمان الداراني ومعروف الكرخي ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وامثال هؤلاء وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى الاشعري يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون ويبكون وكان اصحاب محمد اذا اجتمعوا امروا واحدا منهم ان يقرأ والباقي يسمعون وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي موسى الاشعري وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال لقد اوتي هذا من مزامير

داود وقال مررت بك البارحة وانت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال
لو علمت انك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا اي لحسنته لك تحسينا وقال
صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال الله اشد اذنا الى الرجل الحسن
الصوت بالقرآن ولهذا السماع من المواجيد العظيمة والاذواق الكريمة
ومزيد المعارف والاحوال الكبيرة ما لا يتسع له خطاب ولا يحويه
كتاب كما ان في تدبر القرآن وتفهمه من ميراث العلم والايمان ما لا يحيط به
بيان **ومما ينبغي** التفطن له ان الله سبحانه قال في
كتابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم قال
طائفة من السلف ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون
الله فانزل الله هذه الآية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
فبين سبحانه ان محبة الله توجب اتباع الرسول واتباع
الرسول توجب محبة الله للعبد وهذه محنة امتحن الله بها اهل
دعوى محبة الله فان هذا الباب تكثر فيه الدعاوى والاشياء
ولهذا يروى عن ذي النون المصري انهم تكلموا في مسئلة المحبة عنده
فقال اسكتوا عن هذه المسئلة ليلا تسمعها النفوس فتدعيها وقال
بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف
وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجي ومن عبده بالحب
والرجاء والخوف فهو موحد وذلك لان الحب المجرد ودعواه تتبسط
النفوس فيه حتى تتوسع في اهواها اذا لم تزعها وازع الخشية لله كما
حتى قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ويوجد
في مدعي المحبة من مخالفة الشريعة مما لا يوجد في اهل الخشية ولهذا
قرن الخشية بها في قوله هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من
خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود

وقال

من صاحب الفتح الرباني
اذن اي استماعا كما تقوله و
اذنت لرسلها وحقت اي
استمعت وقال صلى الله عليه وسلم
ما اذن الله لشيء كما اذن لنبي
حسن الصوت يتغنى بالقرآن
يجهر به وقال ليس منا من لم
يتغن بالقرآن اي

تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فاتباع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته باطنا وظاهرا هي توجب
محبة الله كما ان الجهاد في سبيله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه هو
حقيقتها كما في الحديث اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
وفي الحديث من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد
استكمل الايمان وكثير ممن يدعي المحبة وهو بعد من غيره عن اتباع السنة
وعن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويدعي مع هذا ان
ذكي اكمل لطريق المحبة من غيره لزعمه ان طريق المحبة ليس في غيره
ولا غضب لله وهذا خلاف لما دل عليه الكتاب والسنة ولهذا في
الحديث الماثور يقول الله تعالى يوم القيمة اين المتحابون بجلالي اليوم
اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي فقوله المتحابون بجلالي الله تنبيه
على ما في قلوبهم من اجلال الله وتعظيمه مع التحاب فيه وبذلك يكونون
حافظين لحدوده دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف
الاجلال في قلوبهم وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث
حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتجالسين في
وحقت محبتي للمتزاورين في وحقت محبتي للمتباذلين
في والاحاديث في المتحابين كثيرة وفي الصحيحين عن
النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم
لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق
بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا
على ذلك وافترقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى
لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

وجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين **واصل**

المحبة هو معرفة الله سبحانه ولها أصلان **أحدهما** وهو الذي يقال محبة العامة محبته لأجل إحسانه إلى العباد وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها أحد فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وبحر من أساء إليها والله سبحانه هو المنعم المحسن إلى عبده بالحقيقة فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة إذ هو ميسر الوسايط ومسبب الأسباب ولكن هذه المحبة لا تهدي إليها بقول أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه فالجوني تحبب الله وأحبوا أهل بيتي والمقصر على هذه المحبة هو لم يعرف من حمد الله ما يستوجب أن يحب لإلى إحسانه إليه وهذا كما قالوا إن الحمد على نوعين حمد هو شكر وذلك لا يكون إلا على نعمة وحمد هو ثناء عليه وهو بما يتكلم لنفسه سبحانه **فكذلك** الحب فإن الأصل الذي فيه هو محبة لما هو أهل هذا أحب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله وما من وجه من الوجوه التي يعرف بها ما دل أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتى جميع مفعولاته إذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ولهذا استحق أن يكون محمودا على كل حال وهذا أعلى وأكمل وهو حب الخاصة وهؤلاء هم الذين يطلبون لذة النظر إلى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك حتى لو انقطعوا عن ذكر لوجدوا من الألم ما لا يطاق وهم السابقون كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بجبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا يا رسول الله من المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وفي رواية أخرى قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيمة خفافا وفي حديث هرون بن عمرو عن أبيه عن ابن عباس رضي الله

قال

في المقتبة إذا الحب القلب
المحبة النفسية فاحب العبد
في المقتبة الأنفسية وهذا
ليس بمحمود وهو
المحبة مع

الناس ج

قال قال موسى يارب اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا
ينساني قال فاي عبادك اعلم قال الذي يطلب علم الى علمه ليجد كلمة
تدل على هدى او ترده عن ردى قال فاي عبادك احكم قال الذي
يحكم على غيره نصفه كما يحكم على غيره ويحكم لغيره كما يحكم لنفسه وذكر في هذا
الحب والعلم والعدل وذكر جماع الخير **ومما ينبغي**
التفطن له انه لا يجوز ان يظن في باب محبة الله تعالى ما يظن في محبة
غيره مما هو من جنس التجني والهجر والقطيعة لغير سبب ونحو ذلك مما
قد يغلط فيه طوائف من الناس حتى يمثلون في حب بجنس ما
يمثلون به في حب من يحسد ويقطع بغير ذنب او يبعد من يتقرب اليه
وان غلط في ذكر من غلط من الممثلين في رسائلهم حتى يكون مضمون
كلامهم اقامة الحجة على الله بل لله الحجة البالغة وقد ثبت في الصحيحين
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من ذكرني
في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه
ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت
اليه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وفي بعض الآثار يقول الله
تعالى اهل ذكري اهل مجالستي واهل شكري اهل زيادتي واهل
طاعتي اهل كرامتي واهل معصيتي لا اويسهم من رحمتي ان تابوا فانا
حبيبهم لان الله يحب التوابين وان لم يتوبوا فانا طبيبهم ابتليهم
بالمصائب حتى اطهرهم من المعايب وقد قال تعالى ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما قالوا الظلم ان يحمل
عليه سيئات غيره والهضم ان ينقص من حسناته نفسه وقال تعالى وما ظلمناهم

ولكن كانوا انفسهم يظلمون وفي الحديث الصحيح عن ابي ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا عبادي اني حرمت
الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال
الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جايع
الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عاري
الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تذنبون
بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب ولا ابالي فاستغفروني اغفر لكم
يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني
يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب
رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اجرى قلب رجل واحد منكم ما نقص
ذلك من ملكي شيئا يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم
اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير
ذلك فلا يلومن الا نفسه ولما كان ما رواه البخاري في صحيحه
عن شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد
الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت
خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء
بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها
اذا اصبح موقنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن

قالها

لعله
وكذلك ما رواه

قالها اذا امسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد دايما بين
نعمة من الله يحتاج فيها الى شكر وذنب منه يحتاج فيه الى الاستغفار
وكل من هذين من الامور اللازمة للعبد دايما فانه لا يزال يتقلب
في نعم الله والائه ولا يزال محتاجا الى التوبة والاستغفار ولهذا
كان سيد ولد ادم وامام المتقين يستغفر في جميع الاحوال
وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري
ايها الناس توبوا الى ربكم فاني اتوب اليه في اليوم ماية مرة
وقال اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اثنين عبد الله
بن عمر كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول رب
اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم ماية مرة وقال
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اثنين وسبعين مرة
وفي صحيح مسلم انه قال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في
اليوم ماية مرة ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم
الاعمال قال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال بعضهم احيوا
الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر امروا بالاستغفار وفي
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انصرف من صلاته استغفر
ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال
والاكرام وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند
المشعر الى قوله واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وقد امر الله
نبيه بعد ان بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده واتى بما

امر الله عالم يصل اليه احد غيره فقال اذا جاء نصر الله والفتح
ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد
والاستغفار كما قال تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت
من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير
وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا
حسنا الاية وقال تعالى فاستقيموا اليه واستغفروه وقال تعالى فاعلم
انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله
يعلم متقلبكم ومثواكم ولهذا جاء في الحديث يقول
الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا اله
الا الله والاستغفار وقال يونس لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا ركب دابته يحمد الله ثلاثا ثم يكبر ثلاثا ويقول لا اله الا انت
سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي وكفارة المجلس التي كان
يختم بها المجلس والوضوء سبحانك اللهم وبحمدك اشهد
ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك
آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم
النبيين وآله وصحبه اجمعين وحسبي الله
عليه توكلت ونعم الوكيل

بلغ مقابلة على نسخة
اظن فيها بعض
السقط

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مسئلة هل الميت يسمع كلام زايره ويرى شخصه وهل تعاد روحه
الى جسده في ذلك الوقت ام تكون مرفرفة على قبره في ذلك الوقت وغيره
وهل تصل اليه القراة والصدقة من مخلفيه وغيرهم سواء كان من المال الموروث
عنه او غيره وهل تجتمع روحه مع ارواح اهله واقاربه الذين ماتوا قبله
سواء كان مدفونا قريبا منهم او بعيدا وهل تنتقل روحه الى جسده
في ذلك الوقت او يكون وبدنه اذا مات في بلاد بعيده ودفن بها الى الارض
التي ولد بها وهل يتاذى ببكا اهله عليه والمسئول من اهل العلم رضي الله عنهم
الجواب عن هذه الفصول فصلا فصلا جوابا واضحا مستوعبا لما ورد
فيه من الكتاب والسنة وما نقل فيه عن الصحابة رضي الله عنهم وشرح
مذاهب الايمة والعلما اصحاب المذاهب واختلافهم وما الراجح من
اقوالهم ماجورين ان شا الله تعالى **الجواب** الحمد لله
رب العالمين نعم يسمع الميت في الجملة كما ثبت في الصحيحين
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليسمع خفق نعالهم حين يولون
عنه مدبرين وثبت في الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ترك قتلى بدر ثلاثا ثم اتاهم فقام عليهم فناداهم فقال يا ابا جهل
ابن هشام يا امية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة
اليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني
ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده
ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا ثم امرهم
فسحبوا فالقوا في قليب بدر وكذلك في الصحيحين عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم

ربكم حقا وقال انهم يسمعون الان ما اقول وقد ثبت في الصحيحين
من غير وجه انه كان يامر المؤمنين بالسلام على اهل القبور ويقول قولوا
السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون
ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستاخرين نسال الله لنا ولكم
العافية اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم
فهذا خطاب لهم وانما يخاطب من يسمع وروى بن عبد البر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله
عليه روحه حتى يرد عليه السلام وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وفي السنن
عنه انه قال اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة
علي فقالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعني صرت
رميما فقال ان الله تعالى حرم على الارض ان تاكل لحوم الانبيا وفي السنن
انه قال ان الله وكل بقبري ملايكة يبلغوني عن امتي السلام **فهذه**
النصوص وامثالها تبين ان الميت يسمع في الجملة ولا يجب ان
يكون السمع له دايما بل قد يسمع احيانا خطاب من يخاطبه وقد
لا يسمع لعارض يعرض له وهذا السمع ح ادراك ليس يترتب عليه
جزاء ولا هو السمع المنفي بقوله انك لا تسمع الموتى فان المراد بذلك سمع القبول
والامتثال فان الله جعل الكافر الذي لا يستجيب لمن دعاه وكالبهايم التي
تسمع الصوت ولا تفقه المعنى فالميت وان سمع الكلام وفقه المعنى لكنه لا يمكنه
اجابة الداعي ولا امتثال ما امر به ونهى عنه فلا ينتفع بالامر والنفي وهكذا
الكافر لا ينتفع بالامر والنهي وان سمع الخطاب وفهم المعنى كما قال تعالى ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم **واما** روية الميت فقد روي في ذلك اثار عن
عايشة رضي الله عنها وغيرها **فصل** واما قول القايل هل تعاد روحه
الى بدنه ذلك الوقت ام تكون ترفرف على قبره ذلك الوقت وغيره

فان

فان روحه تعاود الى البدن ذلك الوقت كما جاء في الحديث وتعاد ايضا في غير ذلك الوقت وارواح المؤمنين في الحديث الذي رواه مسلم ومالك والنسائي واحمد وغيرهم ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وفي لفظ تأوي الى قناديل معلقة بالعرش فتتصل بالبدن متى شاء الله وذلك في اللحظة بمنزلة النزول للملك وظهور الشعاع في الارض وانتباه النائم وهذا جاء في عدة آثار ان الارواح تكون على افنية القبور وقال مجاهد ان الارواح تكون على افنية القبور سبعة ايام من يوم يدفن الميت لا يفارق ممن كان يكون احيانا قال مالك ابن انس بلغني ان الارواح مرسلة تذهب حيث شاءت

فصل

واما وصول القراءة والصدقة وغيرهما من اعمال البر فلا نزاع بين علماء السنة واجماعهم في وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة والعتق وكما يصل اليه ايضا الدعاء والاستغفار والصلاة عليه صلاة الجنازة والدعاء عند قبره وقد نازع في وصول الاعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة والصواب ان الجميع يصل اليه قد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه وثبت ايضا في الصحيح انه امرأة ماتت امها وعليها صوم ان تصوم عن امها وفي السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص لو ان ابوك اسلم فتصدقت او اعتقت او حججت عنه نفعه ذلك وهذا مذهب احمد وابي حنيفة وطائفة من اصحاب مالك والشافعي واما احتجاج بعضهم بقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فيقال قد ثبت بالسنة المتواترة واجماع الامة ان يصلي عليه ويدعا له ويستغفر له وهذا من سعي غيره ولذلك ثبت ما سلموه من انه ينتفع بالصدقة عنه والعتق وهو من سعي غيره وما كان من جوابهم من موارد النزاع فنحن جواب الشافعي عن مواضع النزاع والناس في ذلك اجوبة متعددة لكن يحقق ذلك ان الله تعالى لم يقل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال ابو العباس رحمه الله في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكري واما قول القايل
ان المتوسل انما هو سايل لله راجيه عالم ان النفع والضر بيده لا شريك له وانما توسل
اليه بما يحبه الله لشرف منزلته عنده ليكون اقرب الى الاجابة وحصول المراد كطلب
الدعا من الرجل الصالح فيقال توسل العبد الى الله بما يحبه لفظ مجمل فان اريد
بما يحب الله ان يتوسل به اليه فهذا حق والله تعالى يحب ان يتوسل اليه بالايمان والعمل الصالح
والصلاة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم ومحبته وطاعته وموالاته فهذه ونحوها هي
الامور التي يحب الله ان يتوسل بها اليه وان اريد انه يتوسل اليه بما يحب ذاته وان لم يكن هناك
ما يحب الله ان يتوسل به فهذا باطل عقلا وشرعا اما عقلا فلانه ليس في كون
الشخص المعين محبوبا له ما يوجب كون حاجتي تقضى بالتوسل بذاته اذا لم يكن مني
ولا منه سبب تقضى به حاجتي فان كان منه دعاء لي او كان مني ايمان به وطاعة
له فلا ريب ان هذه وسيلة واما نفس ذاته المحبوبة لله فاي وسيلة لي فيها
اذا لم يحصل لي السبب الذي امرت به فيها ولهذا لو توسل به من كفر به لم ينفعه والمؤمن به
ينفعه الايمان به وهو اعظم الوسايل فتبين ان الوسيلة بين العباد وبين ربهم
عز وجل الايمان بالرسل وطاعتهم وقول القايل للرجل الصالح ادع لي توسل بدعاء الصالحين
وهو من جملة الاسباب النافعة كشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم واما الشرع فيقال
العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع فليس لاحد ان يشرع
من الدين ما لم ياذن به الله الا ترى انه ليس لاحد ان يصلي الى قبره ويقول
هو احق بالصلاة اليه من الكعبة وقد ثبت عنه في الصحيح انه قال لا تجلسوا على صلى الله عليه وسلم
القبور ولا تصلوا اليها ومن لم يعتصم بالكتاب والسنة ضل واضل وليس في قوة
كل احد ان يفهم اسرار العبادات ومنافعها ومضار ما ينهى عنه من ذلك
فعليه ان يسلم للشريعة ويعلم انها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل
المفاسد وتقليلها واذا راى من العبادات التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس
بمشروع علم ان ذلك لضرر فيها راجح على نفعها ومفسدة راجحة على

مصلحتها اذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح **فان** قال قايل اذا اذا توسلت بذاته
انما توسلت بعملي المعلق به وذلك انه لحبي له وتعظيمي اياه توسلت به وهذا مما يحبه الله
تعالى مني **قيل** حبك له وتعظيمك له الذي هو من الايمان به وهو يدعوك الى زيادة
الايمان به وطاعته هو الذي يحبه الله منك واما حبك وتعظيمك الذي لا تقصد به
الا قضا حاجتك الدنيوية فهذا لا يحبه الله منك كما ان حب ابي طالب الذي كان قصده
تعظيم نسبه واقامة حرمته لم يقبله الله منه وقد قال قوم فرعون لموسى ادع لنا ربك
بما عهد عندك اننا لمهتدون ادع لنا ربك بما عهد عندك لين كشفت عنا الرجز
لنومنن لك الاية فطلبوا من موسى عليه السلام ان يدعو لهم بكشف الضر عنهم ولم ينفعهم ذلك
حيث لم يتوسلوا بذلك الى الايمان به وطاعته وفي السنن ان اهل مكة طلبوا من
النبي صلى الله عليه وسلم ان يستسقي لهم فاستسقا لهم فالنبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لمن يؤمن
به بجلب منفعة كالمطر او دفع مضرة كالرجز الذي ارسل على ال فرعون واستجاب الله
دعاه لم يحب الله منهم طلب الدعا ان لم يؤمنوا به ويطيعوه ولكنه اجاب دعاه وان
كان المدعو له هنا لم يفعل ما يحبه الله من الايمان والطاعة فاذا كان الداعي به
لم يومن به ولم يطعه بل سال الله به واحبه وعظمه ليقضي حاجته بالتوسل به لم
يكن ذلك مما يحبه الله بالضرورة ولم يامر الله بذلك بل لم يامر الله الا بالايمان به
والطاعة وهذا اذا حصل كان اعظم الوسايل للعبد عند الله وان لم يحصل فلا وسيلة
للعبد عند الله وقد بسط الكلام في غير هذا الموضع في حقيقة الدعا وما فيه من مشروع
وغير مشروع وان من الدعا ما يحصل به مقصود العبد او بعض مقصوده
ويكون وبالا عليه لان ضرر ذلك اعظم من نفعه كما قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا
وخفية انه لا يحب المعتدين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في هذه الامة
قوم يعتدون في الدعا والطهور وكثير من الناس دعا بدعاء اجيب وحصل له
به ضرر كان اعظم من نفع ذلك الدعا **واعرف** من يستغيث برجال احيا
فتصور له صورهم تدفع عنه ما كان يحذر ويحصل له ما كان يطلب واوليك

الاحيا

الاحياء لاشعر لهم بذلك وانما هي شياطين تمثلت لتضل ذلك المدعي المسكين كما كانت
الانس تستعيذ بالجن فكانت رؤساء الجن يعدهم من سفههم لغرهم باستعاذة الانس
قال تعالى وان كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن الآية والذين يسجدون
للشمس والقمر والكواكب ويعبدونها تنزل عليهم ارواح من الجن وتقضي لهم كثيرا من الحاجات
ويسمون نهارا وحاينة ذلك الكوكب وهو شيطان ينزل عليهم ومن الشيطان من يطير
بصاحبه في الهوى وينقله الى البيت المقدس ومن جبل الصالحية الى مكان بعيد ويرى به
في الهوى فيضعه على راس السنان ويدخل به النار فيمنعه حرها الى امور كثيرة فالسعي
والنجاة في الاعتصام بالكتاب والسنة واتباع ما شرع والدعا من اجل العبادات
فينبغي للانسان ان يلزم الادعية الشرعية كما تجري في سايرعباداته الصورة الشرعية
فان هذا هو الصراط المستقيم **واما** قوله انه يجعل الاستغاثة بالنبي
صلى الله عليه وسلم او بغيره من الانبياء والصالحين في كل ما يستغاث الله فيه على
معنى انه وسيلة من وسايل الله فهذا قول لم يقله قبله احد من علماء المسلمين
لان الصحابة لا كانت بعده ولا لغيرهم وقايل هذه العبارة اما كافر مفتر
على الدين او مغرر على اللغة ملبس على المسلمين بل اطلاق القايل القول بان يستغاث
بالنبي والصالح او غيرهما في كل ما يستغاث الله فيه لا يفهم الناس منه في اللغة
التي يعرفونها الا ما هو كفر صريح **وقوله** على معنى انه وسيلة من وسايل
الله لا يخرج حمل لفظ هذا اللفظ في اللغة المعروفة عن ان يكون كفرا فان الاستغاثة
بالشخص طلب الغوث منه وقد قال هو ان معنى الاستغاثة دايرعلى طلب
الاغاثة والتخليص من الكربة والشدة سواء كان طلب ذلك من الخالق او المخلوق
واذا كان كذلك فمقتضى هذا القول يقتضي ان يطلب من المخلوق كل ما يطلب من الخالق
من الاستغاثة فيطلب من المخلوق الحي او الميت ازالة الامراض والاسقام وكشف الجدب
والقحط بانزال المطر وسقا الانام وكشف ضر الكفار بان ينصر عليهم
المؤمنين الابرار ويطلب كشف شدة العاصي بالمغفرة للمذنب العاصي وكشف شدة النيران

وبالجملة فاذا كانت الاستغاثة
باخراج من في قلبه ذرة من ايمان
طلب الاغاثة والتخليص من الكربة والشدة سواء كان طلب ذلك من المخلوق
اومن الخالق وقد جوز الاستغاثة بمخلوق في كل ما يستغاث الله فيه فقد لزم
ان يطلب من هذا المخلوق كل ما يطلب من الله وان قيل انه على معنى الوسيلة
فهذا لا يجيء **فائدة** من جوز ان يطلب من المخلوق كل ما يطلب من الله فهو كافر
باجماع المسلمين بل ما لا يقدر عليه الا الله لا يجوز طلبه من المخلوق اصلا باجماع
المسلمين بل ما لا يقدر عليه الا الله لا يجوز طلبه ومن طلب من المخلوق غفران الذنوب
وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات والنصر على الاعداء في الدين
فهو كافر برب العالمين وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا
يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الى قوله ان عذاب ربك كان محذورا قال طائفة
من السلف كان اقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله تعالى لهم
ان هؤلاء عبادي كما انتم عبادي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون
عذابي كما تخافون عذابي ويتقربون الي كما تتقربون الي وقد اخبر عنهم انهم لا
يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويلا عنهم وهذا هو الاغاثة كما قال
في خاتم الرسل قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا وقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
الا ما شاء الله فمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله يمتنع ان يكون ذلك
لغيره **فاذا جوز** هذا ان يطلب من المخلوق ما يطلب من الخالق سبحانه
جاز ان يدعا الملائكة والانبياء والذين كانوا يدعونهم لم يطلبوا منهم ذلك
الا لاعتقادهم انهم وسيلة لم يطلبوه لاعتقادهم انهم خالقون غير الله وقد ان المشركين
عباد الاصنام كانوا مقرين بان الله هو الذي خلق السموات والارض كما اخبر عنهم
بذلك في غير اية كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله
قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله الى قوله قل فانى تسحرون
وقد قال سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة

في السموات

في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا
لمن اذن له فبين سبحانه ان المدعو من دونه ليس له في ملك السموات والارض مثقال ذرة ولا
هو شريك في الملك وانه ليس ظهير الله فان الله سبحانه ليس له ظهير ولا يحتاج الى معين او
مشير او وزير او غير ذلك بل هو وحده خلق السموات والارض وما بينهما لا يشرك في ذلك
احد ولا يحتاج في شيء من ذلك الى غيره وما خلقه باسباب فهو خالق الاسباب والمسببات
والجميع فقرا اليه وهو غني عن الجميع ولهذا قال تعالى اليس الله بكاف عبده فهو سبحانه
يكفي عبده لا يحتاج العبد الى كفاية في كفاية الله الى غيره ثم قال ولا تنفع الشفاعة عنده
الا لمن اذن له كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال في الملائكة ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وامثال ذلك مما يبين فيه ان الشفاعة لا بد فيها من اذنه للشافع فلم يثبت لما
يدعا من دونه من الوسائط والوسائل الملائكة والانبيا وغيرهم اثرا في شيء من الاشيا
الا الشفاعة وبين انها لا تكون الا بعد اذنه **ثم اذا** جاز ان يقول الضال
ان يطلب من مخلوق كل ما يطلب من الخالق من كشف الشدايد فكذلك يطلب منه ما يطلب
من الخالق من اعطاء الفوايد فحينئذ يجوز ان يطلب من مخلوق كل ما يطلب من الخالق
مطلقا وهذا الكفر شر من كفر عباد الاصنام فان اولئك لم يكونوا يطلبون من
الاوثان كل ما يطلب من الرحمن بل لهم مطالب لا يطلبونها الا من الله كما قال تعالى
قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون الايتين فبين انه اذا جاء
عذاب الله او اتت الساعة لا يدعون الا الله فلا يطلبون كشف الشدايد وانزل الفوايد
الا منه فمن جوز طلب ذلك من المخلوق كان اضل من هؤلاء المشركين وقال تعالى واذا مسكم
الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه الاية **وقول** القايل لكونهم اسبابا ووسايل كلام
مجمل قد لا يتصور من يقول ما تضمنه من الانواع فان المتفلسفة ومن سلك سبيلهم في
الشفاعة معنى الشفاعة ان يتوجه الانسان الى الشفيع كالملك والنبي فيفيض عليه
مطلوبه بتوسط الشفيع كما يفيض عندهم من الله على الشفيع بغير سوال من الشفيع
وقول هؤلاء في شفاعة الوسايط اعظم شركا من قول مشركي العرب فان مشركي
العرب كانوا يقولون ان الوسايط تشفع لهم بالسوال لله والطلب منه فابطل

الله هذه الشفاعة التي كان يعتقدها المشركون وبين انه لا يشفع احد
عنده الا باذنه وهذا القايل ان الشفاعة لمن رآها يكونهم وسايل ووسايط
من جنس قول المشركين ويشهد لارادته هذا المعنى قوله وليس معنى الاستغاثة
بالرسول مقتضيا لان يكون الرسول خالقا للاغاثة بل كل مطلوب من ملك وانس
وجن انما هو على السببية لا على ان ثم خالقا غير الله وقد بين ان الاستغاثة
هي الطلب فحينئذ يكون طالبا من المخلوقين على انهم وسايل واسباب لا على انهم خالقون
وايضا هو في كلامه لم ينه عن طلب ذلك منهم ايضا ولا احترز منه وهذا المعنى
الذي هو ظاهر كلامه كفر باجماع المسلمين واليهود والنصارى وقد لا يريد منهم ان يطلب
منهم شيء ولكن يطلب من الله بجاههم وحرمتهم وهذا المعنى ان اراده فهذا المعنى لا يسمى
استغاثة بالمسؤل عنه احد من المسلمين وهو لم يكن هو ادعى في ذلك دعوى باطلة باتفاق
العلماء **ومازلت** ابحث عن هذه المسئلة واكشف ما امكنني من كلام السلف والائمة
والعلماء هل جوز احد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء او فعل ذلك احد منهم فما وجدته
ثم وقفت على فتيا للفقيه ابي محمد بن عبد السلام افتى بانه لا يجوز التوسل بغير النبي
صلى الله عليه وسلم واما النبي صلى الله عليه وسلم فجوز التوسل به ان صح الحديث فيذلك **وذكر**
القدوري في شرح الكرخي عن ابي حنيفة وابي يوسف انه لا يجوز ان يسأل الله بالانبياء
وفي بعض مناسك الحج المنقولة عن احمد وغيره انه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء
وبالجملة لو تكلم في مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره في الدعاء لكان كلامه مبنيا
من جنس كلام العلماء فانها تحتاج الى ادلة شرعية من جانب النفي والاثبات لعدم ظهور
الحكم فيها **واما** الاستغاثة بالمخلوق بان يطلب منه كل ما يطلب من الخالق
او بان يطلب من الغايب او الميت ما يطلب من الحي الحاضر فهذا ليس مما يخفى على عموم
المؤمنين فضلا عن علمايهم وان وقع في كثير من ذلك من وقع من العامة ونحوهم
ممن فيه زهد وصلاح ودين فهؤلاء واضرابهم حقهم ان يرجعوا الى العلم الموروث
عن الرسول وتكون عباداتهم مقيدة بالشريعة النبوية والعلم الموروث لا
يعبد ونه بما يخطر لهم من الاهواء والآراء قال عمر بن عبد العزيز من عبد الله بغير

علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح وقال ابن مسعود وابي بن كعب اقتصاد في سنة خير
من اجتهاد في بدعة وقد قال انعام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه
فهو رد وفي لفظ من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وقد اتفق المسلمون على انه ليس
لاحد ان يعبد الله بشيء لم يشرعه ورأوه بل لا يعبده الا بما كان عبادة عند الله وهي
العبادات الشرعية فكل ما لم تثبت الادلة الشرعية انه عباده لم يحكم بانه عباده
ودين الاسلام مبني على اصلين احدهما ان لا نعبد الا الله والثاني ان نعبده بما شرع
لا نعبده بالبدع كما قال الفضيل بن عياض في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه
واصوبه قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل
واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان
يكون لله والصواب ان يكون على السنة **وبالجملة** فقول القايل يستغاث
يستغاث بالنبي والصالح في كل ما يستغاث الله فيه على معنى انه وسيلة من وسايل الله كلام
مجمل متشابه وهؤلاء الضلال مطلقون مثل هذا الكلام ولا يميزون بين معانيه من اللغة
ولا بين ما شرع من ذلك وما لا يشرع **ولكن** الاقسام الواقعة في مثل هذا اذا استغاث
به على معنى التوسل به والاستغاثة بطلب تفريج الكربة **فاما** ان يسأله نفس تفريج الكربة
واما ان يسأله ان يسأل الله تفريج الكربة **واما** ان يستشفع به في سؤال الله شفاعته
ويسأله ان يسأل الله **واما** ان يسأل الله به ولا يسأله شيئا **واما** ان يسأله فعل الله
مثل ما كانت الامم تسأل الانبياء الآيات وهو في الحقيقة سؤالهم ان يسألوا الله او سؤاله
تعالى ان يفعل لاجلهم او مركبا من الامرين فالسايل المستغيث بشيء على معنى التوسل
به لا بد ان يكون من احد هذه الاقسام **ووجه** التقسيم انه اما ان يسأل الله فقط
او يسأل المخلوق فقط **او** يسألهما جميعا **او** يسأل سؤالا مطلقا ولا يعين فيه
السؤل **فاما** الاول مثل ان يقول اللهم اني اسألك بفلان **واما** الثاني فقد يسأله
ان يسأل الله وقد يسأله الفعل كقول الامم لكل نبي اشفع لنا الى ربك وقول الاعرابي
يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله ان يغيثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه

يديه وقال اللهم اغثنا اللهم اغثنا واما سوال الفعل فمثل قول قوم موسى ارنا الله جهرة وقول القايل
اسالك قضا ديني واسالك نصري على غريمي فيطلب منه قضا حاجته ولا يعين في دعايه
ان يسال الله او لا يسال **والثالث** مثل ان يقول اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك
محمد نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها اللهم فشفعه في
واما الرابع وهو السوال المطلق فمثل قول الحواريين نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا
ومثل قول القايل انا اطلب قضا ديني وانتصاري على عدوي ولا يعين هل هو سوال الله
فقط بجاه الشخص مثلا او سواله للشخص ان يسال او ان تكون مطلوبه او السوال
بدعايه والسوال له ان يكون يدعوا او ان يكون هذا الفعل **فهذه خمسة**
اقسام بل ستة كلها تدخل في قوله يستغاث بالنبي والصالح في كل ما يستغاث الله فيه على
معنى انه وسيلة من وسايل الله واللفظ يعم الاستغاثة في كل حال في حال حياته
ومشهده وفي حال مغيبه ومماته الى ان قال **ولفظ** التوسل والتوجه يراد به
ان يتوسل الى الله ويتوجه اليه بدعايهم وشفاعتهم فهذا هو الذي جاء في الفاظ
السلف من الصحابة رضوان الله عليهم كما في صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا
وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فهذا اخبار من عمر رضي الله عنه عما كانوا
يفعلونه وتوسل منهم بالعباس كما كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية
لما استسقى باهل الشام توسل بيزيد ابن الاسود الجرشي فقال معاوية اللهم
انا نستشفع اليك بخيرنا وافضلنا اللهم انا نستشفع اليك بيزيد ابن الاسود
الجرشي يا يزيد ارفع يديك الى الله فرفع يديه ورفع الناس فهذا توسل منهم بدعاء
النبي صلى الله عليه وسلم وسواله وشفاعته ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس
ودعا يزيد بن الاسود وهذا هو الذي ذكره الفقها في كتاب الاستسقا قالوا يستحب
ان يستسقى بالصالحين واذا كانوا من اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو افضل
ومن هذا الباب ما في البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ربما ذكرت قول
الشاعر وانا انظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش الميزاب

وابيض

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

ومن هذا الباب حديث الاعمى فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ادع الله ان يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك
قال ادع الله فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعا اللهم اني اسالك
واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى
اللهم فشفعه في فقد امره ان يطلب من الله ان يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم وانما
يكون طلبا لتشفيعه فيه اذا شفع فيه فدعا الله له وكذلك في اول الحديث انه طلب من
النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له فدل الحديث على ان النبي صلى الله عليه وسلم شفع له ودعا له وان
النبي صلى الله عليه وسلم امره هو ان يدعو الله وان يساله قبول شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيه
فهذا نظير توسلهم به في الاستسقا حيث طلبوا منه ان يدعو الله لهم ودعواهم
الله تعالى ايضا **وقوله** يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى خطاب
لحاضر في قلبه كما نقول في صلاتنا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وكما يستحضر
الانسان من يحبه او يبغضه في قلبه ويخاطبه وهذا كثير **فهذا** كله يبين
ان معنى التوسل به والتوجه به وبالعباس وغيرهما في كلامهم هو التوسل والتوجه بدعايه
ودعاء العباس ودعا من توسلوا به وهذا مشروع بالاتفاق لا ريب فيه **ومن**
التوسل به ايضا التوسل بالايمان به ومحبته وطاعته وموالاته واتباع سنته ونحو
ذلك من اعمال البر المتعلقة به فهذا اعظم القرب والوسايل الى الله تعالى فان التوسل
هو التوصل والتقرب وما تقرب احد الى الله باعظم من طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
بل لا يتقرب اليه الا بذلك فمن عمل عملا ليس عليه امره صلى الله عليه وسلم فهو مردود **الى**
ان قال فالشفاعة نوعان **احدهما** الشفاعة التي نفاها القران كالتي اثبتها
المشركون ومن ضاهاهم من جهال هذه الامة **والثاني** ان يشفع
الشفيع باذن الله وهي التي اثبتها الله ولهذا كان سيد الشفعا اذا طلب منه

الخلق الشفاعة يوم القيمة يأتي ويسجد قال فاحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا احسنها الآن
فيقال اي محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع فاذا اذن له في الشفاعة
شفع صلى الله عليه وسلم **قال** اهل هذا القول ولا يلزم من جواز التوسل والاستشفاع به
بحضرته بمعنى ان يكون هو داعيا للمتوسل به ان يشرع ذلك في مغيبه وبعد موته
مع انه هو لم يدع للمتوسل به بل المتوسل به اقسم به او سال بذاته مع ان الصحابة قد فرقوا
بين الامرين وذلك لانه في حياته يدعوا هو الله تعالى لمن توسل به ودعاوه هو لله تعالى
افضل دعا الخلق فهو افضل الخلق فدعاوه افضل دعا مخلوق لمخلوق فكيف يقاس هذا
بمن لم يدع له الرسول ولم يشفع له ومن سوى بين من دعا له الرسول وبين من لم يدع له وجعل
هذا المتوسل كهذا المتوسل فهو من اصل الناس **وايضا** فانه ليس في طلب الدعا
منه والتوسل بدعايه ضرر بل هو خير بلا شر وليس في ذلك محذور ولا مفسدة
فان احدا من الانبيا عليهم السلام لم يعبد في حياته بحضوره فانه ينهى من يعبده
ويشرك به ولو كان شركا اصغر كما قال صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشاء محمد وامثال
ذلك واما بعد موته فيخاف الفتنة والاشراك به كما اشرك بالمسيح والعزير
وغيرهما ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما
انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله اخرجه البخاري وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد **وبالجملة** فمعنا اصلان عظيمان ان لا نعبد الا الله
وان لا نعبده الا بما شرع لا نعبده بالبدع وهذان الاصلان هما تحقيق
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله كما قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال
الفضيل اخلصه واصوبه وقال تعالى ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله
ولهذا قال الفقها العبادات مبناها على التوقيف كما في الصحيحين عن عمر
رضي الله عنه انه قبل الحجر الاسود وقال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا
اني رايت رسول الله يقبلك ما قبلتك والله سبحانه امرنا باتباع رسوله وطاعته
ومحبة رسوله ومحبته وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

واكرمهم على الله

لا تقولوا صح

وقال

وقال وان تطيعوه تهتدوا وامثال ذلك في القران كثير ولا ينبغي لاحد ان يخرج في هذا الباب
عما مضت به السنة ودل عليه الكتاب وكان عليه سلف الامة وما علمه قال به وما لم يعلمه امسك
عنه فلا يقفوا ما ليس له به علم ولا يقول على الله ما لا يعلم فان الله قد حرم ذلك كله وقد جاء
في الاحاديث ذكر ما يسال الله به كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا
انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم رواه ابو داود وغيره
وفي لفظ اللهم اني اسالك باني اشهد ان لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد **وقد** اتفق العلما على انه لا تنعقد اليمين بغير الله وهو الحلف
بالمخلوقات كالملايكة والكعبة او احد من الشيوخ بل وينهى عنه اما نهي تحريم او تنزيه
والصحيح انه نهي تحريم وهو قول اكثر العلما ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كان حالفا
فليحلف بالله او ليصمت وفي الترمذي عنه انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك ولم يقل
احد من العلما المتقدمين انه تنعقد اليمين باحد من الخلق الا في نبينا صلى الله عليه وسلم
فان عن احمد في ذلك روايتين في انعقاد اليمين به وقد طرد بعض اصحابه كابن
عقيل الخلاف في ساير الانبيا وهذا ضعيف والقول بانعقاد اليمين بالنبي ضعيف شاذ
لم يقل به احد من العلما فيما يعلم والذي عليه الجمهور مالك والشافعي وابو حنيفة انه لا تنعقد اليمين به
كاحد الروايتين عن احمد وهو الصحيح **وكذلك** لا يستعاذ بالمخلوق بل انما يستعاذ بالخالق
تعالى واسمايه وصفاته ولهذا احتج السلف كاحمد وغيره على ان كلام الله غير مخلوق فيما
احتجوا به بقول النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات الله التامات قالوا فقد استعاذ بها
ولا يستعاذ بمخلوق وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بالرقا ما لم تكن شركا
فنهى عن الرقا التي فيها شرك كالتي فيها الاستعاذة بالجن ولهذا نهى العلما عن التعازيم
والاقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروع وغيره التي تتضمن الشرك بل نهوا
عن كل ما لا يعرف معناه خشية ان يكون فيه شرك بخلاف ما كان من الرقا المشروعة
فانه جايز **فاذا** كان لا يجوز لاحد ان يقسم قسما لا مطلقا ولا قسما على غيره
الا بالله ولا يستعيذ الا بالله عز وجل فالسايل بغير الله اما ان يكون مقسما عليه واما
ان يكون طالبا بذلك السبب كما توسل الثلاثة في الغار باعمالهم وكما نتوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم

رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه صح

والصالحين فان كان ذلك اقساما على الله بغيره فهذا لا يجوز **وان كان**
سؤالا بسبب يقتضي حصول المطلوب كالسؤال بالاعمال الصالحة مثل السؤال
بالايمان بالرسول ومحبته وموالاته فهذا جائز **وان كان** سؤالا بمجرد ذوات
الانبياء والصالحين فهذا غير مشروع وقد نهى عنه غير واحد من العلماء وقالوا
انه لا يجوز ورخص فيه بعضهم والاول ارجح كما تقدم وهو سؤال بسبب لا يقتضي
حصول المطلوب بخلاف من كان طالبا بالسبب المقتضي لحصول المطلوب
فالطالب منه سبحانه بدعاء الصالحين وبالاعمال الصالحة فهذا جائز لان دعاء
الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذي دعوا به وكذلك الاعمال الصالحة سبب
لثواب الله لنا فاذا توسلنا بدعائهم وباعمالنا كنا متوسلين اليه بما هو وسيلة قال الله
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة هي الاعمال الصالحة وقال
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة **واما** اذا لم نتوسل اليه سبحانه
بدعائهم ولا باعمالنا ولكن توسلنا بنفس ذواتهم لم يكن في نفس ذواتهم سبب يقتضي
اجابة دعائنا فكنا متوسلين بغير وسيلة **ولهذا** لم يكن هذا منقولا عن
النبي صلى الله عليه وسلم نقلا صحيحا ولا مشهورا عن السلف **وقد** نقل في مناسك المروذي
عن احمد دعاء فيه السؤال بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد خرج على احدى الروايتين عنه
في جواز القسم به **واكثر** العلماء على النهي في الامرين **ولا** ريب ان لهم وجاها
عظيما عند الله لكن ما لهم عند الله من المنازل والدرجات امر يعود نفعه اليهم
ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا لهم ومحبتنا فاذا توسلنا الى الله تعالى بايماننا
بنبيه صلى الله عليه وسلم ومحبته وموالاته واتباع سنته فهذا من اعظم الوسايل
واما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالايمان به وطاعته فلا يجوز
ان يكون وسيلة لنا **فالمتوسل** بالمخلوق اذا لم يتوسل بما من المتوسل به ولا بما منه فباي
شيء يتوسل **والانسان** اذا توسل بغيره بوسيلة فاما ان يطلب من الوسيلة الشفاعة
له عند ذلك مثل ان يقول لاحي الرجل او صديقه او من يكرم عليه اشفع لنا عند فلان
وهذا جائز **واما** ان يقسم عليه والاقسام على الله بغيره لا يجوز بل ولا يجوز ان

يقسم

على مخلوق

بقسم يقسم بمخلوق اصلا واما التوسل اليه بشفاعة الشفعاء الماذون لهم في الشفاعة
فجائز **والاعمى** كان قد طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له كما طلب الصحابة منه
الاستسقا **وقوله** اتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اي بدعايه وشفاعته
لي ولهذا في تمام الحديث اللهم فشفعه في فالذي في الحديث متفق على جوازه وليس
هو مما نحن فيه وقد قال تعالى واتقوا الله الذي تسألون به والارحام فعلى قراءة الجمهور النصب
انما تسالوا بالله وحده لا بالرحم وتسالهم بالله هو كما قال المفسرون يتضمن
تعاهدهم بالله وتعاقدهم بالله وليس كل سايل بالله مقسما بالله فانه لو اقسم
على شخص بالله ليفعلن كذا ولم يفعله لزم الحالف كفاره ولو ساله بالله فلم يعطه
لم يجب على السايل الكفاره **واما** علم قراءة الخفض فقد قال طايفة من السلف
هو قولهم اسالك بالله وبالرحم وهذا اخبار عن سوالهم بالرحم وقد يقال انه ليس بدليل
على جوازه فان كان دليلا على جوازه فمعنى قولك اسالك بالرحم ليس اقساما
بالرحم والقسم هنا لا يسوغ لكن بسبب الرحم اي ان الرحم توجب لاصحابها بعضهم على
بعض حقوقا فيكون سواله بالرحم كسوال الثلاثة لله تعالى باعمالهم الصالحة
وكسوالنا بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته **ومن هذا** الباب ما روي عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان ابن اخيه عبد الله بن جعفر كان اذا ساله بحق
جعفر اعطاه وليس هذا من باب الاقسام فان الاقسام بغير جعفر اعظم
بل الباء هاهنا باء السبب فحقه من باب حق الرحم لان حق عبد الله انما وجب
بسبب ابيه جعفر وحقه على علي رضي الله عنهما **ومن هذا الباب**
الحديث الذي رواه احمد وبن ماجه مرفوعا في دعاء الخارج الى الصلاة اللهم
اني اسالك بحق السايلين عليك الحديث وهذا الحديث في اسناده عطية العوفي
وفيه ضعف فان كان هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم فهو من هذا الباب لوجهين
احدهما لان فيه سوال بحق السايلين وبحق الماشين في طاعته وحق السايلين
ان يجيبهم وحق الماشين ان يثيبهم وهذا حق اوجبه هو سبحانه على

نفسه وليس للمخلوق ان يوجب على الخالق تعالى شيئا ومنه قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة
وكان حقا علينا نصر المؤمنين وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران
وفي الصحيح حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله اذا
فعلوا ذلك ان لا يعذبهم وفي الصحيح يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي واذا كان حق
السايلين له والعابدين له هو الاجابة والاثابة فذلك سوال له بافعاله كالاستعاذة بنحو ذلك
في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك فالاستعاذة
بمعافاته التي هي فعله كالسوال باثابته التي هي فعله **الوجه** الثاني ان الدعا له سبحانه
والعمل له سبب لحصول مقصود العبد فهو كالتوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين
من امته وقد تقدم ان الدعا بالنبي والصالح اما ان يكون اقساما به واما ان يكون
تسببا فان كان قوله بحق السايلين عليك اقساما فلا يقسم على الله الا به وان كان تسببا
فهو تسبب بما جعله سبحانه سببا وهو دعاوه وعبادته فهذا كله يشبه بعضه بعضا
وليس في شي من ذلك دعاء له بمخلوق من غير دعاء منه ولا عمل صالح منا **واذا قال**
القايل اسالك بحق الملايكة او بحق الانبيا والصالحين فان كان يقسم بذلك فهو لا يجوز
ان يقوله ولا يقول لغيره اقسمت عليك بحق هؤلاء فاذا لم يجز له ان يحلف به ولا يقسم
على مخلوق به فكيف يقسم على الخالق به وان كان لا يقسم به وانما تسبب به فليس في مجرد ذوات
هؤلاء سبب يوجب تحصيل مقصوده بل لا بد من سبب منه كالايمان بالملايكة والانبيا
او منهم كدعايهم ولكن كثير من الناس تعودوا ذلك كما تعودوا الحلف بهم حتى يقول
احدهم وحقك على الله وحق هذه الشيبة على الله **واذا قال** القايل مرادهم
بقولهم اسالك بحق فلان او بجاهه او اسالك به اي اسالك بايماني به ومحبتي له وهذا
من اعظم الوسايل **قيل** من قصد هذا المعنى فهو معنى صحيح لكن ليس هذا مقصود
عامة هؤلاء فمن قال اسالك بايماني بك وبرسولك ونحو ذلك فقد احسن في ذلك
كما قال تعالى في دعا المؤمنين ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا الايات وقال الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا الاية وكان

بن مسعود

بن مسعود يقول اللهم فامن بنبي فاطعتك ودعوتني فاجبتك وهذا سحر فاغفر لي ه
وفي هذا الباب حديث الثلاثة الذين اصابهم المطر فاووا الى الغار وانطبقت
عليهم الصخرة ثم دعوا الله باعمالهم الصالحة وهو ثابت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
وروى في كتاب الحلية لابي نعيم ان داود عليه السلام قال يا رب بحق ابائي عليك ابراهيم
واسحق ويعقوب فاوحى الله اليه يا داود واي حق لابائك علي وهذا وان لم يكن من الادلة
الشرعية فالاسرائيليات يعتضد بها ولا يعتمد عليها **وقد** مضت السنة ان الحي
يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه واما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب
منه شيء يحقق هذا الامر اذ التوسل به والتوجه به لفظ اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح
فمعناه في لغة الصحابة ان يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكونون متوسلين ببدعائه
وشفاعته ودعاؤه وشفاعته صلى الله عليه وسلم من اعظم الوسائل عند الله عز وجل واما
في لغة كثير من الناس فمعناه ان يسأل الله تعالى بذلك ويقسم عليه تعالى بذلك والله تعالى
لا يقسم عليه بشيء من المخلوقات بل لا يقسم بها جاز فلا يقال اقسمت عليك يا رب بمكانتك
ولا بكعبتك كما لا يجوز ان يقسم احد بهذه الاشياء بل انما يقسم بالله تعالى باسمائه وصفاته
ولهذا جاءت السنة بسؤال الله باسمائه وصفاته فيقال اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت
المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم ونحو ذلك ومن قال اللهم اني اسالك بمقعد
العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامة مع
ان هذا الدعاء الثاني في جواز الدعاء قولان **قال** الشيخ ابو الحسين القدوري
في كتابه المسمى بشرح الكرخي المعروف والمشهور عنه في باب الكراهية **قال**
فصل قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف قال قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا ينبغي
لاحد ان يدعو الله الا به واكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك وبمنتهى رحمة كتابك //
وهو قول ابي يوسف قال ابو حنيفة بمعقد العز من عرشه هو الله فلذا كره هذا واكره

بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام قال القدوري
المسالة بخلقه لا يجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق فلا يجوز يعني وفاقا **وقال**
البلدجي في شرح المختار يكره ان يدعوا الله الا به فلا يقول اسالك بفلان او بملائكتك
او بانبيائك ونحو ذلك لانه لا حق للمخلوق على الخالق او يقول في دعائه اسالك بمعقد العز
من عرشك وعن ابي يوسف انه يجوز **قلت** وهذا من ابي حنيفة وابي يوسف
وغيرهما يقتضي المنع ان يسال الله تعالى بغيره **فان** قيل الرب يقسم بما شاء من مخلوقاته
ونحن ليس لنا ان نقسم عليه الا به فهلا قيل يجوز ان يقسم عليه بمخلوقاته وان لم
يقسم على مخلوق الا بالخالق **قيل** لان اقسامه تعالى بمخلوقاته من باب السوال
وهذا لا كفارة فيه على واحد والثنا عليه وذكر اياته واقسامنا نحن بذلك شرك
منا اذا اقسمنا به لحض غيرنا او منعه او تصديق خبره او تكذيبه **ومن قال**
لغيره اسالك بكذا فاما ان يكون هو مقسما فهذا لا يجوز بغير الله والكفارة في هذا على المقسم لا
على المقسم عليه كما صرح بذلك الفقها وان لم يكن مقسما فهو من باب السوال وهذا لا
كفارة فيه على واحد منهما فتبين ان السايل لله بخلقه اما ان يكون حالفا بمخلوق وذلك
لا يجوز واما ان يكون سايلا به وقد تقدم تفصيل ذلك فاذا قال بالله افعل كذا فلا
كفارة فيه على واحد منهما واذا قال اقسمت عليك بالله لتفعلن او والله لتفعلن فلم يبر قسمه
لزمت الكفارة للحالف والداعي يدعو بصيغة السوال فهو من باب السوال به **واما**
اذا اقسم على الله تعالى مثل ان يقول اقسمت عليك يا رب لتفعلن كذا كما كان يفعل البرا ابن
مالك وغيره من السلف فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رب اشعث
اغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره وفي حديث الربيع ان من عباد
الله من لو اقسم على الله لابره وهذا من باب الحلف بالله ليفعلن هذا الامر فهذا
اقسام عليه تعالى به ليس اقساما عليه بمخلوق **وقوله** ان الاستغاثة به بعد موته ثابتة

ثبوتها

ثبوتها في حياته لانه عند الله في مزيد دايم لا ينقص جاهه وهذا لفظ صحيح لو كان
معنى الاستغاثة الاقسام به والتوسل بذاته فان ذاته بعد الموت لم تنقص بل هي
في مزيد دايم بابي هو وامي صلى الله عليه وسلم لكن هذه المقدمة باطلة كما قد عرف
فاما اذا كان معنى الاستغاثة هو الطلب منه فما الدليل على ان الطلب منه ميتا كالطلب
منه حيا وعلو درجته بعد الموت لا تقتضي ان يسال كما لا تقتضي ان يستفتى ه
ولا يمكن احدا ان يذكر دليلا شرعيا على ان سوال الموتى من الانبيا والصالحين
مشروع بل الادلة الدالة على تحريم ذلك كثيرة وهو قد احتج بحديث
الاعمى وهو لا حجة فيه لان الحديث ليس فيه استغاثة بل توجها به ولانه انما
توجه بدعايه وشفاعته فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم الدعا فتوسل
بشفاعته لا بذاته كما كان الصحابة يتوسلون بدعايه في الاستسقا وكما توسلوا
بدعاء العباس بعد مماته واما اشتكا البعير اليه فهذا كاشتكا الادمي
اليه وما زال الناس يستغيثون به في حياته كما يستغيثون به يوم القيمة وقد قلنا
انه اذا طلب منه ما يليق بمنصبه فهذا لا نزاع فيه والطلب منه في حياته والاستغاثة
به في حياته فيما يقدر عليه لم ينازع فيه احد ولكن لا يمكن احدا ان يقول ان
النبي صلى الله عليه وسلم شرع لامته ان يستغيثوا بميت لا نبي ولا غيره لا في جلب
منفعة ولا دفع مضرة لا بهذا اللفظ ولا معناه بل لم يشرع لهم ان يدعوا
ميتا ولا يسالوه ولا يدعوا اليه ولا ان يستجيروا به ولا يقول احد لميت انا في
حسبك او انا في جوارك ولا ان يخطوا الى قبر الميت خطوات ولا ان يتوجه الى
قبره ويساله ولا شرع لاحد ان يقول للميت سل الله لي ولا ادع الله لي ولا
شرع لهم ان يشكوا الى ميت فيقول احدهم مشتكيا اليه على دين او اذى فلان ونحو ذلك سواء

كان عند القبر او بعيدا عنه وسواء كان الميت نبيا او غيره ولا شرع لامته اذا كان لاحدهم
حاجة ان يقصد قبر نبي او صالح فيدعو عنده ظانا ان الدعاء عند قبره مجاب بل
ولا شرع لامته ان يقسموا على مخلوق من المخلوقات لا نبي ولا غيره ولا شرع لامته
ان يتوسلوا الى الله بذات ميت اصلا بل ولا بذات حي الا ان يكون المتوسل بما امر الله
به من الايمان به وطاعته او بدعاء المتوسل به وشفاعته فاذا كان النبي او الصالح
لم يجبه الله اجابه والقدر لم ينفع المتوسل به الا باحد امرين **اما** ان يتوسل بما امر الله به
من الايمان به ومحبته وطاعته ونحو ذلك فهذه هي الوسيلة التي امر الله بها في قوله اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة فالوسيلة تجمعها طاعة الرسول **والامر الثاني** ان يدعو الرسول
فهذه ايضا وسيلة الى الله فان دعاءه وشفاعته عند الله من اعظم الوسائل فاما
اذا لم يتوسل العبد بفعل واجب ولا مستحب ولا الرسول دعا له فليس في عظم قدر الرسول ما
ينفعه **واما** التوسل بالذات فيقال ما الدليل على تسويغ الله بذوات المخلوقين ومن قال
هذا من الصحابة والتابعين والصحابة انما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته ولهذا
توسلوا بعده بالعباس ولو كان التوسل بذاته ممكنا بعد الموت لم يعدل الى العباس **والاعمى**
انما توجه بدعائه وشفاعته وكذلك الصحابة في الاستسقاء وكذلك ان سر يوم القيمة **ولعا**
مجرد الذات بعد الممات فلا دليل عليه ولا قاله احد من السلف بل المنقول عنهم يناقض
ذلك وقد نص غير واحد من العلماء على ان هذا لا يجوز وان نقل عن بعضهم جوازه
فقد قال الله وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية ان قال ونحن
نعلم بالضرورة ان الرسول لم يشرع لامته ان يدعو احدا من الاموات
لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها كما انه
لم يشرع لامته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك بل نعلم انه نهى عن كل هذا

الامور

الامور وانه ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة
في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى تبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالف هذا
ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف اصل الاسلام الا فطن لها وقال لهذا اصل
دين الاسلام وكان بعض اكابر الشيوخ من اصحابنا يقول هذه اعظم ما بينته
لنا العلماء بان هذا اصل دين الاسلام وكان هذا وامثاله في ناحية اخرى
يدعون الاموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم
وربما كان ما يفعلونه اعظم لانهم انما يقصدون الميت في ضرورة نزلت
بهم فيدعون دعاء المضطرين قضاء حاجاتهم بدعائهم والدعاء
والدعاء عندهم بخلاف عباد الله فانهم يفعلونه في كثير من الاوقات
على وجه العادة والتكلف حتى ان العدو الخارج عن شريعة الاسلام لما
قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون
عندها كشف الضر وقال بعض الشعراء ياخائفين من التتر
لوذوا بقبر ابي عمر وقال عوذوا بقبر ابي عمر
ينجيكموا من الضرر فقلت لهم هؤلاء الذين تستغيثون
بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين
يوم احد ولهذا كان اهل العرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في
تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي امر الله به ورسوله ولما حصل في ذلك
من الشر والفساد وانتفاء النصر المطلوب من القتال فلا يكون فيه
ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا وان كان كثير من

القاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالا شرعيا اجروا على نياتهم
فلما كان بعد ذلك جعلنا نامر الناس باخلاص الدين لله
والاستغاثة به وانهم لا يستغيثون الا اياه لا يستغيثون بملك
مقرب ولا نبي مرسل فلما اصلح الناس امورهم وصدقوا في الاستغاثة
بربهم نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا لم يتقدم نظيره ولم
تهزم التتار مثل هذه العزيمة قبل ذلك لما صح من تحقيق
توحيد الله وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك فان الله ينصر
رسله والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد

حسبنا الله ونعم الوكيل
ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم سئل الشيخ
الامام العلامة ابو العباس احمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية رحمه الله
فيمن يقول ان الشكل والنقط من كلام الله تبارك وتعالى وهل ذلك حق
ام باطل وما الحكم في الاحرف هل هي كلام الله ام لا بينوا لنا مثابين ماجورين

فاجاب الحمد لله رب العالمين

المصاحف التي كتبها الصحابة لم يشكلوا حروفا ولم ينقطوها فانهم
كانوا عربا لا يلحنون ثم بعد ذلك في اواخر عصر الصحابة لما نشا اللحن
صاروا ينقطون المصاحف ويشكلونها وذلك جائز عند اكثر العلما
وهو احدى الروايتين عن احمد وكرهه بعضهم والصحيح انه لا يكره
لان الحاجة داعية الى ذلك ولا نزاع بين العلما ان حكم الشكل
والنقط حكم الحروف المكتوبة فان النقط تميز بين الحروف والشكل
يبين الاعراب الا كلام من تمام الكلام ويروى عن ابي بكر وعمر انهما قالا
اعراب القران احب الينا من حفظ بعض حروفه فاذا قرا القارئ
الحمد لله رب العالمين كانت الضمة والفتحة والكسرة من تمام لفظ القران
واذا كان كذلك فالمداد الذي يكتب به الشكل والنقط كالمداد الذي
يكتب به الحروف والمداد كله مخلوق ليس شي منه غير مخلوق والصوت
الذي يقرا به الناس القران هو صوت العباد لكن الكلام كلام الله تعالى
قال تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع
كلام الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم
فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ وهذا ليس هو
الصوت الذي ينادي الله به عباده ويسمعه موسى وغيره كما دل على ذلك

الكتاب

لعله لذا
لا كلام من تمام الكلام
او لذا لا انه من تمام الكلام

الذي يقرا به الحروف كالصوت
الذي يقرا به الاعراب
الصوت صح

الكتاب والسنة وكلام الله غير مخلوق عند سلف الامة وائمتها وهو
ايضا يتكلم بمشيئته وقدرته عندهم لم يزل متكلما اذا شاء فهو قديم النوع
واما نفس النداء الذي نادى به موسى ونحو ذلك فحينئذ ناداه به
كما قال تعالى فلما اتاها نودي يا موسى وكذلك نظائره فكان السلف
يفرقون بين نوع الكلام وبين الكلام المعين وانما قيل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا وكلام الله وما يدخل في كلامه من نداء وغيره ذكر ليس بمخلوق
بائن منه بل هو منه والقرآن سمعه جبريل من الله ونزل به الى محمد صلى الله عليه وسلم
كما قال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم ونحو ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بلغه الى الامة والمسلمون
يسمعه بعضهم من بعض وليس ذلك كسماع موسى كلام الله فانه سمعه منه
بلا واسطة والذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم ويحفظونه في قلوبهم
واصواتهم ومدادهم مخلوق والقرآن الذي يقرؤونه ويكتبونه هذا هو كلام الله
غير مخلوق سواء قرؤه قراءة يثابون عليها او لا يثابون عليها وسواء كتبوه
مشكولا منقوطا او كتبوه غير مشكول ولا منقوط فان ذلك لا يخرجه
عن ان يكون المكتوب هو القرآن وهو كلام الله الذي انزله على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وما بين اللوحين كلام الله سواء كان مشكولا
منقوطا او كان غير منقوط ولا مشكول وكلام الله منزل غير مخلوق واصوات
العباد ومدادهم مخلوق والقرآن العربي كلام الله تكلم الله به كله ليس بعضه
كلام الله وبعضه ليس كلام الله وليس لجبريل ولا لمحمد منه الا التبليغ لم
يحدث واحد منهما شيئا من حروفه بل الجميع كلام الله وهذا السائل

مبسوط في غير هذا الجواب ولكن هذا قدر ما وسعته هذه الورقة
والله اعلم ٥٥٥

فصل

ما تقول السادة العلماء آية الدين رضي الله عنهم
اجمعين هل هذا القرآن الذي نتلوه القايم بنا حين تلاوته
هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به وكان صفة له ام لا واذا كان كلامه
فهل اذا تلوناه وقام بنا يطلق عليه كلام الله وصفته ام يطلق عليه كلام الله
دون صفته ام في ذلك تفصيل يجب بيانه وهل اذا قام بنا كان منقلا
عن الله بعد اذ قام به ام يكون قايما بنا وبه قام الذي قام بنا يكون
قايما بنا بوجه عبارة عن كلام الله واخبارا عنه ويكون اطلاق كلام الله عليه مجازا
وهل يكون صفة لنا نحدثه فمن محدث اذ القديم لا يقوم محدث والحدث
لا يكون قديما وهل التلاوة هي نفس المتلو ام لا افتونا ماجورين

اجاب الشيخ رحمه الله تعالى قال الحمد لله رب العالمين
هذه المسئلة جوابها يحتمل البسط ويمكن فيه الاختصار فنذكر
الجواب المختصر ثم نبسط الجواب بعض البسط فاما الجواب
المختصر فانه يقال جواب هذه المسئلة مبني على مقدمة وهي ان يعرف
الانسان معنى قول القايل لم يبلغه عن غيره هذا كلام ذلك المتكلم الغير فان
المحدث اذا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى او قول عليه السلام الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات
لا يعلمها كثير من الناس او قوله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ونحو
ذلك فانه من المعلوم ان هذه كلام النبي صلى الله عليه وسلم تكلم به بلفظه ومعناه
فهو الذي اخبر بمعناه وهو الذي الف حروفه وتكلم بها بصوته ثم المبلغ

لذلك عنه بلغ كلامه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثا
فبلغه كما سمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه
قد عانا بالنضرة لمن سمع منه حديثا فبلغه كما سمعه فبين ان الحديث المسموع
منه هو الحديث المبلغ عنه مع ان العلم بان المبلغ عنه بلغه بافعاله
واصواته وان الصوت المسموع منه هو صوته لا صوت النبي
صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم
بذلك الحديث بصوته المختص به فالمبلغ عنه هو حديثه الذي
سمع منه وليس الصوت المسموع صوته فاذا قال القايل
هل هذا الحديث الذي قراه المحدث القايم به حين القراه
هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قام به حين تكلم به وكان صفة
له قام لا قيل له ان كنت تريد ان نفس الحديث من حيث
هو هو هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قام به حين تكلم به وكان
صفة له فنعم هذا الحديث هو من حيث هو هو
هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم وان كنت تريد ان ما اختص
بالقاري من حركاته واصواته هو القايم بالرسول فليس
كذلك وكذلك ان اردت ان نفس ما اختص بالرسول من حركاته
واصواته والصفات القايمة بنفسه هي بعينها انتقلت عن
الرسول الى القاري فليس كذلك وقول القايل هذا
هو هذا وليس هو هو عينه لفظا فيه اجمال فان من نقل لفظ غيره
كما سمعه او كتبه في كتابه فانه يقول هذا كلام فلان بعينه
وهذا نفس كلامه وهذا عين كلامه ومراده ان نفس

بيان
وقول القايل هذا
هو هذا وليس هو هو
وهذا عين هذا وليس
هو عينه

ما قاله هو الذي بلغه عنه وهو المكتوب في الكتاب لم يزد فيه ولم ينقص منه
فاذا قال القايل الماسمع من القارئ هذا غير كلام الله او هذا كلام الله
بعينه او هذا نفس كلام الله او قال ما بين لوحي المصحف هذا كلام الله بعينه وهذا
غير كلام الله كان صادقا ومن انكر ذلك بهذا الاعتبار كان مقتضى قوله
ان القرآن زيد فيه ونقص وهذا كان الناس مطبقين على ان ما بين اللوحين
كلام الله والانكار على من نفى ذلك وقد يقال لكلام المتكلم المسموع
منه هذا كلام زيد بعينه وهذا غير كلام زيد وهذا نفس كلام زيد بمعنى
انه مسموع منه بلا واسطة بحيث يسمع بصفة ذلك المتكلم المختص به بذلك
قال ايوب السختياني كان الحسن يتكلم بكلام فيأتي مثل الدر
فيتكلم به بعده قوم فيجيء مثل البعر والمتكلم بالكلام من البشر له صوت يخصه
ونغمة تخصه كما له سكنة تخصه كما قالوا واختلاف السنتكم والوانكم والصوت
ان كان آمرا او ناهيا او مخبرا عن الحال والصفة والكيفية ما يختص به
فاذا سمع كلامه بالصفة المختصة به هو نفس كلامه واذا خلت الصفة
المختصة به وقيل هذا هو كلامه بعينه وهذا غير كلامه نفس
كلامه واذا خلت الصفة المختصة به في مسمى العين والنفس لم يصدق هذا
فيه عليه اذا كان مرويا عنه لكن لما كان هذا الناس في زماننا يعلمون
ان احدا لا يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه لم يسبق هذا المعنى
الى ذهن احد بل كل احد يعلم انا اذا قلنا سمعنا كلام النبي صلى الله عليه وسلم
وهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم بعينه وهذا عين كلامه انما اريد به المعنى
الاول وهو كونه مسموعا من المبلغ عنه لانه مسموع منه وليس يتكلم
الذي يختص بالقيام به وجدوا اذا كان هذا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في كلامه
الله اولى بذلك فان الناس يعلمون ان احدا منهم لم يسمعه من الله كما سمع
موسى كلام الله من احد بل يعلمون ان كلام الله انما سمع من المبلغين كلامه

الصوت غير الصيت والصوت وصف للمصوت والصيت وصف للمصوت به

وفي مقتضى قوله الى قوله وهذا كان الناس ساقط من ب و د

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت
رسالته وقال لقد ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم وقال نوح
وكنت رسولا من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي واعلم من الله ما لا تعلمون
وكذلك وكذلك وكذلك رسول من رب العلمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم
ناصح امين وفي سنن ابي داود عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول
بالموقف الا رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشا منعوني
ان ابلغ كلام ربي فلما كان هذا مستقرا في قلوب المستمعين علموا
ان قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
ثم ابلغه مامنه انما هو سماعه من المبلغين له لا سماعه منه وان
هذا السماع ليس كسماع موسى كلام الله من الله فان موسى
سمعه منه بلا واسطة ونحن اذا سمعنا كلام النبي صلى الله عليه
وسلم من الصحابة لم نكن كسمع الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم
فانهم سامعون حديثه كما سمعوه مع العلم بانهم لم يحكوا اصوات
النبي صلى الله عليه وسلم فلا هي اصواتهم صوته ولا مثل صوته منهم
بلغوا حديثه كما سمعوه فالقرآن اولى ان يكون جبريل بلغه كما
سمعه والامة بلغته كما سمعته وان يكون ما بلغته هو ما سمعته
وهو كلام الله عز وجل في الحالين مع ان الرسول بشر من جنس البشر
والله تعالى ليس كمثله شيء والتفاوت الذي بين صفات الخالق
والمخلوق اعظم من التفاوت بين ادنى المخلوقات واعلاها
فاذا كان سمع التابعين لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابة
ليس كسمع الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم فسماع كلام الله من الله ابعد من
مماثلة سماع بشر لشيء من المخلوقات والقايل اذا قال لما سمعه

فاذا كانوا يبلغونه كما سمعوه

من المبلغ عن الرسول هذا كلام الرسول او هذا كلام صواب او حق او صحيح
او هذا حديث رسول اسناده كذا سمعه او هذا نفس كلام الرسول او عينه فانما
قصد الى مجرد الكلام وهو ما يوجد حال سماعه من المبلغ والمبلغ عنه لم يشر الى
ما يختص بحدها فلم يشر الى مجرد صوت المبلغ ولا مجرد صوت المبلغ
عنه ولا الى حركة واحد منهما بل هناك امر يتحد في الحاكين وهناك امر يتعدد
يختص كل منهما منه بما يخصه فاذا قال هذا هو كلامه كانت الاشارة
الى المتحد المتفق عليه بينهما واذا قال هذا صوته كانت الاشارة
الى المختص المتعدد فيقال هذا صوت غليظ او رقيق وصوت
خشن او ليس بخشن كما في الحديث الذي رواه ابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة
الى قينته وفي الحديث المشهور زينوا القرآن باصواتكم قال احمد
يحسنه بصوته ما استطاع فبين الامام احمد ان الصوت صوت القارئ
مع ان الكلام كلام الباري وهذا كما انه معلوم من كلام تبليغ كلام الله ورسوله
فعند ذكر في تبليغ كلام كل احد فاذا سمع الناس منشدا ينشد لا كل
شيء ما خلا الله باطل قالوا هذا شعر لبيد لفظه ومعناه وهذا كلام لبيد لفظه
ومعناه وهذا كلام لبيد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها شاعر
كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل ولو قال المنشد هذا شعري او كلامي
لكذبه الناس كلهم بخلاف ما لو قال هذا صوت لبيد واذا قال هذا
لفظ لبيد بالمعنى المعروف فمعناه ان هذا الكلام الملفوظ هو كلامه بنظمه
وتاليفه صدقه الناس وان قال هذا لفظه بمعنى ان هذا تلفظ بكذبه
الناس فان اللفظ يراد به المصدر ويراد به الملفوظ وكذلك التلاوة
والقراءة يراد بذلك المصدر ويراد به الكلام نفسه الذي يقرا ويتلى واصل
هذا ان تعلم الجامع والفارق بين سماع الكلام من المتكلم به ومن

لم عن

له عن المتكلم به وانه كلامه في الحالين لكن هو في احدهما مسموع منه سماعا مطلقا
بغير واسطة وفي الاخرى مسموع منه سماعا ~~[illegible]~~
مقيدا بواسطة التبليغ كما انك تارة ترى الشمس والقمر والكواكب بطريق
المباشرة فلا يحتاج في ذلك الى واسطة وتارة تراها في ماء او مرآة
ونحو ذلك تراها بواسطة ذلك الجسم الشفاف فهي المقصودة بالروية
في الموضعين لكن في احد الحالين رايتها نفسها بالمباشرة روية مطلقة وفي
الاخرى رايتها روية مقيدة بواسطة المرآة واذا قلت المرئي هو مثالها
او خيالها او نحو ذلك قيل انت تجد الفرق بين رويتك خيال الشيء الذي
هو ظله وتمثال الشيء الذي هو صورته المصورة وبين رويته في الماء والمرآة
اذا كان المرئي هنا وان كان لا بد فيه من توسط خيال فالمقصود بالروية
هو الحقيقة ولكن تختلف باختلاف المرآة فيرى كثيرا ان كانت
المرآة كبيرة وصغيرا ان كانت المرآة صغيرة ومستطيلا ان كانت
المرآة مستطيلة وهكذا الكلام المروي عن الغير المقصود منه هو
نفس كلام ذلك الغير ان كان لا بد من توسط صوت هذا المبلغ
ولهذا تختلف باختلاف صوت المبلغ فتارة يكون دقيقا
وتارة غليظا وتارة مجهورا به وتارة مخافة به فان قلت فهذا المسموع
مثل كلام المروي عنه كما اطلق ذلك طائفة من اهل الكلام من المعتزلة
وغيرهم كان اطلاق هذا خطأ كما انك اذا قلت لما تراه في الماء
والمرآة هذا مثل الشمس او هذا يحكي الشمس كان اطلاق ذلك خطأ قال تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
الاية فقد بين عجز الخلائق عن الاتيان بمثله مع انهم قادرون على
تبليغه وتلاوته فعلم ان هذا المسموع لا يقال انه مثل كلام الله بل هو

او حكاية كلام المروي عنه

كلام الله كما سماه كلامه لكنه كلامه بواسطة المبلغ لا بطريق المباشرة والله قد فرق
بين التكليمين فقال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فرق بين تكليمه من
وراء حجاب كما كلم موسى وبين تكليمه بارساله رسولا يوحي باذنه
ذاك تكليم بلا واسطة وهذا التكليم بواسطة وان قلت
لما بلغه المبلغ عن غيره هذا حكاية كلام ذلك كان الاطلاق خطا
فان لفظ الحكاية اذا اطلق يراد به انه اتى بكلام يشبه كلامه كما يقال
هذا يحاكي هذا وهذا قد حكى هذا كما قد يقال فلان
قد حكى هذا الكلام عن فلان كما يقاله رواه عنه وبلغه عنه
ونقله عنه وحدث به عنه وهذا يجيء في الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه وفيما يحكى عن ربه وكل ابلغه
النبي صلى الله عليه وسلم عن الله وقد حكاه عنه ورواه عنه فاذا قال
القارئ هذا يحكي كلام الله او يحكي القرآن فقد يفهم منه
انه يأتي بكلام يحاكي به كلام الله وهذا كفر ان اراد انه يبلغه وتلاوة فالمعنى
صحيح لكن ينبغي بما لا يدل على معنى باطل فيقول قراءته وتلاوته وبلغه و
اداه وهذا اذا قيل يحكي القرآت السبع ورويها وينقلها
لم ينكر ذلك لانه لا يفهم منه الا تبليغها لانه يأتي بمثلها **فصل**
اذا تبين ذلك فيقال هذا القرآن الذي يقراه ويبلغه ويسمعه
هو كلام الله الذي تكلم به ونزل به منه روح القدس كما قال تعالى فاذا قرأته
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله

القدس

القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
بين في هذا الكلام في القرآن الذي قالوا انما يعلمه اياه بشر وقد ابطل ذلك بقوله
تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فدل على ان المراد به
نفس القرآن العربي الذي يمتنع ان يعلمه اياه ذلك الاعجمي الذي الحدوا
اليه وقد قيل انه رجل بمكة كان هوى لابن الحضرمي والمعاني
المجرده لا يمتنع تعلمها من الاعجمي بخلاف هذا القرآن العربي فدل هذا
على ان هذا القرآن العربي نزله روح القدس من الله تبارك وتعالى ومثله
قوله تعالى في الآية الاخرى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق وهذا الكلام صفة الله تعالى واما ما اختص قيامه بنا من
حركاتنا واصواتنا وفهمنا وغير ذلك من صفاتنا فلم يقم شيء منه
بذات الله تعالى فان ما اختص الرب تعالى بقيامه به لم ينتقل عنه ولم يقم بغيره
لا هو ولا مثله فان المخلوق اذا سمع من الخالق كلامه وبلغه عنه كان ما بلغه
هو كلامه كما تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثا
فبلغه كما سمعه فمن اقام بالنبي صلى الله عليه وسلم باطنه من العلم والارادة
وغيرهما وظاهره من الحركة والصوت وغيرهما لم ينتقل عنه ولم يقم بغيره
بل جميع صفات المخلوقين لا تفارق ذواتهم وتنتقل عنهم فكيف يجوز ان
يقال ان صفة الخالق فارقت ذاته فانتقلت عنه والعلم اذا اخذ
علم المعلم ونقل عنه لم يفارق ذات الاول وينتقل عنها الى محل بل نفس
الحقيقة العلمية جعلت له سواء حصل له مثل ما حصل للمعلم او ليس مثله بل
يشبهه وهذا يشبه العلم بضوء السراج كل احد يقتبس منه وهو
لم ينقص ومن المعلوم ان من اوقد من مصباح غيره فانه

لم ينتقل الى مزاجه شيء من تلك جرم النار ولا شيء من صفاتها القايمة بها بل جعل الله سبحانه
بسبب ملاصقة النار ذلك الهوا نارا مثل تلك فالحقيقة النارية موجودة
وان كانت هذه العين ليست تلك لكن النار والعلم ليس هو مثل الكلام الذي يبلغ
عن الغير بل هو مثل ان يسمع بعض الناس كلام غيره وشعر غيره فيقول من جنس
ما قال او يقول فمقال غيره مثله كما يقال وقع الخاطر على الخاطر كوقع الحافر
على الحافر وليس هذا من التبليغ والرواية فشيء فان قول القايل الا كل شيء
ما خلا الله باطل وهو كلام لبيد كيف ما انشده الناس وكتبوه فهذا الشعر الذي
ينشده هو شعر لبيد بعينه فاذا قيل الشعر الذي قام بنا هو الذي قام
بلبيد قيل ان اريد بذلك ان نفس الشعر الذي قام من حيث هو هو فهو كذلك
وان اريد ان نفس ما قام بذاته فارق ذاته وانتقل الينا فليس كذلك وكذلك
ان اريد ان عين الصفة المختصة بذلك الشخص كحركته وصوته هي عين الصفة
المختصة بذلك الشخص بنا كحركتنا وصوتنا فليس كذلك فقولك هذا هو هذا لفظ
فيه جمال يشبه السياق فاذا قلت هذا الكلام هو ذاك او هذا الشعر
هو ذاك كنت صادقا واذا قلت هذا الصوت هو ذاك كان
كذبا والناس لا يقصدون اذا قالوا هذا شعر لبيد الا القدر المتحد
وهي الحقيقة من حيث هي هي مع قطع النظر عما اختص به احدهما فان
قيل القدر المتحد كل مطلق والكليات انما توجد في الاذهان لا في الاعيان
قيل ذكر هذا هنا غلط فان هذا انما يقال لو كان رجل قد قال شعرا
مثل شعر لبيد من غير ان يعلم بشعره فنقول هذان شيئان اشتركا في
النوع الكلي وامتاز احدهما عن الاخر بما يخصه والكلي انما يوجد كليا
في الذهن لا في الخارج والما هنا بنفس شعر لبيد كان له وجود في الخارج
والمقصود منه الحقيقة الكلامية مع قطع النظر عن صوت زيد وصوت
عمرو وتلك وجوده لما تكلم به لبيد وموجوده اذا انشده غير لبيد وتلك
الحقيقة المتحدة موجودة هنا وهنا وهنا ليست مثل وجود الانسانية

في زيد

في زيد وعمرو وخالد فان انسانية زيد ليست انسانية عمرو بل مثلها والمشترك بينهما
لا يوجد في الخارج وهنا نفس الكلام الذي تكلم به لبيد تكلم به المنشد عنه
ولا يقال انه انشا مثله ولا انشد مثله بل يقال انشد شعره بعينه لكن
الشعر عرض والعرض لا يقوم الا بغيره فلا بد ان يقوم اما بلبيد
واما بغيره والقايم به وان كان مثل القايم بغيره لكن المقصود
بهما واحد فالتماثل والتغاير في الوسيلة والاتحاد في الحقيقة المقصودة
وتلك الحقيقة هي انشا لبيد لا انشا غيره والعقلا يعلمون انه ليس نفس
الصوت المسموع من لبيد هو نفس الصوت المسموع من المنشد لكن نفس
المقصود بالصوت وهو الكلام فان الثبوت واسطة في تبليغه ولهذا
ما كان في التصويت من مدح وذم كان للمبلغ وكان في الكلام من
مدح وذم كان للمتكلم المبلغ عنه في لفظه ونظمه معناه واذا عرف
هذا فقول القايل هذا القران الذي نتلوه القايم بنا حين
التلاوة هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به وكان صفة له ام لا قيل
له اما الكلام فهو كلام الله لا كلامنا ولا غيرنا وهو مسموع بواسطة
سماعا مقيدا لا سماعا من الله مطلقا كما تقدم وليس شي مما قام بذاته فارقه
وانتقل الينا ولا شي مما يختص بذواتنا كحركاتنا واصواتنا فهو منا
قايما به واما قوله هذا القران الذي نتلوه القايم بنا حين
التلاوة وهو كلام الله الذي قام به حين تكلم به فلفظ القيام فيه اجمال
فان اراد ان نفس صفة الرب تعالى تكون صفة لغيره او صفة العبد تكون صفة
الرب تعالى فليس كذلك وان اراد ان نفس ما ليس بمخلوق صار مخلوقا او ما
هو مخلوق صار غير مخلوق فليس الامر كذلك وان اراد ان نفس
الكلام ان ما اختص الرب بقيامه به شاركه فيه غيره فليس الامر كذلك وان
اراد ان نفس الكلام كلامه لا كلام غيره في الحالين كما تقدم تقريره فالامر
كذلك وقد علم ان الحال اذا سمع من الله ليس كالحال اذا سمع من خلقه

ماصح

من المبلغ لا من الله و
هو مسموع صح

٢

وذلك فرق بين الحالين وان كان الكلام واحدا فاذا كان هذا الفرق ثابتا
كلام المخلوق مسموعا وبلغا عنه فثبوته في كلام الله اولى واحرى فان الله ليس
كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا افعاله ولا يمكن ان يكون تكلمه به وسماعه
ما يعرف له نظير ولا مثال ولا يقاس ذلك بتكلم النبي صلى الله عليه وسلم وسماع
الكلام منه فان الرسول صلى الله عليه وسلم بشر يمكننا ان نعرف جنس صفاته والرب هو
لا مثل له وهو بعد عن مماثلة المخلوقات من بعد عظم المخلوقات عن
مماثلة اذ ناهاه وقول السايل اذا تلوناه وقام بنا يطلق عليه
كلام الله وصفته ام يطلق عليه كلام الله دون صفته ام في ذلك تفصيل
يجب بيانه فيقال هو كلام الله وصفته مسموعا من المبلغ عنه
لا منه فالنفي والاثبات بدون هذا التفصيل يوهم اما كونه كلام الله مسموعا
منه او انه ليس كلام الله بل كلام المبلغ عنه وكلا القولين خطا وقع في كلام طائفتين
من الناس طائفة جعلت هذا كلام المبلغ عنه لا كلام الله وطائفة قالت
هذا كلام الله مسموعا من الله ولم تفرق بين الحالين حتى ادعى بعضهم ان الصوت
المسموع قديم وتكلم بجعل كلام الله بل كلام الناس فهؤلاء لا يقولون ليس
هذا كلام الله وأولئك يقولون هذا الصوت المسموع قديم وكلا القولين
خطا وضلال لكن كلامه مقيدا بواسطة المبلغ القاري ليس هو كلامه وصفته
مطلقا في النفسية مسموعا منه وكلام المتكلم يضاف اليه مطلقا اذا سمع منه
ومقيدا اذا سمع من المبلغ عنه كما ان رويته يقال مطلقة اذا رئي مباشرة
ويقال مقيدة اذا رئي في ماء او مرآة واما قوله اذا قام بنا
هل كان منتقلا عن الله بعد اذ قام به ام يكون قائما بنا وبه معا ام الذي
قام بنا يكون عبارة عن كلام الله او حكاية عنه ويكون اطلاق كلام الله
عليه مجازا فيقال ان صفة المخلوق لا تفارق ذاته وتنتقل عنه
وهذه تقوم بغيره فكيف يجوز ان يقال ان صفة الرب فارقت ذاته
وانتقلت عنه وقامت بغيره وقد بينا ان المتكلم منا اذا اتى

غيره بكلام

غيره بكلام فانه ما قام به لم يفارق ذاته وينتقل الى غيره فكلام الله
اوتي واحصري بل كلامه سبحانه قايم به كما يقوم به لو تكلم به
ولم يرسل به رسولا فارسل رسول به يفيد ابلاغه الى الخلق وانزاله
اليهم لا يوجب نقصا في حق الرب ولا زوال اضافه به ولا خروجه
عن ان يكون كلامه بل نعلم ان الرب كما انه قد يتكلم به ولا يرسل به رسولا
وقد يتكلم به ويرسل به رسولا فهو سبحانه في الحالين كلامه بل ارسال الرسول
به نفع لخلقه وهداهم ولم يجب نقصان صفه مولاهم وقوله ام
يوجب يكون قايما بنا وبه فيقال لك معنى القايم لفظ مجمل فان اريد
ان نفس الكلام من حيث هو هو تكلم هو به وتكلمنا به مبلغين
له عنه فكذلك هو وان اريد ان ما اختص به يقوم بنا
او ما اختص بنا يقوم به فهذا ممتنع وان اريد بالقيام انا
بلغنا كلامه او قرانا كلامه او تلونا كلامه فهذا
صحيح وكذلك ان اريد ان هذا الكلام كلامه مسموعا من
المبلغ لا منه وان اريد بالقيام ان الشيء الذي اختص به هو بعينه
قام بغيره مختصا به فهذا ممتنع وان قيل الصفه الواحده
يقوم بموضعين قيل هذا ايضا مجمل فان اريد ان الشيء المختص بمحل
يقوم بمحل اخر فهذا ممتنع وان اريد ان الكلام الذي يسمى صفه
واحده يقوم بالمتكلم به ويبلغه عنه غيره كأن هذا صحيحا فهذه
المواضع يجب ان نفسر الالفاظ المجمله بالالفاظ المفسره المبينه
وكل لفظ يحتمل حقا وباطلا فلا يطلق الا مبينا به مراد الحق دون
الباطل فقد قيل اكثر اختلاف العقلا من جهة اشتراك

الاسماء وكثير من نزاع الناس في هذا الباب هو من جهة الالفاظ المجملة التي
يفهم منها هذا بمعنى ثبته و[illegible] هذا بمعنى ينفيه ثم النفاه
يجمعون بين حق وباطل والمثبتة تجمع بين حق وباطل واما قوله
ام الذي يقوم بنا يكون عبارة عن كلام الله او حكاية عنه ويكون
اطلاق كلام الله عليه مجازا فيقال العبارة عن كلام الغير يقال
لمن في نفسه معنى لم يعبر عنه فيعبر عنه غيره كما يعبر عن ما في
نفس الاخرس من فهم مراده والذين قالوا القران عبارة عن
كلام الله قصدوا هذا وهذا معنى باطل بل القران العربي تكلم الله به
وجبرئيل بلغه عنه واما الحكاية فيراد به ما يماثل الشي كما يقال
هذا يحاكي فلانا اذا كان ياتي بمثل قوله او عمله ه وهذا ممتنع
في القران فان الله تعالى يقول قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ه وقد
يقال فلان حكا فلان عنه اي بلغه عنه ونقله عنه ويجي
في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يحكي عن ربه ويقال
ان النبي صلى الله عليه وسلم روى عن ربه وحكى عن ربه ه فاذا قيل
انه حكى عن الله بمعنى انه بلغ عن الله فهذا صحيح ه واما
قول القايل هل يكون كلام الله مجازا فيقال علامة المجاز
صحة نفيه ونحن نعلم بالاضطرار ان فلانا لو قال بحضرة الرسول ليس
هذا كلام الله لكان كافرا عنده لم يكن متكلما بالحقيقة اللغوية وايضا
فهذا موجود في كل من بلغ كلام غيره انه يقال هذا كلام المبلغ عنه لا
كلام المبلغ ه اخر ما كتب مختصرا وبسط هذا القول بسطا بليغا وقد [illegible] مفردا عن
هذا يلحق به ه والله اعلم ه وكان الفرغ على يد العبد الفقير الى الله محمد بن احمد بن نصر الله غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين امين وصلى الله على محمد وسلم

بلغ مقابلة على نسخة مغلوطة جدا

سئل عنها الشيخ تقي الدين قدس الله روحه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مسئلة ما دوا من تحكم فيه الدا وما العمل فيمن غلب عليه الكسل
وما الحيلة فيمن استولت عليه الحيرة ان قصد التوجه الى الله منعه هواه
وان داوم على الاذكار غلب عليه الافتكار غلبة الهوى فتراه في اوقاته حيران
فما صاحي بل هو السكران **الجواب** دواه الالتجا الى الله ودوام التضرع
والدعا بان يتعلم الادعية الماثورة ويتوخى الدعا في مظان الاجابة مثل
اخر الليل واوقات الاذان والاقامة وفي سجوده وادبار الصلوات ويضم
الى ذلك الاستغفار فانه من استغفر الله ثم تاب اليه متعه متاعا حسنا
الى اجل مسمى وليتخذ ورد من الاذكار طرفي النهار ووقت النوم
وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف فانه لا يلبث
ان يؤيده الله بروح منه ويكتب الايمان في قلبه وليحرص
على اكمال الفرايض من الصلوات الخمس بباطنه وظاهره فانها عمود الدين وايكن
هجيرا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانه بها تحمل الاثقال
وتكابد الاهوال وينال رفيع الاحوال ولا يسام من الدعا والطلب
فان العبد يستجاب له ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب
لي وليعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان
مع العسر يسرا ولم ينل احد شيئا الا بالصبر والحمد لله رب العلمين

وصلى الله على سيد المرسلين محمد واله
وصحبه اجمعين واستغفر الله العظيم
لي ولوالدي والمسلمين
امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ما تقول السادة العلماء ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين في رجل قال له شخص
يا فلان ما مذهبك قال شافعي المذهب فقال له ذلك الشخص بل انت حنفي
قال ولم قال لانك تعتقد اعتقاد الحنابلة تزعم ان القران كلام الله
فقال له فكلام من هذا القران فقال يصلح ان يكون كلام جبريل وقيل
له انت تقول القران كلام جبريل فقال اي قران فقيل له وللناس
قرآنان فقال نعم وقال من زعم ان هذا القران الذي يقراه الناس
كلام الله فهو حلولي يقول بقول النصارى الذين يقولون بحلول القديم
بالمحدث فهل اصاب في هذه الاطلاقات ام اخطا وهل يستتاب منها ام لا
وهل يكفر ان دعا اليها واصر عليها بعد بيان الادلة من الكتاب والسنة
واجماع السلف ام لا افتونا ماجورين وابسطوا لنا القول

فاجاب الشيخ ابو العباس احمد ابن تيمية رحمه الله فقال الحمد لله رب العالمين

كلام هذا السايل فيه افتراء على الشافعي رضي الله عنه ومذهبه
يستحق به التعزير البليغ بافترائه على ائمة المسلمين ومذاهبهم وفيه
افتراء على الله عز وجل وكتابه يستحق به ان يستتاب فان
تاب واقر ان القران كلام الله والا ضربت عنقه اما الاول فانه يقتضي
ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان القران ليس كلام الله وهذا افتراء على الشافعي
ومذهبه وكل من عرف مذهب الشافعي علم بالاضطرار ان مذهبه ان
القران كلام الله ليس شيء منه كلاما لغيره وان كان بعض المنتسبين
اليه قال قولا يخالف ذلك فالشافعي رحمه الله بري منه كبراءة علي رضي الله عنه
من الرافضة وبراءة سائر الائمة مالك وابي حنيفة واحمد من الرافضة والمعتزلة
والحلولية ومن هذا القول المذكور وان كان من المنتسبين الى ائمة من

يقول

هذا يقول بعض اقوال الصفاتية وهذا القول انما يضاف الى بعض المنتسبين الى ابي الحسن
الاشعري وان شافعي رضي الله عنه كان قبل الاشعري ومات رحمه الله على قبله
باكثر من مائة سنة بل اصحابه العارفون بمذهبه كالشيخ ابي حامد الاسفرايني
امام الطريقة العراقية وابي الشيخ ابي محمد الجويني شيخ الخراسانيين وغيرهما يذكرون
ان مذهب الشافعي في مسألة كلام الله تبارك وتعالى هو مذهب احمد بن حنبل وسائر
ائمة المسلمين وانه ليس هو القول المضاف الى الاشعري مع ان الاشعري لا يطلق
القول بان القرآن كلام جبريل بل يقول ان القرآن كلام الله عز وجل لكن هو صنف
في الرد على الفلاسفة والمعتزلة والرافضة وغيرهم وانتصر لمذهب اهل الحديث
والسنة وانتسب الى الامام احمد وسائر ائمة السنة واثبت الصفات الواردة
في القرآن وابطل تاويل النفاة لها ولم يختلف كلامه في ذكر ذلك في جميع كتبه
المصنفة بعد رجوعه عن قول المعتزلة ليس فيها الا هذا القول وكذلك
ائمة اصحابه كالقاضي ابي بكر وامثاله وقال في آخر مصنفاته فان قال قيل
قد انكرتم قول الجهمية والقدرية والرافضة والحرورية والمرجئة فعرفونا
حقيقة الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي
نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وبسنة نبينا
وما روي عن الصحابة الصحيحة والتابعين وما كان يقول به ابو عبد الله
احمد بن حنبل قائلون وللمخالف قولهم مجانبون فانه الامام الكامل
والرئيس الفاضل الذي ابان الله به الحق واوضح به المنهاج وقمع به
بدع المبتدعين ونزغ الزائغين وشكك الشاكين فرحمة الله عليه من
امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع ائمة المسلمين وذكر جملة اعتقاده
الذي حكاه عنه الحافظ ابو القاسم علي بن عساكر في كتاب الذب عنه وكان
القاضي ابو بكر بن الطيب من اجل اتباعه يكتب احيانا في اجوبته محمد

بن الطيب الحنبلي ومع هذا فاعتقاد اهل السنة ليس لاحد من الائمة به اختصاص لا لاحمد
ولا لمالك فقهي ولا غيرهما بل هو التصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من
ربه تبارك وتعالى فاهل السنة يحكمون بما يؤمنون به بما اخبر الله به ورسوله وهذا
هو اصل اعتقادهم وانما الائمة مبلغون لذلك ومبينون له والقول من خالف
فابو الحسن الاشعري صنف في الرد على اهل البدع الكبار مصنفات
وسلك في مسئلة الكلام والصفات مسلك ابي محمد عبد الله بن سعيد بن
كلاب وكان ابن كلاب قد صنف في اثبات الصفات والرد على المعتزلة
مصنفات لكنه سلك في اثبات حدوث العالم طريقة المعتزلة
المعروفة بطريقة الاعراض المبنية على امتناع دوام الحوادث وهذه
الطريقة انكرها ائمة السنة وهي اصل الكلام الذي انكره مالك وقال فيه واحمد
والسحق بن راهويه وغيرهم وهو المنقول انكاره عن ابي حنيفة وائمة اصحابه
وهي الطريقة التي استطالت بها عليهم الفلاسفة في مسئلة حدوث العالم فانهم طالما
الزموهم بما حدوث العالم فعورضوا بانها توجب قدم العالم وبين
ان القول بها يستلزم القول بحدوث كل العالم بل وباثبات الصانع فلما
سلك ابو محمد بن كلاب هذا المسلك اضطر الى التقسيم الى ان جعل كلام الله معنى
واحدا قائما بذات الله هو الامر بكل ما امر به والخبر عن كل ما اخبر به
ان عبر عنه بالعبرانية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان
انجيلا وان عبر عنه بالعربية كان قرانا واتفق جمهور العقلاء من اهل
السنة والمبدعة على ان هذا القول معلوم الفساد بالضرورة واضطر
ذلك الى ان جعل الكلام العربي مخلوقا وانه ليس هو كلام الله وان القران
العربي الذي نزل به جبريل على محمد ليس هو كلام الله ولم يتكلم به وانما كلامه
ذلك المعنى الذي هو الامر والنهي فوافق المعتزلة على القول بخلق القران الذي قالوا

انه مخلوق

انه مخلوق واثبت كلاما قديما فبين جمهور العقلا انه لا حقيقة له فصار بعض
المنتسبين اليه يقول ان القران العربي خلقه الله في بعض الاجسام كما قالته
المعتزلة وبعضهم يقول بل هو تاليف جبريل ونظمه فهم عن الله
معان مجردة ثم عبر عنها فقال له من اراد بيان فساد هذا فنسبه
للرب سبحانه بالاخرس الذي في نفسه معنى يمكنه التعبير فيجي من فهم
مراده فيعبر عنه لكن الاخرس يفهم ما في نفسه باشارته وايمايه
وهذا عنده ممتنع على الرب سبحانه بل على طريق ذلك ان يخلق في نفس
جبريل علما بمراده من جنس الالهام وحينئذ فيكون جبرئيل الهم شيئا
عبر عنه وجاء به الى محمد صلى الله عليه وسلم فيكون من الهمه مراده ان يرا بمنزلة
جبريل الذي اخذ عنه محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا يقول من بنى
على هذا الاصل كابن عربي انا اخذ من المعدن الذي ياخذ منه
الملك الذي يوحي به الى الرسول وقد فرق الله بين الوحي وبين التكليم
الخاص في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من
بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله
تعالى وكلم الله موسى تكليما ففرق بين ايحائه الى ساير الانبيا وتكليمه لموسى
وكذلك قال تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا فجعل تكليمه للبشر ثلاثة اصناف
احدها الايحاء اليهم والثاني التكليم من وراء حجاب كما كلم
موسى والثالث ان يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا فان كان
جبريل لم ياخذ القران عن الله الا وحيا كان ايحاء الله بلا واسطة
جبريل اعظم فتكون الهامات عمر بن الخطاب افضل من القران واعلى بدرجتين

لان القرآن اخذه محمد عن جبريل وجبريل عن الهام الله وعن اللوح المحفوظ وعلى هذا
وقال بعضهم ان جبريل اخذ القرآن عن اللوح المحفوظ وعلى هذا
تكون اليهود اعظم قدرا عند الله من محمد صلى الله عليه وسلم لان الله كتب التوراة
لموسى وانزلها مكتوبة فتلقى بنو اسرائيل ما في الالواح عن الله فان كان جبريل
انما اخذ القرآن عن اللوح صار جبريل كبني اسرائيل وصار محمد كمن اخذ كلام الله عن
بني اسرائيل واذا كان هذا باطلا وكفرا ما استلزم الباطل فهو باطل ايضا
فنقول الله بين الايحاء والتكليم دليل على ان الله كلم موسى بكلام سمعه موسى كما
قال تعالى فاستمع لما يوحى ومن قال الكلام بمجرد معنى قايم بالنفس يقول بكلام موسى
انما هو خلق لطبيعة فيها ادراكها ذلك المعنى ثم انهم يقولون ان ذلك المعنى
لا يتبعض فقال لهم بعض اهل العلم موسى ادرك جميع المعنى القايم بالذات
او بعضه ان قلتم الجميع فيكون موسى قد ادرك جميع كلام الله وعلم جميع ما تكلم
الله وكلام يتضمن الكل وخبر اخبر الله به فيكون موسى قد علم جميع ما تكلم
به الاولين والاخرين وهذا معلوم الفساد بالضرورة ولو لم
يكن الا ما اتاه الخضر فان موسى لم يعلم ذلك بل قال الخضر لما نقر العصفور
الله العصفور في البحر نقرة ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا
العصفور من هذا البحر وهذا مبسوط في غير هذا الموضع وبالجملة
فنحن نعلم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان القرآن كلام الله
ليس كلاما لغير الله لا لمحمد ولا لجبريل ولا لغيرهما ولكن الله يضيفه الى هذا
الرسول تارة والى هذا الرسول تارة لكونه بلغه واداه لا لانه انشاه وابتداه
ولهذا قال تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين
فالرسول هنا جبريل وقال انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا

ما تؤمنون

ما تؤمنون فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقل لقول ملك ولا نبي بل كفر من قال انه
قول البشر كما في الوحيد الذي قال ان هذا الا قول البشر ما صليه سقر الاية
وقول القايل انه قول ملك اوحي من جنس قوله انه قول البشر كل ذلك كفر وقد
قال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق فاخبر ان جبريل نزله من الله كما قال تعالى
والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقال تعالى حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم حم تنزيل من الرحمن الرحيم ونظايره كثيرة

فصل واما قول القايل من زعم ان القران الذي يقراه
الناس كلام الله فهو حلولي يقول بقول النصارى الذين يقولون بحلول
القديم في الحادث فهذا يدل على جهله بدين المسلمين ودين
النصارى اما المسلمون فانهم اذا قالوا كما قال الله تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله لم يريدون بذلك ان الكلام الذي
تكلم به الرب وقام بذاته انتقل الى القراء فان الانتقال ممتنع على صفات
المخلوقين فكيف على صفات الخالق والمسلمون اذا سمعوا كلام
النبي صلى الله عليه وسلم وبلغوه عنه وقالوا انه قال انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرئ ما نوى كانوا مبلغين لكلام النبي صلى الله عليه وسلم بحركاتهم
واصواتهم لا بصوت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ما قام به من كلامه حروفه
ومعانيه منتقلة عنه ولا حالة فيهم فكيف يقال ان جبريل سمع
كلام الله من الله وبلغه الى رسول محمد يكون شيئا من كلام الله منتقلا عن
ذات الله وحالا بجبريل فضلا عن ان ينتقل الى البشر ويحل بهم بل الكلام
كلام من قاله مبتديا لا كلام من قاله مبلغا موديا وموسى سمع كلام الله من الله
بلا واسطة واما المسلمون فانما سمعوه من المبلغين عنه لم يسمعوه
من الله عز وجل والفرق بين السماعين ظاهر هذا سماع بواسطة وهذا

سماع بلا واسطة كما ان الشمس والقمر والكواكب عند رؤيتها بطريق المباشرة
وقد يراها بواسطة ماء او مرآة او جسم صقيل فهذه رؤية مقيدة بواسطة
لم يباشرها بالرؤية وكذلك السامع لكلام المتكلم من المبلغ عنه هو سمع
مقيد بواسطة لم يباشره بالسمع واذا قيل رسول السر بلغ عن ربه وحكى
عن ربه وحدث عن ربه وروى عن ربه كان صحيحا واذا قيل
هذا حكاية القرآن بمعنى ان احدا يحاكي كلام الله فيأتي بمثله فهذا باطل
قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومن قال ان المداد
الذي في المصاحف والاصوات المسموعة من القراء قديمة ازلية فهو ضال
ضلالا مبينا مخالف لصريح العقول والمنقول ولم يقل هذا احد
من ائمة المسلمين لا ابو حنيفة ولا مالك ولا ان فعي ولا احمد ولا جماهير
اصحابهم كان القول بانه معنى واحد قائم بالذات قول مخالف لصريح
المعقول والمنقول لم يقله احد من ائمة المسلمين ولا جماهير اصحابهم
واما مذهب النصارى فان عندهم ان اقنوم الكلمة هو جوهر قائم
بنفسه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم وهو الاله المعبود وهو المتحد
بالمسيح فالكلمة عندهم ليست مجرد صفة قائمة بالمتكلم ولا الحلول
عندهم حلول صفة الله في غيره بل نفس المسيح عندهم الذي يغفر ويرحم
ويقيم القيامة فالحلول الذي يقوله النصارى يشبه قول من يقول
في بعض الائمة انه الكا يقول الغالية في الائمة والشيوخ فان كان في المسلمين
من يقول انه من القرآن فقد ضاهى النصارى يقول بقول النصارى وان لم
يكن في المسلمين من يقول ذلك فهذا احدث على المسلمين وهذه نكتة مختصرة
اذا كان جواب هذه المسألة مبسوطا في غير هذا الموضع والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد

وكان الفراغ على يد العبد الفقير الحقير المقر بالذنب والتقصير
راجي عفو ربه البصير محمد بن حمد بن ناصر آل سليم
عفا الله عنه ولوالديه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وعليه نتوكل وبه نستعين

ما تقول السادة ائمة الدين في رجلين قال احدهما هذا القران المسموع كلام الله
وقال الاخر هو كلام جبريل كما قال تعالى انه لقول رسول كريم فهو قول
الرسول الكريم فهل اصاب ام اخطا وما الجواب عما احتج به
وهل هذا القول قاله احد من الشيوخ والائمة ام لا افتونا اجاب
الشيخ رضي الله عنه فقال الحمد لله رب العالمين بل القران كلام الله
تعالى ليس كلام جبريل ولا كلام محمد صلى الله عليه وسلم وهذا متفق عليه بين
الصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة المسلمين واصحابهم الذين يفتى
بقولهم في الاسلام كابي حنيفة والشافعي واحمد وغيرهم وجبرئيل سمعه
من الله وسمعه محمد من جبرئيل كما قال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق
وروح القدس هو جبريل وقال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقال تعالى حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم فهو منزل من الله كما قال تعالى نزل به
الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين واما قوله تعالى
انه لقول رسول كريم فانه اضافة اليه لانه بلغه واداه لا لكونه احدث
منه شيئا او ابتداه فانه سبحانه قال في احد الايتين انه لقول رسول كريم
وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
تنزيل من رب العالمين فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال في الاية الاخرى
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فالرسول
هنا جبريل والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فلو كانت
اضافته الى احدهما لكونه الف النظم العربي واحدث منه شيئا غير
ذلك تناقض الكلام فانه ان كان نظم احدهما لم يكن نظم الاخر وايضا

بيان واحدث منه شيئا غير

فانه

فانه قال لقول رسول ولم يقل لقول ملك ولا نبي ولفظ الرسول يستعمل انه
مبلغ له عن مرسله لا انه انشأ من عنده شيئا وايضا فقوله انه لقول رسول
كريم ضمير يعود الى القرآن والقرآن يتناول معانيه ولفظه ومجموع هذا
ليس قولا لغير الله باجماع المسلمين واطلاق القول بان القرآن كلام جبريل
او محمد او غيرهما من المخلوقين كفر لم يقله احد من ائمة المسلمين بل عظم الله
الانكار على من قال انه قول البشر فقال ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت
له مالا ممدودا الى قوله انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر
ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول
البشر فمن قال ان القرآن قول البشر فقد كفر وكذلك من قال انه قول ملك
وانما يقول انه قول جبريل احد رجلين اما جاهل من الملاحدة والفلاسفة الذين
يقولون انه فيض فاض على نفس النبي من العقل الفعال ويقولون انه جبريل
ويقولون ان جبريل هو الخيال الذي يتمثل في نفس النبي ويقولون انه تلقاه محمد
معان مجردة ثم انه تشكل في نفسه حروفا كما تشكل في نفس النائم كما يقول ذلك ابن عربي
صاحب الفصوص وغيره من الملاحدة وهذا يدعي انه اخذ من المعدن
الذي يأخذ منه الملك الذي يوحيه الى الرسول فان العلم عنده هو الفعل
والملك هو الخيال الذي في نفسه والنبي عندهم يأخذ من هذا الخيال وهذا
الكلام من اظهر الكفر باجماع المسلمين واليهود والنصارى وهو مما يعلم فساده
بالاضطرار من دين المسلمين او جهل ينتسب الى مذهب الاشعري بناء على
ان الكلام العربي لم يتكلم الله به عنده وانما كلامه معنى واحد قايم بذات الرب
هو الامر والخبر ان عبر عنه بالعربية كان قرانا وان عبر عنه بالعبرية
كان توراه وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وهذا القول وان
كان قول ابن كلاب والقلانسي والاشعري ونحوهم فلم يقولوا ان الكلام
العربي كلام جبريل ومن حكاه هذا عن الاشعري نفسه فهو مجازف وانما

قال هذا طايفة من المنتسبين اليه كما قالت طايفة اخرى انه نظم محمد صلى الله عليه وسلم
ولكن المشهور عنه ان الكلام العربي مخلوق ولا يطلق عليه القول بانه كلام الله
لكن اذا كان مخلوقا فقد يكون خلقه في الهوا او في جسم اخر لكن والقول
اذا كان ضعيفا ظهر الفساد في لوازمه وهذا القول ايضا لم يقله احد
من الصحابة والتابعين وايمة المسلمين واصحابهم الذين يفتى بقولهم
بل كان الشيخ ابو حامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب
الشافعي واحمد بن حنبل وساير علما الامصار في القران تخالف لهذا القول
وكذلك الشيخ ابو محمد الجويني والد ابي المعالي قال مذهب الشافعي واصحابه
في الكلام ليس هو قول الاشعري وعامة العقلا يقولون ان فساد
هذا القول معلوم بالاضطرار وانا نعلم ان التوراة اذا عربت
لم تكن هي القران ونعلم ان معنى اية الكرسي ليس هو معنى اية الدين والله تعالى
قد فرق في كتابه بين تكليمه لموسى وايجابه الى غيره بقوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله وكلم الله موسى تكليما وقال تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا ففرق
بين التكليم الذي حصل لموسى وبين الايحا المشترك وموسى سمع كلام الله من الله
بلا واسطة كما قال تعالى فاستمع لما يوحى انني انا الله والرسول اذا بلغه الى الناس وبلغه
الناس عنه كان مسموعا سمعا مقيدا بواسطة المبلغ كما قال تعالى وان احد من
المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فهو مسموع مبلغا عنه بواسطة المخلوق
بخلاف سماع موسى صلى الله عليه وسلم واذا كان العبد يسمع كلام الرسول من المبلغين
عنه وليس ذلك كسماعه منه فامر الله اعظم ولهذا اتفق سلف الامة
وايمتها على ان القران الذي يقراه المسلمون كلام الله تعالى ولم يقل احد منهم
ان اصوات العباد ولا مداد المصاحف قديم مع اتفاقهم على ان المثبت

بين الوحي

بين الوحي المصحف كلام الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم
فالكلام الذي يقرأه المسلمون كلام الله والاصوات الذي يقرأون بها القرآن اصواتهم
والله اعلم

الحمد لله رب العالمين

نقول كانت هذه الاحرف
وجدت في كتاب شعب الايمان للامام ابي عبد الله الحسن بن الحسين الحليمي
رحمة الله عليه المعروف بالمنهاج في الباب الرابع منه يقول الباب
الرابع من شعب الايمان وهو باب الايمان بالقرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وساير الكتب المنزلة على الانبيا قبله صلوات الله وسلامه عليهم
والايمان بالقرآن يتشعب شعبا فاولها بانه كلام الله تبارك وتعالى وليس من
وضع محمد ولا وضع جبرئيل صلوات الله وسلامه عليهما والثانية
الاعتراف بانه معجز النظم لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثله لم يقدروا
عليه والثالث الاعتقاد ان جميع القرآن الذي توفي النبي صلى الله عليه
وسلم عنه هو الذي بمصاحف المسلمين لم يفت منه شي ولم يضع نسيان
ناسي ولا ضلال صحيفة ولا موت قاري ولا كتمان كاتم ولم ينحرف منه
شي ولم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف فاما الوجه الاول فان الله
تعالى ذكره يقول يا ايها الذين امنوا امنوا بالله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل وقال تعالى والمومنون كل امن بالله وملايكته
وكتبه ورسله وقال والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وقال
افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
وقال وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه وقال لكن الله يشهد بما انزل اليك
انزله بعلمه والملايكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقال وانه لتنزيل رب العالمين
نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وقال
انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وايات القرآن في هذا الباب كثيرة
فان عارض معارض يقول الله في كتابه انه لقول رسول كريم وما هو بقول

شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ومن سورة الحاقة
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين
وزعم ان هذين الآيتين دلالة على ان القرآن كلام جبريل قيل
ليس معنى الآية كما توهمت لان الله تعالى قد قال في آية أخرى وان أحد من
المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله فأبان ان القرآن كلامه ولا يجوز
ان يكون كلامه كلام جبريل مع أنه ثبت ان معنى الآية قوله انه لقول رسول
كريم اي قول تلقاه عن رسول كريم او قول سمعه من رسول كريم اذ نزل به
عليه رسول كريم ويدل على هذا ان الله عز وجل قال قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله فثبت بذلك
ان القرآن معجز فلو كان من وضع جبريل لم يكن معجزا لان العجز ما لا يقدر عليه
الا الله تعالى وساق كلامه بالادلة على ان القرآن جميعه نزل من عند الله
ليس لجبريل فيه الا التبليغ الى الرسول وللرسول الى الامة والامة يتلوه
وبلغه بعضهم الى بعض مع حفظ الله تعالى له بقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون وقال تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد وشرح هذا الفصل شرحا بينا بين فيه عجز
الملائكة والانس والجن على الاتيان بمثل القرآن وانه منزل من عند الله تعالى
ليس من وضع جبريل ولا محمد صلى الله عليه وسلم ونقل الامام الحافظ
ابو بكر البيهقي في كتاب شعب الايمان في الرابع فيه هذا الفصل عن الحليمي
وزاد عليه الاحاديث السنية بذلك ونص على انه كلام الله تبارك وتعالى
وليس من وضع محمد صلى الله عليه وسلم ولا من وضع جبريل عليه السلام واستدل
بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وبقوله
وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه وبقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله
بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وبقوله وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين

نزل به الروح

نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وقال تعالى انا انزلناه
قرانا عربيا لعلكم تعقلون قال ومعناه والله اعلم انزلنا الرسول المودي له فيكون
الرسول منتقلا من علو الى سفل موديا للكلام الذي حفظه وذلك بين في الاية
التي قبلها وهو انه اخبر انه نزل به الروح الامين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
فيكون جبرئيل منتقلا به من مقامه المعلوم الى الارض موديا الى محمد صلى الله
عليه وسلم واخبر في الاية قبلها انه انزله بعلمه وفي الاية قبلها انه من عنده
لا من عند غيره وشرح كلام الحليمي قال وقال الحليمي رحمه الله وقوله عز وجل
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش المكين مطاع ثم امين فانما
معناه انه لقول رسول كريم اي قول تلقاه عن رسول كريم او قول سمعه من
رسول كريم او نزل به عليه رسول كريم وقد قال في اية اخرى وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فاثبت ان القران كلامه ولا يجوز
ان يكون كلامه وكلام جبريل معا فدل ان معناه ما قلنا قال
البيهقي والمقصود في تلك الاية تكذيب المشركين فيما كانوا يزعمون
من وضع النبي صلى الله عليه وسلم هذا القران ثم قد اخبر الله انه هو الذي
نزل به جبرئيل على محمد وان جبرئيل نزل به ثم بين عجز الانس والجن
لان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل اليهما دون الملائكة قال وفي ذلك ما
ما ابان ان نظم القران ليس من عند جبريل لكنه من عند الله اللطيف الخبير
قال وهذا معنى كلام الحليمي في المنهاج وساق ادلة ذلك بالاحاديث من
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس بالموقف ويقول الا
رجل يحملني الى قومه فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي عز وجل وان
ابا بكر الصديق لما قرا سورة الروم على المشركين بمكة فقالوا هذا مما اتى به
صاحبك قال لا ولكنه كلام الله عز وجل وفي حديث اخر ليس كلامي ولا كلام
صاحبي ولكنه كلام الله عز وجل وقول عامر شهر كنت عند النجاشي

فقرا ابن له من الانجيل فضحكت فقال النجاشي اتضحك من كلام الله وقول خباب
بن الارت تقرب الى الله ما استطعت واعلم انك لن تتقرب اليه بشيء احب اليه
من كلامه وقول ابن مسعود اصدق الحديث كلام الله لو ان قلوبنا طهرت لما
شبعنا من كلام ربنا وقول علي ما حكمت مخلوقا انما حكمت القران وقول
بن عباس القران من الله وقول عمرو بن دينار سمعت مشيختنا منذ سبعين
يقولون القران كلام الله ليس بمخلوق وساق اقوال علماء الاسلام على ان
القران كلام الله تبارك وتعالى منزل منه وقال الامام قاضي
القضاة ابو الحسن علي بن محمد بن حسن الماوردي في كتاب دلايل النبوة قال
والذي يؤديه الرسول الى قومه ضربان قران ووحي فالقران يلزم
الملك ان يؤديه الى الرسول بصيغة لفظه وليس للملك ولا للرسول ان
يعدل بلفظه الى غيره ويكون ما نظمه من الخطاب المنزل متوجها
الى الرسول والى الامة بصيغة لفظه وساق كلامه وادلة ذلك ثم قال في الباب
الثاني عشر في اعجاز الخلق عن الاتيان بمثله وحفظه قال وانه منقول
بالفاظ منزلة ومعان مستودعة بلغه الملك بلفظه وعلى نظمه واداه
الرسول الى الامة بمثله فلم ينخرم منه لفظه ولا اختل منه معنى ولا تغير له
ترتيب حتى صار من الزلل مضبوطا ومن التبديل محفوظا تستمر به الاعصار
على مشاكلته وتتداوله الالسن مع اختلاف اللغات على نظمه وصفته لا
تختلف بتعاقد الازمنة ولا تختل بتباعد الامكنة ولا يتغير باختلاف
الالسنة ثم ساق كلامه بيان الادلة على ان القران مجموعه منزل من عند الله
محفوظ على ممر الزمان معجز قايم بنفسه وانه نزل من الله جميعا لفظه
ومعناه وترتيبه حفظا من الله له بقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون وقال الامام ابو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي
الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في اصول عن ايمة الفحول بعد ذكر الايمة

والتفاقم

واتفاقهم على ان القرآن جميعه كلام الله ليس لمخلوق فيه الا البلاغ
قال سمعت الامام ابا منصور محمد بن احمد يقول سمعت الامام
ابا بكر عبد الله ابن احمد يقول سمعت الشيخ ابا حامد
الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن
كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر والقرآن حملة جبريل
مسموعا من الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل عليه السلام
والصحابة سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن بالسنتنا
وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا وكل
حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر
وساق كلامه في الادلة على بيان ذلك واتفاق علماء الامصار عليه
قلت وذكر ابو الحسن الكرخي في كتابه هذا
اتفاق اصحاب الائمة على ان القرآن جميعه منزل من الله تبارك
وتعالى ليس من موضع جبريل ولا محمد بل هو من جمعه منزل من عند الله
لا من عند غيره وذكر مناقب الامام ابا حامد الاسفرايني وهو
حقيق بذلك اذ هو الامام المقدم العارف الاكبر بمذهب الامام
الشافعي رضي الله عنه وهو الشافعي الثالث فانه ليس بعد الشافعي
مثل ابي العباس بن سريج ولا بعد ابي العباس مثل الشيخ
ابي حامد وقد ذكره الامام ابو اسحق الشيرازي في كتاب الطبقات للفقهاء بانه
كان اعرف الاصحاب بمناصيص الامام الشافعي واعظم بركة في مذهبه
وانه اول من شرح المزني وشحنه بالمختلف والمؤتلف ونصر فيه مذاهب
العلماء وجعله مساغا لاجتهاد العلماء رضي الله عنه وارضاه والمراد
ما ذكره هذا الامام عن مذهب الشافعي رحمة الله عليه ومن طالع كتب
اصحاب الشافعي الذين صحبوه واخذوا عنه العلم اصلا وفرعا علم يقينا

ماذكره عن مذهبه في القران والصفات وقد ذكر الامام الحافظ ابو الحسن
الدارقطني جميع اصحاب الامام الشافعي وصنف قبله فيمن صحب الامام
الشافعي من افاضل الناس كتابا جليلا داود بن علي الاصبهاني
وصنف غيرهما كتبا في ذلك فمن وقف على اقوال هاولاء الذين
راوا ائمة المذهب علم يقينا ما ذكره ابو حامد الاسفرايني عن مذهب
الامام الشافعي وصنف قبله فيمن وكذلك من وقف على
ما نقله الطحاوي عن جميع اصحاب ابي حنيفة المتقدمين علم ذلك
قال الطحاوي في عقيدته التي جمع فيها عقايد ائمة الامصار
فيها بان القران كلام الله وكلامه منه بدا بلا كيفية قولا
وانزله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا وايقنوا انه كلام الله
على الحقيقة وليس بمخلوق لكلام البشر فمن سمعه فزعم انه كلام البشر
فقد كفر وقد ذمه الله وعابه واوعده سقر حيث قال ساصليه سقر
فلما اوعد الله بسقر لمن قال ان هذا الا قول البشر علمنا انه
كلام خالق البشر لا قول البشر وساق كلامه وكذلك مذاهب
الائمة الاربعة واصحابهم ولو ذهبت لاكتب ما قالوه
لجاء مجلدات والغرض الاختصار هنا وبالله التوفيق
تمت المسائل واستغفر الله بكرة واصايل وكان الفراغ بين الفروض
وقت خفي صريح الغموض وهو من الايام نهار السبت
ومن الاشهر بقين ست من جمادى الاول
وهو من الشهور الاول سنة ١٢٨
من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
ان تجد عيبا فسد الخللا حل من لا عيب فيه وعلا

بقلم الفقير الى الله [illegible]

[illegible] ٨٢١ [illegible] المسائل [illegible]

[illegible] ١٩٥٧م

اوراق جملة رسائل ٢٣٥

یادداشت کتب که در این مجموعه است

تفسیر آیات مشکله قرآن کریم و بیان آیات قرآنی

الکلام علی آیة الربا

قاعده فی القرآن وکلام الله

فی الصلاة خلف المرازقة

رساله اقسام تقوی وصبر

رساله در بیان آنکه آن القرآن کلام الله لیس شیئا منه کلاما لغیره

قاعده فی بیان زیارة بیت المقدس

کیف اختیار العبد افعاله والعبد فی الافعال مجبور

قل معنی اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وغیره آیات

در بیان شرح آن الشرک بالله اعظم ذنب و دیگر بسیار فوائد

رساله در بیان غیبت و فوائد دیگر

رساله سؤالات بلاد گیلان فی مسئلة القرآن

رساله ما اشتهر من قتل المسلمین وسبی الذراری الخ

مسئله هل المیت یسمع کلام زوار غیره شخصه وهل تقادر وحده

کتاب التحفة العراقیة فی الاعمال القلبیة

کتاب الاستغاثة فی الرد علی ابن البکری

فیمن یقول ان الشکل والنقط من کلام الله تعالی

فی رجل قال له شخص یا فلان ما مذهبک

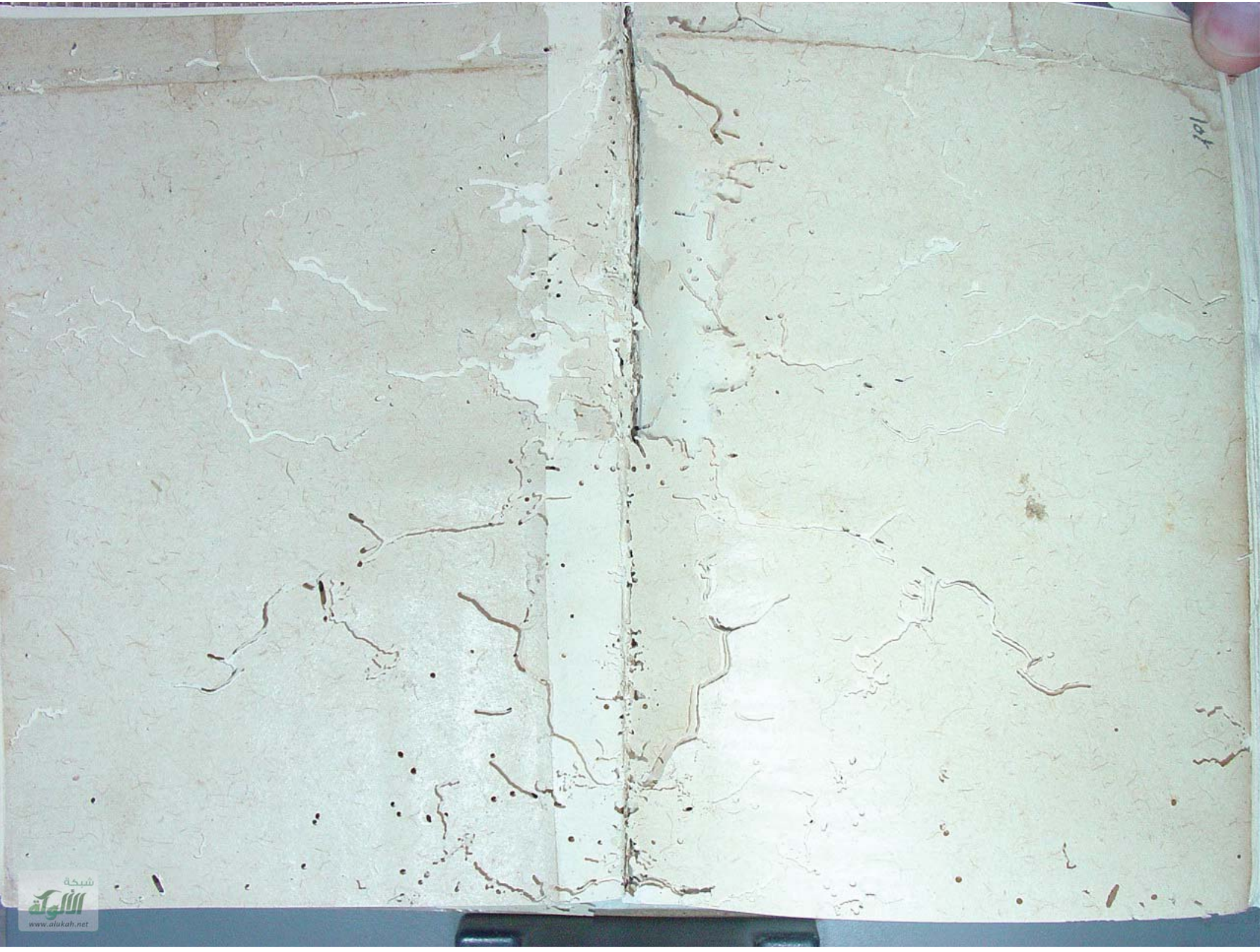

شبكة الألوكة
www.alukah.net